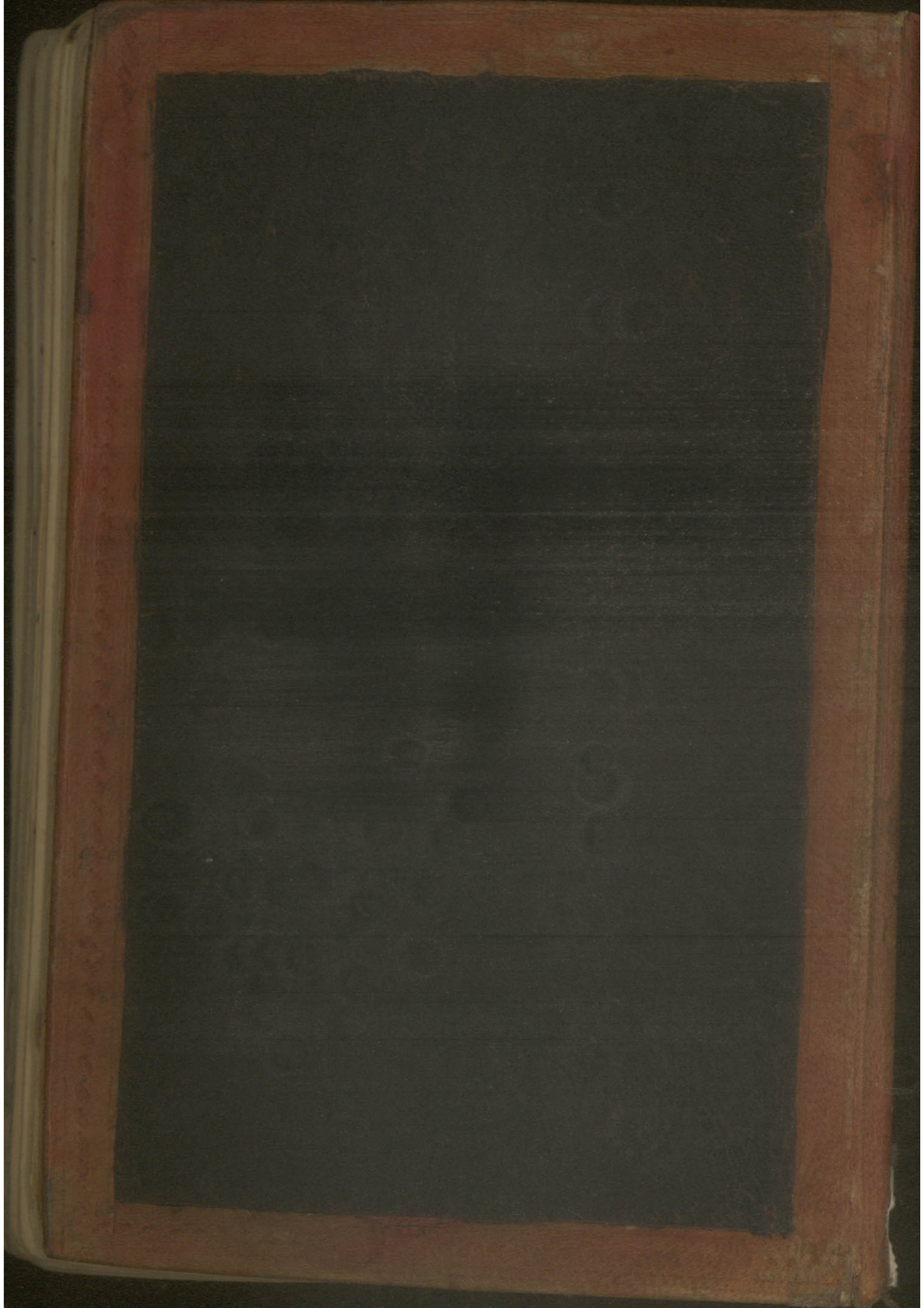
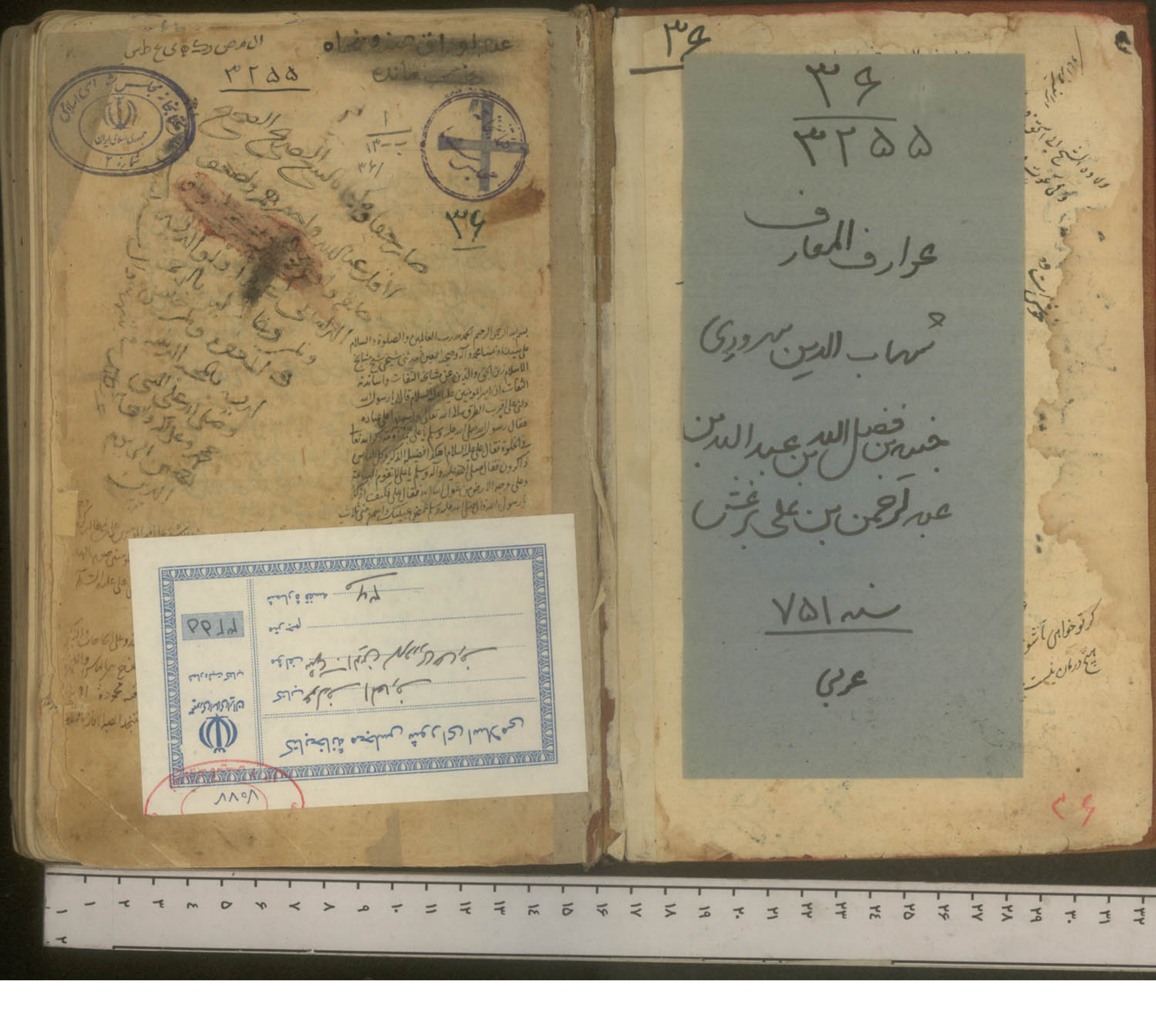




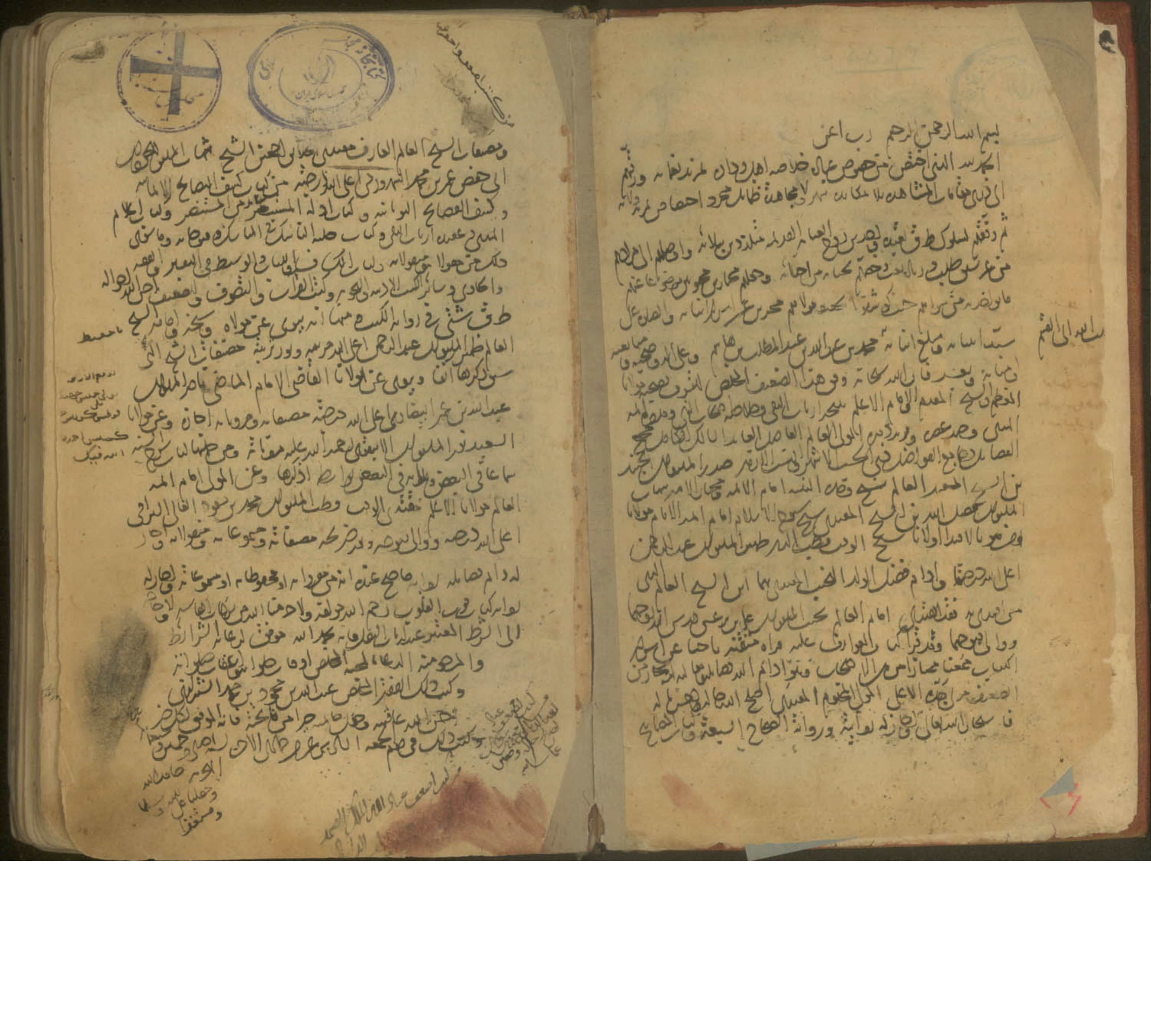
۳۶
۳۲۵۵
عوارف المعارف
شهاب الدین سهروردی
عبدالرحمن بن علی برغش
سنه ۷۵۱
عربی



بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام
على سيدنا ونبينا محمد وآله وصحبه اجمعين حدثني شيخي شيخ مشايخ
الاسلام زين الحق والدين عن مشايخه الثقات واساتذته
الثقات ان امير المؤمنين علي عليه السلام قال يا رسول الله
دلني على اقرب الطرق الى الله تعالى واسهلها على عباده
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا علي [illegible] ذكر الله تعالى
في الخلوة فقال علي عليه السلام هكذا فضيلة الذكر وكل الناس
ذاكرون فقال صلى الله عليه وآله وسلم يا علي لا تقوم الساعة
وعلى وجه الارض من يقول الله الله فقال علي فكيف اذكر
يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم غمض عينيك واسمع مني ثلاث
مرات فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا اله الا الله ثلث مرات
وعلي يسمع ثم قال علي لا اله الا الله ثلث مرات والنبي يسمع [illegible]

عوارف المعارف

عطار
گر تو خواهی آشنای مرد ای پسر
هیچ درمان نیست جز درد ای پسر



بسم الله الرحمن الرحيم رب اعن

بسم الله الرحمن الرحيم ربّ أنعمت فزد وتمّم

الحمد لله العظيم شأنه القوي سلطانه الظاهر إحسانه الباهر حجته وبرهانه
المحتجب بالجلال والمنفرد بالكمال المرتدي بالعظمة في الآباد والآزال
لا يصوّره وهم وخيال ولا يحصره حدّ ومثال في العزة الدائم السرمدي والملك
القائم الديمومي والقدرة الممتنع إدراك كنهها والسطوة المستوعرة طريق
استيفاء وصفها نطقت الكائنات بأنه الصانع المبدع ولاح من صفحات ذرات
الوجود بأنه الخالق المخترع وسم عقل الإنسان بالعجز والنقصان وألزم فصحاء
الألسن وصف الحصر في حلبة البيان وأحرقت سبحات وجهه الكريم أجنحة
طائر الفهم وسدّت تعززا وجلالا مسالك الوهم وأطرق طامح البصيرة تعظيما
وإجلالا ولم يجد من فرط الهيبة في فضاء الجبروت مجالا فعاد البصر كليلا
والعقل عليلا ولم ينتهج إلى كنه الكبرياء سبيلا فسبحان من عزّت معرفته لولا
تعريفه وتعذّر على العقول تحديده وتكييفه ثم قلوب الصفوة من عباده ملابس
العرفان وخصّهم من بين عباده بخصائص الإحسان فصارت ضمائرهم من مواهب
الأنس مملوّة ومرائي قلوبهم بنور القدس مجلوّة فتهيأت لقبول الأمداد القدسية
واستعدّت لورود الأنوار العلوية واتخذت من الأنفاس العطرة بالأذكار رجالا
وأقامت على الظاهر والباطن من التقوى حرّاسا وأشعلت في ظلم البشرية من
اليقين نبراسا واستحقرت فوائد الدنيا ولذاتها وأنكرت مصائد الهوى وتبعاتها
وامتطت غوارب الرغبوت والرهبوت واستفرشت بعلوّ همتها بساط الملكوت
وامتدت إلى المعالي أعناقها وطمحت إلى اللائح العلوي أحداقها واتخذت من
الملأ الأعلى مسامرا ومحاورا ومن النور الأعز الأقصى مزاورا ومجاورا أجساد
أرضية بقلوب سماوية وأشباح فرشية بأرواح عرشية نفوسهم في منازل الخدمة
سيّارة وأرواحهم في فضاء القرب طيّارة مذاهبهم في العبودية مشهورة وأعلامهم
في أقطار الأرض منشورة يقول الجاهل بهم فقدوا وما فقدوا ولكن سمت أحوالهم فلم يدركوا

وعلا مقامهم فلم يملكوا كأنهم بين الجثمان بأبدانهم تقلّبهم عن أوطان الحدثان لأرواحهم
حول العرش تطواف ولقلوبهم من خزائن البرّ إسعاف يتنعّمون بالخدمة في الدياجر
ويتلذذون من وهج الطلب بظمأ الهواجر سلوا بالصلوات عن الشهوات وتعوّضوا
بحلاوة التلاوة عن اللذات يلوح من صفحات وجوههم بشر الوجدان وينمّ على
مكنون سرائرهم نضارة العرفان لا يزال في كل عصر وزمان منهم علماء قائمون بالحق
داعون للخلق منحوا بحسن المتابعة رتبة الدعوة وجعلوا للمتقين قدوة فلا تزال
تظهر في الخلق آثارهم وتزهر في الآفاق أنوارهم من اقتدى بهم اهتدى ومن
أنكرهم ضلّ واعتدى فلله الحمد على ما هيّأ للعباد من بركة خواص حضرته من أهل
الوداد والصلوة على نبيّه ورسوله محمد وآله وأصحابه الأكرمين الأماجد ثم إن
إيثاري لهدي هؤلاء القوم ومحبتي لهم علما بشرف حالهم وصحة طريقتهم المبنية
على الكتاب والسنة المتحقق بها من الله الكريم الفضل والمنّة حداني أن أذبّت
عن هذه العصابة بهذه الصبابة وألّف أبوابا في الحقائق والآداب معربة
عن وجه الصواب فيما اعتقدوه مشعرة بشهادة صرائح العلم لهم فيما اعتقدوه
حيث كثر المتشبهون واختلفت أحوالهم وتستّر بزيّهم المستترون وفسدت أعمالهم
وسبق إلى قلب من لا يعرف أصول سلفهم سوء ظنّ وكاد لا يسلم من وقيعة فيهم وطعن
ظنّا منه أنّ حاصلهم راجع إلى مجرّد رسم وتخصيصهم عائد إلى مطلق اسم ومما
حضرني فيه من النية أن أكثّر سواد القوم بالاعتزاء إلى طريقهم والإشارة لتي
أحوالهم وقد ورد من كثّر سواد قوم فهو منهم وأرجو من الله الكريم صحة النية
فيه وتخليصها من شوائب النفس وكل ما فتح الله تعالى عليّ فيه منح من الله الكريم
وعوارف وأجلّ المنح عوارف المعارف والكتاب يشتمل على نيف وستين بابا

الباب الأول في منشأ علوم الصوفية
الباب الثاني في تخصيص الصوفية بحسن الاستماع
الباب الثالث في بيان فضيلة علوم الصوفية والإشارة إلى أنموذج منها



فهذه الابواب تحررت بعون الله مشتملة على بعض علوم الصوفية واحوالهم ومقاماتهم وادابهم واخلاقهم وغرائب مواجيدهم وحقايق معرفتهم وتوحيدهم ودقيق اشاراتهم ولطيف اصطلاحاتهم فعلومهم كلها انباء عن وجدان واعتزاء الى عرفان وذوق تحقق بصدق الحال ولم يف باستيفاء كنهه صريح المقال لانها مواهب ربانية ومنايح حقانية استنزلها صفاء السرائر وخلوص الضمائر فاستعصت بكنهها على الاشارة وطفحت على العبارة وتراءتها الارواح بدلالة التشام والايتلاف وكرعت حقايقها

قوله وانا النذير العريان هذا مثل سائر واصله ان الرجل اذا راى جيشا قد فجئهم واراد انذار قومه تجرد عن ثيابه واشار بها ليعلم ان قد فجئهم امر عظيم ثم صار مثلا لكل امر يخاف مفاجاته ولكل امر لا شبهة فيه

من نحو الالطاف وقد اندرس كثير من دقائق علومهم كما انطمس كثير من حقائق رسومهم
وقد قال الجنيد علمنا هذا طوي بساطه منذ كذا سنة ونحن نتكلم في حواشيه
هذا القول منه في وقته مع قرب العهد بعلماء السلف وصالحي التابعين فكيف
بنا ذلك مع بعد العهد وقلة العلماء الزاهدين والعارفين بحقائق علوم الدين
والله المامول ان يقابل جهد المقل بحسن القبول والله الموفق

الباب الاول في ذكر منشا علوم الصوفية

حدثنا شيخنا شيخ الاسلام ابو النجيب عبد القاهر بن عبد الله بن محمد السهروردي
املاء من لفظه في شوال سنة ستين وخمسماية قال انا الشريف نور الهدى
ابو طالب الحسين بن محمد الزينبي اخبرتنا كريمة بنت احمد بن محمد المروزية المجاورة بمكة
حرسها الله تعالى قالت انا ابو الهيثم محمد بن المكي الكشميهني قال انا ابو عبد الله
محمد بن يوسف الفربري قال انا ابو عبد الله محمد بن اسمعيل البخاري قال انا ابو كريب
قال انا ابو اسامة عن بريد عن ابي بردة عن ابي موسى الاشعري عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال انما مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل اتى قوما فقال
يا قوم اني رايت الجيش بعيني واني انا النذير العريان فالنجا النجا فاطاعه
طايفة من قومه فادلجوا فانطلقوا على مهلهم فنجوا وكذبت طايفة منهم
فاصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فاهلكهم واجتاحهم اي استاصلهم ومن ذلك
الجايحة التي تفسد الثمار فذلك مثل من اطاعني فاتبع ما جيت به ومثل من عصاني
وكذب بما جيت به من الحق وقال صلى الله عليه وسلم مثل ما بعثني الله به
من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير اصاب ارضا وكانت طايفة منها طيبة
قبلت الماء وانبتت الكلاء والعشب الكثير وكانت منها طايفة اخاذات امسكت الماء
فنفع الله تعالى بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا واصاب منها طايفة اخرى
انما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلاء فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه
ما بعثني الله به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك راسا ولم يقبل هدى الله الذي

ارسلت

ارسلت به قال الشيخ رضي الله عنه اعد الله تعالى لقبول ما جاء به رسول الله صلى الله
عليه وسلم اصفى القلوب وازكى النفوس وظهر تفاوت الصفاء والتزكية
في تفاوت الفايدة والنفع فمن القلوب ما هو بمثابة الارض الطيبة التي انبتت
الكلاء والعشب الكثير وهذا مثل من انتفع بالعلم في نفسه واهتدى ونفعه
علمه وهداه الى الطريق القويم من متابعة رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومن القلوب ما هو بمثابة الاخاذات اي الغدران جمع اخذ وهو المصنع والغدير
الذي يجتمع فيه الماء ونفوس العلماء الزاهدين من الصوفية والشيوخ تزكت
وقلوبهم صفت فاختصت بمزيد الفايدة فصاروا اخاذات قال مسروق
صحبت اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدتهم كالاخاذات وذلك
لان قلوبهم كانت واعية فصارت اوعية للعلوم بما رزقت من صفاء الفهوم
اخبرنا الشيخ الامام رضي الدين ابو الخير احمد بن اسمعيل القزويني اجازة قال انا ابو سعيد
محمد الخليلي قال انا القاضي ابو سعيد محمد الفرخزادي قال انا ابو اسحق احمد بن محمد
الثعالبي قال انا ابن فنجويه قال انا ابن حبان قال انا اسحق بن محمد قال انا ابي قال انا ابرهيم
بن عيسى قال انا علي بن علي قال انا ابو حمزة الثمالي قال حدثني عبد الله بن الحسن قال حين
نزلت هذه الاية وتعيها اذن واعية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي
سالت الله تعالى ان يجعلها اذنك يا علي قال علي فما نسيت شيا بعده وما كان لي
ان انسى قال ابو بكر الواسطي اذان وعت عن الله اسراره وقال ايضا واعية في معادنها
ليس فيها غير ما شاهدها شيء فهي الخالية عما سواه فما اضطراب الطبايع الا من
من الجهل فقلوب الصوفية وعت لانهم زهدوا في الدنيا بعد ان احكموا اساس التقوى
فالتقوى زكت نفوسهم وبالزهد صفت قلوبهم فلما عدموا شواغل الدنيا بتحقيق الزهد
انفتحت مسام باطنهم وسمعت اذان قلوبهم واعانهم على ذلك زهدهم في الدنيا فعلماء
التفسير وايمة الحديث وفقهاء الاسلام احاطوا علما بالكتاب والسنة واستنبطوا منهما
الاحكام وردوا الحوادث المتجددة الى اصول من النصوص وحمى الله بهم الدين وعرف

علماء التفسير وجه التفسير وعلم التاويل ومذهب العرب في اللغة وغرايب النحو
والتصريف واصول القصص واختلاف وجوه القراءة وصنفوا في ذلك الكتب
فاتسع بطريقهم علوم القرآن على الامة وايمة الحديث ميزوا ابن الصحاح والحسان
وتفردوا بمعرفة الرواة واسامي الرجال وحكموا بالجرح والتعديل ليتبين الصحيح
من السقيم ويتميز المعوج من المستقيم فيحفظ بطريقهم طريق الرواية والسند
حفظا للسنة واشتغل الفقهاء لاستنباط الاحكام والتفريع في المسايل ومعرفة
التعديل ورد الفروع الى الاصول بالعلل الجوامع واستيعاب الحوادث بحكم النصوص
وتفرع من علم الفقه والاحكام علم اصول الفقه وعلم الخلاف وتفرع من
علم الخلاف علم الجدل واحوج علم اصول الفقه الى شيء من علم اصول الدين
وكان من علمهم علم الفرايض ولزم منه علم الحساب والجبر والمقابلة والى غير
ذلك فتمهدت الشريعة وتايدت واستقام الدين الحنيفي وتفرع وتاصل الهدي
النبوي المصطفوي فانبتت اراضي قلوب العلماء الكلاء والعشب مما قبلت
من مياه الحيوة من الهدى والعلم قال الله تعالى انزل من السماء ماء فسالت اودية
بقدرها قال ابن عباس الماء العلم والاودية القلوب قال ابو بكر الواسطي خلق الله
تعالى درة صافية فلاحظها بعين الجلال فذابت حياء منه فسالت فقال انزل
من السماء ماء فسالت اودية بقدرها فصفا القلوب من وصول ذلك الماء اليها
وقال ابن عطاء انزل من السماء ماء هذا مثل ضربه الله تعالى للعبد اذا سال السيل
في الاودية لا يبقى في الاودية نجاسة الا كنسها وذهب بها كذلك اذا سال النور
الذي قسم الله تعالى للعبد في نفسه لا يبقى فيه غفلة ولا ظلمة انزل من السماء ماء يعني
قسمة النور فسالت اودية بقدرها يعني في القلوب الانوار على ما قسم لها في الازل
فاما الزبد فيذهب جفاء فتصير القلوب منورة لا يبقى فيها جفوة واما ما ينفع الناس
فيمكث في الارض تذهب البواطل وتبقى الحقايق وقال بعضهم انزل من السماء ماء انواع
الكرامات فاخذ كل قلب بحظه ونصيبه فسالت اودية قلوب علماء التفسير والحديث

والفقه

والفقه بقدرها وسالت اودية قلوب الصوفية من العلماء الزاهدين في الدنيا المتمسكين
بحقايق التقوى بقدرها فمن كان في باطنه لوث محبة الدنيا من فضول المال والجاه
وطلب المناصب والرفعة سال وادي قلبه بقدره فاخذ من العلم طرفا صالحا ولم يحظ
بحقايق العلوم ومن زهد في الدنيا اتسع وادي قلبه فسالت فيه مياه العلوم فاجتمعت
وصارت انحاذات قيل للحسن البصري هكذا قال الفقهاء فقال وهل رايت فقيها قط
انما الفقيه الزاهد في الدنيا فالصوفية اخذوا حظا من علم الدراسة فافادهم
علم الدراسة العمل بالعلم فلما عملوا بما علموا افادهم العمل علم الوراثة فهم مع ساير
العلماء في علومهم وتميزوا بعلوم زايدة هي علم الوراثة وعلم الوراثة هو الفقه في الدين
قال الله تعالى فلولا نفر من كل فرقة منهم طايفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا
رجعوا اليهم فصار الانذار مستفادا من الفقه والانذار احياء المنذر بماء العلم
والاحياء بالعلم رتبة الفقيه في الدين فصار الفقه في الدين من اكمل الرتب
واعلاها وهو علم العالم الزاهد في الدنيا المتقي الذي يبلغ رتبة الانذار بعلمه
فمورد الهدى والعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم اولا ورد عليه الهدى
والعلم من الله عز وجل فارتوى بذلك ظاهرا وباطنا فظهر من ارتواء ظاهره الدين
والدين هو الانقياد والخضوع مشتق من الدون فكل شيء اتضع فهو دون
والدين ان يضع الانسان نفسه لربه تعالى قال الله تعالى شرع لكم من الدين ما وصى
به نوحا والذي اوحينا اليك وما وصينا به ابرهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين
ولا تتفرقوا فيه فيما لتفرق في الدين يستولي الذبول على الجوارح وتذهب عنها
نضارة العلم والنضارة في الظاهر بتزين الجوارح بالانقياد في النفس والمال
مستفادة من ارتواء القلب والقلب في ارتوايه بالعلم بمثابة البحر فصار قلب رسول
الله صلى الله عليه وسلم بالعلم والهدى بحرا مواجا ثم وصل من بحر قلبه الى النفس فظهر
على نفسه الشريفة نضارة العلم وريه فتبدلت نعوت النفس واخلاقها ثم وصل
الى الجوارح جدول فصارت ريانة ناضرة فلما استتم نضارة وامتلا ريا بعث الله تعالى

الى الخلوف فاقبل على الامة بقلب مواج بمياه العلوم واستقبله جداول الفهوم وجرى
من بحره في كل جدول قسط ونصيب وذلك القسط الواصل الى الفهوم هو
الفقه في الدين روى عبد الله بن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ما عُبد الله بشيء افضل من فقه في الدين ولفقيه واحد اشد على الشيطان
من الف عابد ولكل شيء عماد وعماد هذا الدين الفقه حدثنا
شيخنا شيخ الاسلام ابو النجيب املاء قال انا ابو طالب الزينبي قال انا كريمة
قالت انا ابو الهيثم قال انا الفربري قال انا البخاري قال نا سعيد بن حفص قال نا ابن
وهب عن يونس عن ابن شهاب عن حميد بن عبد الرحمن قال سمعت معوية
خطيبا يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من يرد الله به خيرا
يفقهه في الدين وانما انا قاسم والله يعطي قال الشيخ اذا وصل ماء العلم الى
القلب انفتح بصر القلب فابصر الحق والباطل وتبين له الرشد من الغي فلما
قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاعرابي فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره
ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره قال الاعرابي حسبي حسبي فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقه الرجل وروى عبد الله بن عباس افضل العبادة الفقه
في الدين والحق سبحانه وتعالى جعل الفقه صفة القلب فقال لهم قلوب
لا يفقهون بها فلما فقهوا علموا ولما علموا عملوا ولما عملوا عرفوا ولما عرفوا
اهتدوا فكل من كان افقه كانت نفسه اسرع اجابة واكثر انقيادا لمعالم الدين
واوفر حظا من نور اليقين فالعلم جملة موهوبة من الله للقلوب والمعرفة
تمييز الجملة والهدى وجدان القلوب ذلك فالنبي صلى الله عليه وسلم قال مثل
ما بعثني الله به من الهدى والعلم اخبر انه وجد القلب النبوي العلم فكان زادا
مهديا وعلمه صلى الله عليه وسلم منها وراثة معجونة فيه من آدم ابي البشر عليه السلام
حيث علم الاسماء كلها والاسماء سمة الاشياء فكرمه الله تعالى بالعلم وقال علم الانسان
ما لم يعلم فآدم بما ركب فيه من العلم والحكمة صار ذا الفهم والمعرفة والفطنة والرأفة

والحب واللطف والبغضة والفرح والغم والغضب والرضا والكياسة
ثم اقتضاه استعمال كل ذلك وجعل لقلبه بصيرة واهتدى الى الله بالنور
الذي وهب له فالرسول صلى الله عليه وسلم بعث الى الامة بالنور الموروث والموهوب
له خاصة وقيل لما خاطب الله السموات والارض بقوله ائتيا طوعا او كرها قالتا
اتينا طائعين نطق من الارض واجاب موضع الكعبة ومن السماء ما يحاذيها وقد قال
عبد الله بن عباس اصل طينة رسول الله صلى الله عليه وسلم من سرة الارض بمكة
فقال بعض العلماء هذا يشعر بان ما اجاب من الارض ذرة المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم
ومن موضع الكعبة دحيت الارض فصار رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الاصل
في التكوين والكائنات تبع له والى هذه الاشارة بقوله عليه الصلوة والسلام
كنت نبيا وآدم بين الماء والطين وفي رواية بين الروح والجسد وقيل لذلك سمي
اميا لان مكة ام القرى وذرته ام الخليقة وتربة الشخص مدفنه فكان يقتضي
ان يكون مدفنه بمكة حيث كانت تربته منها ولكن قيل الماء لما تموج رمى الزبد الى النواحي
فوقعت جوهرة النبي صلى الله عليه وسلم الى ما يحاذي تربته بالمدينة فكان رسول الله صلى
الله عليه وسلم مكيا مدنيا حنينه الى مكة وتربته بالمدينة والاشارة فيما ذكر ان ذرة
رسول الله صلى الله عليه وسلم هو ما قال الله تعالى واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم
ذريتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا وورد في الحديث ان الله مسح
ظهر آدم واخرج ذريته منه كهيئة الذر استخرج الذر من مسام شعر آدم فخروج
الذر كخروج العرق وقيل كان المسح من بعض الملائكة فاضاف الفعل الى المسبب وقيل
معنى القول بانه مسح اي احصى كما يحصى الارض بالمساحة وكان ذلك ببطن نعمان واد
بجنب عرفة بين مكة والطائف فلما خاطب الذر واجابوا ببلى كتب العهد في رق ابيض
واشهد عليه الملائكة والقمه الحجر الاسود فكانت ذرة رسول الله صلى الله عليه وسلم
هي المجيبة من الارض والعلم والهدى فيه معجونان فبعث بالعلم والهدى موروثا
له وموهوبا وقيل لما بعث الله جبرئيل وميكائيل ليقبضا قبضة من الارض فابت حتى



بعث الله عز وجل عزرائيل فقبض قبضة من الارض وكان ابليس قد وطئ
الارض بقدميه فصار بعض الارض بين قدميه وبعض الارض موضع اقدامه
فخلقت النفس مما مس قدم ابليس فصارت ماوى الشر وبعضها لم يصل اليه
قدم ابليس فمن تلك التربة اصل الانبياء والاولياء فكانت ذرة رسول الله صلى
الله عليه وسلم موضع نظر الله سبحانه من قبضة عزرائيل لم يمسها قدم ابليس فلم
يصبه حظ الجهل بل صار منزوع الجهل موفرا حظه من العلم فبعثه الله تعالى
بالهدى والعلم وانتقل من قلبه الى القلوب ومن نفسه الى النفوس فوقعت المناسبة
في اصل طهارة الطينة ووقع التاليف بالتعارف الاول فكل من كان اقرب مناسبة
بنسبة طهارة الطينة كان اوفر حظا من قبول ما جاء به فكانت قلوب الصوفية
اقرب مناسبة فاخذت من العلم حظا وافرا وصارت بواطنهم اخاذات فعلموا و
علموا كالاخاذ الذي يسقي منه ويزرع منه وجمعوا بين فايدة علم الدراسة وعلم
الوراثة باحكام اساس التقوى ولما تزكت النفوس انجلت مرآة قلوبهم بما صقلها
من التقوى فانجلى فيها صور الاشياء على هيئتها وماهيتها فبانت الدنيا بقبحها
فرفضوها وظهرت الآخرة بحسنها فطلبوها فلما زهدوا في الدنيا انصبت الى بواطنهم
اقسام العلوم انصبابا وانضاف الى علم الدراسة علم الوراثة واعلم ان كل حال
شريف نعزوه الى الصوفي في هذا الكتاب هو حال المقرب والصوفي هو المقرب
وليس في القرآن اسم الصوفي واسم الصوفي ترك ووضع للمقرب على ما سنشرح
ذلك في بابه ولا يعرف في طرفي بلاد الاسلام شرقا وغربا هذا الاسم لاهل القرب
وانما يعرف للمترسمين وكم من الرجال المقربين في بلاد مغرب وبلاد تركستان
وما وراء النهر ولا يسمون صوفية لانهم لا يتزيون بزي الصوفية ولا مشاحة
في اللفظ فليعلم انما نعني بالصوفية المقربين فمشايخ الصوفية الذين اساميهم
في الطبقات وغير ذلك من الكتب كلهم كانوا في طريق المقربين وعلومهم علوم احوال
المقربين ومن تطلع الى مقام المقربين من جملة الابرار فهو متصوف ما لم يتحققوا احوالهم

فاذا تحققوا حالهم صار صوفيا وما عدا هما ممن تميز بزي ونسب اليهم فهو متشبه وفوق كل ذي علم
عليم

الباب الثاني في تخصيص الصوفية بحسن الاستماع

حدثنا شيخ الاسلام ابو النجيب السهروردي املاء انا الشيخ ابو المنصور المقرى قال
انا الامام الحافظ ابو بكر الخطيب قال انا ابو عمر الهاشمي انا ابو علي اللولوى انا ابو داود
السجستاني قال ثنا مسدد ثنا يحيى عن شعبة قال حدثني عمر بن سليمان من ولد عمر بن
الخطاب عن عبد الرحمن بن ابان عن ابيه عن زيد بن ثابت قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول نضر الله امرأ سمع منا حديثا فحفظه حتى يبلغه فرب
حامل فقه الى من هو افقه منه ورب حامل فقه غير فقيه اساس كل خير حسن الاستماع
قال الله تعالى ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم يقول بعضهم علامة الخير في السماع
ان يسمع العبد بفناء اوصافه ونعوته ويسمعه بحق من حق وقال بعضهم لو علمهم
اهلا للسماع لفتح آذانهم للاستماع فمن تملكته الوسواس وغلب على باطنه حديث
النفس لا يقدر على حسن الاستماع فالصوفية واهل القرب لما علموا ان كلام الله تعالى
رسايله الى عباده ومخاطباته اياهم راوا كل آية من كلام الله بحرا من ابحر العلم مما يتضمن
من ظاهر العلم وباطنه وجليه وخفيه وبابا من ابواب الجنة باعتبار ما تنبيه او تدعو
اليه من العمل وراوا كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهوى ان هو
الا وحي يوحى من عند الله يتعين الاستماع اليه فكان من اهم ما عندهم الاستعداد
للاستماع وراوا ان حسن الاستماع قرع باب الملكوت واستنزال بركة الرغبوت
والرهبوت وراوا ان الوساوس دخنة ثايرة من نار النفس الامارة بالسوء وقتام
يتراكم من نفث الشيطان وان الحظوظ العاجلة والاقسام الدنياوية التي هي مناط الهوى
ومثار الردى بمثابة الحطب الذي يزداد النار به تاججا ويزداد القلب به تحرجا فرفضوا
الدنيا وزهدوا فيها فلما انقطعت عن نار النفس احطابها وفترت نيرانها وقل دخانها
شهدت بواطنهم وقلوبهم مصادر العلوم فتهيأوا لموارده بصفاء الفهوم فلما شهدوا
سمعوا قال الله تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد قال الشبلي



اي كان ميتا فاحييناه او جهلناه امامًا يهتدي بنوره الاحباب ورجع اليه الضلال وقيل ميتا بحيوة نفسه وموت قلبه فاحييناه باماتة نفسه وحيوة قلبه وسهلنا عليه سبيل التوفيق وكحلناه بانوار القرب ١٢

وعظة القرآن لمن قلبه حاضر مع الله لا يغفل عنه طرفة عين قال يحيى بن معاذ الرازي
القلب قلبان قلب قد احتشى باشغال الدنيا حتى اذا حضر امر من امور الطاعة لم يدر
ما يصنع من شغل قلبه بالدنيا وقلب قد احتشى باحوال الآخرة حتى اذا حضر امر من امور
الدنيا لم يدر ما يصنع لذهاب قلبه في الآخرة فانظر كم بين بركة تلك الاوسام وشوم
هذه الاشغال الفانية التي اقعدتك عن الطاعة قال بعضهم لمن كان له قلب سليم من
الاغراض والامراض قال الحسين بن منصور لمن كان له قلب لا يخطر فيه الا شهود الرب
وانشد: نعى اليك قلوبا طالما هطلت ... سحائب الوحي فيها ابحر الحكم
وقال ابن عطا قلب لاحظ الحق بعين التعظيم فذاب له وانقطع اليه عما سواه وقال
الواسطي اي لذكرى لقوم مخصوصين لا لسائر الناس لمن كان له قلب في الازل
وهم الذين قال الله تعالى او من كان ميتا فاحييناه وقال ايضا المشاهدة تذهل
والحجبة تفهم لان الله تعالى اذا تجلى لشيء خضع له وخشع وهذا الذي قاله الواسطي
صحيح في حق اقوام وهذه الآية تحكم بخلاف هذا لاقوام آخرين وهم ارباب التمكين
يجمع لهم بين المشاهدة والفهم فموضع الفهم محل المحادثة والمكالمة وهو سمع القلب وموضع
المشاهدة بصر القلب وللسمع حكمه وفائدته وللبصر حكمه وفائدته فمن هو في سكر
الحال يغيب سمعه في بصره ومن هو في حال الصحو والتمكين لا يغيب سمعه في بصره
لتملكه ناصية الحال ويفهم بالوعاء الوجودي المستعد لفهم المقال لان الفهم مورد
الالهام والسماع والالهام والسماع يستدعيان وعاء وجوديا وهذا الوجود يكون
موهوبا منشأ انشاء ثانيا للتمكين في مقام الصحو وهو غير الوجود الذي يتلاشى
عند لمعان نور المشاهدة لمن جاز على ممر الفناء الى مقار البقاء وقال ابن سمعون ان
في ذلك لذكرى لمن كان له قلب يعرف اداب الخدمة واداب القلب ثلثة اشياء فالقلب اذا
ذاق طعم العبادة عتق من رق الشهوة فمن وقف عن شهواته وجد ثلث الادب ومن افتقر
الى ما لم يجد من الادب بعد الاشتغال بما وجد فقد وجد ثلثي الادب والثالث امتلاء
القلب بالذي بدا بالفضل عند الوفاء تفضلا وقال محمد بن علي موت القلب من شهوات

النفس

النفس فكلما رفض شهوة نال من الحيوة بقسطها فالسماع للاحياء لا للاموات قال
الله تعالى انك لا تسمع الموتى قال سهل بن عبد الله القلب رقيق تؤثر فيه الخطرات المذمومة
واثر القليل عليه كثير قال الله تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له
قرين فالقلب عمال لا يفتر والنفس يقظانة لا ترقد فان كان العبد مستمعا الى
الله تعالى والا فهو مستمع الى الشيطان والنفس فكل سد باب الاستماع من حركة
النفس وفي حركتها يتطرق الشيطان وقد ورد لولا ان الشياطين يحومون على
قلوب بني آدم لنظروا الى ملكوت السموات وقال الحسين بصائر المبصرين ومعارف
العارفين ونور العلماء الربانيين وطرق السابقين الناجين والازل والابد
وما بينهما من الحدث لمن كان له قلب او القى السمع وقال ابن عطا هو القلب الذي
يلاحظ الحق ويشاهده ولا يغيب عنه خطرة ولا فترة فيسمع به بل يسمع منه
ويشهد به بل يشهده فاذا لاحظ الحق بعين الجلال فزع وارتعد واذا طالعه
بعين الجمال هدأ واستقر قال بعضهم لمن كان له قلب بصير يقوى على التجريد مع
الله والتفريد له حتى يخرج من الدنيا والخلق والنفس فلا يشتغل بغيره ولا يركن
الى سواه فقلب الصوفي تجرد عن الاكوان القى سمعه وشهد بصره فسمع المسموعات
وابصر المبصرات وشاهد المشهودات بتخلصه الى الله تعالى واجتماعه
بين يدي الله تعالى والاشياء كلها عند الله تعالى وهو عنده فسمع وشاهد وابصر
وسمع جملها ولم يسمع ولم يشاهد تفاصيلها لان الجمل تدرك لسعة عين الشهود
والتفاصيل لا تدرك لضيق وعاء الوجود والله تعالى هو العالم بالجمل والتفاصيل وقد
مثل بعض الحكماء تفاوت الناس في الاستماع وقال ان الباذر خرج ببذره فملأ
منه كفه فوقع منه شيء على ظهر الطريق فلم يلبث ان انحط عليه الطير فاختطفه
ووقع منه شيء على الصفوان وهو الحجر الاملس عليه تراب يسير وندى قليل فنبت
حتى اذا وصلت عروقه الى الصفا لم يجد مساغا ينفذ فيه فيبس ووقع منه شيء في ارض
طيبة فيها شوك نابت فنبت فلما ارتفع خنقه الشوك فافسده واختلط به ووقع منه

شي في ارض طيبة ليس على ظهر الطريق ولا على صفوان ولا فيها شوك فنبت ونما
وصلح فمثل الباذر مثل الحكيم ومثل البذر كمثل صواب الكلام ومثل ما وقع
على ظهر الطريق مثل الرجل يستمع الى الكلام فيستحسنه ثم يفضي الكلمة الى قلب
ليس فيه عزم على العمل فينسخ من قلبه ومثل الذي وقع في ارض طيبة فيها شوك مثل
الرجل يستمع الكلام وهو ينوي ان يعمل به فاذا اعترضت له الشهوات قيدته عن
النهوض بالعمل فيترك ما نوى عمله لغلبة الشهوة كالزرع يختنق بالشوك ومثل الذي
وقع في ارض طيبة مثل المستمع الذي ينوي عمله فيفهمه ويعمل به ويجانب هواه
وهذا الذي جانب الهوى واتبع سبيل الهدى هو الصوفي لان للهوى حلاوة
والنفس تشربت حلاوة الهوى فهي تركن اليه وتستلذه واستلذاذ الهوى هو الذي
يخنق القلب كالشوك وقلب الصوفي نازله حلاوة الحب الصافي والحب الصافي
تعلق الروح بالحضرة الالهية ومن قوة انجذاب الروح الى الحضرة الالهية بدا
الحب يستتبع القلب والنفس وحلاوة الحب للحضرة الالهية تغلب حلاوة الهوى
لان حلاوة الهوى كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار لكونها
لا ترتقي عن النفس وحلاوة الحب كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السما لانها
متاصلة في الروح وفرعها عند الله تعالى وعروقها ضاربة في ارض النفس فاذا سمع
الكلمة من القرآن او من كلام الرسول تشربها بالروح والقلب والنفس ويفدنها
بكليته ويقول اشم منك نسيما لست اعرفه اظن لمياء جرت فيك اردانا
فتعمه الكلمة وتشمله ويصير كل شعرة منه سمعا وكل ذرة منه بصرا فيسمع الكل
بالكل ويبصر الكل بالكل ويقول ان تاملتكم فكلي عيون او تذكرتكم فكلي قلوب
قال الله تعالى فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك
الذين هداهم الله واولئك هم اولوا الالباب وقال بعضهم اللب والعقل مائة
جزء تسعة وتسعون في النبي صلى الله عليه وسلم وجزء في سائر المومنين والجزء
الذي في سائر المومنين احد وعشرون سهما فيهم يتساوى المومنون كلهم فيه وهو

شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وعشرون جزءا يتفاضلون فيها
على مقادير حقائق ايمانهم قيل في هذه الآية اظهار فضيلة رسول الله صلى الله عليه وسلم
اي الاحسن ما ياتي به لانه لما وقعت له صحة التمكين ومقارنة الاستقرار قبل خلق
الكون ظهرت عليه الانوار في الاحوال كلها فكان معه احسن الخطاب وله السبق
في جميع المقامات الا تراه صلى الله عليه وسلم يقول نحن الآخرون السابقون يعني
الآخرون وجودا والسابقون في الخطاب الاول في الفضل في محل القدس قال
الله تعالى يا ايها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم قال
الجنيد تنسموا روح ما دعاهم اليه فاسرعوا الى محو العلائق الشاغلة وهجموا
بالنفوس على معانقة الحذر وتجرعوا مرارة المكابدة وصدقوا الله تعالى في المعاملة
واحسنوا الاداب فيما توجهوا اليه وهانت عليهم المصائب وعرفوا قدر ما يطلبون
وسجنوا هممهم عن التلفت الى مذكور سوى وليهم فحيوا حيوة الابد بالحي الذي
لم يزل ولا يزال وقال الواسطي حيوتها تصفيتها عن كل معلول لفظا وفعلا
وقال بعضهم استجيبوا لله بسرائركم وللرسول بظواهركم فحيوة النفوس بمتابعة
الرسول وحيوة القلوب بمشاهدة الغيوب وهو الحياة من الله تعالى برؤية التقصير
وقال ابن عطا في هذه الآية الاستجابة على اربعة اوجه اولها اجابة التوحيد
والثاني اجابة التحقيق والثالث اجابة التسليم والرابع اجابة التقريب فالاستجابة
على قدر السماع والسماع من حيث الفهم والفهم على قدر المعرفة والمعرفة بقدر
الكلام والمعرفة بالكلام على قدر المعرفة والعلم بالمتكلم ووجوه الفهم لا تنحصر
لان وجوه الكلام لا تنحصر قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر
قبل ان تنفد كلمات ربي فلله تعالى في كل كلمة من القرآن كلمات التي ينفد
البحر دون نفادها فكل الكلام كلمة نظرا الى ذات التوحيد وكل كلمة
كلمات نظرا الى سعة العلم الازلي حدثنا شيخنا ابو النجيب السهروردي
انا الرئيس ابو علي بن نبهان انا ابو الحسن بن شاذان انا دعلج بن احمد انا ابو الحسن علي بن

عبد العزيز البغوى قال انا ابو عبيد القسم بن سلام قال نا حجاج عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد
عن الحسن يرفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم قال ما نزل من القرآن آية الا لها ظهر وبطن
ولكل حرف حد ولكل حد مطلع قال فقلت يا با سعيد ما المطلع قال يطلع قوم
يعملون به قال ابو عبيد احسب قول الحسن هذا انما ذهب الى قول عبد الله بن مسعود
قال ما من حرف او آية الا وقد عمل بها قوم او لها قوم سيعملون بها فالمطلع المصعد
يصعد اليه من معرفة علمه فيكون المطلع الفهم يفتح الله على كل قلب بما يرزقه من
النور واختلف الناس في معنى الظهر والبطن قال قوم الظهر لفظ القرآن والبطن
تاويله وقيل الظهر صورة القصة مما اخبر الله تعالى عن غضبه على قوم وعقابه
اياهم فظاهر ذلك اخبار عنهم وباطنه عظة وتنبيه لمن يقرا ويسمع من الامة
وقيل ظاهره تنزيله الذي يجب الايمان به وباطنه وجوب العمل به وقيل ظهره تلاوته
كما انزل الله قال الله تعالى ورتل القرآن ترتيلا وبطنه التدبر والتفكر قال الله تعالى
كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر اولوا الالباب وقيل قوله
لكل حرف حد اى في التلاوة لا يجاوز المصحف الذي هو الامام وفي التفسير
لا يجاوز المسموع المنقول وفرق بين التفسير والتاويل فالتفسير علم نزول الاية
وشانها وقصتها والاسباب التي نزلت فيها وهذا محظور على الناس كافة القول
فيه الا بالسماع والاثر واما التاويل فصرف الاية الى معنى تحتمله اذا كان المحتمل
الذي يراه يوافق الكتاب والسنة فالتاويل يختلف باختلاف حال المأول
على ما ذكرناه من صفاء الفهم ورتبة المعرفة ونصيب القرب من الله تعالى قال
ابو الدردا لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يرى للقرآن وجوها كثيرة فما احب
قول عبد الله بن مسعود ما من آية الا ولها قوم سيعملون بها وهذا الكلام محرض
لكل طالب صاحب همة ان يصفى موارد الكلام ويفهم دقيق معانيه وغامض اسراره
من قلبه فللصوفي بكمال الزهد في الدنيا وتجريد القلب عما سوى الله تعالى
مطلع من كل آية وله بكل مرة في التلاوة مطلع جديد وفهم عتيد وله بكل فهم

عمل جديد بتفهمهم يدعوا الى العمل وعملهم يجلب صفا الفهم ودقيق النظر
في معاني الخطاب فمن الفهم علم ومن العلم عمل والعلم والعمل يتناوبان فيه
وهذا العمل آنفا عمل القلوب غير عمل القالب واعمال القلوب للطفها وصلاحها
مشاكلة للعلوم لانها نيات وطويات وتملقات روحية وتاديات قلبية
ومسامرات سرية وكلما اتوا بعمل من هذه الاعمال رفع لهم علم من العلم واطلعوا
على مطلع من فهم الاية جديد وتخالج سري ان يكون المطلع ليس بالوقوف
بصفاء الفهم على دقيق المعنى وغامض السر في الاية ولكن المطلع ان يطلع
عند كل آية على شهود المتكلم بها لانها مستودع وصف من اوصافه ونعت
من نعوته فيتجدد له التجليات بتلاوة الايات وسماعها وتصير له مرآى مبينة
عن عظيم الجلال ولقد نقل عن جعفر الصادق انه قال لقد تجلى الله لعباده
في كلامه ولكن لا يبصرون فيكون لكل آية مطلع من هذا الوجه فالحد حد
الكلام والمطلع الترقي عن حد الكلام الى شهود المتكلم وقد نقل عن جعفر الصادق
ايضا انه خر مغشيا عليه وهو في الصلوة فسئل عن ذلك فقال ما زلت اردد
الاية حتى سمعتها من المتكلم بها فالصوفي لما لاحت له ناصية التوحيد والقى
سمعه عند سماع الوعد والوعيد وقلبه بالتخلص عما سوى الله صار بين يدي
الله حاضرا شهيدا يرى لسانه او لسان غيره في التلاوة كشجرة موسى حيث اسمعه
الله منها خطابه اياه باني انا الله فاذا كان سماعه من الله واستماعه الى الله صار
سمعه بصره وبصره سمعه وعمله وعمله علمه وعلمه عمله وعاد آخره اوله واوله
آخره ومعنى ذلك ان الله تعالى خاطب الذر بقوله الست بربكم فسمعت النداء على
غاية الصفا ثم لم تزل الذرات تتقلب في الاصلاب وتنتقل الى الارحام قال الله
تعالى الذي يريك حين تقوم وتقلبك في الساجدين يعني تقلب ذرتك في اصلاب
اهل السجود من ابائك الانبياء فما زالت تنتقل الذرات حتى برزت الى اجساد ما
فاحتجبت بالحكمة عن القدرة وبعالم الشهادة عن عالم الغيب وتراكم ظلمتها بالتقلب

في الاطوار فاذا اراد الله بالعبد حسن الاستماع بان يصيره صوفيا صافيا
لا يزال يرقيه في رتب التزكية والتحلية حتى يخلص الى فضاء القدرة ويزال عن
بصيرته النافذة سجف الحكمة فيبصر سماعه الست بربكم كشفا وعيانا وتوحيده
وعرفانه تبيانا وبرهانا ويندرج له ظلم الاطوار في لوامع الانوار قال بعضهم انا
اذكر خطاب الست بربكم اشارة منه الى هذا الحال فاذا تحقق الصوفي بهذا
الوصف صار وقته سرمدا وشهوده مؤبدا وسماعه متواليا متجددا يسمع
كلام الله وكلام رسوله حق السماع قال سفين بن عيينة اول العلم الاستماع ثم
الفهم ثم الحفظ ثم العمل ثم النشر وقال بعضهم تعلم حسن الاستماع كما تعلم حسن
الكلام وقيل من حسن الاستماع امهال المتكلم حتى يقضي حديثه وقلة التلفت الى
الجوانب والاقبال بالوجه والنظر الى المتكلم والوعي قال الله تعالى ولا تعجل
بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه وقال الله تعالى لا تحرك به لسانك
لتعجل به هذا تعليم من الله تعالى لرسوله عليه الصلوة والسلام حسن الاستماع
قيل معناه لا تعجل على الصحابة حتى تدبر معانيه حتى تكون اول من يحظى بغرايبه
وعجايبه وقيل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه جبريل واوحى
اليه لا يفتر من قراءة القرآن مخافة الانفلات والنسيان فنهى الله عن ذلك
لا تعجل بقراءته قبل ان يفرغ جبريل من القائه اليك وقد يكون مطالعة العلوم
واخبار الرسول صلى الله عليه وسلم بمعنى السماع ويحتاج المطالع للعلوم
والاخبار وسير اهل الصلاح وحكاياتهم وانواع الحكم التي فيها نجاة من عذاب
الاخرة والامثال ان يكون في ذلك كله متادبا باداب حسن الاستماع لانه نوع
من ذلك وكما ان القلب يستعد لحسن الاستماع بالزهادة والتقوى حتى اخذ
من كل ما سمع احسنه فيكون اخذا بالمطالعة من كل شيء احسنه ومن الادب
في المطالعة ان العبد اذا اراد ان يطالع شيئا من الحديث والعلم يعلم انه قد يكون
مطالبة ذلك بداعية النفس وقلة صبرها على الذكر والتلاوة والعمل فيتروح

بالمطالعة

بالمطالعة كما يتروح بمجالسة الناس ومكالمتهم فليتفقد المتفطن نفسه
في ذلك ولا ينهمك في مطالعة الكتب الى حد ياخذ ذلك من وقته ويراعي
الافراط فيه واذا اراد مطالعة الكتب او شيء من العلم لا يبادر اليه
الا بعد التثبت والانابة والرجوع الى الله تعالى وطلب التأييد من رحمة
الله فيه فانه قد يرزق بالمطالعة ما يكون مزيد حاله ولو قدم الاستخارة
لذلك كان حسنا فان الله يفتح عليه باب الفهم والتفهيم موهبة من الله
تعالى زائدة على ما يتبين من صورة العلم فللعلم صورة ظاهرة وسر باطن
هو الفهم والله تعالى نبه على شرف الفهم بقوله تعالى ففهمناها سليمن وكلا
اتينا حكما وعلما اشار الى الفهم بمزيد اختصاص وميز عن الحكم والعلم
قال الله تعالى ان الله يسمع من يشاء فاذا كان المسمع هو الله يسمع تارة بواسطة
اللسان وتارة بما يرزق من مطالعة الكتب من التبيان فصار ما يفتح الله تعالى
بمطالعة الكتب على معنى ما يرزق من المسموع ببركة حسن الاستماع ليتفقد
العبد حاله في ذلك ويتعلم علمه وادبه فانه باب كبير من ابواب الخير وعمل
صالح من اعمال المشايخ والصوفية والعلماء الزاهدين المتبتلين لاستفتاح ابواب
الرحمة والمزيد من كل شيء ينفع لسلوك الاخرة والله اعلم

الباب الثالث في بيان علوم الصوفية واشارة الى انموذج منها

حدثنا شيخنا شيخ الاسلام ابو النجيب السهروردي رحمة الله عليه انا ابو عبد الرحمن
الصوفي انا عبد الرحمن محمد انا ابو محمد عبد الله بن احمد السرخسي انا ابو عمران
السمرقندي انا ابو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي ثنا نعيم بن حماد ثنا بقية
عن الاحوص بن حكيم عن ابيه قال سال رجل النبي صلى الله عليه وسلم عن الشر
فقال لا تسألوني عن الشر واسألوني عن الخير يقولها ثلاثا ثم قال ان شر الشر
شرار العلماء وان خير الخير خيار العلماء فالعلماء ادلاء الامة وعمدة الدين وسرج
ظلمات الجهالات الجبلية ونقباء ديوان الاسلام ومعادن حكم الكتاب

والسنة وامنا الله في خلقه واطبا العباد وجهابذة الملة الحنيفية وحملة
عظيم الامانة فهم احق الخلق بحقايق التقوى واحوج العباد الى الزهد في الدنيا
لانهم لنفسهم ولغيرهم فسادهم فساد متعد وصلاحهم صلاح متعد قال
سفين بن عيينة اجهل الناس من ترك العمل بما يعلم واعلم الناس من عمل بما يعلم
وافضل الناس اخشعهم لله تعالى وهذا قول صحيح يحكم بان العالم اذا لم يعمل بعلمه
فليس بعالم لا يغرنك تشدقه واستطالته وحذاقته وقوته في المناظرة والمجادلة
فانه جاهل وليس بعالم الا ان يتوب الله عليه ببركة العلم فان العلم في الاسلام
لا يضيع اهله ويرجى عود العالم ببركة العلم والعلم فريضة وفضيلة فالفريضة
ما لا بد للانسان من معرفته ليقوم بواجب حق الدين والفضيلة ما زاد على قدر
حاجته مما يكسب به فضيلة في النفس موافقة للكتاب والسنة وكل علم لا يوافق الكتاب
والسنة وما هو مستفاد منهما او معين على فهمهما او مستند اليهما كائنا ما كان فهو
رذيلة وليس بفضيلة يزداد الانسان به هوانا ورذالة في الدنيا والآخرة فالعلم
الذي فريضة لا يسع الانسان جهله على ما حدثنا شيخنا شيخ الاسلام ابو النجيب
السهروردي قال اخبرنا الحافظ ابو القسم المستملي انا الشيخ العالم ابو القسم عبد الكريم بن هوازن
القشيري انا ابو محمد عبد الله بن يوسف الاصفهاني انا ابو سعيد بن الاعرابي
حدثنا جعفر بن عامر العسكري نا الحسن بن عطية نا ابو عاتكة عن انس بن مالك
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلبوا العلم ولو بالصين فان طلب العلم
فريضة على كل مسلم واختلف العلماء في العلم الذي هو فريضة قال بعضهم
هو طلب علم الاخلاص ومعرفة آفات النفوس وما يفسد الاعمال لان الاخلاص
مامور به كما ان العمل مامور به قال الله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين
فالاخلاص مامور به كما ان العمل مامور به وخدع النفس وغرورها ودسايسها
وشهواتها الخفية تخرب مباني الاخلاص المامور به فصار علم ذلك فرضا حيث كان
الاخلاص فرضا وما لا يصل العبد الى الفرض الا به صار فرضا وقال بعضهم معرفة

الخواطر

الخواطر وتفصيلها فريضة لان الخواطر هي اصل الفعل ومبداه ومنشاه وبذلك
يعلم الفرق بين لمة الملك ولمة الشيطان فلا يصح الفعل الا بصحتها فصار
علم ذلك فرضا حتى يصح الفعل من العبد وقال بعضهم طلب علم الوقت وقال
سهل بن عبد الله هو علم الحال يعني حكم حاله الذي بينه وبين الله في الدنيا والآخرة
وقيل هو طلب الحلال حيث كان اكل الحلال فريضة وقد ورد طلب الحلال
فريضة بعد الفريضة فصار علمه فريضة من حيث انه فريضة وقيل هو
طلب علم الباطن وهو ما يزداد العبد به يقينا وهذا العلم هو الذي يكتسب
بالصحبة ومجالسة الصالحين من العلماء الموقنين والزهاد المقربين الذين
جعلهم الله تعالى من جنوده يسوق الطالبين اليهم ويقويهم بطريقهم ويرشدهم
بهم فهم ورثة علم النبي صلى الله عليه وسلم ومنهم يتعلم علم اليقين وقال
بعضهم هو علم البيع والشرى والنكاح والطلاق اذا اراد الدخول
في شيء من ذلك يجب عليه طلب علمه وقال بعضهم هو ان يكون العبد يريد
عملا ويجهل ما لله عليه في ذلك فلا يجوز له ان يعمل برايه اذ هو جاهل فيما له وعليه
في ذلك فيراجع عالما يسال عنه ليجيبه على بصيرة ولا يعمل برايه وهذا علم
يجب طلبه حيث جهل وقال بعضهم طلب علم التوحيد فرض فمن ذلك قايل يقول
طريقه النظر والاستدلال ومن قائل يقول ان طريقه النقل وقال بعضهم اذا كان
العبد على سلامة الباطن وحسن الاستسلام والانقياد في الاسلام ولا
يحيك في صدره شيء وهو سالم وان حاك في صدره شيء او يوسوس بشيء يقدح
في العقيدة او ابتلي بشبهة لا يومن غايلتها ان تجره الى بدعة او ضلالة فيجب
عليه ان يستكشف عن الاشتباه ويراجع اهل العلم ومن يفهمه طريق الصواب
وقال الشيخ ابو طالب المكي رحمة الله عليه هو علم الفرايض الخمس التي بني
عليها الاسلام لانها افترضت على المسلمين واذا كان عملها فرضا صار علم
العمل فرضا وذكر ان علم التوحيد داخل في ذلك لان اولها الشهادتان

والاخلاص داخل في ذلك لان ذلك من ضرورة الاسلام وعلم الاخلاص داخل في صحة
الاسلام وحيث اخبر رسول الله عليه الصلوة والتحية انه فريضة على كل مسلم يقتضي
ان لا يسع مسلما جهله وكل ما تقدم من الاقاويل اكثرها ما يسع المسلم جهله لانه
قد لا يعلم علم الخواطر وعلم الحال وعلم الحلال بجميع وجوهه وعلم اليقين المنفال
من علماء الآخرة كما نرى اكثر المسلمين على الجهل بهذه الاشياء ولو كان هذه
الاشياء فرضت عليهم عجز عنها اكثر الخلق الا ما شاء الله وميلي في هذه الاقاويل
الى قول الشيخ ابي طالب المكي اكثر والى قول من قال يجب عليه علم البيع
والشرى والنكاح والطلاق اذا اراد الدخول فيه وهذا لعمري فرض على
المسلم علمه وهكذا الذي قاله الشيخ ابو طالب وعندي ذلك حد جامع لطلب
العلم المفترض والله اعلم اول العلم الذي طلبه فريضة على كل مسلم علم الامر
والنهي والمامور ما يثاب على فعله ويعاقب على تركه والمنهي عنه ما يعاقب على فعله
ويثاب على تركه والمامورات والمنهيات منها ما هو مستمر لازم للعبد بحكم
الاسلام ومنها ما يتوجه الامر فيه والنهي عند وجود الحادثة فما هو لازم مستمر
لزومه متوجه بحكم الاسلام علمه واجب من ضرورة الاسلام وما يتجدد بالحوادث
ويتوجه الامر والنهي فيه علمه عند تجدده فرض لا يسع مسلما على الاطلاق الجهل به
وهذا الحد اعم من الوجوه التي سبقت والله اعلم ثم ان المشايخ من الصوفية وعلماء
الآخرة الزاهدين في الدنيا شمروا عن ساق الجد في طلب العلم المفترض حتى عرفوه واقاموا
الامر والنهي وخرجوا من عهدة ذلك بحسن توفيق الله فلما استقاموا في ذلك متابعين
لرسول الله صلى الله عليه وسلم حيث امره الله تعالى بالاستقامة وقال فاستقم كما
امرت ومن تاب معك فتح الله عليهم ابواب العلوم التي سبقت ذكرها قال بعضهم
من يطيق مثل هذه المخاطبة بالاستقامة الا من ايد من المشاهدات القوية
والانوار البينة والآثار الصادقة بر عظيم بالتثبيت كما قال تعالى ولولا ان
ثبتناك ثم حفظ في وقت المشاهدة ومشافهة الخطاب وهو المزين بمقام القرب

والمخاطب

والمخاطب على بساط الانس محمد صلى الله عليه وسلم بعد ذلك خوطب بقوله تعالى
فاستقم كما امرت ولولا هذه المقدمات ما اطاق الاستقامة التي امر بها قيل لابي حفص
اي الاعمال افضل قال الاستقامة لان النبي صلى الله عليه وسلم يقول استقيموا ولن
تحصوا وقال جعفر الصادق في قوله استقم كما امرت افتقر الى الله بصحة
العزم وراى بعض الصالحين رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال قلت
يا رسول الله روي عنك انك قلت شيبتني سورة هود فقال نعم فقلت له ما الذي
شيبك منها قصص الانبياء وهلاك الامم فقال لا ولكن قوله تعالى فاستقم كما امرت
فكما ان النبي صلى الله عليه وسلم بعد مقدمات المشاهدات خوطب بهذا
الخطاب فطولب بحقائق الاستقامة فكذلك علماء الآخرة الزاهدون ومشايخ
الصوفية المقربون منحهم الله من ذلك بقسط ونصيب ثم الهمهم طلب النهوض بواجب
حق الاستقامة وراوا الاستقامة افضل مطلوب واشرف مامول قال ابو علي الجرجاني
كن طالب الاستقامة لا طالب الكرامة فان نفسك متحركة في طلب الكرامة وربك يطلب
منك الاستقامة وهذا الذي ذكره اصل كبير في الباب وسر غفل عن حقيقته كثير
من اهل السلوك والطلب وذلك ان المجتهدين والمتعبدين سمعوا بسير الصالحين
المتقدمين وما منحوا به من الكرامات وخوارق العادات فابدا نفوسهم لا تزال
تتطلع الى شيء من ذلك ويحبون ان يرزقوا شيئا من ذلك ولعل احدهم يبقى منكسر
القلب متهما لنفسه في صحة عمله حيث لم يكاشف بشيء من ذلك ولو علموا سر
ذلك لهان عليهم الامر فيه فليعلم ان الله تعالى قد يفتح على بعض المجتهدين الصادقين
من ذلك بابا والحكمة فيه ان يزداد بما يرى من خوارق العادات وآثار القدرة
يقينا فيقوى عزمه على الزهد في الدنيا والخروج من دواعي الهوى وقد يكون
بعض عباده يكاشف بصرف اليقين اغني بذلك عن رؤية خوارق العادات
لان المراد منها كان حصول اليقين وقد حصل اليقين فلو كوشف هذا المرزوق
صرف اليقين بشيء من ذلك ما ازداد يقينا فلا يقتضي الحكمة كشف القدرة بخوارق

العادات لهذا الموضع استغنائه ويقتضي الحكمة كشف ذلك للآخر لموضع حاجته
فكان هذا الثاني يكون اتم استعدادا واهلية من الاول حيث اعني عن روية
شي من ذلك فسبيل الصادق مطالبة النفس بالاستقامة فهي كل الكرامة
ثم اذا وقع في طريقه شي من ذلك جاز وحسن وان لم يقع فما يبالي ولا ينقص
بذلك وانما ينقص بالاخلال بواجب حق الاستقامة فليعلم هذا لانه اصل كبير للطالبين
فالعلما الزاهدون ومشايخ الصوفية المقربون حيث اكرموا بالقيام بواجب حق الاستقامة
دققوا سائر العلوم التي اشار اليها المتقدمون كما ذكرنا وزعموا انها فرض في ذلك
علم الحال وعلم القيام وعلم الخواطر وسنشرح علم الخواطر وتفصيلها في باب ان شا الله تع
وعلم اليقين وعلم الاخلاص وعلم النفس ومعرفة اخلاقها وعلم اليقين ومعرفة انواع
علوم القوم وافقهم الناس بطريق المقربين في الصوفية اقومهم بمعرفة النفس
وعلم معرفة اقسام الدنيا ووجود دقايق الهوى وخفايا شهوات النفس وشرهها
وعلم الضرورة ومطالبة النفس بالوقوف على الضرورة قولا وفعلا ولبسا واكلا
ونوما ومعرفة حقايق التوبة وعلم خفي الذنوب ومعرفة سيئات هي حسنات
الابرار ومطالبة النفس بترك ما لا يعني ومطالبة الباطن بحصر خواطر المعصية ثم بحصر
خواطر الفضول ثم علم المراقبة وعلم ما يقدح في المراقبة وعلم المحاسبة والرعاية
وعلم حقايق التوكل وذنوب المتوكل في توكله وما يقدح في التوكل وما لا يقدح والفرق
بين التوكل الواجب بحكم الايمان وبين التوكل الخاص المختص باهل العرفان وعلم الرضا
وذنوب مقام الرضا وعلم الزهد وتحديده بما يلزم من ضرورته وما لا يقدح في حقيقة
ومعرفة الزهد في الزهد ومعرفة زهد ثالث في الزهد وعلم الانابة والالتجا ومعرفة
اوقات الدعا ومعرفة وقت السكوت عن الدعا وعلم المحبة والفرق بين المحبة العامة
المفسرة بامتثال الامر والمحبة الخاصة وقد انكر طايفة من علما الدنيا دعوى علما الاخرة
المحبة الخاصة كما انكروا الرضا وقالوا ليس الا الصبر وانقسام المحبة الخاصة الى محبة
الذات والى محبة الصفات والفرق بين محبة القلب ومحبة الروح ومحبة العقل

ومحبة النفس والفرق بين مقام المحب والمحبوب والمريد والمراد ثم علوم المشاهدات كعلم
الهيبة والانس والقبض والبسط والفرق بينهما وبين القبض والهم والبسط والنشاط
وعلم الفنا والبقا وتفاوت احوال الفنا والاستتار والتجلي والجمع والفرق واللوامع
والطوالع والبوادي والصحو والسكر والى غير ذلك لو اتسع الوقت ذكرناها وشرحناها
في مجلدات ولكن العمر قصير والوقت عزيز ولولا سهم الغفلة لضاق الوقت
عن هذا القدر ايضا وهذا المختصر المولف يحتوي من علوم القوم على طرف
صالح نرجوا من الله الكريم ان ينفع به ويجعله حجة لنا لا حجة علينا وهذه كلها
علوم من ورايها علوم عملها بمقتضاها وظفر بها علما الآخرة الزاهدون وحرم ذلك
علما الدنيا الراغبون وهي علوم ذوقية لا يكاد النظر يصل اليها الا بذوق
ووجدان كالعلم بكيفية حلاوة السكر لا يحصل بالوصف من ذاقه عرفه
وننبيك عن شرف علم الصوفية وزهاد العلما ان العلوم كلها لا يتعذر تحصيلها
مع محبة الدنيا والاخلال بحقايق التقوى وربما كان محبة الدنيا عونا على اكتسابها
لان الاشتغال بها شاق على النفس فجبلت النفوس على محبة الجاه والرفعة حتى اذا
استشعرت حصول ذلك بحصول العلم اجابت الى تحمل الكلف وسهر الليل والصبر
على الغربة والاسفار وتعذر الملاذ والشهوات وعلوم هولاء القوم متعذر تحصيلها
مع محبة الدنيا ولا ينكشف الا بمجانبة الهوى ولا تدرس الا في مدرسة التقوى
قال الله تعالى واتقوا الله ويعلمكم الله جعل العلم ميراث التقوى وغير
علوم هولاء القوم متيسر من غير ذلك بلا شك فعلم فضل علم علما الآخرة حيث
لم يكشف النقاب الا لاولي الالباب واولوا الالباب حقيقة هم الزاهدون
في الدنيا قال بعض الفقهاء اذا وصى بماله لاعقل الناس يصرف الى الزهاد لانهم
اعقل الخلق قال سهل بن عبد الله التستري للعقل الف اسم ولكل اسم منه الف
اسم واول كل اسم منه ترك الدنيا اخبرنا الشيخ الصالح ابو الفتح محمد بن عبد
الباقي انا ابو الفضل حمد بن احمد انا الحافظ ابو نعيم الاصفهاني ثنا محمد بن احمد بن محمد

حدثنا / اخبرنا ابو العباس بن محمد الشاشي ثنا ابو عقيل الرصافي ثنا ابو عبد الله الخواص وكان
من اصحاب حاتم قال دخلت مع ابي عبد الرحمن حاتم الاصم الري ومعه ثلثمائة
وعشرون رجلا يريد الحج وعليهم الصوف والزرنبانقات ليس معهم جراب ولا طعام
فدخلنا الري فدخلنا على رجل من التجار متنسك يحب المتقشفين فاضافنا تلك الليلة
فلما كان من الغد قال لحاتم يا ابا عبد الرحمن لك حاجة فاني اريد ان اعود فقيها لنا هو
عليل فقال حاتم ان كان لكم فقيه عليل فعيادة المريض لها فضل والنظر الى الفقيه
عبادة وانا ايضا اجيء معك وكان العليل محمد بن مقاتل قاضي الري قال جئنا يا ابا عبد الرحمن
فجاؤا الى الباب فاذا باب مشرف حسن فبقي حاتم متفكرا يقول باب عالم على
هذا الحال ثم اذن لهم فدخلوا فاذا دار قوراء واسعة واذا بزة ومنعة وستور
وجمع فبقي حاتم متفكرا ثم دخلوا الى المجلس الذي هو فيه فاذا بفرش وطية واذا هو
راقد عليها وعند راسه غلام وبيده مذبة فقعد الرازي فسائله وحاتم قائم فاومى
اليه ابن مقاتل اقعد فقال لا اقعد فقال له ابن مقاتل لعل لك حاجة قال نعم قال وما هي
قال مسئلة اسئلك عنها قال سلني قال فقم فاستو جالسا حتى اسئلكها فامر غلمانه
فاسندوه فقال له حاتم علمك هذا من اين جئت به قال الثقات حدثوني به
قال عمن قال عن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال واصحاب رسول الله
عمن قال عن رسول الله قال ورسول الله صلى الله عليه وسلم من اين جاء به قال عن جبريل
قال حاتم ففيما اداه جبريل عن الله واداه الى رسول الله واداه رسول الله الى اصحابه
واداه اصحابه الى الثقات واداه الثقات اليك هل سمعت في العلم من كان في
داره اميرا ومنعته اكثر كانت له المنزلة عند الله اكثر قال لا قال فكيف
سمعت قال سمعت من زهد في الدنيا ورغب في الآخرة واحب المساكين وقدم
لآخرته كانت له عند الله المنزلة اكثر قال حاتم فانت بمن اقتديت بالنبي واصحابه
والصالحين ام بفرعون ونمرود اول من بنى بالجص والآجر يا علماء السوء مثلكم
يراه الجاهل الطالب للدنيا الراغب فيها فيقول العالم على مثل هذه الحالة لا اكون

١٧ انا

انا شرا منه وخرج من عنده فازداد ابن مقاتل مرضا فبلغ اهل الري ما جرى بينه وبين
ابن مقاتل فقالوا له يا ابا عبد الرحمن بقزوين عالم اكثر شيئا من هذا واشاروا به الى الطنافسي
قال فسار اليه متعمدا فدخل عليه فقال له رحمك الله انا رجل اعجمي احب ان تعلمني اول
مبتدا ديني ومفتاح صلوتي كيف اتوضأ للصلوة قال نعم وكرامة يا غلام آت اناء
فيه ماء فاتي باناء فيه ماء فقعد الطنافسي فتوضأ ثلثا ثلثا حتى اذا بلغ غسل
الذراع غسل اربعا فقال له الطنافسي يا هذا اسرفت فقال له حاتم فيماذا قال
غسلت ذراعيك اربعا قال حاتم يا سبحان الله انا في كف ماء اسرفت وانت في هذا
الجمع كله لم تسرف فعلم الطنافسي انه اراده بذلك ولم يرد منه التعلم فدخل البيت
ولم يخرج الى الناس اربعين يوما وكتب تجار الري وقزوين ما جرى بينه وبين ابن مقاتل
والطنافسي فلما دخل بغداد اجتمع اليه اهل بغداد فقالوا له يا ابا عبد الرحمن
انت رجل لكن اعجمي وليس يكلمك احد الا قطعته قال معي ثلث خصال بهن اظهر
على خصمي قالوا اي شيء هي قال افرح اذا اصاب خصمي واحزن اذا اخطا واحفظ
نفسي ان لا اجهل عليه فبلغ ذلك احمد بن حنبل فجاء اليه وقال سبحان الله ما اعقله
فلما دخلوا عليه قالوا يا ابا عبد الرحمن ما السلامة من الدنيا قال حاتم يا ابا عبد الله
لا تسلم من الدنيا حتى يكون معك اربع خصال قال اي شيء هي يا ابا عبد الرحمن
قال تغفر للقوم جهلهم وتمنع جهلك عنهم وتبذل لهم شيئك وتكون من شيئهم آيسا
فاذا كان هكذا اسلمت ثم سار الى المدينة قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده
العلماء ذكر بكلمة انما فينتفي العلم عمن لا يخشى الله كما اذا قال انما يدخل الدار بغدادي
فينتفي دخول غير البغدادي الدار فلاح لعلماء الآخرة ان الطريق مسدود الى
[illegible] المعارف ومقامات القرب الا بالزهد والتقوى قال ابو يزيد يوما لاصحابه
بقيت البارحة الى الصبح اجهد ان اقول لا اله الا الله ما قدرت عليه قيل لم قال
ذكرت كلمة قلتها في صباي جاءتني وحشة تلك الكلمة فمنعتني عن ذلك واعجب
ممن يذكر الله تعالى وهو متصف بشيء من صفاته فبصفاء التقوى وكمال الزهادة يصير

العبد راسخا في العلم قال الواسطي الراسخون في العلم هم الذين رسخوا بارواحهم في غيب الغيب
في سر السر فعرفهم ما عرفهم وخاضوا في بحار العلم بالفهم لطلب الزيادات فانكشف
لهم من مدخور الخزاين تحت كل حرف من الكلام من الفهم وعجايب الخطاب فنطقوا
بالحكم وقال بعضهم الراسخ من اطلع على محل المراد من الخطاب وقال الخراز هم الذين
كملوا في جميع العلوم وعرفوها واطلعوا على همم الخلايق كلهم اجمعين وهذا القول
من ابي سعيد لا يعني به ان الراسخ في العلم ينبغي ان يقف على جزويات العلوم وكلها
فيها فان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان من الراسخين في العلم ووقف في معنى
وفاكهة وابا وقال ما الاب ثم قال ان هذا الا تكلف ونقل هذا الوقوف في معنى
الايات انه كان من ابي بكر وانما عنى بذلك ابو سعيد ما يفسر اول كلامه باخره وهو قوله
اطلعوا على همم الخلايق كلهم لان المتقي حق التقوى والزاهد حق الزهادة في الدنيا صفي
باطنه والخلي مراة قلبه ووقعت له محاذاة بشي من اللوح المحفوظ فادرك بصفاء
الباطن امهات العلوم واصولها فيعلم منتهى اقدام العلماء في علومهم وفايدة كل علم
والعلوم الجزوية منجزية في النفوس بالتعلم والممارسة فلا يغنيه علمه الكلي ان يرجع
في الجزوي اهله الذين هم اوعيته فنفوس هولا امتلات من الجزوي واشتغلت وانقطعت
بالجزوي عن الكلي ونفوس العلماء الزاهدين بعد ما احدعنها لا بد لهم منه في اصل الدين
واساسه من الشرع اقبلوا على الله وانقطعوا اليه وخلصت ارواحهم الى مقام القرب
منه فافاضت ارواحهم على قلوبهم انوارا تهيات بها قلوبهم لادراك العلوم فارواحهم
ارتفقت عن حد ادراك العلوم بعكوفها على العالم الازلي وتجردت عن وجود يصلح
ان يكون وعاء للعلم وقلوبهم بنسبة وجهها الذي يلي النفوس صارت اوعية
وجودية تناسب وجود العلم بالنسبة الوجودية فتالفت العلوم وتالفتها العلوم
بمناسبة انفصال العلوم باتصالها باللوح المحفوظ والمعنى بالانفصال انتقاشها
في اللوح لا غير وانفصال القلوب عن مقام الارواح لوجود انجذابها الى النفوس فصار
بين المنفصلين نسبة اشتراك موجبة للتالف فحصلت العلوم لذلك وصار العالم الرباني

راسخا في العلم اوحى الله تعالى في بعض الكتب المنزلة يا بني اسرائيل لا تقولوا العلم في السماء
من ينزل به ولا في تخوم الارض من يصعد به ولا من وراء البحار من يعبر ويأتي به
العلم مجعول في قلوبكم تادبوا بين يدي باداب الروحانيين وتخلقوا باخلاق
الصديقين اظهر العلم من قلوبكم حتى يغطيكم ويغمركم فالتادب باداب الروحانيين
حصر النفوس عن تقاضي جبلاتها وقمعها بصريح العلم في كل قول وفعل ولا يصح
ذلك الا من علم وقرب وطرق لي الحضور بين يدي الله فيتحفظ بالحق للحق
اخبرنا شيخنا ابو النجيب عبد القاهر السهروردي اجازة انا ابو منصور بن خيرون اجازة
انا ابو محمد الحسن بن علي الجوهري اجازة انا ابو عمر محمد بن العباس انا ابو محمد
يحيى بن صاعد ثنا حسين بن الحسن المروزي انا عبد الله بن المبارك الاوزاعي عن
حسان بن عطية قال بلغني ان شداد بن اوس نزل منزلا فقال ائتونا بالسفرة نعبث
بها فانكر منه ذلك فقال ما تكلمت بكلمة منذ اسلمت الا وانا اخطمها ثم ازمها غير
هذه فلا تحفظوها علي قال الشيخ رضي الله عنه فمثل هذا يكون التادب باداب
الروحانيين مكتوب في الانجيل لا تطلبوا علم ما لم تعلموا حتى تعملوا بما قد علمتم
وقد ورد في خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان ربما سبقكم بالعلم
قلنا يا رسول الله كيف يسبقنا بالعلم قال يقول اطلب العلم ولا تعمل به حتى تعلم
فلا يزال في العلم قايلا وفي العمل مسوفا حتى تموت وما عمل وقال ابن مسعود ليس العلم
بكثرة الرواية انما العلم الخشية وقال الحسن ان الله تعالى لا يعبا بذي علم ورواية
انما يعبا بذي فهم ودراية فعلوم الوراثة مستخرجة من علم الدراسة ومثال علوم
الدراسة كاللبن الخالص السايغ للشاربين ومثال علوم الوراثة كالزبد المستخرج
منه فلو لم يكن لبن لم يكن زبد ولكن الزبد هو الدهنية المطلوبة من اللبن والمايية
في اللبن جسم قام به روح الدهنية والمايية بها القوام وجعلنا من الماء كل شيء
حي افلا يومنون اومن كان ميتا فاحييناه اي كان ميتا بالكفر فاحييناه بالاسلام
فالحياة بالاسلام هو القوام الاول والاصل الاول للاسلام علوم وهي علوم مباني الاسلام

والاسلام بعد الايمان نظرا الى مجرد التصديق ولكن للايمان فروع بعد التحقق بالاسلام
وهو مراتب كعلم اليقين وعين اليقين وحق اليقين وقد يقال التوحيد والمعرفة
والمشاهدة وللايمان في كل فرع من فروعه علوم فعلوم الاسلام علوم اللسان
وعلوم الايمان علوم القلوب ثم علوم القلوب لها وصف خاص ووصف عام
فالوصف العام علم اليقين وقد يتوصل اليه بالنظر والاستدلال ويشترك فيه علماء
الدنيا مع علماء الاخرة وله وصف خاص يختص به علماء الاخرة وهي السكينة التي
انزلت في قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم فعلى هذا جميع الرتب يشملها
اسم الايمان بوصفه الخاص ولا يشملها بوصفه العام فبالنظر الى الوصف الخاص
اليقين ومراتبه من الايمان وبوصفه العام اليقين زيادة على الايمان والمشاهدة
وصف خاص في اليقين وهو عين اليقين وفي غير اليقين وصف خاص وهو حق
اليقين فحق اليقين ذا فوق المشاهدة وحق اليقين موطنه ومستقره في الاخرة
وفي الدنيا منه لمح يسير لاهله وهو من اعز ما يوجد من اقسام العلم بالله تعالى
لانه وجدان فصار علم الصوفية وزهاد العلماء نسبته الى علم علماء الدنيا الذين
ظفروا باليقين بطريق النظر والاستدلال كنسبة ما ذكرنا من علم الوراثة والدراسة
علمهم بمثابة اللبن لانه اليقين والايمان الذي هو الاساس وعلم الصوفية بالله تعالى
من اصبة المشاهدة وعين اليقين وحق اليقين كالزبد المستخرج من اللبن
ففضيلة الانسان بفضيلة العلم وزنة الاعمال على قدر الحظ من العلم وقد ورد
في الخبر فضل العالم على العابد كفضلي على امتي والاشارة في هذا العلم ليس الى علم
البيع والشرى والطلاق والعتاق وانما الاشارة الى العلم بالله تعالى وقوة اليقين
وقد يكون العبد عالما بالله ذا يقين كامل وليس عنده علم من فروض الكفايات
وقد كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلم من علماء التابعين وقد كان من
علماء التابعين فيهم من هو اقوم بعلم الفتوى والاحكام من بعضهم روى ان عبد الله
ابن عمر كان اذا سئل عن شيء يقول سلوا سعيد بن المسيب وكان عبد الله بن عباس يقول
رضي الله تعالى عنهما

سلوا جابر بن عبد الله لو نزل اهل البصرة على فتياه لوسعهم وكان انس بن مالك
يقول سلوا مولانا الحسن فانه قد حفظ ونسينا وكانوا يرون ان ليهم في علم
الفتوى والاحكام ويعلمونهم حقايق اليقين ودقايق المعرفة لانهم كانوا اقوم
بذلك من التابعين صادفهم طراوة الوحي المنزل وعمرهم غزير العلم المجمل والمفصل
فتلقى منهم طايفة مجمله ومفصله وطائفة مجمله دون مفصله والمجمل اصل العلم
ومطلقه المكتسب بطهارة القلوب وقوة الغريزة وكمال الاستعداد خاص
لخصوص قال الله تعالى لنبيه ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة
الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن وقال قل هذه سبيلي ادعوا الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني
فلهذه السبل سابلة ولهذه الدعوات قلوب قابلة فمنها نفوس مستعصية جامدة
باقية على خشونة طبيعتها وجبلتها فلينها بنار الانذار والموعظة والحذار ومنها
نفوس زكية من تربة طيبة موافقة للقلوب قريبة منها فمن كانت نفسه طاهرة
على قلبه دعاه بالموعظة ومن كان قلبه ظاهرا على نفسه دعاه بالحكمة فالدعوة
بالموعظة اجاب بها الابرار وهي الدعوة بذكر الجنة والنار والدعوة بالحكمة
اجاب بها المقربون وهي الدعوة بتلويح منح القرب وصفو المعرفة واشارة
التوحيد فلما وجدوا التلويحات الحقانية والتعريفات الربانية اجابوا بارواحهم
وقلوبهم ونفوسهم فصار متابعة الاقوال اجابتهم نفسا ومتابعة الاعمال اجابتهم
قلبا والتحقق بالاحوال اجابتهم روحا فاجابة الصوفية بالكل واجابة غيرهم
بالبعض قال عمر رضي الله عنه رحم الله صهيبا لو لم يخف الله لم يعصه يعني لو كتب
له كتاب الامان من النار حمله صرف المعرفة تعظيم امر الله على القيام بواجب حق
العبودية اداء لما عرف من حق العظمة فاجابة الصوفية الى الدعوة اجابة المحب
للمحبوب على اللذاذة وذهاب العسر واجابة غيرهم على المكابدة والمجاهدة
وهذه الاجابة يظهر مع السلعات اثرها في القيام بحقايق الاستقامة والعبودية
قال الله تعالى فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى قال

بعضهم اعطى الدارين ولم يرض بهما واتقى اللغو والسيئات وصدق الحسنى اقام على طلب
الزلفى والآية قيل نزلت في ابي بكر الصديق قلت ويلوح في الآية وجه آخر اعطى
بالمواظبة على الاعمال واتقى الوساوس والهواجس وصدق الحسنى لازم الباطن
بتصفية موارد الشهود عن مزاحمة لوث الوجود فسنيسره لليسرى يفتح عليه
باب السهولة في المعاملة والعيش والانس واما من بخل بخل بالاعمال واستغنى اشتغل بالاحوال
وكذب بالحسنى لم يكن في الملكوت نفوذ بصيرته بالجولان يسد عليه باب اليسر في
الاعمال قال بعضهم اذا اراد الله بعبد سوءا سد عليه باب العمل وفتح عليه باب
الكسل فلما اجابت نفوس الصوفية وقلوبهم وارواحهم الدعوة ظاهرا وباطنا كان
حظهم من العلم اوفر ونصيبهم من المعرفة اكمل فكانت اعمالهم ازكى وافضل
جاء رجل الى معاذ فقال اخبرني عن رجلين احدهما مجتهد في العبادة كثير العمل قليل
الذنوب الا انه ضعيف اليقين يعتوره الشك قال معاذ ليحبطن شكه اعماله قال
فاخبرني عن رجل قليل العمل الا انه قوي اليقين وهو في ذلك كثير الذنوب فسكت
معاذ فقال الرجل والله لئن احبط شكه اول اعمال بره ليحبطن يقين هذا ذنوبه
كلها فاخذ معاذ بيده وقال ما رايت الذي هو افقه من هذا وفي وصية لقمن لابنه
يا بني لا يستطاع العمل الا باليقين ولا يعمل المرء الا بقدر يقينه ولا يقصر عامل حتى
يقصر يقينه فكان اليقين افضل العمل لانه ادعى الى العمل وما كان ادعى الى العمل كان
ادعى الى العبودية وما كان ادعى الى العبودية كان ادعى الى القيام بحق الربوبية
وكمال الحظ من اليقين والعلم بالله للصوفية والعلماء الزاهدين فبان بذلك فضلهم وفضل
علمهم ثم اني اصور مسئلة يستبين بها المعتبر فضل العالم الزاهد العارف بصفات
نفسه على غيره عالم دخل مجلسا وقعد وعين لنفسه مجلسا يجلس فيه لما في نفسه
من اعتقاده في نفسه لمحله وعلمه فدخل داخل من ابناء جنسه وقعد فوقه فانعصر
العالم واظلمت عليه الدنيا ولو امكنه بطش بالداخل فهذا عارض عرض له ومرض
اعتراه وهو لا يفطن ان هذه علة غامضة ومرض يحتاج الى المداواة ولا يتفكر

في منشا

في منشا هذا المرض ولو علم ان هذه نفس ثارت وظهرت بجبلتها وجبلتها لوجود
كبرها وكبرها برؤية نفسها خيرا من غيرها فعلم الانسان انه اكرم من غيره كبر
واظهار ذلك الى الفعل تكبر فحيث انعصر صار فعلا به تكبر فالصوفي العالم
الزاهد لا يميز نفسه بشيء دون المسلمين ولا يرى نفسه في مقام تعيين يميزها في مجلس
مخصوص ولو قدر ان يبتلى بمثل هذه الواقعة وينعصر من تقدم غيره عليه وترفعه
يرى النفس وظهورها ويرى ان هذا داء وانه ان استرسل فيه بالاصغاء الى النفس
وانعصارها صار ذلك ذنب حاله فيرفع في الحال داءه الى الله ويشكو اليه ظهور نفسه
ويحسن الانابة بقطع دابر ظهور النفس ويرفع القلب الى الله مستغيثا من النفس
ويشغله اشتغاله برؤية داء النفس في طلب دوائها عن الفكر فيمن قعد فوقه وربما
اقبل على من قعد فوقه بمزيد التواضع والانكسار تكفيرا لذنبه الموجود وتداويا لدائه
الحاصل فتبين بهذا الفرق بين الرجلين فاذا اعتبر المعتبر وتفقد حال نفسه
في هذا المقام يرى نفسه كنفوس عوام الخلق وطالبي المناصب للدنيا ويرى ان لا
فرق بينه وبين غيره ممن لا علم له ولو كثرنا تصوير المسائل تبرهن فضيلة الزاهدين
ونقصان الراغبين وهذا من اوائل علوم الصوفية فما ظنك بنفائس علومهم وشرائف احوالهم

الباب الرابع في شرح حال الصوفية واختلاف طرائقهم

اخبرنا الشيخ العالم ضياء الدين ابو احمد عبد الوهاب بن علي بن علي قال انا ابو الفتح
عبد الملك بن ابي القسم الهروي قال انا ابو نصر عبد العزيز بن محمد الترياقي قال انا
ابو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحي قال انا ابو العباس محمد بن احمد المحبوبي قال انا ابو عيسى
محمد بن عيسى الترمذي قال انا مسلم بن حاتم الانصاري قال نا محمد بن عبد الله الانصاري
عن ابيه عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب قال قال انس بن مالك قال لي رسول الله صلى
الله عليه وسلم يا بني ان قدرت ان تصبح وتمسي وليس في قلبك غش لاحد فافعل
ثم قال يا بني وذلك من سنتي ومن احيا سنتي فقد احياني ومن احياني كان معي
في الجنة قال الشيخ رضي الله عنه وهذا اتم شرفا واكمل فضلا اخبر به الرسول في حق

من احيا سنته فالصوفية هم الذين احيوا هذه السنة وطهارة الصدور من الغل
والغش عما دام بهم وبذلك ظهر جوهرهم وبان فضلهم وانما قدروا على احياء هذه
السنة ونهضوا بواجب حقها لزهدهم في الدنيا وتركها على اربابها وطلابها لان منشا الغل
والغش محبة الدنيا او محبة الرفعة والمنزلة عند الناس والصوفية زهدوا في ذلك
كله كما قال بعضهم طريقنا هذا لا يصلح الا لاقوام كنست بارواحهم المزابل فلما
سقط عن قلبهم محبة الدنيا وحب الرفعة اصبحوا واحسوا وليس في قلبهم غش لاحد
فقول القايل كنست بارواحهم المزابل اشارة منه الى غاية التواضع وان لا يرى
نفسه يتميز على احد من المسلمين لحقارته عند نفسه وعند هذا ينسد باب الغش
والغل وجرت هذه الحكاية فقال بعض الفقراء من اصحابنا وقع لي ان معناه كنست
بارواحهم المزابل ان الاشارة بالمزابل الى النفوس لانها ماوى كل رجس ونجس
كالمزبلة وكنسها بنور الروح الواصل اليها لان الصوفية ارواحهم في محال القرب
ونورها يسري الى النفوس وبوصول نور الروح الى النفس تطمين النفس
ويذهب عنها المذموم من الغل والغش والحقد والحسد فكانها تنكنس وهذا
المعنى صحيح وان لم يرد القايل بقوله ذلك قال الله تعالى في وصف اهل الجنة
ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين قال ابو حفص كيف
يبقى الغل في قلوب ايتلفت بالله واتفقت على محبته واجتمعت على مودته وانست
بذكره ان تلك قلوب صافية من هواجس النفوس وظلمات الطبايع بل كحلت بنور
التوفيق فصارت اخوانا فالخلق حجابهم عن القيام باحيا سنة رسول الله صلى الله
عليه وسلم قولا وفعلا وحالا صفات نفوسهم فاذا تبدلت نعوت النفس ارتفع
الحجاب وصحت المتابعة ووقعت الموافقة في كل شي مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم ووجبت المحبة من الله عند ذلك قال الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله
فاتبعوني يحببكم الله جعل متابعة الرسول اية محبة العبد ربه وجعل جزا
العبد على حسن متابعة الرسول محبة الله اياه فاوفر الناس حظا من متابعة الرسول

اوفرهم

الرابع

والاشارة الى شي من حالهم وتسميتهم بذلك ابعد فهم ارباب البدايات فكان
تسميتهم بهذا انفع واولى وايضا غير هذا المعنى مما يقال انهم سموا صوفية لذلك
يتضمن دعوى واذا قيل سموا صوفية للبسهم الصوف يكون ابعد من الدعوى
وكل ما كان ابعد من الدعوى كان اليق بحالهم وايضا لان لبس الصوف حكم ظاهر
على الظاهر من امرهم ونسبتهم الى امر آخر من حال او مقام امر باطن والحكم
بالظاهر اوفق واولى فالقول بانهم سموا صوفية للبسهم الصوف اليق واقرب
الى التواضع ويقرب ان يقال لما آثروا الذبول والخمول والتواضع والانكسار
والتخفي والتواري كانوا كالخرقة الملقاة والصوفة المرماة التي لا يرغب فيها
ولا يلتفت اليها فيقال صوفي نسبة الى الصوفة كما يقال كوفي نسبة الى الكوفة
وهذا ذكره بعض اهل العلم والمعنى المقصود به قريب ويلايم الاشتقاق
ولم يزل لبس الصوف اختيار الصالحين والزهاد والعباد والمتقشفين
اخبرنا ابو زرعة طاهر عن ابيه قال انا عبد الرزاق بن عبد الكريم قال انا ابو الحسن
محمد بن محمد قال انا ابو علي اسمعيل بن محمد قال انا الحسن بن عرفة قال انا خلف
بن خليفة عن حميد الاعرج عن عبد الله بن الحارث عن عبد الله بن مسعود قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم كلم الله موسى كان عليه جبة صوف
وسراويل من صوف وكساء من صوف وكمة صوف ونعلاه من جلد حمار غير
ذكي وقيل سموا صوفية لانهم في الصف الاول بين يدي الله عز وجل بارتفاع هممهم
واقبالهم على الله بقلوبهم ووقوفهم بسرايرهم بين يديه وقيل كان هذا الاسم في الاصل
صفوي فاستثقل ذلك وجعل صوفيا وقيل سموا صوفية نسبة الى الصفة
التي كانت للفقراء المهاجرين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين قال الله تعالى
فيهم للفقراء الذين احصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الارض وهذا
وان كان لا يستقيم من حيث الاشتقاق اللغوي ولكن صحيح من حيث المعنى لان
الصوفية يشاكل حالهم حال اوليك لكونهم مجتمعين متآلفين متصاحبين لله وفي الله

كاصحاب الصفة وكانوا نحوا من اربعمائة رجل لم يكن لهم مساكن بالمدينة ولا عشاير
جعلوا انفسهم في المسجد كاجتماع الصوفية قديما وحديثا في الزوايا والربط وكانوا
لا يرجعون الى زرع ولا الى ضرع ولا الى تجارة كانوا يحتطبون ويرضخون النوى
بالنهار وبالليل يشتغلون بالعبادة وتعلم القرآن وتلاوته وكان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يواسيهم ويحث الناس على مواساتهم ويجلس معهم ويأكل معهم وفيهم نزل ولا تطرد
الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه وقوله تعالى واصبر نفسك مع الذين
يدعون ربهم ونزل في ابن ام مكتوم قوله تعالى عبس وتولى ان جاءه الاعمى وكان من
اصحاب الصفة فعوتب النبي لاجله وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صافحهم
لا ينزع يده من ايديهم وكان يفرقهم على اهل الجدة والسعة يبعث مع واحد ثلثة ومع
الآخر اربعة وكان سعد بن معاذ يحمل الى بيته منهم ثمانين يطعمهم وقال ابو هريرة
لقد رايت سبعين من اهل الصفة يصلون في ثوب واحد منهم من لا يبلغ ركبتيه
فاذا ركع احدهم قبض بيديه مخافة ان تبدو عورته وقال بعض اهل الصفة جينا
جماعة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقلنا يا رسول الله احرق بطوننا التمر
فسمع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فصعد المنبر ثم قال ما بال اقوام يقولون
احرق بطوننا التمر اما علمتم ان هذا التمر هو طعام اهل المدينة وقد واسونا به و
واسيناكم مما واسونا به والذي نفس محمد بيده ان منذ شهرين لم يرتفع من بيت
رسول الله دخان للخبز وليس لهم الا الاسودان اي الماء والتمر اخبرنا ابو الفتح محمد بن
عبد الباقي في كتابه قال انا الشيخ ابو بكر بن زكريا الطريثيثي قال انا الشيخ ابو عبد الرحمن
السلمي قال ثنا محمد بن محمد بن سعيد الانماطي قال انا الحسن يحيى بن سلام قال ثنا محمد بن علي
الترمذي قال حدثني سعد بن حاتم البلخي قال ثنا سهل بن اسلم عن خالد بن محمد عن
ابي عبد الرحمن السكري عن يزيد النحوي عن عكرمة عن ابن عباس قال وقف رسول
الله صلى الله عليه وسلم يوما على اهل الصفة فرأى فقرهم وجهدهم وطيب قلوبهم
فقال ابشروا يا اصحاب الصفة فمن بقي منكم على النعت الذي انتم عليه اليوم راضيا

بما هو فيه فانه من رفقائي يوم القيامة وقيل كان منهم طايفة في خراسان يأوون
الى الكهوف والمغارات ولا يسكنون القرى والمدن يسمونهم في خراسان شكفتية
لان شكفت اسم الغار ينسبونهم الى الماوى والمستقر واهل الشام يسمونهم جوعية
والله تعالى ذكر في القرآن قوما ابرارا وآخرين مقربين ومنهم الصابرين والصادقين
والذاكرين والمحبين واسم الصوفي يشمل جميع المتفرق في هذه الاسماء المذكورة
وهذا الاسم لم يكن في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل كان في زمن التابعين
ونقل عن الحسن البصري انه قال رايت صوفيا في الطواف فاعطيته شيا فلم ياخذ
وقال معي اربعة دوانيق يكفيني ما معي ويشيد هذا ما روي عن سفين انه قال
لولا ابو هاشم الصوفي ما عرفت دقيق الريا وهذا يدل على ان هذا الاسم كان
يعرف قديما وقيل لم يعرف هذا الاسم الى المائتين من الهجرة العربية لان في زمن
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اصحاب رسول الله يسمون الرجل صحابيا لشرف
صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكون الاشارة اليها اولى من كل اشارة وبعد
انقراض عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من اخذ منهم العلم سمي تابعيا ثم لما تقادم
زمان الرسالة وبعد عهد النبوة وانقطع الوحي السماوي وتوارى النور المصطفوي
واختلفت الآراء وتنوعت الانحاء وتفرد كل ذي راي برايه وتكدر شرب العلوم
بشوب الاهوية وتزعزعت ابنية المتقين واضطربت عزايم الزاهدين وغلبت
الجهالات وكثف حجابها وكثرت العادات وتملكت اربابها وتزخرفت الدنيا وكثر
خطابها انفردت طايفة باعمال صالحة واحوال سنية وصدق في العزيمة وقوة
في الدين وزهدوا في الدنيا واغتنموا العزلة والوحدة واتخذوا لنفوسهم زوايا
يجتمعون فيها تارة وينفردون اخرى اسوة باهل الصفة تاركين للاسباب متبتلين
الى رب الارباب فاثمرت لهم صالح الاعمال سني الاحوال وتهيا لهم صفاء الفهوم
لقبول العلوم وصار لهم بعد اللسان لسان وبعد العرفان عرفان وبعد الايمان ايمان
كما قال حارثة اصبحت مومنا حقا حيث كوشف برتبة في الايمان غير ما تعاهدها فصار لهم

بمقتضى ذلك علوم يعرفونها وإشارات يتعاهدونها فحرروا لنفوسهم اصطلاحات
تشير إلى معان يعرفونها وتعرب عن أحوال يجدونها فأخذ ذلك الخلف من السلف
حتى صار ذلك رسماً مستمراً وخبراً مستقراً في كل عصر وزمان فظهر هذا
الاسم بينهم وتسموا به وسُمّوا به فالاسم سمتهم والعلم بالله صفتهم والعبادة حليتهم
والتقوى شعارهم وحقائق الحقيقة أسرارهم نزاع القبائل وأصحاب الفضائل
سكان قباب الغيرة وقطان ديار الحيرة لهم مع الساعات من إمداد فضل الله مزيد
ولهيب شوقهم يتأجج ويقول هل من مزيد والحمد لله رب العالمين

الباب التاسع في ذكر المتصوف والمتشبه

أخبرنا شيخنا أبو النجيب السهروردي إجازة قال أنا الشيخ أبو منصور بن خيرون
قال أنا أبو محمد الحسن بن علي الجوهري إجازة قال أنا أبو محمد بن العباس بن زكريا قال أنا
أبو محمد يحيى بن محمد بن الصاعد قال أنا الحسين بن الحسن المروزي قال أنا عبد الله بن
المبارك قال أنا المعتمر بن سليمان قال أنا حميد الطويل عن أنس بن مالك قال جاء رجل إلى
النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله متى قيام الساعة فقام رسول الله صلى
الله عليه وسلم إلى الصلوة فلما قضى الصلوة قال أين السائل عن الساعة فقال
الرجل أنا يا رسول الله قال ما أعددت لها قال ما أعددت لها كثير صلوة ولا صيام
أو قال ما أعددت لها كثير عمل إلا أني أحب الله ورسوله فقال النبي صلى الله
عليه وسلم المرء مع من أحب أو أنت مع من أحببت قال أنس فما رأيت المسلمين فرحوا
بشيء بعد الإسلام فرحهم بها فالمتشبه بالصوفية ما اختار التشبه بهم دون غيرهم
من الطوائف إلا لمحبته إياهم وهو مع تقصيره عن القيام بما هم فيه يكون معهم لموضع
إرادته ومحبته وقد ورد بلفظ آخر أوضح من الخبر الذي رويناه في المعنى روى
عبادة بن الصامت عن أبي ذر الغفاري قال قلت يا رسول الله الرجل يحب القوم ولا
يستطيع أن يعمل كعملهم قال أنت يا أبا ذر مع من أحببت قال قلت فإني أحب الله ورسوله
قال فإنك مع من أحببت قال فأعادها أبو ذر فأعادها رسول الله صلى الله عليه وسلم

محبة المتشبه إياهم لا تكون إلا لتنبه روحه لما تنبهت له أرواح الصوفية
لأن محبة أمر الله وما يقرب إليه ومن يقرب منه يكون بتجاذب الروح غير أن المتشبه
تعوق بظلمة النفس والصوفي تخلص من ذلك والمتصوف متطلع إلى حال
الصوفي وهو مشارك ببقاء شيء من صفات نفسه عليه للمتشبه وطريق الصوفية
أوله إيمان ثم علم ثم ذوق فالمتشبه صاحب إيمان والإيمان بطريق الصوفية
أصل كبير قال الجنيد الإيمان بطريقنا هذا ولاية ووجه ذلك أن الصوفية تميزوا بأحوال
عزيزة وآثار مستغربة عند أكثر الخلق لأنهم مكاشفون بالقدر وغرائب
العلوم وإشاراتهم إلى عظيم أمر الله والقرب منه والإيمان بذلك إيمان بالقدرة وقد
أنكر قوم من أهل الملة كرامات الأولياء والإيمان بذلك إيمان بالقدرة ولهم علوم من
هذا القبيل فلا يؤمن بطريقهم إلا من خصه الله تعالى بمزيد عناية فالمتشبه صاحب إيمان
والمتصوف صاحب علم لأنه بعد الإيمان اكتسب مزيد علم بطريقهم وصار له من ذلك
مواجيد يستدل بها على سائرها والصوفي صاحب ذوق فللمتصوف الصادق
نصيب من حال الصوفي وللمتشبه نصيب من حال المتصوف وهكذا سنة الله تعالى
جارية أن كل صاحب حال له ذوق فيه لا بد أن يكشف له علم بحال أعلى مما هو فيه
فيكون في الحالة الأولى صاحب ذوق وفي الحال التي كشف بها صاحب علم وبحال فوق
ذلك صاحب إيمان حتى لا يزال في الطريق الطلب سلوكاً فيكون في حال الذوق صاحب قدم
وفي حال العلم صاحب نظر وفي حال فوق ذلك صاحب إيمان قال الله تعالى إن الأبرار
لفي نعيم على الأرائك ينظرون وصف الأبرار ووصف شرابهم قال الله تعالى ومزاجه
من تسنيم عيناً يشرب بها المقربون فكان لشراب الأبرار مزج من شراب المقربين
وللمقربين ذلك صرف فللصوفي شراب صرف وللمتصوف من ذلك مزج في شرابه
وللمتشبه مزج من شراب المتصوف فالصوفي سبق إلى مقار الروح من بساط
القرب والمتصوف بالنسبة إلى الصوفي كالمتزهد بالنسبة إلى الزاهد لأنه تفعّل
وتعمّل وتسبّب إشارة إلى ما بقي عليه من وصفه مجتهد في طريقه سائر إلى رتبة قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم سيروا سبق المفردون قيل من المفردون يا رسول الله
قال المستهترون بذكر الله وضع الذكر عنهم اوزارهم فيردوا يوم القيامة خفافا
فالصوفي في مقام المفردين والمتصوف في مقام السايرين واصل في سيره الى
مقار القلب من ذكر الله ومراقبته بقلبه وتلذذه بنظره الى نظر الله اليه فالصوفي
في مقام الروح صاحب مشاهدة والمتصوف في مقار القلب صاحب مراقبة والمتشبه
في مقاومة النفس صاحب مجاهدة وصاحب محاسبة فتلوين الصوفي بوجود قلبه
وتلوين المتصوف بوجود نفسه والمتشبه لا تلوين له لان التلوين لارباب الاحوال
والمتشبه مجتهد سالك لم يصل بعد الى الاحوال والكل يجمعهم دايرة الاصطفا قال الله
تعالى ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد
ومنهم سابق بالخيرات باذن الله قال بعضهم الظالم الزاهد والمقتصد العارف والسابق
المحب وقال بعضهم الظالم الذي يجزع من البلاء والمقتصد يصبر عند البلاء
والسابق يتلذذ بالبلاء وقال بعضهم الظالم يعبد على الغفلة والعادة والمقتصد
يعبد على الرغبة والرهبة والسابق يعبد على الهيبة والمنة وقال بعضهم الظالم
يذكر الله بلسانه والمقتصد بقلبه والسابق لا ينسى ربه وقال احمد بن عاصم
الانطاكي الظالم صاحب الاقوال والمقتصد صاحب الافعال والسابق صاحب
الاحوال وكل هذه الاقوال قريبة التناسب من حال الصوفي والمتصوف والمتشبه
وكلهم من اهل الفلاح والنجاح يجمعهم دايرة الاصطفاء وتولف بينهم نسبة التخصيص
بالمنح والعطاء اخبرنا الشيخ العالم رضي الدين ابو الخير احمد بن اسمعيل القزويني
اجازة قال انا ابو سعيد محمد بن ابي العباس قال انا القاضي محمد بن سعيد قال انا
ابو اسحق احمد بن محمد بن ابرهيم قال اخبرني الحسين بن محمد بن فنجويه قال ثنا احمد بن محمد
ابن رزمة قال ثنا يوسف بن عاصم الرازي قال ثنا ابو ايوب سليمان بن داود قال
ثنا حصين بن نمير عن ابي ليلى عن اخيه عن اسامة بن زيد عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال في قوله تعالى فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله

كلهم

كلهم في الجنة قال ابن عطا الظالم الذي يحب الله من اجل الدنيا والمقتصد الذي
يحب الله من اجل العقبى والسابق الذي اسقط مراده بمراد الله فيه وهذا هو
حال الصوفي فالمتشبه يعرض بشيء من امر القوم ويوجب له ذلك القرب منهم
والقرب منهم مقدمة كل خير سمعت شيخنا يقول جاء بعض ابناء الدنيا الى الشيخ
احمد الغزالي ونحن باصفهان يريد منه الخرقة فقال له الشيخ اذهب الى فلان
يشير الي حتى يكلمك في معنى الخرقة ثم احضر حتى البسك الخرقة قال فجاء الي
فذكرت له حقوق الخرقة وما يجب من رعاية حقها وآداب من يلبسها ومن يوهل
للبسها فاستعظم الرجل حقوق الخرقة وجبن ان يلبسها فاخبر الشيخ بما تجدد
عند الطالب من قولي له فاستحضرني وعاتبني على قولي له ذلك وقال بعثته
اليك حتى تكلمه بما يزيد رغبته في الخرقة فكلمته بما فترت عزيمته ثم الذي
ذكرته كله صحيح وهو الذي يجب من حقوق الخرقة ولكن اذا الزمنا المبتدي
بذلك نفر وعجز عن القيام به فنحن نلبسه الخرقة حتى يتشبه بالقوم ويتزيا بزيهم
فيقربه ذلك من مجالسهم ومحافلهم وببركة مخالطته معهم ونظره اليهم والى احوال
القوم وسيرهم يحب ان يسلك مسالكهم ويصل بذلك الى شيء من احوالهم ويوافق
هذا القول من الشيخ احمد الغزالي ما اخبرنا شيخنا قال انا عصام الدين عمر بن احمد
الصفار قال انا ابو بكر احمد بن علي بن خلف قال انا الشيخ ابو عبد الرحمن السلمي قال
سمعت الحسين بن يحيى يقول سمعت جعفرا يقول سمعت ابا القسم الجنيد يقول اذا
لقيت الفقير فلا تبداه بالعلم وابداه بالرفق فان العلم يوحشه والرفق يونسه
ويرفق الصوفية بالمتشبهين بهم ينتفع المبتدي الطالب وكل من كان منهم اكمل
حالا واوفر علما كان اكثر رفقا بالمبتدي الطالب حكي عن بعضهم انه صحبه طالب
فكان ياخذ نفسه بكثرة المعاملات والمجاهدات ولم يقصد بذلك الا نظر المبتدي
اليه والتادب بادبه والاقتداء به في عمله وهذا هو الرفق الذي لا يدخل في شيء
الا زانه فالمتشبه الحقيقي له ايمان بطريق القوم وعمل بمقتضاه وسلوك واجتهاد

على ما ذكرناه انه صاحب مجاهدة ومحاسبة ثم يصير متصوفا صاحب مراقبة
ثم يصير صوفيا صاحب مشاهدة فاما من لم يتطلع الى حال المتصوف والصوفي
بالتشبه ولا بقصد اوايل مقاصدهم بل هو على مجرد تشبه ظاهر من ظاهر
اللبسة والمشاركة في الزي والصورة دون السيرة والصفة فليس بمتشبه
بالصوفية لانه غير محاكي لهم بالدخول في بداياتهم فاذا هو متشبه بالمتشبه يعتزي
الى القوم بمجرد لبسة ومع ذلك هم القوم لا يشقى بهم جليسهم وقد ورد
من تشبه بقوم فهو منهم اخبرنا الشيخ ابو الفتح محمد بن سليمان قال انا ابو الفضل
حمد قال انا الحافظ ابو نعيم الاصفهاني قال ثنا عبد الله بن محمد بن جعفر ثنا
احمد بن عمرو بن ابي عاصم قال ثنا ابرهيم بن محمد الشافعي ح قال انا علي بن احمد قال انا
علي بن احمد بن علي المقدسي قال انا محمد بن عبد بن عامر قال انا ابرهيم بن
الاشعث قال انا فضيل بن عياض عن سليمن الاعمش عن ابي صالح عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله ملايكة فضلا عن كتاب الناس يطوفون
في الطرق ويتتبعون الذكر فاذا راوا قوما يذكرون الله تنادوا هلموا الى
حاجتكم فتحفهم باجنحتهم الى عنان السماء فيقول الله وهو اعلم بهم ما يقول
عبادي قالوا يحمدونك ويسبحونك ويمجدونك فيقول وهل راوني فيقولون لا
فيقول كيف ولو راوني قالوا لو راوك كانوا اشد تسبيحا وتحميدا وتمجيدا فيقول
ما يسئلوني قالوا يسئلونك الجنة فيقول وهل راوها قالوا لا فيقول كيف ولو
راوها قالوا لو راوها كانوا اشد لها طلبا وعليها احرص قالوا ويتعوذون
من النار فيقول وهل راوها قالوا لا فيقول كيف لو راوها قالوا لو راوها كانوا
اشد منها تعوذا واشد فرارا فيقول اشهدكم اني قد غفرت لهم فيقول الملك فيهم
فلان ليس منهم انما جاء لحاجة فيقول الله تبارك وتعالى هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم
فلا يشقى جليس الصوفية والمتشبه بهم والمحب لهم والله اعلم

الباب الثامن في ذكر الملامتي وشرح حاله

حدثنا

حدثنا

كانوا هم

يسئلوني

قال بعضهم

قال بعضهم الملامتي هو الذي لا يظهر خيرا ولا يضمر شرا وشرح هذا هو ان الملامتي
تشربت عروقه طعم الاخلاص وتحقق بالصدق فلا يحب ان يطلع احد على حاله
واعماله اخبرنا الشيخ ابو زرعة طاهر بن ابي الفضل المقدسي اجازة قال ثنا ابو بكر
احمد بن علي بن خلف الشيرازي اجازة قال انا الشيخ ابو عبد الرحمن السلمي قال
سمعت علي بن سعيد وسالته عن الاخلاص ما هو قال سمعت علي بن ابرهيم وسالته
عن الاخلاص ما هو قال سمعت محمد بن جعفر الخصاف وسالته عن الاخلاص ما هو
قال سالت احمد بن بشار عن الاخلاص ما هو قال سالت ابا يعقوب الشروطي عن
الاخلاص ما هو قال سالت احمد بن غسان عن الاخلاص ما هو قال سالت احمد بن علي
الهجيمي عن الاخلاص ما هو قال سالت عبد الواحد بن زيد عن الاخلاص ما هو
قال سالت الحسن عن الاخلاص ما هو قال سالت حذيفة عن الاخلاص ما هو قال سالت
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الاخلاص ما هو قال سالت جبريل عن الاخلاص
ما هو قال سالت رب العزة عن الاخلاص ما هو قال هو سر من سري استودعته
قلب من احببت من عبادي فالملامتية لهم مزيد اختصاص بالتمسك بالاخلاص
يرون كتم الاحوال والاعمال ويتلذذون بكتمها حتى لو ظهرت اعمالهم و
احوالهم لاحد استوحشوا من ذلك كما يستوحش العاصي من ظهور معصيته
فالملامتي عظم وقع الاخلاص وموضعه وتمسك به معتدا به والصوفي غاب
في اخلاصه عن اخلاصه قال ابو يعقوب السوسي متى شهدوا في اخلاصهم
الاخلاص احتاج اخلاصهم الى اخلاص قال ذو النون ثلث من علامات
الاخلاص استواء المدح والذم من العامة ونسيان روية الاعمال في الاعمال
واقتضاء ثواب العمل في الآخرة اخبرنا ابو زرعة اجازة قال انا ابو بكر احمد بن علي
بن خلف اجازة قال انا ابو عبد الرحمن قال سمعت ابا عثمان المغربي يقول الاخلاص
ما لا يكون للنفس فيه حظ بحال وهذا اخلاص العوام واخلاص الخواص ما يجري
عليهم لا بهم فتبدو منهم الطاعات وهم عنها بمعزل ولا يقع لهم عليها روية ولا بها

موقع

اعتداد بذلك اخلاص الخواص قلت وهذا الذى فضله الشيخ ابو عثمن المغربى
يفرق بين الصوفى والملامتى لان الملامتى اخرج الخلق عن عمله وحاله ولكن اثبت
نفسه فهو مخلص والصوفى اخرج نفسه عن عمله وحاله كما اخرج غيره فهو مخلص
وشتان ما بين المخلِص والمخلَص قال ابو بكر الزقاق نقصان كل مخلص فى اخلاصه
روية اخلاصه فاذا اراد الله ان يخلص اخلاصه اسقط عن اخلاصه رويته لاخلاصه
فيكون مخلَصا لا مخلِصا قال ابو سعيد الخراز رياء العارفين افضل من اخلاص المريدين
ومعنى قوله لان الاخلاص معلول برؤية الاخلاص والعارف منزه عن الرياء الذى
يبطل العمل ولكن لعله يظهر شيئا من حاله وعمله بعلم كامل عنده فيه لجذب
مريد او معاناة خلق من اخلاق النفوس فى اظهاره الحال والعمل وللعارفين فى ذلك
علم دقيق لا يعرفه غيرهم فيرى ناقص العلم صورة رياء وليس برياء انما هو صريح العلم
لله بالله من غير حضور نفس ووجود آفة فيه قال رويم الاخلاص ان لا يرضى صاحبه
عليه عوضا فى الدارين ولا حظا من الملكين وقال بعضهم صدق الاخلاص نسيان
روية الخلق بدوام النظر الى الحق والملامتى يرى الخلق فيخفى عمله وحاله وكل
ما ذكرنا من قبل وصف اخلاص الصوفى ولهذا قال الزقاق لا بد لكل مخلص من روية
اخلاصه وهو نقصان عن كمال الاخلاص والاخلاص هو الذى يتولى الله حفظ صاحبه
حتى ياتى به على التمام قال جعفر الخلدى سالت ابا القسم الجنيد قلت له بين الاخلاص
والصدق فرق قال نعم الصدق اصل وهو الاول والاخلاص فرع وهو تابع وقال
بينهما فرق لان الاخلاص لا يكون الا بعد الدخول فى العمل ثم قال انما هو اخلاص ومخالصة
الاخلاص وخالصة كاينة فى المخالصة فعلى هذا الاخلاص حال الملامتى ومخالصة
الاخلاص حال الصوفى والخالصة الكاينة فى المخالصة ثمرة مخالصة الاخلاص وهو
فناء العبد عن رسومه برؤية قيامه بقيومه بل غيبته عن روية قيامه وهو استواء
فى العين عن الاثار والتخلص عن لوث الاستتار وهو نعت حال الصوفى والملامتى
مقيم فى اوطان اخلاصه غير متطلع الى حقيقة اخلاصه خالصة وهذا فرق واضح

بين الملامتى والصوفى ولم يزل فى خراسان منهم طايفة ولهم مشايخ يهتدون اساسهم و
يعرفونهم شروط حالهم وقد راينا فى العراق من يسلك هذا المسلك ولكن لم يشتهر بهذا
الاسم وقلما يتداول لسنة اهل العراق هذا الاسم حكى ان بعض الملامتى استدعى
الى سماع فامتنع فقيل له فى ذلك فقال لانى ان حضرت يظهر على وجد ولا اوثر ان
يعلم احد حالى وقيل ان احمد بن ابى الحوارى قال لابى سليمان الدارانى انى اذا كنت فى الخلوة
اجد لمعاملتى لذة لا اجدها بين الناس فقال له انك اذا الضعيف الحال فالملامتى وان كان
متمسكا بعروة الاخلاص مستفرشا بساط الصدق ولكن عليه بقية روية
الخلق وما احسنها من بقية تحقق الاخلاص والصدق فالصوفى صفى من هذه
البقية فى طرفى العمل والترك للخلق وعزلهم بالكلية وراهم بعين الفناء والزوال
ولاح لهم ناصية التوحيد وعاين سر كل شىء هالك الا وجهه كما قال بعضهم
فى بعض غلباته ليس فى الدارين غير الله وقد يكون اخفاء الملامتى الحال على
وجهين فاحد الوجهين لتحقق الاخلاص والصدق والوجه الاخر هو انه يستر
لستر الحال عن غيره بنوع غيرة فان من خلا بمحبوبه يكره اطلاع الغير عليه
بل يبلغ فى صدق المحبة ان يكره اطلاع احد على حبه لمحبوبه وهذا وان علا
ففى طريق الصوفى علة ونقص فعلى هذا يتقدم الملامتى على المتصوف
ويتاخر عن الصوفى وقيل ان من اصول اهل الملامة ان الذكر على اربعة
اقسام ذكر باللسان وذكر بالقلب وذكر بالسر وذكر بالروح فاذا صح ذكر
الروح سكت السر والقلب واللسان عن الذكر وذلك ذكر المشاهدة فاذا صح
ذكر السر سكت القلب واللسان عن الذكر وذلك ذكر الهيبة فاذا صح
ذكر القلب فتر اللسان عن الذكر وذلك ذكر الالاء والنعماء واذا غفل القلب
عن الذكر اقبل اللسان على الذكر وذلك ذكر العادة ولكل واحد من هذه
الاذكار عندهم افة فافة ذكر الروح اطلاع السر عليه وافة ذكر السر اطلاع
القلب عليه وافة ذكر القلب اطلاع النفس عليه وافة ذكر النفس روية ذلك

وتعظيمه او طلب ثواب به او ظن انه يصل الى شيء من المقامات به واقل الناس
قيمة عندهم من يريد اظهاره واقبال الخلق عليه بذلك وسر هذا الاصل الذى
بنوا عليه ان ذكر الروح ذكر الذات وذكر السر ذكر الصفات بزعمهم
وذكر القلب من الالاء والنعماء ذكر اثر الصفات وذكر النفس متعرض للعلل
معنى قولهم اطلاع السر على الروح يشيرون الى التحقق بالفناء عند ذكر الذات
وذكر الهيبة فى ذلك لوقت ذكر الصفات وهو وجود الهيبة ووجود
الهيبة يستدعى وجودا وبقية وذلك ينافى حال الفناء وهكذا ذكر السر
وجود هيبة وهو ذكر الصفات مشعر بنصيب القرب وذكر القلب الذى
هو ذكر الالاء والنعماء مشعر ببعدما لانه اشتغال بذكر النعمة وذهول عن
المنعم والاشتغال برؤية العطاء عن رؤية المعطى ضرب من بعد المنزله واطلاع
النفس نظرا الى الاعواض اعتداد بوجود العمل وذلك عين الاعتلال حقيقة
وهذه اقسام هذه الطريقة وبعضها اعلى من بعض والله اعلم

الباب التاسع فى ذكر من انتمى الى الصوفية وليس منهم

فمن اوليك قوم يسمون نفوسهم قلندرية تارة وملامتية اخرى وقد ذكرنا
حال الملامتى وانه حال شريف ومقام عزيز وتمسك بالسنن والاثار وتحقق
بالاخلاص والصدق وليس مما يزعم المفتونون بشيء فاما القلندرى فهو اشاره
الى اقوام ملكهم سكر طيبة القلوب حتى خربوا العادات وطرحوا التقييد
باداب المجالسات والمخالطات وساحوا فى ميادين طيبة قلوبهم فقلت اعمالهم
من الصوم والصلوة الا الفرايض ولم يبالوا بتناول شيء من لذات الدنيا من كل
ما كان مباحا برخصة الشرع وربما اقتصروا على رعاية الرخصة ولم يطلبوا
حقايق العزيمة ومع ذلك هم متمسكون بترك الادخار وترك الجمع والاستكثار
لا يترسمون بمراسم المتقشفين والمتزهدين والمتعبدين وقنعوا بطيبة قلوبهم
مع الله تعالى واقتصروا على ذلك وليس عندهم تطلع الى طلب مزيد سوى ما هم
عليه من طيبة القلوب والفرق بين الملامتى والقلندرى ان الملامتى يعمل فى
كتم العبادات والقلندرى يعمل فى تخريب العادات والملامتى يتمسك بكل
ابواب الخير والبر ويرى الفضل فيه ولكن يخفى الاعمال والاحوال ويوقف نفسه
موقف العوام فى هيئته وملبوسه وحركاته واموره سترا للحال لئلا يفطن
له ومع ذلك متطلع الى طلب المزيد باذل مجهوده فى كل ما يتقرب به العبد
والقلندرى لا يتقيد بهيئة ولا يبالى بما يعرف من حاله وما لا يعرف
ولا ينعطف الا على طيبة القلوب وهو راس ماله والصوفى يضع الاشياء
مواضعها ويدبر الاوقات والاحوال كلها بالعلم يقيم الخلق مقامهم ويقيم امر الحق
مقامه ويستر ما ينبغى ان يستر ويظهر ما ينبغى ان يظهر ويأتى بالامور فى مواضعها
بحضور عقل وصحة توحيد وكمال معرفة ورعاية صدق واخلاص فقوم من
المفتونين سموا نفوسهم ملامتية ولبسوا لبسة الصوفية لينتسبوا الى الصوفية
وما هم من الصوفية بشيء بل هم فى غرور وغلط يتسترون بلبسة الصوفية
توقيا تارة ودعوى اخرى وينتهجون مناهج اهل الاباحة ويزعمون ان ضمايرهم
خلصت الى الله وهذا هو الظفر بالمراد والارتسام بمراسم الشريعة رتبة
العوام والقاصرين الافهام المنحصرين فى مضيق الاقتداء تقليدا وهذا هو
عين الالحاد والزندقة والابعاد فكل حقيقة ردتها الشريعة زندقة وجهل
هولاء المغرورين ان الشريعة حق العبودية والحقيقة هى حقيقة حق العبودية
ومن صار من اهل الحقيقة تقيد بحقوق العبودية وحقيقة العبودية
وصار مطالبا بامور وزيادات لا يطالب بها من لم يصل الى ذلك لا انه يخلع
عن عنقه ربقة التكليف ويخامر باطنه الزيغ والتحريف اخبرنا ابو زرعه
عن ابيه الحافظ المقدسى قال انا ابو محمد الخطيب قال انا ابو بكر محمد بن عمر قال
انا ابو بكر بن محمد بن ابى داود قال نا احمد بن صالح قال انا عنبسة قال انا يونس بن
يزيد قال قال محمد يعنى الزهرى اخبرنى حميد بن عبد الرحمن ان عبد الله بن عتبة

ابن مسعود حدثه قال سمعت عمر بن الخطاب يقول ان ناسا كانوا يوخذون بالوحي
على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وان الوحي قد انقطع وانما ناخذكم الآن
بما ظهر من اعمالكم فمن اظهر لنا خيرا آمناه وقربناه وليس الينا من سريرته شيء الله تعالى
يحاسبه في سريرته ومن اظهر لنا سوى ذلك لم نامنه وان قال سريرتي حسنة وعنه
ايضا قال من عرض نفسه للتهم فلا يلومن من اساء به الظن فاذا رأينا منهمكا في حدود
الشرع مهملا للصلوات المفترضات لا يعتد بحلاوة التلاوة والصوم والصلوة
ويدخل في المداخل المكروهة المحرمة نرده ولا نقبله ولا نقبل دعواه ان له سريرة
صالحة اخبرنا شيخنا ضياء الدين ابو النجيب السهروردي اجازة عن عمر بن احمد عن ابن
خلف عن السلمي قال سمعت ابا بكر الرازي يقول سمعت ابا محمد الجريري يقول سمعت
الجنيد يقول لرجل ذكر المعرفة فقال الرجل اهل المعرفة بالله يصلون الى ترك
الحركات من باب البر والتقوى الى الله تعالى فقال الجنيد ان هذا قول قوم تكلموا
باسقاط الاعمال وهذه عظيمة عندي والذي يسرق ويزني احسن حالا من الذي
يقول هذا وان العارفين بالله اخذوا الاعمال عن الله واليه يرجعون فيها ولو بقيت
الف عام لم انقص من اعمال البر ذرة الا ان يحال بي دونها وانها لآكد في معرفتي
واقوى لحالي ومن جملة اولئك قوم يقولون بالحلول خذلهم الله ويزعمون ان الله
يحل فيهم ويحل في اجسام يصطفيها ويسبق الى فهومهم معنى من قول النصارى في اللاهوت
والناسوت ومنهم من يستبيح النظر الى المستحسنات اشارة الى هذا الوهم ويخايل
له ان من قال كلمات في بعض غلباته كان مضمرا لشيء مما زعموه مثل قول الحلاج انا
الحق وما يحكى عن ابي يزيد قوله سبحاني حاشا لله ان يعتقد في ابي يزيد انه يقول
ذلك الا على معنى الحكاية عن الله تعالى وهكذا ينبغي ان يعتقد في الحلاج قوله ذلك
ولو علمنا انه ذكر ذلك القول مضمرا لشيء من الحلول رددناه كما نردهم وقد اتانا رسول
الله صلى الله عليه وسلم بشريعة بيضاء نقية يستقيم بها كل معوج وقد دلنا عقولنا
على ما يجوز وصف الله تعالى به وما لا يجوز والله تعالى منزه ان يحل به شيء او يحل بشيء

حتى لعل بعض المفتونين يكون عنده ذكاء وفطنة غريزية ويكون قد سمع كلمات
تعلق باطنه فيتألف له في فكره كلمات ينسبها الى الله تعالى وانها مكالمة الله
تعالى اياه مثل ان يقول قال لي وقلت له وهذا رجل جاهل بنفسه وحديثها جاهل
بربه وبكيفية المكالمة والمحادثة واما عالم ببطلان ما يقول يحمله هواه على الدعوى
بذلك ليوهم انه ظفر بشيء وكل هذا ضلال ويكون سبب تجريه على ذلك ما سمع
من كلام بعض المحققين من مخاطبات وردت عليهم بعد طول معاملات لهم ظاهرة
وباطنة وتمسكهم باصول القوم من صدق التقوى وكمال الزهد في الدنيا
فلما صفت اسرارهم تشكلت في سرائرهم مخاطبات موافقة للكتاب والسنة
نزلت بهم تلك المخاطبات عند استغراق السرائر ولا يكون ذلك كلاما يسمعونه
بل حديث في النفس يجدونه يرونه موافقا للكتاب والسنة مفهوما عند اهله
موافقا للعلم ويكون ذلك مناجاة لسرائرهم ومناجاة سرائرهم اياهم فيثبتون
لنفوسهم مقام العبودية ولمولاهم الربوبية فيضيفون ما يجدونه الى نفوسهم
والى مولاهم وهم مع ذلك عالمون بان ذلك ليس كلام الله وانما هو علم حادث
احدثه الله في بواطنهم وطريق الاصحاء في ذلك الفرار الى الله من كل ما تحدث به
نفوسهم به حتى اذا برئت ساحتهم من الهوى والهوا في بواطنهم شيء ينسبونه
الى الله تعالى نسبة الحادث الى المحدث لا نسبة الكلام الى المتكلم ليتصاونوا
عن الزيغ والتحريف ومن اولئك قوم يغرقون في بحار التوحيد ولا يثبتون
لنفوسهم حركة وفعلا ويزعمون انهم مجبورون على الاشياء وان لا فعل لهم مع فعل
الله تعالى ويسترسلون في المعاصي وكل ما تدعوا اليه النفس ويركنون الى البطالة
ودوام الغفلة والاغترار بالله والخروج من الملة وترك الحدود والاحكام والحلال
والحرام وقد سئل سهل عن رجل يقول انا كالباب لا اتحرك الا اذا حركت قال هذا
لا يقوله الا احد رجلين اما صديق او زنديق لان الصديق يقول هذا القول
اشارة الى قوام الاشياء بالله مع احكام الاصول ورعاية حدود العبودية والزنديق

يقول ذلك احالة للاشياء على الله واسقاطا للائمة عن نفسه واخلاعا غزالدين
ورسمه فاما من كان معتقدا للحلال والحرام والحدود والاحكام معترفا بالمعصية
اذا صدرت منه معتقدا وجوب التوبة منها فهو سليم صحيح وان كان تحت القصور
بما يركن اليه من البطاله ويستروح بهوى النفس الى الاسفار والتردد في البلاد
متوصلا الى تناول اللذائذ والشهوات غير متمسك بشيخ يؤدبه ويهذبه ويبصره بعيب
ما هو فيه

الباب العاشر في شرح رتبة المشيخة

ورد في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفس محمد بيده لئن شئتم
لاقسمن لكم ان احب عباد الله الى الله الذين يحببون الله الى عباده ويحببون
عباد الله الى الله ويمشون في الارض بالنصيحة وهذا الذي ذكره رسول الله صلى
الله عليه وسلم هو رتبة المشيخة والدعوة الى الله تعالى لان الشيخ يحبب الله الى
عباده حقيقة ويحبب عباد الله الى الله ورتبة المشيخة من اعلى الرتب في طريق
الصوفية ونيابة النبوة في الدعاء الى الله فاما وجه كون الشيخ يحبب عباد الله
الى الله لان الشيخ يسلك بالمريد طريق الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم
ومن صح اقتداؤه واتباعه احبه الله تعالى قال الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله
فاتبعوني يحببكم الله ووجه كونه يحبب الله الى عباده انه يسلك بالمريد
طريق التزكية والتحلية واذا تزكت النفس انجلى مرآة القلب فانعكس فيه انوار العظمة
الالهية ولاح فيه جمال التوحيد وانجذبت احداق البصيرة الى مطالعة جلال
القدم ورؤية الكمال الازلي فاحب العبد ربه لا محالة وذلك ميراث التزكية قال
الله تعالى قد افلح من زكيها وفلاحها بالظفر بمعرفة الله وايضا مرآة القلب اذا
انجلت لاحت فيها الدنيا بقبحها وحقيقتها وماهيتها ولاحت الاخرة ونفاستها وكنهها
وغايتها فينكشف للبصيرة حقيقة الدارين وحاصل المنزلين فيحب العبد الباقي
ويزهد في الفاني فتظهر فائدة التزكية وجدوى المشيخة والتربية فالشيخ من جنود
الله تعالى يرشد به المريدين ويهدي به الطالبين اخبرنا ابو زرعة عن ابيه الحافظ

المقدسي قال انا ابو الفضل عبد الواحد بن علي بن همذان قال انا ابو بكر محمد بن علي
ابن احمد الطوسي قال ثنا ابو العباس محمد بن يعقوب قال ثنا ابو عتبة قال ثنا بقية
قال ثنا صفوان بن عمرو قال حدثني الازهر بن عبد الله قال سمعت عبد الله بن بسر
صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان يقال اذا اجتمع عشرون رجلا
او اكثر فان لم يكن فيهم من يهاب لله عز وجل فقد حضر الامر فعلى المشايخ وقار الله
وبهم يتادب المريدون ظاهرا وباطنا قال الله تعالى اولئك الذين هدى
الله فبهداهم اقتده فالمشايخ لما اهتدوا اهلوا للاقتداء بهم وجعلوا ائمة المتقين
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حاكيا عن ربه اذا كان الغالب على عبدي
الاشتغال بي جعلت همته ولذته في ذكري فاذا جعلت همته ولذته في ذكري عشقني
وعشقته ورفعت الحجاب فيما بيني وبينه لا يسهو اذا سها الناس اولئك كلامهم
كلام الانبياء اولئك الابدال حقا اولئك الذين اذا اردت باهل الارض
عقوبة او عذابا ذكرتهم فصرفته بهم عنهم والسر في وصول السالك الى رتبة
المشيخة ان السالك مامور بسياسة النفس مبتلى بصفاتها لا يزال يسلك
بصدق المعاملة حتى تطمئن نفسه وبطمانينتها ينتزع عنها البرودة واليبوسة
التي استصحبتها من اصل خلقتها وبهما يستعصي على الطاعة والانقياد
للعبودية فاذا زالت اليبوسة عنها ولانت بحرارة الروح الواصلة اليها
وهذا اللين هو الذي ذكره الله تعالى في قوله ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر
الله تجيب الى العبادة وتلين للطاعة عند ذلك وقلب العبد متوسط بين
الروح والنفس ذو وجهين احد وجهيه الى النفس والوجه الاخر الى الروح
يستمد من الروح بوجهه الذي يليه ويمد النفس بوجهه الذي يليها حتى تطمئن
النفس فاذا اطمان نفس السالك وفرغ من سياستها انتهى سلوكه وتمكن
من سياسة النفس وانقادت نفسه وفاءت الى امر الله ثم القلب يشرئب الى
السياسة لما فيه من التوجه الى النفس فتقوم نفوس المريدين والطالبين

والصادقين عند مقام نفسه لوجود الجنسية في عين النفسية من وجه ولوجود
التألف بين الشيخ والمريد من وجه بالتأليف الإلهي قال الله تعالى لو انفقت ما في
الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم فيسوس نفوس المريدين
كما كان يسوس نفسه من قبل ويكون في الشيخ حينئذ معنى التخلق باخلاق الله من
معنى قول الله تعالى الا طال شوق الابرار الى لقائي واني الى لقائهم لاشد شوقا
ومما هيأ الله تعالى من حسن التأليف بين الصاحب والمصحوب يصير المريد جزء
الشيخ كما ان الولد جزء الوالد في الولادة الطبيعية وتصير هذه الولادة آنفا
ولادة معنوية كما ورد عن عيسى عليه السلام لن يلج ملكوت السموات من لم يولد
مرتين فبالولادة الاولى له ارتباط بعالم الملك وبهذه الولادة يصير له ارتباط
بالملكوت قال الله تعالى وكذلك نري ابرهيم ملكوت السموات والارض وليكون
من الموقنين وصرف اليقين على الكمال يحصل في هذه الولادة وبهذه الولادة
يستحق ميراث الانبياء ومن لم يصله ميراث الانبياء ما ولد وان كان على كمال
الفطنة والذكاء لان الفطنة والذكاء نتيجة العقل والعقل اذا كان يابسا من
نور الشرع لا يدخل الملكوت ولا يزال متردد في الملك ولهذا وقف على برهان
من العلوم الرياضية لانه تصرف في الملك ولم يرتق الى الملكوت والملك ظاهر
الكون والملكوت باطن الكون والعقل لسان الروح والبصيرة التي منها تنبعث
اشعة الهداية قلب الروح واللسان ترجمان القلب فكل ما ينطق به الترجمان
معلوم عند من يترجم عنه ثم لا الى الترجمان فلهذا المعنى حرم الواقفون مع
مجرد العقول العرية عن نور الهداية الذي هو موهبة الله عند الانبياء واتباعهم
الصواب واسبل دونهم الحجاب لوقوفهم مع الترجمان وحرمانهم غاية البيان
وكما ان في الولادة الطبيعية ذرات الاولاد في صلب الاب مودعة ينتقل الى
اصلاب الاولاد بعدد كل ولد ذرة وهي الذرات التي خاطبها الله تعالى يوم
الميثاق بالست بربكم قالوا بلى حيث مسح ظهر آدم وهو ملقى ببطن نعمان من مكة

اللطايف فسالت الذرات من مسام جسده كما يسيل العرق بعدد كل
ولد من ولد آدم ذرة ثم لما خوطبت واجابت ردت الى ظهر آدم فمن
الآباء من تنفذ الذرات في صلبه ومنهم من لم يودع في صلبه فينقطع
نسله هكذا في المشايخ من يكثر اولاده وياخذون منه العلوم والاحوال
ويودعونها غيرهم كما وصلت اليهم من النبي صلى الله عليه وسلم بواسطة
الصحبة ومنهم من تقل اولاده ومنهم من ينقطع نسله وهذا النسل هو الذي
رد الله تعالى على الكفار حيث قالوا محمد ابتر لا نسل له قال الله تعالى
ان شانئك هو الابتر والا فرسول الله صلى الله عليه وسلم نسله باق الى ان تقوم
الساعة وبالنسبة المعنوية يصل ميراث العلم الى اهل العلم حدثنا شيخنا
ضياء الدين ابو النجيب السهروردي املاء قال انا ابو عبد الرحمن الماليني قال
انا ابو الحسن الداودي قال حدثنا ابو محمد الحموي قال انا ابو عمران السمرقندي
قال انا ابو محمد الدارمي قال انا نصر بن علي قال انا عبد الله بن داود عن عاصم
عن رجاء بن حيوة عن داود بن جميل عن كثير بن قيس قال كنت جالسا مع
ابي الدرداء في مسجد دمشق فاتاه رجل فقال يا ابا الدرداء اني اتيتك من
المدينة مدينة الرسول عليه الصلوة والسلام لحديث بلغني عنك انك تحدثه
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فما جاء بك تجارة قال لا قال ولا جاء بك
غيره قال لا قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سلك طريقا يلتمس
به علما سلك الله به طريقا من طرق الجنة وان الملائكة لتضع اجنحتها
رضا لطالب العلم وان طالب العلم يستغفر له من في السماء والارض حتى
الحيتان في البحار وان فضل العالم على العابد كفضل القمر على ساير النجوم
ان العلماء هم ورثة الانبياء ان الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما انما ورثوا
العلم فمن اخذ به اخذ بحظ وافر فاول ما اودعت الحكمة والعلم عند
كان آدم ابو البشر عليه السلام ثم انتقل منه كما انتقل منه النسيان والعصيان

وما تدعوا اليه النفس والشيطان كما ورد ان الله تعالى امر جبرئيل حتى
اخذ قبضة من اجزاء الارض والله نظر الى الاجزاء الارضية التى كونها
من الجوهرة التى خلقها اولا فصار من مواقع نظر الله اليها وكان فيها
خاصية السماع من الله والجواب حيث خاطبه السموات والارضين بقوله
ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين فحملت اجزاء الارض هذا الخطاب
خاصية ثم انتزعت هذه الخاصية منها بالحل اجزائها التركيب صورة آدم
فتركب جسد آدم من اجزاء ارضية محتوية على هذه الخاصية من حيث
نسبة اجزاء الارض تركب فيه الهوى حتى مد يده الى شجرة الفناء وهى شجرة
الحنطة فى اكثر الاقاويل فتطرق الى قالبه الفناء وباكرام الله اياه بنفخ الروح
الذى اخبر عنه فاذا سويته ونفخت فيه من روحى نال العلم والحكمة فبالتسوية
صار ذا نفس منفوسة وبنفخ الروح فيه صار ذا روح روحانى وشرح هذا
يطول فصار قلبه معدن الحكمة وقالبه معدن الهوى فانتقل منه العلم
والهوى فصار امرا ثابتا فى ولده فصار من طريق الولادة ابا بواسطة الطبائع
التى هى محتد الهوى ومن طريق الولادة المعنوية ابا بواسطة العلم فالولادة
الظاهرة تطرق اليه الفناء والولادة المعنوية محمية من الفناء لانها وجدت
من شجرة الخلد وهى شجرة العلم لا شجرة الحنطة التى سماها ابليس شجرة الخلد فابليس
يرى الشىء بضده فثبت ان الشيخ هو الاب معنى وكثيرا كان شيخنا شيخ الاسلام
ابو النجيب السهروردى يقول ولدى من سلك طريقى واهتدى بهديى والشيخ
الذى يكتسب بطريقه الاحوال قد يكون مأخوذا فى ابتدائه فى طريق المحبين
وقد يكون مأخوذا فى طريق المحبوبين وذلك ان امر الصالحين والصادقين
ينقسم اربعة اقسام سالك ومجذوب وسالك متدارك بالجذبة ومجذوب
متدارك بالسلوك فالسالك المجرد لا يؤهل للمشيخة ولا يبلغها لبقاء صفات
نفسه عليه فيقف عند حظه من رحمة الله فى مقام المعاملة والرياضة ولا يرتقى

الى حال يروح بها عن وهج المكابدة والمجذوب المجرد من غير سلوك يباديه
الحق بآيات اليقين ويرفع عن قلبه شيئا من الحجاب ولا يؤخذ فى طريق المعاملة
وللمعاملة اثر تام سوف نشرحه فى موضعه ان شاء الله تعالى هذا ايضا لا يؤهل
للمشيخة ويقف عند حظه من الله مروحا بحاله غير مأخوذ فى طريق اعماله ما عدا
غير الفريضة والسالك الذى تدورك بالجذبة هو الذى كانت بدايته المجاهدة
والمكابدة والمعاملة بالاخلاص والوفاء بالشروط ثم اخرج من وهج المكابدة
الى روح الحال فوجد العسل بعد العلقم وتروح بنسمات الفضل وبرز من مضيق
المكابدة الى متسع المساهلة واونس بنفحات القرب وفتح له باب من
المشاهدة فوجد دواءه وفاض وعاءه وصدرت منه كلمات الحكمة ومالت اليه
القلوب وتوالى عليه فتوح الغيب وصار ظاهره مسددا وباطنه مشاهدا
وصلح للجلوة وصار له فى جلوته خلوة فيغلب ولا يغلب ويفترس ولا يفترس
يؤهل مثل هذا للمشيخة لانه اخذ فى طريق المحبين ومنح حالا من احوال المقربين
بعدما دخل من طريق اعمال الابرار الصالحين ويكون له اتباع ينتقل منه اليهم علوم
ونظهر بطريقه بركة ولكن قد يكون محبوسا فى حاله محكما حاله فيه لا يطلق من
وثاق الحال ولا يبلغ كمال التوال يقف عند حظه وهو حظ وافر سنى والذين
اوتوا العلم درجات ولكن المقام الاكمل فى المشيخة القسم الرابع وهو المجذوب
المتدارك بالسلوك يباديه الحق بالكشوف وانوار اليقين ويرفع عن قلبه الحجب
ويستنير بانوار المشاهدة وينشرح وينفسح قلبه ويتجافى عن دار الغرور وينيب
الى دار الخلود ويرتوى من بحر الحال ويتخلص من الاغلال والاعلال ويقول معلنا
لا اعبد ربا لم اره ثم يفيض من باطنه على ظاهره ويجرى عليه صورة المجاهدة والمعاملة
من غير مكابدة وعناء بل بلذاذة وهناء ويصير قالبه بصفة قلبه لامتلاء قلبه
بحب ربه ويلين جلده كما لان قلبه وعلامة لين جلده اجابة قالبه للعمل كاجابة قلبه
فيريده الله تعالى الارادة خاصة ويرزق محبة خاصة من محبة المحبوبين المرادين

ينقطع فيواصل ويعرض فيراسل يذهب عنه جمود النفس ويصطلى بحرارة الروح وينكمش عن قلبه عروق النفس قال الله تعالى الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله اخبر ان الجلود تلين كما ان القلوب تلين ولا يكون هذا الا حال المحبوب المراد وقد ورد فى الخبر ان ابليس سال السبيل الى القلب فقيل له يحرم عليك ولكن السبيل لك فى مجارى العروق المتشبكة بالنفس الى حد القلب فاذا دخلت العروق عرقت فيها من ضيق مجاريها وامتزج عرقك بماء الرحمة المترشح من جانب القلب فى مجرى واحد ويصل بذلك سلطانك الى القلب ومن جملته نبيا او وليا قلعت تلك العروق من باطن قلبه فيصير القلب سليما فاذا دخلت العروق لم تصل الى المتشبك بالقلب فلا يصل الى القلب سلطانك فالمحبوب المراد الذى هو اهل للمشيخة سلم قلبه وانشرح صدره ولان جلده فصار قلبه بطبع الروح ونفسه بطبع القلب ولانت النفس بعد ان كانت امارة بالسوء مستعصية ولان الجلد للين النفس ورد الى صور الاعمال بعد وجدان الحال ولا يزال روحه ينجذب الى الحضرة الالهية فيستتبع الروح القلب ويستتبع القلب النفس وتستتبع النفس القالب فامتزجت الاعمال القلبية والقالبية وانخرق الظاهر الى الباطن والباطن الى الظاهر والقدرة الى الحكمة والحكمة الى القدرة والدنيا الى الاخرة والاخرة الى الدنيا ويصح له ان يقول لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا فعند ذلك يطلق من وثاق الحال ويكون مسيطرا على الحال لا الحال مسيطرا عليه ويصير حرا من كل وجه والشيخ الاول الذى اخذ فى طريق المحبين حر من رق النفس ولكن ربما كان باقيا فى رق القلب وهذا الشيخ فى طريق المحبوبين حر من رق القلب كما هو حر من رق النفس وذلك ان النفس حجاب ظلمانى ارضى اعتق منه الاول والقلب حجاب نورانى سماوى اعتق منه الاخر فصار لربه لا لقلبه ولموقته لا لوقته فعبد الله حقا وامن به صدقا ويسجد لله سواده وخياله ويؤمن به فؤاده ويقر به لسانه كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض

بجوده

سجوده ولا يتخلف عن العبودية منه شعرة ويصير عبادته مشاكلة لعبادة الملائكة ولله يسجد من فى السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والاصال فالقوالب هى الظلال الساجدة وهى ظلال الارواح المقربة ففى عالم الشهادة الاصل كثيف والظل لطيف وفى عالم الغيب الاصل لطيف والظل كثيف فيسجد لطيف العبد وكثيفه وليس هذا من اخذ فى طريق المحبين لانه يستبشع صور الاعمال ويمتلئ بما ايل من وجدان الحال وذلك قصور فى العلم وقلة فى الحظ ولو كثر العلم راى ارتباط الاعمال بالاحوال كارتباط الروح بالجسد وراى ان لا غناء عن الاعمال كما لا غناء فى عالم الشهادة عن القالب فما دامت القوالب باقية فالعمل باق ومن صح فى المقام الذى وصفناه هو الشيخ المطلق والعارف المحقق والمحبوب المعتق نظره دواء وكلامه دواء بالله ينطق وبالله يسكت كما ورد لا يزال العبد يتقرب الى بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت له سمعا وبصرا ويدا ومؤيدا بى ينطق وبى يسمع الحديث فالشيخ يعطى بالله ويمنع بالله فلا رغبة له فى عطاء ومنع لعينه بعينه بل هو مع مراد الحق والحق يعرفه مراده فيكون فى الاشياء بمراد الله لا بمراد نفسه فان علم ان الله يريد منه الدخول فى صورة محمودة دخل فيها لمراد الله لا لكون الصورة محمودة بخلاف الخادم القائم بواجب خدمة عباد الله تعالى

الباب الحادى عشر فى شرح حال الخادم ومن يتشبه به

اوحى الله تعالى الى داود عليه السلام وقال يا داود اذا رايت لى طالبا فكن له خادما الخادم يدخل فى الخدمة راغبا فى الثواب وفيما اعد الله للعباد ويتصدى لايصال الراحة ويفرغ خاطر المقبلين على الله تعالى عن مهام معاشهم ويفعل ما يفعله لله بنية صالحة فالشيخ واقف مع مراد الله تعالى والخادم واقف مع نيته فالخادم يفعل الشىء لله والشيخ يفعل الشىء بالله فالشيخ فى مقام المقربين والخادم فى مقام الابرار فيختار الخادم البذل والايثار والانفاق من الاغيار للاغيار ووظيفة وقته تصديه لخدمة عباد الله وفيه يعرف الفضل ويرجحه على نوافله واعماله

وقد يقيم من لا يعرف الخادم مقام الشيخ وربما جهل الخادم ايضا حال نفسه فيحسب
نفسه شيخا لقلة العلم واندراس علوم القوم في هذا الزمان وقناعة كثير من الفقراء
من المشايخ باللقمة دون العلم والحال وكل من كان اكثر اطعاما فهو عندهم
احق بالمشيخة ولا يعلمون انه خادم وليس بشيخ والخادم في مقام حسن وحظ
صالح من الله تعالى وقد ورد ما يدل على فضل الخادم فيما اخبرنا ابو زرعة بن
الحافظ ابي الفضل محمد بن طاهر المقدسي عن ابيه قال انا ابو الفضل محمد بن عبد الله
المقرئ قال انا ابو الحسن محمد بن الحسين بن داود العلوي قال انا ابو حامد الحافظ
قال انا العباس بن محمد الدوري وابو الازهر قالا ثنا ابو داود قال ثنا سفين عن
الاوزاعي عن يحيى بن ابي كثير عن ابي سلمة عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم
اتي بطعام وهو بمر الظهران فقال لابي بكر وعمر كلا فقالا انا صائمان فقال ارحلوا
لصاحبيكم اعملوا لصاحبيكم ادنوا فكلا يعني انكما ضعفتما بالصوم عن الخدمة
فاحتجتما الى من يخدمكما فكلا واخدما انفسكما فالخادم يحرص على حيازة الفضل
فيتوصل بالكسب تارة وبالاسترفاق والدريوزة تارة وباستجلاب الوقف الى
نفسه تارة لعلمه انه قيم بذلك صالح لايصاله الى الموقوف عليهم ولا يبالي ان
يدخل في كل مدخل لا يدفعه الشرع لحيازة الفضل بالخدمة ويرى الشيخ بنفوذ البصيرة
وقوة العلم ان الانفاق الى علم تام ومعاناة في تخليص النية عن شوايب النفس
والشهوة الخفية ولو خلصت نيته ما رغب في ذلك لوجود مراده فيه وحاله ترك
المراد واقامة مراد الحق اخبرنا ابو زرعة اجازة قال انا ابو بكر احمد بن علي بن خلف
اجازة قال انا الشيخ ابو عبد الرحمن السلمي يقول سمعت محمد بن الحسين بن الخشاب
يقول سمعت جعفر بن محمد يقول سمعت الجنيد يقول سمعت السري يقول اعرف
طريقا مختصرا قصدا الى الجنة فقلت له ما هو قال لا تسال احدا شيا ولا تاخذ
من احد شيا ولا يكون معك شي تعطي منه احدا شيا والخادم يرى ان من طريق
الجنة الخدمة والبذل والايثار وتقدم الخدمة على النوافل ويرى فضلها وللخدمة

فضل

فضل على النافلة التي ياتي بها العبد طالبا بها الثواب غير النافلة التي يتوخى بها
صحة حاله مع الله لوجود نقد قيل وعد ومما يدل على فضل الخدمة على
النافلة ما اخبرنا ابو زرعة قال اخبرنا والدي الحافظ المقدسي قال انا ابو بكر
محمد بن احمد السمسار باصفهان قال انا ابرهيم بن عبد الله بن خرشيد قوله قال
ثنا الحسين بن اسمعيل المحاملي قال انا ابو السايب قال ثنا ابو معوية قال انا عاصم عن
مورق عن انس بن مالك قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنا الصايم ومنا
المفطر فنزلنا منزلا في يوم حار شديد الحر فمنا من يتقي الشمس بيده واكثرنا
ظلا صاحب الكساء فيستظل به فنام الصايمون وقام المفطرون فضربوا
الابنية وسقوا الركاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب المفطرون
اليوم بالاجر وهذا حديث يدل على فضل الخدمة على النافلة والخادم له مقام
عزيز يرغب فيه فاما من لم يعرف تخليص النية من شوايب النفس ويتشبه بالخدام
ويتصدى لخدمة الفقراء ويدخل في مداخل الخدام بحسن الارادة يطلب
الثناء بالخدام ويكون خدمته مشوبة منها ما يصيب فيها الموضع ايمانه وحسن
ارادته في خدمة القوم ومنها ما لا يصيب فيها لما فيه من مزج الهوى فيضع
الشي في غير موضعه وقد يخدم بهواه في بعض تصاريفه ويخدم من لا يستحق
الخدمة في بعض اوقاته ويحب المحمدة والثناء من الخلق مع ما يحب من الثواب
ورضاء الله تعالى وربما خدم للثناء وربما امتنع من الخدمة لوجود هوى
يخامره في حق من يلقاه بمكروه ولا يراعي واجب الخدمة في طرفي الرضا والغضب
لانحراف مزاج قلبه بوجود الهوى والخادم لا يتبع الهوى في الخدمة في الرضا
والغضب ولا ياخذه في الله لومة لايم ويضع الشي مواضعه فاذا الشخص الذي
وصفناه آنفا متخادم وليس بخادم ولا يميز بين الخادم والمتخادم الا من له علم
بصحة النيات وتخليصها من شوايب الهوى والمتخادم يخيب يبلغ ثواب
الخادم في كثير من تصاريفه ولا يبلغ رتبته لتخلفه عن حاله بوجود مزج هواه

وامّا من اقيم لخدمة الفقراء بتسليم وقف إليه او توفير رفق عليه وهو يخدم لمنال
يصيبه او حظ عاجل يدركه فهو في الخدمة لنفسه لا لغيره فلو انقطع رفقه
ما خدم وربّما استخدم من يخدم فهو مع حظ نفسه يخدم من يخدمه ويحتاج اليه
في المحافل يتكثر به ويقيم جاه نفسه بكثرة الاتباع والاشياع فهو خادم هواه
وطالب دنياه يحرص نهاره وليله في تحصيل ما يقيم به جاهه ويرضي نفسه واهله
وولده فيتسع في الدنيا ويتزيا بغير زي الخدام والفقراء وينتشر نفسه
بطلب الحظوظ ويستولي عليه حب الرياسة وكلما كثر رفقه كثرت
مواد هواه واستطال على الفقراء ويحوج الفقراء الى التملق المفرط له تطلبا
لرضاه وتوقيا لضيمه وميله عليهم بقطع ما ينوبهم من الوقف فهذا احسن
حاله ان يسمى مستخدما فليس بخادم ولا متخادم ومع ذلك كله ربما نال بركتهم
باختياره خدمتهم على خدمة غيرهم وبانتمائه اليهم وقد اوردنا الخبر المسند
الذي في سياقه هم القوم لا يشقى بهم جليسهم والله اعلم

الذي

الباب الثاني عشر في شرح خرقة المشايخ الصوفية

لبس الخرقة ارتباط بين الشيخ والمريد وتحكيم من المريد الشيخ في نفسه والتحكيم
سائغ في الشرع لمصالح دنياوية فما ذا ينكر المنكر للبس الخرقة على طالب صادق
في طلبه يقصد شيخا بحسن ظن وعقيدة يحكّمه في نفسه لمصالح دينه
يرشده ويهديه ويعرّفه طريق المواجيد ويبصّره بآفات النفوس وفساد الاعمال
ومداخل العدو فيسلّم نفسه اليه ويستسلم لرأيه واستصوابه في جميع تصاريفه
فيلبسه الخرقة اظهارا للتصرف فيه فيكون لبس الخرقة علامة التفويض والتسليم
ودخوله في حكم الشيخ دخوله في حكم الله وحكم رسوله واحياء سنة المبايعة
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبرنا ابو زرعة قال اخبرني والدي الحافظ
المقدسي قال انا ابو الحسين احمد بن محمد البزاز قال انا احمد بن محمد بن اخي ميمي قال ثنا
يحيى بن محمد بن صاعد قال ثنا عمرو بن علي بن حفظة قال سمعت عبد الوهاب

دخول

الثقفي

من ـح

او فوقهم حظا من محبة الله تعالى والصوفية بين طوائف الاسلام ظفروا بحسن المتابعة
لانهم اتبعوا اقواله فقاموا بما امرهم ووقفوا عما نهاهم عنه قال الله تعالى وما
آتيكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ثم اتبعوه في اعماله من الجد
والاجتهاد في العبادة والتهجد والنوافل من الصوم والصلوة وغير ذلك
ورزقوا بركة المتابعة في الاقوال والافعال التخلق باخلاقه من الحياء والحلم
والصفح والعفو والرأفة والشفقة والمداراة والنصيحة والتواضع ورزقوا
قسطا من احواله من الخشية والسكينة والهيبة والتعظيم والرضا والصبر
والزهد والتوكل فاستوفوا جميع اقسام المتابعة واحيوا سنته باقصى الغايات
قيل لعبد الواحد بن زيد من الصوفية عندك قال القائمون بعقولهم على همومهم
والعاكفون عليها بقلوبهم والمعتصمون بسيدهم من شر نفوسهم هم الصوفية
ولعمري هذا وصف تام وصفهم به وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
دائم الافتقار الى مولاه حتى يقول لا تكلني الى نفسي طرفة عين واكلأني كلاءة الوليد
ومن اشرف الحكم ما ظفر به الصوفي من متابعة رسول الله صلى الله عليه وسلم
هذا الوصف وهو دوام الافتقار الى الله ودوام الالتجاء ولا يتحقق بهذا الوصف
من صدق الافتقار الا عبد كوشف باطنه بصفاء المعرفة واشرق صدره بنور
اليقين وخلص قلبه الى بساط القرب وخلا سره بلذاذة المسامرة فبقيت
نفسه بين هذه كلها اسيرة مأمورة ومع ذلك كله يراها مأوى كل شر وهي بمثابة
النار لو بقيت منها شرارة احرقت عالما وهي وشيكة الرجوع سريعة الانفلات
والانقلاب فالله تعالى بكمال لطفه عرّفها الى الصوفي وكشفها له على شيء من نعت
ما كشفها لرسول الله صلى الله عليه وسلم فهو دائم الاستغاثة الى مولاه من شرها فكانها
جعلت سوطا للعبد تسوقه لمعرفته بشرها مع اللحظات الى جناب الالتجاء
وصدق الافتقار والدعاء فلا يخلو الصوفي عن مطالعتها ادنى ساعة كما لا يخلو عن
ربه ادنى ساعة وربط معرفتها بمعرفة الله تعالى فيما ورد من عرف نفسه فقد عرف

ربه كربط معرفة الليل بمعرفة النهار ومن الذي يقوم بالحياء بهذه السنة من سنن رسول
الله صلى الله عليه وسلم غير الصوفي العالم بالله الزاهد في الدنيا المتمسك من التقوى
بالوثق العرى ومن الذي يهتدي الى فائدة هذا الحال غير الصوفي فدوام افتقاره
الى ربه تمسك بجناب الحق ولياذ به وفي هذا اللياذ استغراق الروح واستتباعه
للقلب الى محل الدعاء وفي انجذاب القلب الى محل الدعاء بالمساز لحال والكون فيه تقوء
النفس عن مستقرها من اقسام العاجلة وتروّلها اليها في مدرج العلم محفوفة بحراسة
الله تعالى ورعايته والنفس المدبرة بهذا التدبير من حسن تدبير الله تعالى خاموة الغائلة
من الغل والغش والحقد والحسد وساير المذمومات فهذا حال الصوفي وتجمع
جمل حال الصوفي في شيئان بهما وصف الصوفية واليهما الاشارة بقوله تعالى الله
يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه من ينيب فقوم من الصوفية خصوا بالاجتباء الصرف
وقوم من الصوفية خصوا بالهداية بشرط مقدمة الانابة فالاجتباء المحض غير معلل
بكسب العبد وهذا حال المحبوب المراد يبادئه الحق بمنحه ومواهبه من غير سابقة
كسب منه تسبق كشوفه اجتهاده وفي هذا اخبط طايفة من الصوفية رفعت الحجب
عن قلوبهم وبادأهم سطوع نور اليقين فاثار نازل الحال فيهم شهوة الاجتهاد والاعمال
فاقبلوا على الاعمال باللذاذة والعيش فيها قرة اعينهم فسهل عليهم الاجتهاد كما سهل على
سحرة فرعون لذاذة النازل بهم من صفو العرفان تحمل وعيد فرعون فقالوا لن نؤثرك
على ما جاءنا من البينات قال جعفر الصادق وجدوا رياح العناية القديمة بهم
فالجؤوا الى السجود شكرا وقالوا آمنا برب العالمين اخبرنا ابو زرعة طاهر بن ابي الفضل
اجازة قال انا ابو بكر احمد بن علي بن خلف اجازة قال انا ابو عبد الرحمن السلمي قال سمعت
منصورا يقول سمعت ابا موسى الزقاق يقول سمعت ابا سعيد الخراز يقول اهل الخاصة
الذين هم المرادون تولاهم الله واكمل لهم النعمة وهنأ لهم الكرامة فاسقط عنهم حركات
الطلب فصارت حركاتهم في العمل والخدمة على المالفة والذكر والتنعم بمناجاته والانفراد
بقربه وبهذا الاسناد الى ابي عبد الرحمن السلمي قال سمعت علي بن سعيد يقول سمعت

احمد بن الحسن الحصري يقول سمعت فاطمة المعروفة بجويرية تلميذة ابي سعيد تقول سمعت
الخراز يقول المراد محمول في حاله معان على حركاته وسعيه في الخدمة مكفي مصون عن
الشواهد والنواظر وهذا الذي قاله الشيخ ابو سعيد هو الذي اشتبه حقيقته
على طايفة من الصوفية ولم يقولوا بالاكثار من النوافل وقدروا اجماع المشايخ قلت
نوافلهم وظنوا ان ذلك حال مستمر على الاطلاق ولم يعلموا ان الذين تركوا النوافل
واختصروا على الفرايض كان بداياتهم بدايات المريدين فلما وصلوا الى روح الحال
وادركتهم الكشوف بعد الاجتهاد استلذوا بالحال وطرحوا نوافل الاعمال فاما المراد فقد
تبقى عليهم الاعمال والنوافل وفيها قرة اعينهم وهذا اتم واكمل من الاول فهذا الذي
اوضحناه احد طريقي الصوفية فاما الطريق الآخر طريق المريدين وهم الذين شرط
لهم الانابة فقد قال الله تعالى ويهدي اليه من ينيب طولبوا بالاجتهاد اولا
قبل الكشوف قال الله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا يدرجهم الله
في مدارج الكسب بانواع الرياضات والمجاهدات وسهر الدياجر وظماء الهواجر
تتاجج فيهم نيران الطلب وتحجب دونهم لوامع الارب يتقلبون في رمضاء الارادة
وينخلعون عن كل مالوف وعادة وهي الانابة التي شرطها الحق سبحانه وتعالى
لهم وجعل الهداية معذوقة بها وهذه الهداية ايضا هداية خاصة لانها هداية
اليه غير الهداية العامة التي هي الهدى الى امره ونهيه بمقتضى المعرفة الاولة
وهذا حال السالك المحب المريد فكانت الانابة غير الهداية العامة فاثمرت
هداية خاصة واهتدوا اليه بعد ان اهتدوا له بالمكابدات تخلصوا من مضيق
العسر الى فضاء اليسر وبرزوا من وهج الاجتهاد الى روح الاحوال فسبق اجتهادهم
كشوفهم والمرادون سبق كشوفهم اجتهادهم اخبرنا الشيخ الثقة ابو الفتح محمد بن
عبد الباقي قال انا ابو الفضل حمد بن احمد قال انا الحافظ ابو نعيم الاصفهاني قال ثنا
محمد بن الحسين بن موسى قال سمعت محمد بن عبد الله الرازي يقول سمعت ابا محمد الجريري
يقول سمعت الجنيد يقول ما اخذنا التصوف عن القيل والقال ولكن عن الجوع وترك

الدنيا وقطع المالوفات والمستحسنات وقال ابو عبد الله محمد بن خفيف الشيرازي
رحمه الله الارادة سمو القلب لطلب المراد وحقيقة الارادة استدامة الجد وترك
الراحة وقال ابو عثمن المريد هو الذي مات قلبه عن كل شيء دون الله فيريد الله وحده
ويريد قربه ويشتاق اليه حتى تذهب شهوات الدنيا عن قلبه لشدة شوقه الى ربه
وقال ايضا عقوبة قلب المريدين ان يحجبوا عن حقيقة المعاملات والمقامات الى
اضدادها فهذان الطريقان يجمعان احوال الصوفية ودونهما طريقان اخران ليسا
من طريق التحقق بالتصوف احدهما مجذوب ابتر على جذبته ما رد الى الاجتهاد
بعد الكشف والثاني مجتهد متعبد ما خلص الى الكشف بعد الاجتهاد والصوفية
في طريقهم بان مزيدهم وصحة طريقتهم بحسن المتابعة ومن ظن انه يبلغ غرضا او يظفر
بمراد لا من طريق المتابعة فهو مغرور مخذول اخبرنا شيخنا ابو النجيب السهروردي
قال انا عصام الدين عمر بن احمد الصفار قال انا ابو بكر بن احمد بن علي بن خلف
قال انا ابو عبد الرحمن قال سمعت نصر بن ابي نصر يقول سمعت قسيم غلام الزقاق
يقول سمعت ابا سعيد السكري يقول سمعت ابا سعيد الخراز يقول كل باطن
يخالفه ظاهر فهو باطل وكان يقول الجنيد علمنا هذا مشتبك بحديث رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم من امر السنة على نفسه قولا وفعلا نطق
بالحكمة ومن امر الهوى على نفسه قولا وفعلا نطق بالبدعة حكي ان ابا يزيد
البسطامي قال ذات يوم لبعض اصحابه قم بنا حتى ننظر الى هذا الرجل الذي قد شهر
نفسه بالولاية وكان الرجل في ناحيته مقصودا مشهورا بالزهد والعبادة قال
فمضينا فلما خرج من بيته يقصد المسجد رمى ببزاقه نحو القبلة فقال ابو يزيد
انصرفوا فانصرف ولم يسلم عليه وقال هذا رجل ليس بمامون على ادب من اداب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف يكون مامونا على ما يدعيه من مقامات الاولياء
والصديقين وسئل خادم الشبلي ماذا رايت منه عند موته فقال لما امسك
لسانه وعرق جبينه اشار الى ان وضئني للصلوة فوضيته فنسيت تخليل

لحيته

لحيته فقبض على يدي وادخل اصابعي في لحيته يخللها وقال سهل بن عبد الله
التستري كل وجد لا يشهد له الكتاب والسنة فباطل هذا حال الصوفية
وطريقهم وكل من يدعي حالا على غير هذا الوجه فمدعي مفتون كذاب

الباب الخامس في ماهية التصوف

اخبرنا الشيخ ابو زرعة طاهر بن ابي الفضل في كتابه قال انا ابو بكر احمد بن علي بن
خلف الشيرازي اجازة قال انا الشيخ ابو عبد الرحمن السلمي قال انا ابرهيم بن احمد بن محمد
ابن رجاء قال انا عبد الله بن احمد البغدادي قال انا عثمن بن سعيد قال انا عمر بن راشد
عن مالك بن انس عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل شيء
مفتاح ومفتاح الجنة حب المساكين والفقراء الصبر هم جلساء الله يوم القيامة
الفقر كائن في ماهية التصوف وهو اساسه وبه قوامه قال رويم التصوف مبني
على ثلث خصال التمسك بالفقر والافتقار والتحقق بالبذل والايثار وترك التعرض
والاختيار وقال الجنيد وقد سئل عن التصوف فقال ان تكون مع الله بلا علاقة
وقال معروف الكرخي التصوف الاخذ بالحقائق والياس مما في ايدي الخلائق
فمن لم يتحقق بالفقر لم يتحقق بالتصوف وسئل الشبلي عن حقيقة الفقر فقال
ان لا يستغني بشيء دون الحق وقال ابو الحسين النوري نعت الفقير السكون
عند العدم والبذل والايثار عند الوجود وقال بعضهم ان الفقير الصادق ليحترز
من الغنى حذرا ان يدخل عليه الغنى فيفسد فقره كما ان الغني يحترز من الفقر
حذرا ان يدخل عليه الفقر فيفسد عليه غناه وبالاسناد الذي سبق الى ابي
عبد الرحمن قال سمعت ابا عبد الله الرازي يقول سمعت مظفر القرميسيني يقول
الفقير الذي لا يكون له الى الله حاجة قال وسمعته يقول سالت ابا بكر المصري
عن الفقير فقال الذي لا يملك ولا يملك قوله لا يكون له الى الله حاجة معناه انه مشغول
بوظايف عبوديته تام الثقة بربه عالم بحسن كلايته لا يحوجه الى رفع الحاجة
لعلمه بعلم الله بحاله فيرى السوال في البين زيادة واقوال المشايخ تتنوع معانيها لانهم

اشاروا فيها الى احوال في اوقات دون اوقات ويحتاج في تفصيل بعضها من
البعض الى الضوابط وقد يذكر اشياء في معنى التصوف ذكر مثلها في معنى الفقر
ويذكر اشياء في معنى الفقر وذكر مثلها في معنى التصوف وحيث وقع الاشتباه فلا بد
من بيان فاصل يشتبه الاشارات في الفقر بمعنى الزهد تارة وبمعنى التصوف تارة
ولا يتبين للمسترشد بعضها من البعض فنقول التصوف غير الفقر والزهد غير
الفقر والتصوف غير الزهد فالتصوف اسم جامع لمعاني الفقر ومعاني الزهد
مع مزيد واضافات لا يكون بدونها الرجل صوفيا وان كان زاهدا وفقيرا قال
ابو حفص التصوف كله آداب لكل وقت ادب ولكل حال ادب ولكل مقام ادب
فمن لزم آداب الاوقات بلغ مبلغ الرجال ومن ضيع الآداب فهو بعيد من حيث
يظن القرب ومردود من حيث يرجو القبول وقال ايضا حسن ادب الظاهر عنوان
حسن ادب الباطن لان النبي صلى الله عليه وسلم قال لو خشع قلبه لخشعت جوارحه
اخبرنا الشيخ رضي الدين احمد بن اسمعيل اجازة قال انا الشيخ ابو المظفر عبد المنعم
قال انا والدي ابو القسم القشيري قال سمعت محمد بن احمد بن يحيى الصوفي يقول
سمعت عبد الله بن علي يقول سئل ابو محمد الجريري عن التصوف فقال الدخول
في كل خلق سني والخروج عن كل خلق دني فاذا عرف هذا المعنى في التصوف
من حصول الاخلاق وتبديلها واعتبرت حقيقته يعلم ان التصوف فوق الزهد
وفوق الفقر وقيل نهاية الفقر مع شرفه بداية التصوف واهل الشام لا يفرقون
بين التصوف والفقر يقولون قال الله تعالى للفقراء الذين احصروا في سبيل الله
لا يستطيعون ضربا في الارض هذا وصف الصوفية والله سماهم فقراء وساوضح
معنى يفترق الحال به بين التصوف والفقر نقول الفقير في فقره متمسك به متحقق
بفضله يؤثره على الغنى متطلعا الى ما يحقق من العوض عند الله حيث يقول رسول
الله صلى الله عليه وسلم يدخل فقراء امتي الجنة قبل الاغنياء بنصف يوم وهو خمسمائة
عام فكلما لاحظ العوض الباقي امسك عن الحاصل الفاني وعانق الفقر والقلة

وخشي زوال الفقر لفوات الفضيلة والعوض وهذا عين الاعتلال في طريق الصوفي
لانه تطلع الى الاعواض وترك لاجلها والصوفي يترك الاشياء لا للاعواض الموعودة
بل للاحوال الموجودة فانه ابن وقته وايضا ترك الفقير الحظ العاجل واغتنامه الفقر
اختيار منه وارادة والاختيار والارادة علة في حال الصوفي لان الصوفي صار قائما
في الاشياء بارادة الله لا بارادة نفسه فلا يرى فضيلة في صورة فقر ولا في صورة
غنى وانما يرى الفضيلة فيما يوفقه الحق فيه ويدخله عليه ويعلم الاذن من الله تعالى
في الدخول في الشيء وقد يدخل في صورة سعة مباينة للفقر باذن من الله ويرى
الفضيلة حينئذ في السعة لمكان اذن من الله فيه ولا تفتتح في السعة والدخول
فيها للصادقين الا بعد احكامهم علم الاذن وفي هذا مزلة الاقدام وباب دعوى
للمدعين وما من حال يتحقق به صاحب الحال الا وقد يحكيه صاحب المحال ليهلك
من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة فاذا اتضح ذلك ظهر الفرق بين الفقر
والتصوف وعلم ان الفقر اساس التصوف وبه قوامه على معنى ان الوصول الى
رتب التصوف طريقه الفقر لا على معنى انه يلزم من وجود التصوف وجود الفقر
قال الجنيد التصوف ان يميتك الحق عنك ويحييك به وهذا المعنى هو الذي ذكرناه
من كونه قائما في الاشياء بالله لا بنفسه والفقير والزاهد يكونان في الاشياء بنفسيهما
واقفان مع ارادتهما مجتهدان مبلغ علمهما والصوفي متهم لنفسه مستقل لعلمه
غير راكن الى معلومه قائم بمراد الله لا بمراد نفسه قال ذو النون الصوفي
من لا يتعبه طلب ولا يزعجه سلب وقال ايضا الصوفية آثروا الله تعالى على
كل شيء فآثرهم على كل شيء فكان من اشارتهم ان آثروا علم الله على علم نفوسهم
وارادة الله على ارادة نفوسهم قيل لبعضهم من اصحب من الطوائف قال الصوفية
فان للقبيح عندهم وجوها من المعاذير وليس للكثير عندهم يرفعونك به فيعجبك نفسك
وهذا علم لا يوجد عند الفقير والزاهد لان الزاهد يستعظم الترك ويستقبح
الاخذ وهكذا الفقير وذلك لضيق وعائهم ووقوفهم على حد علمهم وقال بعضهم

قال الخواص رحمه الله دواء القلوب خمسة اشياء قراءة القرآن بالتدبر واخلاء البطن وقيام الليل والتضرع عند السحر ومجالسة الصالحين

الصوفي من استقبله حالان حسنان وخلقان حسنان يكون مع الحسن والفقير
والزاهد لا امتيان كل التميز بين الخلقين الحسنين بل يختار من الاخلاق ايضا ما هو
الادعى الى الترك والخروج عن شواغل الدنيا حالما كان في ذلك بعلمهما والصوفي هو المستبين
الاحسن من عند الله بصدق النجابة وحسن انابته وحظ قربه ولطيف في توجه
وحزوجه الى الله الكريم لعلمه بربه وحظه من محادثته ومكالمته قال رويم التصوف
استرسال النفس مع الله تعالى على ما يريد وقال عمرو بن عثمان المكي التصوف ان يكون
العبد في كل وقت بما هو اولى في الوقت وقال بعضهم التصوف اوله علم واوسطه
عمل واخره موهبة من الله تعالى وقيل التصوف ذكر مع اجتماع ووجد مع استماع
وعمل مع اتباع وقيل التصوف ترك التصرف وبذل الروح وقال سهل بن عبد الله
التستري الصوفي من صفا من الكدر وامتلا من الفكر وانقطع الى الله من البشر واستوى
عنده الذهب والمدر وسئل بعضهم عن التصوف فقال تصفية القلب عن موافقة
البرية ومفارقة الاخلاق الطبيعية واخماد الصفات البشرية ومجانبة الدعاوي
النفسانية ومنازلة الصفات الروحانية والتعلق بعلوم الحقيقة واتباع الرسول
في الشريعة قال ذو النون المصري رايت ببعض سواحل الشام امراة فقلت من اين
اقبلت قالت من عند اقوام تتجافى جنوبهم عن المضاجع فقلت واين تريدين قالت
الى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله فقلت صفيهم لي فانشات

قوم همومهم بالله قد علقت   فما لهم همم تسمو الى احد
فمطلب القوم مولاهم وسيدهم   يا حسن مطلبهم للواحد الصمد
ما ان تنازعهم دنيا ولا شرف   من المطاعم واللذات والولد
ولا للبس ثياب فائق انق   ولا لروح سرور حل في بلد
الا مسارعة في اثر منزلة   قد قارب الخطو فيها باعد الابد
فهم رهائن غدران واودية   وفي الشوامخ تلقاهم مع العدد

وقال الجنيد ايضا الصوفي كالارض يطرح عليها كل قبيح ولا يخرج منها
الا كل مليح وقال هو كالارض يطاها البر والفاجر وكالسحاب يظل كل شيء
وكالقطر يسقي كل شيء واقوال المشايخ في ماهية التصوف تزيد على الف
قول ويطول نقلها ونذكر ضابطا يجمع جمل معانيها فان الالفاظ وان اختلفت
فهي متقاربة المعاني فنقول الصوفي هو الذي يكون دايم التصفية لا يزال يصفي
الاوقات عن شوب الاكدار بتصفية القلب عن شوب النفس ويعينه على هذه
التصفية دوام افتقاره الى مولاه فبدوام الافتقار يتفطن للكدر وكلما
تحركت النفس وظهرت بصفة من صفاتها ادركها ببصيرته النافذة وفر منها
الى ربه فبدوام تصفيته جمعيته وبحركة نفسه تفرقته وكدره فهو قايم بربه
على قلبه وقايم بقلبه على نفسه قال الله تعالى كونوا قوامين لله شهداء بالقسط
وهذه القوامية لله على النفس هو التحقق بالتصوف قال بعضهم التصوف
كله اضطراب فاذا وقع السكون فلا تصوف والسر فيه ان الروح منجذبة
الى الحضرة الالهية يعني روح الصوفي متطلعة منجذبة الى مواطن القرب
وللنفس بوضعها رسوب الى عالمها وانقلاب على عقبها ولا بد للصوفي من
دوام الحركة بدوام الافتقار ودوام الفرار وحسن التفقد لمواقع اضافات
النفس ومن وقف على هذا المعنى يجد في معنى الصوفي جميع المتفرق في الاشارات

الباب الثالث في ذكر تسميتهم بهذا الاسم

اخبرنا الشيخ ابو زرعة طاهر بن محمد بن طاهر قال اخبرني والدي قال انا ابو علي
الشافعي بمكة حرسها الله قال انا احمد بن ابراهيم قال انا ابو جعفر محمد بن ابراهيم قال
انا ابو عبد الله المخزومي قال انا سفيان عن مسلم انه سمع انس بن مالك يقول كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يجيب دعوة العبد ويركب الحمار ويلبس الصوف
فمن هذا الوجه ذهب قوم الى انهم سموا صوفية نسبة لهم الى ظاهر اللبسة
لانهم اختاروا لبس الصوف لكونه ارفق ولكونه كان لباس الانبياء عليهم السلام روي
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال مر بالصخرة من الروحاء سبعون نبيا حفاة

عليهم العباء يؤمون البيت الحرام وقيل ان عيسى عليه السلام كان يلبس الصوف
والشعر ويأكل من الشجر ويبيت حيث امسى وقال الحسن البصري لقد ادركت سبعين
بدريا كان لباسهم الصوف ووصفهم ابو هريرة وفضالة بن عبيد فقالا كانوا يخرون
من الجوع حتى يحسبهم الاعراب مجانين وكان لباسهم الصوف حتى ان بعضهم كان
يعرق في ثوبه فيوجد منه رائحة الضان اذا اصابه الغيث وقال بعضهم انه
ليؤذيني ريح هولاء اما يؤذيك ريحهم يخاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك
وكان اختيارهم لبس الصوف لتركهم زينة الدنيا وقناعتهم بسد الجوعة وستر
العورة واستغراقهم في امر الآخرة فلم يتفرغوا لملاذ النفوس وراحاتها لشدة تحقق
ايمانهم وشغلهم بخدمة مولاهم وانصراف همهم الى امر الآخرة وهذا الاختيار يلائم ويناسب
من حيث الاشتقاق لانه يقال تصوف اذا لبس الصوف كما يقال تقمص اذا لبس
القميص ولما كان حالهم بين سر وطي لتقلبهم في الاحوال وارتقائهم من عالي
الى اعلى منه لا تقيدهم وصف ولا يحبسهم نعت وابواب المزيد علما وحالا عليهم
مفتوحة بواطنهم معدن الحقايق ومجمع العلوم فلما تعذر تقييدهم بحال تنوع
وجدانهم وتجنس مزيدهم نسبوا الى ظاهر اللبسة فكان ذلك ابين في الاشارة اليهم
وادعى الى حصر وصفهم لان لبس الصوف كان غالبا على المتقدمين من سلفهم وايضا
لان حالهم حال المقربين كما سبق ذكره ولما كان الاعتزاء الى القرب وعظم الاشا
الى قرب الله تعالى امر صلف يعسر كشفه والاشارة اليه وقعت الاشارة الى زيهم
سترا لحالهم وغيرة على عزيز مقامهم ان تكثر الاشارة اليه وتتداوله الالسنة فكان
هذا اقرب الى الادب والادب في الظاهر والباطن والقول والفعل عماد امر
الصوفية وفيه معنى آخر وهو ان نسبتهم الى اللبسة تنبئ عن تقللهم من الدنيا وزهدهم
فيما تدعو النفس اليه بالهوى من الملبوس الناعم حتى ان المبتدئ المريد الذي يؤثر طريقهم
ويحب الدخول في امرهم يوطن نفسه على التقشف والتقلل ويعلم ان المأكول ايضا
من جنس الملبوس فيدخل في طريقهم على بصيرة وهذا امر مفهوم معلوم عند المبتدي

الثقفي يقول سمعت يحيى بن سعيد يقول حدثني عبادة بن الوليد بن عبادة بن
الصامت قال اخبرني ابي عن ابيه قال بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره وان لا تنازع الامر
اهله وان نقول بالحق حيث كنا ولا نخاف في الله لومة لائم ففي الخرقة
معنى المبايعة والخرقة عتبة الدخول في الصحبة والمقصود الكلي هو الصحبة
وبالصحبة يرجى للمريد كل خير روي عن ابي يزيد انه قال من لم يكن له استاذ
فامامه الشيطان وحكى الاستاذ ابو القسم القشيري عن شيخه ابي علي الدقاق
انه قال الشجرة اذا نبتت بنفسها من غير غارس فانها تورق ولا تثمر وهو كما قال
ويجوز انها تثمر كالاشجار التي في الاودية والجبال ولكن لا يكون لفاكهتها
طعم فاكهة البساتين والغرس اذا نقل من موضع الى موضع آخر يكون احسن
واكثر ثمرة لدخول التصرف فيه وقد اعتبر الشرع وجود التعليم في الكلب المعلم
واحل ما يقتله بخلاف غير المعلم وسمعت كثيرا من المشايخ يقولون من لم ير مفلحا
لا يفلح ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم اسوة حسنة واصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم تلقوا العلوم والاداب من رسول الله صلى الله عليه وسلم
كما روي عن بعض الصحابة علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كل شيء حتى
الخراءة فالمريد الصادق اذا دخل تحت حكم الشيخ وصحبه وتأدب بآدابه يسري
من باطن الشيخ حال الى باطن المريد كسراج يقتبس من سراج وكلام الشيخ
يلقح باطن المريد ويكون مقال الشيخ مستودع نفائس الحال وينتقل الحال
من الشيخ الى المريد بواسطة الصحبة وسماع المقال ولا يكون هذا الا لمريد
حصر نفسه مع الشيخ وانسلخ من ارادة نفسه ويفنى في الشيخ بترك اختيار
نفسه فبالتاليف الالهي يصير بين الصاحب والمصحوب امتزاج وارتباط بالنسبة
الروحية والطهارة الفطرية ثم لا يزال المريد مع الشيخ كذلك متأدبا بترك
الاختيار حتى يترقى من ترك الاختيار مع الشيخ الى ترك الاختيار مع الله تعالى

ويفهم من الله كما كان يفهم من الشيخ وحبذا هذا الخبر كله الصحبة والملازمة للشيوخ والخرقة مقدمة ذلك ووجه لبس الخرقة من السنة ما اخبرنا الشيخ ابو زرعة عن ابيه الحافظ المقدسي قال انا ابو بكر احمد بن علي بن خلف الاديب بنيسابور قال انا الحاكم ابو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ قال انا محمد بن اسحق قال انا ابو مسلم ابرهيم بن عبد الله المصري قال انا ابو الوليد قال ثنا اسحق ابن سعيد قال اخبرني ابي قال حدثتني ام خالد بنت خالد قالت اتى النبي صلى الله عليه وسلم بثياب فيها خميصة سوداء صغيرة فقال من ترون اكسو هذه فسكت القوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايتوني بام خالد قالت فاتي بي فالبسنيها بيده وقال ابلي واخلقي يقولها مرتين وجعل ينظر الى علم في الخميصة اصفر واحمر ويقول يا ام خالد هذا سنا والسنا هو الحسن بلسان الحبشة ولا خفا بان لبس الخرقة على الهيئة التي يعتمدها الشيوخ في هذا الزمان لم يكن في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه الهيئة والاجتماع لها والاعتداد بها من استحسان الشيوخ واصله من الحديث ما رويناه والشاهد لذلك ايضا التحكيم الذي ذكرناه واي اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم اتم واكد من الاقتداء به في دعاء الخلق الى الحق وقد ذكر الله تعالى في كلامه القديم تحكيم الامة رسول الله وتحكيم المريد شيخه احياء سنة ذلك التحكيم قال الله تعالى فلا وربك لا يومنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما وسبب نزول الاية ان زبير بن العوام اختصم هو وآخر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في شراج من الحرة والشراج مسيل الماء كانا يسقيان به النخل فقال عليه الصلوة والسلام للزبير اسق يا زبير ثم ارسل الماء الى جارك فغضب الرجل وقال قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن عمته فانزل الله تعالى هذه الاية يعلم فيها الادب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرط عليهم في الاية التسليم وهو الانقياد ظاهرا ونفي الحرج وهو الانقياد

باطنا

باطنا وهذا شرط المريد مع الشيخ بعد التحكيم بلبس الخرقة يزيل اتهام الشيخ عن باطنه في جميع تصاريفه ويحذر الاعتراض على الشيوخ فانه السم القاتل للمريدين وقل ان يكون المريد يعترض على الشيخ بباطنه فيفلح ويذكر المريد في كل ما اشكل عليه من تصاريف الشيخ قصة موسى مع الخضر كيف كان يصدر من الخضر تصاريف ينكرها موسى ثم لما كشف له عن معناها بان لموسى وجه الصواب في ذلك فهكذا ينبغي للمريد ان يعلم ان كل تصرف اشكل عليه صحته من الشيخ عند الشيخ فيه بيان وبرهان للصحة ويد الشيخ في لبس الخرقة ينوب يد رسول الله صلى الله عليه وسلم وتسليم المريد له تسليم لله ورسوله قال الله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم فمن نكث فانما ينكث على نفسه ويأخذ الشيخ على المريد عهد الوفاء بشرائط الخرقة ويعرفه حقوق الخرقة فالشيخ للمريد صورة يستشف المريد من وراء هذه الصورة المطالبات الالهية والمراضي النبوية وليعتقد المريد ان الشيخ باب فتحه الله تعالى الى جناب كرمه منه يدخل واليه يرجع وينزل بالشيخ سوانحه ومهامه الدينية والدنيوية ويعتقد ان الشيخ ينزل بالله الكريم ما ينزل المريد به ويرجع في ذلك الى الله للمريد كما يرجع المريد اليه وللشيخ باب مفتوح من المكالمة والمحادثة في النوم واليقظة ولا يتصرف الشيخ في المريد بهواه فهو امانة الله عنده ويستغيث الى الله لحوائج المريد كما يستغيث لحوائج نفسه ومهام دينه ودنياه قال الله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا فارسال الرسول يختص بالانبياء والوحي كذلك والكلام من وراء الحجاب بالالهام والهواتف والمنام وغير ذلك للشيوخ والراسخين في العلم واعلم ان للمريدين مع الشيوخ اوان ارتضاع واوان فطام وقد سبق شرح الولادة المعنوية فاوان الارتضاع اوان لزوم الصحبة والشيخ يعلم وقت ذلك فلا ينبغي للمريد

ان يفارق الشيخ الا باذنه قال الله تعالى تاديبا للامة انما المؤمنون
الذين آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على امر جامع لم يذهبوا حتى
يستاذنوه ان الذين يستاذنونك اولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله
فاذا استاذنوك لبعض شانهم فاذن لمن شئت منهم واي امر جامع اعظم
من امر الدين فلا ياذن الشيخ للمريد في المفارقة الا بعد علمه بان له اوان
الفطام وانه يقدر ان يستقل بنفسه واستقلاله بنفسه ان ينفتح له باب الفهم
من الله تعالى فاذا بلغ المريد رتبة انزال الحوائج والمهام بالله والفهم من
الله تعالى بتعريفاته وتنبيهاته سبحانه وتعالى لعبده السائل المحتاج فقد
بلغ اوان فطامه ومتى فارق قبل اوان فطامه يناله من الاعلال في الطريق
بالرجوع الى الدنيا ومتابعة الهوى ما ينال المفطوم لغير اوانه في الولادة
الطبيعية وهذا اللازم بصحبة المشايخ للمريد الحقيقي والمريد الحقيقي
يلبس خرقة الارادة واعلم ان الخرقة خرقتان خرقة الارادة وخرقة
التبرك والاصل الذي قصده المشايخ للمريدين خرقة الارادة وخرقة التبرك
تشبه بخرقة الارادة فخرقة الارادة للمريد الحقيقي وخرقة التبرك للمتشبه
ومن تشبه بقوم فهو منهم وسر الخرقة ان الطالب الصادق اذا دخل في
صحبة المشايخ وسلم نفسه وصار كالولد الصغير مع الوالد يربيه الشيخ
بعلمه المستمد من الله تعالى بصدق الافتقار وحسن الاستقامة ويكون
للشيخ بنفوذ بصيرته الاشراف على البواطن فقد يكون المريد يلبس الخشن
كثياب المتقشفين المتزهدين وله في تلك الهيئة من الملبوس هوى كامن
في نفسه ليرى بعين الزهادة فاشد ما على هذا لبس الناعم وللنفس هوى واختيار
في هيئة مخصوصة من الملبوس في قصر الكم والذيل وطوله وخشونته
ونعومته على قدر حسبانها وهواها فيلبس الشيخ لمثل هذا الراكن لتلك
الهيئة ثوبا يكسر بذلك على نفسه هواها وغرضها وقد يكون على المريد

ملبوس

واستغفر لهم الله

ما يناله

وخشونة الثوب

تشربت

ملبوس ناعم او هيئة في الملبوس تشربت النفس تلك الهيئة بالعادة فيلبسه الشيخ
ما يخرج النفس من عادتها وهواها فتصرف الشيخ في الملبوس كتصرفه في المطعوم
وكتصرفه في صوم المريد وافطاره وكتصرفه في امر دينه الى ما يرى له المصلحة
من دوام الذكر او دوام الشغل بالصلوة او دوام التلاوة او دوام الخدمة وكتصرفه
فيه برده الى الكسب او الفتوح او غير ذلك فللشيخ اشراف على البواطن وتنوع
الاستعدادات فيامر كل مريد من امر معاشه ومعاده بما يصلح له ولتنوع
الاستعدادات تنوعت مراتب الدعوة قال الله تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة
والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن فالحكمة رتبة في الدعوة والموعظة
كذلك والمجادلة كذلك فمن يدعى بالحكمة لا يدعى بالموعظة ومن يدعى بالموعظة
لا تصلح دعوته بالحكمة فهكذا الشيخ يعلم من هو على وضع الابرار ومن هو
على وضع المقربين ومن يصلح لدوام الذكر ومن يصلح لدوام الصلوة ومن له
هوى في التخشن او في التنعم فيخلع المريد من عادته ويخرجه من مضيق هوى
نفسه ويطعمه باختياره ويلبسه باختياره ثوبا يصلح له وهيئة تصلح له يداوي
بالخرقة المخصوصة والهيئة المخصوصة داء هواه ويتوخى بذلك تقريبه الى
رضا مولاه فالمريد الصادق الملتهب باطنه بنار الارادة يطلب في بدو امره وحدة
ارادته كالملسوع الحريص على من يرقيه ويداويه فاذا صادف شيخا انبعث
من باطن الشيخ صدق العناية به لاطلاعه عليه وينبعث من باطن المريد صدق
المحبة فتتالف القلوب وتتشام الارواح وظهور سر الالفة فيهما بجمعهما
لله في الله بالله فيكون القميص الذي يلبس المريد خرقة تبشر المريد بحسن عناية
الشيخ فيه فيعمل عند المريد عمل قميص يوسف عند يعقوب عليهما السلام وقد
نقل ان ابرهيم الخليل عليه السلام حين القي في النار جرد من ثيابه وقذف
في النار عريانا فاتاه جبريل بقميص من حرير الجنة والبسه اياه وكان ذلك
عند ابرهيم فلما مات ورثه اسحق فلما مات ورثه يعقوب فجعل يعقوب

مصراع
العبد يقرع بالعصا والحكمة الاشارة

ومن يصلح لدوام الفكر

وجدة

ذلك القميص في وجعله في عنق يوسف وكان لا يفارقه فلما القي في البير عريانا
جاءه جبريل وكان عليه التعويذ فاخرج القميص منه والبسه اياه اخبرنا
الشيخ العالم رضي الدين احمد بن اسمعيل القزويني اجازة قال انا ابو سعيد محمد بن
ابي العباس قال انا القاضي محمد بن سعيد قال انا ابو اسحق احمد بن محمد قال اخبرنا ابن
فنجويه الحسين بن محمد قال ثنا مخلد بن جعفر قال ثنا الحسين بن علوية قال ثنا
اسمعيل بن عيسى قال ثنا اسحق بن بشر عن ابن السدي عن ابيه عن مجاهد
قال كان يوسف اعلم بالله عز وجل من ان لا يعلم ان قميصه لا يرد على
يعقوب بصره ولكن كان ذلك قميص ابرهيم وذكر ما ذكرناه قال فامره
جبريل ان ارسل بقميصك فان فيه ريح الجنة لا يقع على مبتلى او سقيم الا
صح وعوفي فيكون الخرقة عند المريد الصادق متحملة اليه عرف الجنة
لما عنده من الاعتداد بالصحبة لله ويرى لبس الخرقة من عناية الله به وفضل
الله فاما خرقة التبرك يطلبها من مقصوده التبرك بزي القوم ومثل هذا
لا يطالب بشرايط الصحبة بل يوصى بلزوم حدود الشرع ومخالطة
هذه الطايفة ليعود عليه بركتهم ويتادب باداتهم فسوف يرقيه ذلك
الى الاهلية لخرقة الارادة فعلى هذا خرقة التبرك مبذولة لكل طالب وخرقة
الارادة ممنوعة الا من الصادق الراغب ولبس الازرق من استحسان الشيوخ
في الخرقة فان راى شيخ ان يلبس مريدا غير الازرق فليس لاحد ان يعترض عليه
لان المشايخ اراؤهم فيما يفعلون بحكم الوقت وكان شيخنا يقول كان الفقير
يلبس قصير الاكمام ليكون اعون على الخدمة ويجوز للشيخ ان يلبس المريد خرقا
في دفعات على قدر ما يتلمح له من المصلحة للمريد في ذلك على ما اسلفناه من
مداواة هواه بالملبوس والملون يختار لانه ارفق للفقير لكونه يحمل الوسخ
ولا يحتاج الى زيادة الغسل لهذا المعنى فحسب وما عدا هذا من الوجوه التي
يذكرها بعض المتصوفة في ذلك كلام اقناعي من كلام المتصنعين ليس من الدين

والحقيقة شيء سمعت الشيخ سديد الدين ابا الفخر الهمذاني قال كنت
ببغداد عند ابو بكر الشروطي فخرج الينا فقير من زاويته عليه ثوب
وسخ فقال له بعض الفقراء لم لا تغسل ثوبك فقال يا اخي ما انفرغ فقال
الشيخ ابو الفخر لا ازال اتذكر قول الفقير ما انفرغ لانه كان صادقا
في ذلك واجد لذة لقوله وبركة بتذكاري ذلك فاختاروا الملون
لهذا المعنى لانهم من رعاية وقتهم في شغل شاغل والا فاي ثوب البس الشيخ
المريد من ابيض وغيره ذلك فللشيخ ولاية ذلك بحسن مقصده ووفور علمه
وقد راينا من المشايخ من لا يلبس الخرقة ويسلك باقوام من غير لبس الخرقة ويوخذ
منه العلوم والاداب وقد كان طبقة من السلف الصالحين لا يعرفون
الخرقة ولا يلبسونها المريدين فمن يلبسها فله مقصود صحيح واصل من السنة
وشاهد من الشرع ومن لا يلبسها فله رايه وله في ذلك مقصد صحيح وكل
تصاريف المشايخ محمولة على السداد والصواب والخلو عن نية صالحة فيه
والله تعالى ينفع بهم وباثارهم ان شا الله وحده العزيز

الباب الثالث عشر في فضيلة سكان الربط

قال الله تعالى في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها
بالغدو والاصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلوة
وايتاء الزكوة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار قيل ان هذه
البيوت هي المساجد وقيل بيوت المدينة وقيل بيوت النبي صلى الله عليه وسلم
وقيل لما نزلت هذه الاية قام ابو بكر وقال يا رسول الله هذه البيوت منها بيت
علي وفاطمة قال نعم افضلها وقال الحسن هي بقاع الارض كلها جعلت مسجدا
لرسول الله صلى الله عليه وسلم فعلى هذا الاعتبار بالرجال الذاكرين لا بصور
البقاع واي بقعة حوت رجالا بهذا الوصف هي البيوت التي اذن الله ان
ترفع روي انس بن مالك انه قال ما من صباح ولا رواح الا وبقاع الارض ينادي

بعضها بعضا هل مر بك اليوم احد صلى عليك او ذكر الله عليك فمن قايلة نعم
ومن قائلة لا فاذا قالت نعم علمت ان لها عليها بذلك فضلا وما من عبد ذكر الله
على بقعة من الارض او صلى لله عليها الا شهدت له بذلك عند ربه وبكت عليه
يوم يموت وقيل في قوله تعالى فما بكت عليهم السماء والارض تنبيه على فضيلة
اهل ذكر الله تعالى من اهل طاعته لان الارض تبكي عليهم ولا تبكي على من ركن
الى الدنيا واتبع الهوى فسكان الرباط من الرجال لانهم ربطوا انفسهم على
طاعة الله وانقطعوا الى الله فاقام الله لهم الدنيا خادمة روى عمران بن
حصين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من انقطع الى الله كفاه الله
مؤنته ورزقه من حيث لا يحتسب ومن انقطع الى الدنيا وكله الله اليها
واصل الرباط ما يربط فيه الخيول ثم قيل لكل ثغر يدفع اهله عمن وراءهم
رباط فالمجاهد المرابط يدفع عمن وراءه والمقيم في الرباط على طاعة الله
يدفع به وبدعائه البلاء عن العباد والبلاد اخبرنا الشيخ العالم رضي الدين
ابو الخير احمد بن اسمعيل القزويني اجازة قال انا ابو سعد محمد بن ابي العباس
الخليلي قال انا القاضي محمد بن سعيد الفرخزاذي قال انا ابو اسحق احمد بن محمد
قال انا الحسين بن محمد قال انا ابو بكر بن خرجة قال ثنا عبد الله بن احمد بن حنبل
قال حدثني ابو حميد الحمصي قال انا يحيى بن سعيد القطان قال نا حفص بن
سليمان عن محمد بن سوقة عن وبرة بن عبد الرحمن عن ابن عمر قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى ليدفع بالمسلم الصالح عن مائة من اهل بيته
ومن جيرانه البلاء وروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لولا عباد لله ركع
وصبية رضع وبهائم رتع لصب عليكم العذاب صبا ثم رض رضا وروى
جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ليصلح بصلاح
الرجل ولده وولد ولده واهل دويرته ودويرات حوله ولا يزالون في حفظ
الله ما دام فيهم وروى داود بن صالح قال قال لي ابو سلمة بن عبد الرحمن يا ابن اخي

هل تدري في اي شيء نزلت هذه الآية اصبروا وصابروا ورابطوا فلت لا
قال يا ابن اخي لم يكن في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم غزو يرابط فيه
الخيل ولكنه انتظار الصلوة بعد الصلوة فالرباط لجهاد النفس والمقيم
في الرباط مرابط مجاهد نفسه قال الله تعالى وجاهدوا في الله حق
جهاده قال عبد الله بن المبارك هو مجاهدة النفس والهوى وذلك حق
الجهاد وهو الجهاد الاكبر على ما ورد في الخبر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال حين رجع من بعض غزواته رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر
وقيل ان بعض الصالحين كتب اليه اخ له يستدعيه الى الغزو فكتب اليه
يا اخي كل الثغور مجتمعة لي في بيت واحد والباب علي مردود فكتب اليه
اخوه لو كان الناس كلهم لزموا ما لزمته اختلت امور المسلمين وغلبت الكفار
ولا بد من الغزو والجهاد فكتب اليه يا اخي لو لزم الناس ما انا عليه لقالوا في
زواياهم على سجاداتهم الله اكبر انهدم سور قسطنطينية وقال بعض
الحكماء ارتفاع الاصوات في بيوت العبادات بحسن النيات وصفاء الطويات
يحل ما عقدته الافلاك الدايرات فاجتماع اهل الربط اذا صح على الوجه
الموضوع له الربط وتحقق اهل الربط بحسن المعاملة ورعاية الاوقات
وتوقي ما يفسد الاعمال واعتماد ما يصحح الاحوال عادت البركة على العباد
والبلاد قال سري السقطي في قوله تعالى اصبروا وصابروا ورابطوا اصبروا
عن الدنيا رجاء السلامة وصابروا عند القتال بالثبات والاستقامة ورابطوا
اهواء النفس اللوامة واتقوا ما يعقب لكم من الندامة لعلكم تفلحون غدا على
بساط الكرامة وقيل اصبروا على بلائي وصابروا على نعمائي ورابطوا في دار
اعدائي واتقوا محبة من سوائي وهذه شرائط ساكني الرباط قطع المعاملة
مع الخلق وفتح المعاملة مع الحق وترك الاكتساب اكتفاء بكفالة مسبب الاسباب
وحبس النفس عن المخالطات واجتناب التبعات وعانق ليله ونهاره العبادة

متعوّضا بها عن كل عادة شغله حفظ الاوقات وملازمة الاوراد وانتظار
الصلوة واجتناب الغفلات ليكون مرابطا مجاهدا احدثنا شيخنا ابو النجيب
السهروردى قال انا ابن نبهان محمد الكاتب قال انا الحسن بن شاذان قال انا دعلج
قال انا البغوى عن ابى عبيد القسم بن سلّام قال ثنا صفوان عن الحرث عن سعيد بن
المسيب عن على بن ابى طالب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسباغ الوضوء
فى المكاره واعمال الاقدام الى المساجد وانتظار الصلوة بعد الصلوة تغسل
الخطايا غسلا وفى رواية الا اخبركم بما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات
قالوا بلى يا رسول الله قال اسباغ الوضوء فى المكاره وكثرة الخطى الى المساجد
وانتظار الصلوة بعد الصلوة فذلكم الرباط والله اعلم

الباب الرابع عشر فى مشابهة اهل الرباط باهل الصفة

قال الله تعالى لمسجد اسس على التقوى من اول يوم احق ان تقوم فيه فيه رجال
يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين وصف اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم قيل لهم ماذا كنتم تصنعون حتى اثنى الله عليكم بهذا الثناء قالوا كنا
نتبع الماء الحجر فهذا واشباهه من الاداب وظيفة صوفية الربط يلازمونه
ويتعاهدونه والرباط بيتهم ومنزلهم ولكل قوم دار والرباط دارهم وقد شابهوا
اهل الصفة فى ذلك على ما اخبرنا ابو زرعة عن ابيه الحافظ المقدسى قال انا
احمد بن محمد البزاز قال انا عيسى بن على الوزير قال ثنا عبد الله البغوى قال ثنا
وهب بن بقية قال ثنا خالد بن عبد الله عن داود بن ابى هند عن ابى حرب بن ابى
الاسود عن طلحة قال كان الرجل اذا قدم المدينة وكان له بها عريف نزل على
عريفه فان لم يكن له بها عريف نزل الصفة وكنت فيمن نزل الصفة فالقوم فى الرباط
مرابطون متفقون على قصد واحد وعزم واحد واحوال متناسبة ووضع
الرباط لهذا المعنى ان يكون سكانه بوصف ما قال الله تعالى ونزعنا ما فى صدورهم
من غل اخوانا على سرر متقابلين والمقابلة باستواء السر والعلانية ومن اضمر

لاخيه

مقابلة

لاخيه غلا فليس بمقابله وان كان وجهه اليه فاهل الصفة هكذا كانوا لان منشاء
الغل والحقد وجود الدنيا وحب الدنيا راس كل خطيئة فاهل الصفة رفضوا
الدنيا وكانوا لا يرجعون الى ضرع ولا الى زرع فزالت الاحقاد والغل عن بواطنهم
وهكذا اهل الربط متقابلون بظواهرهم وبواطنهم مجتمعون على الالفة
والمودة يجتمعون للكلام ويجتمعون للطعام ويتعرفون بركة الاجتماع روى
وحشى بن حرب عن ابيه عن جده انهم قالوا يا رسول الله انا ناكل ولا نشبع قال
لعلكم تفترقون على طعامكم اجتمعوا واذكروا الله يبارك لكم فيه روى
انس بن مالك قال ما اكل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خوان ولا فى سكرجة ولا خبز
له مرقق فقيل فعلى اى شئ كانوا ياكلون قال على السفر فالعباد والزهاد طلبوا
الانفراد لدخول الافات عليهم بالاجتماع وكون نفوسهم تفيق للاهوية والخوض
فيما لا يعنى فراوا السلامة فى الوحدة فالصوفية لقوة علمهم وصحة حالهم نزع عنهم
ذلك فراوا الاجتماع فى بيوت الجماعة على السجادة فسجادة كل واحد زاويته
كل واحد همه ولعل الواحد منهم لا يتخطى همه سجادته ولهم فى اتخاذ السجادة وجه
من السنة روى ابو سلمة بن عبد الرحمن عن عايشة قالت كنت اجعل لرسول الله
صلى الله عليه وسلم حصيرا يصلى عليه فى من الليل وروت ميمونة زوجة النبى
صلى الله عليه وسلم قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبسط له الخمرة
فى المسجد حتى يصلى عليها فالرباط يحتوى على شبان وشيوخ واصحاب خدمة
وارباب خلوة فللمشايخ الزوايا اليق نظرا الى ما تدعوا اليه النفس من النوم
والراحة والاستبداد بالحركات والسكنات فللنفس شوق الى التفرد والاسترسال
فى وجوه الرفق والشاب يضيق عليه مجال النفس بالقعود فى بيت الجماعة ولا انكشاف
لنظر الاغيار لتكثر العيون عليه فيتقيد ويتادب ولا يكون هذا الا اذا كان
جمع الرباط فى بيت الجماعة مهتمين بحفظ الاوقات وضبط الانفاس وحراسة
الحواس كما كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل امرئ منهم يومئذ شان

يغنيه كان عندهم من همة الآخرة ما يشغلهم عن اشتغال البعض بالبعض وهكذا ينبغي لاهل الصدق والصوفية ان يكون اجتماعهم غير مضر بوقتهم فاذا تخلل اوقات الشبان اللغو واللغط فالاولى ان يلزم الشاب الطالب الوحدة والعزلة ويوثر الشيخ الشاب بزاويته وموضع خلوته ليحبس الشاب نفسه عن دواعي الهوى والخوض فيما لا يعني ويكون الشيخ في بيت الجماعة لقوة حاله وصبره على مداراة الناس وتخلصه من تبعات المخالطة وحضوره ووقاره بين الجمع فينضبط به الغير ولا يتكدر هو واما الخدمة فشان من دخل الرباط مبتديا ولم يذق طعم المعاملة ولا يتنبه لنفايس الاحوال فيومر بالخدمة لتكون عبادته خدمته ويجذب بحسن الخدمة قلوب اهل الله اليه فتشمله بركة ذلك ويعين الاخوان المشتغلين بالعبادة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المومنون اخوة يطلب بعضهم الى البعض الحوائج فيقضي بعضهم لبعض الحوائج يقضي الله لهم حاجاتهم يوم القيامة فيتحفظ بالخدمة عن البطالة التي تميت القلب والخدمة عند القوم من جملة العمل الصالح ومن طريق من طرق المواجيد تكسبهم الاوصاف الجميلة والاحوال الحسنة ولا يرون استخدام من ليس من جنسهم ولا متطلعا الى الاهتداء بهديهم اخبرنا الشيخ ابو الفتح قال انا ابو الفضل حمد بن احمد قال انا الحافظ ابو نعيم قال ثنا سليمان بن احمد قال ثنا علي بن عبد العزيز قال ثنا ابو عبيد قال ثنا عبد الرحمن بن مهدي عن شريك عن ابي هلال الطائي عن وثيق الرومي قال كنت مملوكا لعمر بن الخطاب رضي الله عنه وكان يقول لي اسلم فانك ان اسلمت استعنت بك على امانة المسلمين فانه لا ينبغي ان استعين على اماناتهم من ليس منهم فابيت فقال عمر لا اكراه في الدين فلما حضرته الوفاة اعتقني فقال اذهب حيث شئت فالقوم يكرهون خدمة الاغيار ويابون مخالطتهم ايضا فان من الاجانب عن طريقهم ربما استضر بالنظر اليهم اكثر مما ينتفع فانهم بشر وتبدو منهم امور تقتضي طبع البشر وينكرها الغير لقلة علمه بمقاصدهم فيكون اباوهم لموضع الشفقة على الخلق لا من طريق التعزز والترفع على احد من المسلمين والشاب

الطالب اذا خدم اهل الله والمشغولين بطاعته يشاركهم في الثواب وحيث لم يومل لاحوالهم السنية يخدم من اهل لها فخدمته لاهل القرب علامة حب الله تعالى اخبرنا الثقة ابو الفتح محمد بن سليمان قال انا ابو الفضل حمد بن احمد قال انا الحافظ ابو نعيم قال انا ابو بكر بن خلاد قال ثنا الحرث بن ابي اسامة قال ثنا معوية بن عمرو قال ثنا ابو اسحق عن حميد عن انس بن مالك قال لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك قال حين دنا من المدينة ان بالمدينة اقواما ما سرتم من مسير ولا قطعتم واديا الا كانوا معكم قالوا وهم بالمدينة قال نعم حبسهم العذر فالقايم بخدمة القوم تعوق عن بلوغ درجتهم بعذر القصور وعدم الاهلية فحام حول الحمى باذلا مجهوده بالخدمة يتعلل بالاثر حيث منع النظر فجزاه الله على ذلك احسن الجزاء وانا له من جزيل العطاء وهكذا كان اهل الصفة يتعاونون على البر والتقوى ويجتمعون على المصالح الدينية ومواساة الاخوان بالمال والبذل

الباب الخامس عشر في خصايص اهل الربط فيما يتعاهدونه ويختصون

اعلم ان تاسيس هذه الربط من زينة هذه الملة الهادية المهدية ولسكان الربط احوال تميزوا بها عن غيرهم من الطوايف وهم على هدى من ربهم قال الله تعالى اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وما يرى من التقصير في حق البعض من اهل زماننا والتخلف عن طريق سلفهم لا يقدح في اصل امرهم وصحة طريقهم وهذا القدر الباقي من الاثر واجتماع المتصوفة في الربط وما هيا الله لهم من الرفق جمعية بواطن المشايخ الماضين واثر من اثار منح الحق في حقهم وصورة الاجتماع في الربط الان على طاعة الله تعالى والترسم بظاهر الادب عكس نور الجمعية من بواطن الماضين وسلوك الخلف في منهاج السلف فهم في الربط كجسد واحد بقلوب متفقة وعزايم متحدة ولا يوجد هذا في غيرهم من الطوايف قال الله تعالى في وصف المومنين كانهم بنيان مرصوص وبعكس ذلك وصف الاعداء فقال تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى روى النعمان بن بشير قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم

يقول انما المومنون كرجل واحد اذا اشتكى عضو من اعضايه اشتكى جسده اجمع
واذا اشتكى مومن اشتكى المومنون فالصوفية من وظيفتهم اللازمة حفظ اجتماع
البواطن وازالة التفرقة بازالة شعث البواطن لانهم بنسبة الارواح اجتمعوا
وبرابطة التاليف الالهي اتفقوا وبمشاهدة القلوب تواطوا ولتهذيب النفوس
وتصفية القلوب في الرباط رابطوا فلا بد لهم من التالف والتودد والتنصح روى
ابو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المومن يالف ويولف ولا خير فيمن لا يالف
ولا يولف واخبرنا ابو زرعة طاهر بن الحافظ ابى الفضل المقدسى عن ابيه قال انا
ابو القسم الفضل بن ابى حرب قال انا احمد بن الحسن الحيرى قال انا ابو سهل زياد
القطان قال نا الحسين بن مكرم قال ثنا يزيد بن هرون الواسطى قال ثنا محمد بن عمرو
عن ابى سلمة عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الارواح جنود
مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف فهم باجتماعهم تجتمع بواطنهم
وتتقيد نفوسهم لان لبعضهم عين على البعض على ما ورد المومن مراة المومن فاى وقت
ظهر من احدهم اثر التفرقة ناقروه لان التفرقة تظهر لظهور النفوس وظهور النفوس
من تضييع حق الوقت فاى وقت ظهرت نفس الفقير علموا منه خروجه من دايرة الجمعية
وحكموا عليه بتضييع حكم الوقت واهمال السياسة وحسن الرعاية فينقاد بالمناقرة
الى دايرة الجمعية اخبرنا شيخنا ضيا الدين ابو النجيب عبد القاهر السهروردى اجازة
قال انا الشيخ العالم عصام الدين ابو حفص عمر بن احمد بن منصور الصفار قال
انا ابو بكر احمد بن خلف الشيرازى قال انا الشيخ ابو عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمى قال
سمعت محمد بن عبد الله بن خفيف يقول سمعت رويما يقول لا تزال الصوفية بخير
ما تنافروا فاذا اصطلحوا هلكوا وهذه اشارة من رويم الى حسن تفقد بعضهم احوال
البعض اشفاقا من ظهور النفس يقول اذا اصطلحوا ورفعوا المناقرة من بينهم يخاف
ان تخامر البواطن المساهلة والمراياة ومسامحة البعض للبعض فى اهمال دقيق آدابهم
وبذلك تظهر النفوس وتستولى وقد كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول رحم الله امرأ

اهدى الى عيوبى واخبرنا ابو زرعة عن ابيه الحافظ المقدسى قال انا ابو عبد الله
ابرهيم بن محمد بن عبد العزيز الهروى قال انا عبد الرحمن بن ابى شريح قال انا ابو القسم
البغوى قال نا مصعب بن عبد الله الزبيرى قال حدثنى ابرهيم بن سعد عن صالح
عن ابن شهاب ان محمد بن نعمان اخبر بان عمر رضى الله عنه قال فى مجلس فيه المهاجرين
والانصار ارايتم لو ترخصت فى بعض الامور ماذا كنتم فاعلين قال فسكتوا فقال
فقال ذلك مرتين او ثلثا ارايتم لو ترخصت فى بعض الامور ماذا كنتم فاعلين
فقال بشر بن سعد لو فعلت ذلك قومناك تقويم القدح قال عمر انتم اذا انتم واذا
ظهرت نفس الصوفى بغضب وخصومة مع بعض الاخوان فشرط اخيه ان يقابل
نفسه بالقلب فان النفس اذا قوبلت بالقلب انحسمت مادة الشر واذا قوبلت النفس
بالنفس ثارت الفتنة وذهبت العصمة قال الله تعالى ادفع بالتى هى احسن
فاذا الذى بينك وبينه عداوة كانه ولى حميم ثم الشيخ او الخادم اذا شكا
اليه فقير من اخيه فله ان يعاتبهما شاء فيقول للمتعدى لم تعديت وللمتعدى
عليه ما الذى اذنبت حتى تعدى عليك وسلط عليك وهلا قابلت نفسه
بالقلب وفقا باخيك واعطاء للفتوة والصحبة حقهما فكل منهما جان وخارج
عن دايرة الجمعية فيرد الى الدايرة بالنقار فيعود الى الاستغفار ولا يسلك
طريق الاصرار روت عايشة رضى الله عنها قالت كان يقول رسول الله صلى
الله عليه وسلم اللهم اجعلنى من الذين اذا احسنوا استبشروا واذا اساوا استغفروا
فيكون الاستغفار ظاهرا مع الاخوان وباطنا مع الله تعالى ويرون الله فى
استغفارهم فلهذا المعنى يقفون فى صف النعال على اقدامهم تواضعا
وانكسارا وسمعت شيخنا يقول للفقير اذا جرى بينه وبين بعض اخوانه وحشة
قم واستغفر فيقول الفقير ما ارى باطنى صافيا ولا اوثر القيام للاستغفار
ظاهرا من غير صفاء الباطن فيقول انت قم فبركة سعيك وقيامك ترزق الصفاء
فيكون تجد ذلك ويرى اثره عند الفقير وترق القلوب وترتفع الوحشة وهذا

من خاصية هذه الطايفة لا يبيتون والبواطن منطوية على وحشة ولا يجتمعون
للطعام والبواطن تضم وحشة ولا يرون الاجتماع ظاهرا في شيء من امرهم
الا بعد الاجتماع بالبواطن وذهاب التفرقة والتشعث واذا قام الفقير
للاستغفار لا يجوز ردّ استغفاره بحال روى عبد الله بن عمر عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ارحموا ترحموا واغفروا يُغْفَر لكم وللصوفية في
تقبيل يد الشيخ بعد الاستغفار اصل من السنة وهو ما روى عبد الله بن عمر
قال كنت في سرية من سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم فحاص الناس حيصة
فكنت فيمن حاص فقلنا كيف نصنع وقد فررنا من الزحف وبؤنا بالغضب
ثم قلنا لو دخلنا المدينة فبتنا فيها ثم قلنا لو عرضنا انفسنا على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فان كان لنا توبة والا ذهبنا فاتيناه قبل صلوة الغداة
فخرج فقال من القوم قلنا نحن الفرارون قال لا بل انتم العكارون انا فئتكم
انا فئة المسلمين يقال عكوا الرجل اذا تولى ثم كر راجعا والعكار العطاف
والرجاع فاتيناه حتى قبلنا يده وروى ان ابا عبيدة بن الجراح قبل يد عمر
عند قدومه وروى عن ابي مرثد الغنوي انه قال اتينا رسول الله صلى
الله عليه وسلم فنزلت اليه فقبلت يده فهذه رخصة في جواز تقبيل اليد
ولكن ادب الصوفي انه متى رأى نفسه يتعزز بذلك ويظهر بوصفها
ان يمتنع من ذلك فان سلم من ذلك فلا باس بتقبيل اليد ومعانقتهم للاخوان
عقيب الاستغفار لرجوعهم الى الالفة بعد الوحشة وقدومهم من سفر
البعد بالتفرقة الى اوطان الجمعية فبظهور النفس تغربوا وبعدوا وبغيبة
النفس والاستغفار قدموا ورجعوا ومن استغفر واعتذر الى اخيه ولم يقبله
فقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك وعيد روى عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال من اعتذر الى اخيه معذرة فلم يقبلها كان عليه مثل
خطيئة صاحب المكوس وروي جابر ايضا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

من تنصل

من تنصّل اليه فلم يقبل لم يرد الحوض ومن السنة ان يقدّم للاخوان شيا بعد
الاستغفار روى ان كعب بن مالك قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان من توبتي
ان انخلع من مالي كله واهجر دار قومي التي فيها اتيت الذنب فقال له النبي صلى
الله عليه وسلم يجزيك من ذلك الثلث فصارت سنة الصوفية المطالبة
بالغرامة بعد الاستغفار والمنافرة وكل قصدهم رعاية التالف حتى يكون
بواطنهم على الاجتماع كما ان ظواهرهم على الاجتماع وهذا امر تفردوا
به من بين طوايف الاسلام ثم شرط الفقير الصادق اذا سكن الرباط
وياكل من وقفه او مما يطلب لسكانه بالدريوزة ان يكون عنده من الشغل
بالله ما لا يسعه الكسب والا اذا كان للبطالة والخوض فيما لا يعني عنده مجال
ولا يقوم بشروط اهل الارادة من الجد والاجتهاد لا ينبغي ان ياكل من مال
الرباط ويكتسب وياكل من كسبه لان طعام الرباط لاقوام كمل شغلهم بالله
فخدمتهم الدنيا لشغلهم بخدمة مولاهم الا ان يكون تحت سياسة شيخ عالم
بالطريق ينتفع بصحبته ويهتدي بهديه فيرى الشيخ ان يطعمه من مال الرباط
فلا يكون تصرف الشيخ الا بصحة وبصيرة ومن جملة ما يكون للشيخ في ذلك
من النية ان تشغله بخدمة الفقراء فيكون ما ياكله في مقابلة خدمته روى
عن ابي عمرو الزجاجي قال اقمت عند الجنيد مدة فما راني قط الا وانا مشتغل
بنوع من العبادة فما كلمني حتى كان يوما من الايام خلا الموضع من الجماعة
فقمت ونزعت ثيابي وكنست الموضع ونظفته ورششته وغسلت
موضع الطهارة فرجع الشيخ وراى على اثر الغبار فدعا لي ورحب بي وقال
احسنت عليك بها ثلث مرات ولا يزال مشايخ الصوفية يندبون الشبان
الى الخدمة حفظا لهم عن البطالة وكل واحد يكون له حظ من المعاملة وحظ
من الخدمة روى ابو محذورة قال جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم لنا الاذان
والسقاية لبني هاشم والحجابة لبني عبد الدار وبهذا يقتدي مشايخ الصوفية

في تفريق الخدم على الفقراء ولا يعذر في ترك نوع من الخدمة الا كامل الشغل
بوقته ولا نعني بكامل الشغل شغل الجوارح ولكن نعني به دوام الرعاية والمحاسبة
والشغل بالقلب والقالب وقتا وبالقلب دون القالب وقتا وتفقد الزيادة
من النقصان فان قيام الفقير بحقوق الوقت شغل تام وبذلك يؤدي
شكر نعمة الفراغ ونعمة الكفاية وفي البطالة كفران نعمة الفراغ والكفاية
اخبرنا شيخنا ضياء الدين ابو النجيب عبد القاهر بن عبد الله اجازة قال انا عمر بن احمد
ابن منصور قال انا احمد بن خلف قال انا الشيخ ابو عبد الرحمن محمد بن الحسين قال
سمعت ابا الفضل بن حمدون يقول سمعت علي بن عبد الحميد الغضايري يقول
سمعت السري يقول من لا يعرف قدر النعم سلبها من حيث لا يعلم وقد يعذر
الشيخ العاجز عن الكسب في تناول طعام الرباط ولا يعذر الشباب هذا في طريق
القوم على الاطلاق فاما من حيث فتوى الشرع ان كان شرط الوقف على المتصوفة
وعلى من تزيا بزيهم ولبس خرقتهم اكل ذلك لهم على الاطلاق فتوى وفي ذلك
القناعة بالرخصة دون العزيمة التي هي شغل اهل الارادة وان كان شرط الوقف
على من يسلك طريق الصوفية علما وحالا فلا يجوز اكله لاهل البطالات والراكنين
الى تضييع الاوقات وطرائق اهل الارادة عند مشايخ الصوفية مشهورة معروفة
اخبرنا الشيخ الثقة ابو الفتح قال انا ابو الفضل حمد قال انا الحافظ ابو نعيم قال
ثنا ابو العباس احمد بن محمد قال ثنا جعفر قال ثنا محمد بن الحسين البلخي قال ثنا عبد الله بن
المبارك قال ثنا سعيد بن ابي ايوب الخزاعي قال ثنا عبد الله بن الوليد عن ابي سليمان
الليثي عن ابي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مثل المؤمن
كمثل الفرس في آخيته يجول ثم يرجع الى آخيته وان المؤمن يسهو ثم يرجع
الى الايمان فاطعموا طعامكم الاتقياء واولوا معروفكم المؤمنين

الباب الثاني عشر في ذكر اختلاف احوال المشايخ بالسفر والمقام

اختلف احوال مشايخ الصوفية فمنهم من سافر في بدايته واقام في نهايته ومنهم من اقام

في بدايته

في بدايته وسافر في نهايته ومنهم من اقام ولم يسافر ومنهم من استدام السفر ولم يؤثر
الاقامة ونشرح حال كل واحد منهم ومقصده فيما رام فاما الذي سافر في بدايته
واقام في نهايته فقصده بالسفر لمعان منها تعلم شيء من العلم قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اطلبوا العلم ولو بالصين وقال بعضهم لو سافر رجل من الشام
الى اقصى اليمن في كلمة تدله على هدى ما كان سفره ضايعا ونقل ان جابر بن
عبد الله رحل من المدينة الى مصر في شهر لحديث بلغه ان عبد الله بن انيس يحدث
به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قال عليه الصلوة والسلام من خرج
من بيته في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع وقيل في تفسير قوله تعالى
السائحون انهم طلاب العلم حدثنا شيخنا ضياء الدين ابو النجيب السهروردي
املاء قال انا ابو الفتح عبد الملك الهروي قال انا ابو نصر الترياقي قال انا الجراحي
قال انا ابو العباس المحبوبي قال انا ابو عيسى الترمذي قال ثنا وكيع قال ثنا
ابو داود عن سفيان عن ابي هرون قال كنا نأتي ابا سعيد فيقول مرحبا
بوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم ان النبي عليه الصلوة والسلام قال ان
الناس لكم تبع وان رجالا يأتونكم من اقطار الارض يتفقهون في الدين فاذا
اتوكم فاستوصوا بهم خيرا وقال عليه الصلوة والسلام طلب العلم فريضة على
كل مسلم وروت عائشة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
ان الله عز وجل اوحى الي انه من سلك مسلكا في طلب العلم سهلت له طريقا
الى الجنة ومن جملة مقاصدهم في البداية لقاء المشايخ والاخوان الصادقين
فللمريد بلقاء كل صادق مزيد وقد ينفعه لحظ الرجال كما ينفعه لفظ الرجال
وقد قيل من لا ينفعك لحظه لا ينفعك لفظه وهذا القول فيه وجهان احدهما ان
الرجل الصديق يكلم الصادقين بلسان فعله اكثر مما يكلمهم بلسان قوله فاذا
نظر الصادق الى تصاريفه في موارده ومصادره وخلوته وجلوته وكلامه
وسكوته ينتفع بالنظر اليه فهو نفع اللحظ ومن لا تكون افعاله هكذا فلفظه ايضا

لا ينفع لانه يتكلم بهواه ونورانية القول على قدر نورانية القلب ونورانية القلب
بحسب الاستقامة والقيام بواجب حق العبودية وحقيقتها والوجه الثاني ان نظر
العلماء الراسخين والرجال البالغين ترياق نافع ينظر احدهم الى الرجل الصادق
فيستكشف بنفوذ بصيرته حسن استعداد الصادق واستيهاله لمواهب الله الخا
فيقع في قلبه محبة الصادق المريد وينظر اليه نظر محبة عن بصيرة وهم من
جنود الله تعالى فيكسبون بنظرهم احوالا سنية ويهبون اثارا مرضية وماذا
ينكر المنكر من قدرة الله تعالى ان الله قد جعل في بعض الافاعي من الخاصية انه اذا نظر
الى الانسان يهلكه بنظره بان يجعل في نظر بعض خواص عباده انه اذا نظر الى
طالب صادق يكسبه حالا وحيوة وقد كان شيخنا رحمه الله يطوف في مسجد الخيف
بمنا فقيل له في ذلك فقال لله عبادا اذا نظروا الى شخص اكسبوه سعادة فانا اتطلب
ذلك ومن جملة المقاصد في السفر ابتداء قطع المالوفات والانسلاخ من ركون
النفس الى معلوم ومعهود والتحامل على النفس بتجرع مرارة فرقة الالاف و
الخلان والاهل والاوطان فمن صبر عن تلك المالوفات محتسبا عند الله تعالى
اجرا فقد حاز فضلا عظيما اخبرنا ابو زرعة بن ابي الفضل الحافظ المقدسي عن
ابيه قال انا القاضي ابو منصور محمد بن احمد الفقيه الاصفهاني قال انا ابو اسحق
ابرهيم بن عبد الله بن خرشيذ قوله قال حدثنا ابو بكر عبد الله بن محمد بن زياد
النيسابوري قال انا يونس بن عبد الاعلى قال ثنا ابن وهب قال حدثني حيي بن
عبد الله عن ابي عبد الرحمن عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال مات رجل بالمدينة
ممن ولد بها فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال ليته مات بغير مولده
قالوا ولم ذلك يا رسول الله قال ان الرجل اذا مات بغير مولده قيس له من مولده
الى منقطع اثره من الجنة ومن جملة المقاصد في السفر استكشاف دفاين النفوس
واستخراج رعوناتها ودعاويها لانه لا يكاد يتبين حقايق ذلك بغير السفر وسمي السفر
سفرا لانه يسفر عن الاخلاق فاذا وقف على دايه تشمر لدوايه وقد يكون اثر السفر

في المبتدي كاثر النوافل من الصلوة والصوم والتهجد وغير ذلك وذلك ان المتنفل
سايح سائرا الى الله تعالى من اوطان الغفلات الى محال القربات فالمسافر يقطع
المسافات والتقلب في المفازة والفلوات بحسن النية لله سائرا الى الله تعالى
بمراغمة الهوى ومهاجرة ملاذ الدنيا اخبرنا شيخنا اجازة قال انا عمر بن احمد قال
انا احمد بن محمد بن خلف قال انا ابو عبد الرحمن السلمي قال سمعت عبد الواحد بن بكر
يقول سمعت علي بن عبد الرحيم يقول سمعت النوري يقول التصوف ترك
كل حظ للنفس فاذا سافر المبتدي تاركا حظ النفس تطمين النفس وتلين كما
تلين بدوام النافلة ويكون لها بالسفر دباغ يذهب عنها الخشونة واليبوسة الجبلية
والعفونة الطبيعية وكالجلد يعود من هيئة الجلود الى هيئة الثياب فتعود
النفس من طبيعة الطغيان الى طبيعة الايمان ومن جملة المقاصد في السفر
رؤية الاثار والعبر وتسريح النظر في مسارح الفكر ومطالعة اجزاء الارض
والجبال وموطئ اقدام الرجال واستماع التسبيح من ذرات الجمادات والفهم من
لسان القطع المتجاورات فقد تتجدد اليقظة بتجدد مستودع العبر والايات
ويتوفر مطالعة المشاهد والمواقف الشواهد والدلالات قال الله تعالى
سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق وقد كان السري
يقول للصوفية اذا خرج الشتاء قد خرج اذار واورقت الاشجار وطاب الانتشار
ومن جملة المقاصد ايثار الخمول وطرح حظ القبول فصدق الصادق ينم على
حسن الحال ويرزق من الخلق حسن الاقبال وقلما يكون صادق متمسك بعروة
الاخلاص ذو قلب عامر الا ويرزق قبول الخلق حتى سمعت بعض المشايخ يحكي
عن بعضهم انه قال اريد اقبال الخلق علي لا اني ابلغ نفسي حظها من الهوى فاني
لا ابالي اقبلوا ام ادبروا ولكن لكون قبول الخلق علامة تدل على صحة الحال فاذا
ابتلي المريد بذلك لا يامن نفسه ان يدخل عليه بطريق الركون الى الخلق وربما
يفتح عليه باب من الرفق وتدخل النفس عليه من طريق البر والدخول في الاسباب

المحمودة وتريه وجه المصلحة والفضيلة في خدمة عباد الله وبذل الموجود
ولا تزال النفس به والشيطان حتى يجرّاه الى السكون الى الاسباب
واستحلاء قبول الخلق وربما قويا عليه فجرّاه الى التصنع والتعمل وتتبع
الخرق على الرقاع وسمعت ان بعض الصالحين قال لمريد له انت الآن وصلت
الى مقام لا يدخل عليك الشيطان من طريق الشر ولكن يدخل عليك من
طريق الخير وهذه منزلة عظيمة للاقدام فالله تعالى يدرك الصادق اذا
ابتلى بشيء من ذلك ويزعجه بالعناية السابقة والمعونة اللاحقة الى السفر
فيفارق المعارف والموضع الذي فتح الله عليه هذا الباب فيه ويتجرد لله تعالى
بالخروج الى السفر وهذا من احسن المقاصد في الاسفار للصادقين فهذه
جمل المقاصد المطلوبة للمشايخ في بداياتهم ما عدا الحج والغزو وزيارة بيت
المقدس وصلى فيه صلوات الخمس ثم اسرع راجعا الى المدينة من الغد ثم اذا
منّ الله تعالى على الصادق باحكام امور بدايته وقلبه في الاسفار ومنحه
الحظ من الاعتبار واخذ نصيبه من العلم بقدر حاجته واستفاد من مجاورة
الصالحين وانتقش في قلبه فوائد النظر الى حال المتقين وتعطّر باطنه
باستنشاق عَرف معارف المقربين وتخصص بحماية نظر اهل الله وخاصته
وسبر احوال النفس واسفر السفر عن دفاين النفس واخلاقها وشهواتها
الخفية وسقط عن باطنه نظر الخلق وصار يَغلب ولا يُغلب كما قال الله
تعالى اخبارا عن موسى ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكما وجعلني
من المرسلين فعند ذلك يردّه الحق الى مقامه ويمدّه بجزيل انعامه
ويجعله اماما للمتقين به يُقتدى وعلما للمؤمنين به يُهتدى واما
الذي اقام في بدايته وسافر في نهايته يكون ذلك شخصا يسّر الله تعالى له
في بداية امره صحبة صحيحة وقيض له شيخا عالما يسلك به الطريق ويدرجه
الى منازل التحقيق فيلازم موضع ارادته ويلتزم بصحبة من يردّه من عادته

وقد كان

وقد كان الشبلي يقول للحصري في ابتداء امره ان خطر ببالك من الجمعة الى الجمعة
غير الله فحرام عليك ان تحضرني فمن رزق مثل هذه الصحبة يحرم عليه السفر
فالصحبة له خير من كل سفر وفضيلة يقصدها اخبرنا رضي الدين ابو الخير
احمد بن اسمعيل القزويني اجازة قال انا ابو المظفر عبد المنعم بن عبد الكريم بن
هوازن القشيري عن والده الاستاذ ابي القسم قال سمعت محمد بن عبد الله
الصوفي يقول سمعت عباس بن ابي الصخر يقول سمعت ابا بكر الزقاق يقول
لا يكون المريد مريدا حتى لا يكتب عليه صاحب الشمال شيئا عشرين سنة فمن رزق
من صحبة من يندبه الى مثل هذه الاحوال السنية والعزايم القوية يحرم عليه
المفارقة واختيار السفر ثم اذا احكم امره في الابتداء بلزوم الصحبة وحسن
الاقتداء وارتوى من الاحوال وبلغ مبلغ الرجال وانبجس من قلبه عيون ماء
الحيوة وصارت نفسه ملتبسة للسعادات يتنشق نفس الرحمن من صدور
الصادقين من الاخوان في اقطار الارض وشاسع البلدان يشرئب الى التلاق
وينبعث الى الطواف في الآفاق يسيّره الله تعالى في البلاد لفايدة العباد
ويستخرج بمغناطيس حاله خبايا اهل الصدق والمتطلعين الى من يخبر عن الحق
ويبذر في اراضي القلوب بذر الفلاح ويكثر ببركته ونفسه وصحبته اهل الصلاح
وهذا مثل هذه الامة البادية في الانجيل كزرع اخرج شطأه فآزره فاستغلظ
فاستوى على سوقه يعود بركة البعض على البعض ويسري الاحوال من البعض الى
البعض ويكون طريق الوراثة معمورا وعلم الافادة منشورا اخبرنا شيخنا قال انا
الامام عبد الجبار البيهقي في كتابه قال انا ابو بكر البيهقي قال انا ابو علي الروذباري
قال نا ابو بكر بن داسة قال نا ابو داود قال نا يحيى بن ايوب قال نا اسمعيل بن
جعفر قال اخبرني العلاء بن عبد الرحمن عن ابيه عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال من دعا الى هدى كان له من الاجر مثل اجور من اتبعه لا ينقص ذلك
من اجورهم شيئا ومن دعا الى ضلالة كان عليه من الاثم مثل آثام من اتبعه لا ينقص ذلك

الشيخ
الدقاق
التطواف

من آثارهم شيئا فاما من اقام ولم يسافر يكون ذلك لشخص رباه الحق سبحانه وتعالى
وتولاه وفتح عليه ابواب الخير وجذبه بعنايته وقد ورد جذبة من جذبات الحق
توازي عمل الثقلين ثم لما علم منه الصدق ورأى حاجته الى من ينتفع به ساق
اليه بعض الصديقين حتى ايده بلفظه وتداركه بلحظه ولقحه بقوة حاله
وكفاه يسير الصحبة لكمال الاهلية في الصاحب والمصحوب واجرا سنة الله
في اعطاء الاسباب حقها لاقامة رسم الحكمة يحوج الى يسير الصحبة فيتنبه بالقليل
للكثير ويغنيه اليسير من الصحبة للحظ الكثير ويكتفي بوافر حظ الاستبصار
عن الاسفار ويتعوض باشعة الانوار عن مطالعة العبر والآثار كما قال بعضهم
الناس يقولون افتحوا اعينكم وابصروا وانا اقول غمضوا اعينكم وابصروا وسمعت
بعض الصالحين يقول لله عباد طور سيناهم ركبهم يكون رؤوسهم على ركبهم وهم
في مجال القرب فمن نبع له معين الحيوة في ظلمة خلوته ماذا يصنع بدخول الظلمات
ومن اندرجت له اطباق السموات في طي شهوده ماذا يصنع بتقلب طرفه في
السموات ومن جمعت احداق بصيرته متفرقات الكائنات ماذا يستفيد من طي
الفلوات ومن خلص بخاصية فطرته الى مجمع الارواح ماذا يفيده زيارة الاشباح
قيل ارسل ذو النون المصري الى ابي يزيد رجلا وقال قل له الى متى النوم والراحة
وقد سارت القافلة فقال للرسول قل لاخي الرجل من ينام الليل كله ثم يصبح في المنزل
قبل القافلة فقال ذو النون هنيئا له هذا كلام لا يبلغه احوالنا وكان بشر يقول
يا معشر القراء سيحوا تطيبوا فان الماء اذا كثر مكثه في موضع تغير وقيل قال بعضهم
عند هذا الكلام صر بحرا حتى لا تتغير فاذا ادام المريد سير الباطن يقطع
مسافة النفس الامارة بالسوء حتى قطع منازل آفاتها وبدل اخلاقها المذمومة
بالمحمودة وعانق الاقبال على الله تعالى بالصدق والاخلاص اجتمع له المتفرقات
واستفاد في حضره اكثر من سفره لكون السفر لا يخلو من متاعب وكلف وشوشات
وطوارق ونوازل تتجدد ويضعف عن سياستها بالعلم الضعفاء ولا يقدر على تسليط

جمع طارق وهو الداخل

العلم على متجددات السفر وطوارقه الا الاقوياء قال عمر بن الخطاب للذي زكى
عنده رجلا هل صحبته في السفر الذي يستدل به على مكارم الاخلاق قال لا قال
ما اريك تعرفه فاذا حفظ الله تعالى عبده في بداية امره من تشويش السفر وجمعه
بجمع الهم وحسن الاستقبال في الحضر وساق اليه من الرجال من اكتسب به صلاح
الحال فقد احسن اليه قيل في تفسير قوله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه
من حيث لا يحتسب هو الرجل المنقطع الى الله يشكل عليه شيء من امر الدين فيبعث
الله اليه من يحل اشكاله فاذا ثبت قدمه على شروط البداية رزق وهو في المقام
من غير سفر ثمرات النهاية فيستغرق في الحضر ابتداء وانتهاء واقيم في هذا المقام جمع
من الصالحين فاما الذي ادام السفر رأى صلاح قلبه وصحة حاله في ذلك يقول
بعضهم اجتهد ان تكون كل ليلة ضيف مسجد ولا تموت الا بين منزلين وكان
من هذه الطبقة ابرهيم الخواص ما كان يقيم في بلد اكثر من اربعين يوما وكان يرى
ان اقام اكثر من اربعين يفسد عليه توكله فكان علم الناس ومعرفتهم اياه يراه
سببا ومعلوما وحكي عنه انه قال مكثت في البادية احد عشر يوما لم آكل وتطلعت
نفسي ان آكل من حشيش البر فرأيت الخضر مقبلا نحوي فهربت منه ثم التفت فاذا
هو رجع عني فقيل له لم هربت منه قال تشرفت نفسي ان يغيثني فهولاء الفرارون
بدينهم اخبرنا ابو زرعة طاهر بن الحافظ المقدسي عن ابيه قال انا ابو بكر احمد بن علي
قال انا عبد الله بن يوسف بن بامويه قال انا ابو محمد الزهري القاضي قال انا محمد بن
عبد الله بن اسباط قال انا ابو نعيم قال انا محمد يعني ابن مسلم عن عثمان بن عبد الله بن
اوس عن سليمان بن هرمز عن عبد الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
احب شيء الى الله الغرباء قيل وما الغرباء قال الفرارون بدينهم يجتمعون الى عيسى بن
مريم يوم القيامة وهذه كلها احوال اختلفت واتبع اربابها الصحة وحسن النية
مع الله وحسن النية تقتضيه الصدق والصدق بعينه محمود كيف تقلب
الاحوال فمن سافر ينبغي ان يتفقد حاله ويصحح نيته ولا يقدر على تخليص النية من شوائب

النفس الا كثير العلم تام التقوى وافر الحظ من الزهد في الدنيا ومن انطوى على
هوى كامن ولم يستقص في الزهد لا يقدر على تصحيح النية فقد يدعوه الى
السفر نشاط جبلي نفساني وهو يظن ان ذلك داعية الحق ولا يميز بين داعي
الحق وداعي النفس ويحتاج الشخص في علم صحة النية الى العلم بمعرفة الخواطر
وشرح الخواطر وعلمها يحتاج الى باب مفرد لنفسه ونومي الآن الى ذلك برمز
يدرك من نازله شيء من ذلك فاكثر الفقراء من علم ذلك ومعرفته على بعد اعلم
ان ما ذكرناه من نشاط النفس واقع للفقير في كثير من الامور فقد يجد الفقير
الروح بالخروج الى بعض الصحارى والبساتين ويكون ذلك الروح مضرا به
في ثاني الحال وان كان ترايا له طيبة القلب في الوقت وسبب طيبة قلبه في الوقت
ان النفس تنفسح وتتسع ببلوغ غرضها وتيسير يسير هواها بالخروج الى الصحراء
والتنزه واذا اتسعت بعدت عن القلب وتنحت عنه منشرفة الى متعلق هواها
فيتروح القلب لا بالصحراء بل ببعد النفس منه كشخص تباعد عنه قرين يستثقله
ثم اذا عاد الفقير الى زاويته واستفتح ديوان معاملته وميز دستور حالته
يجد النفس مقارنة للقلب بمزيد ثقل موجب لتبرمه بها وكلما ازداد ثقلها تكدر
القلب وسبب زيادة ثقلها استرسالها في تناول هواها فيصير الخروج الى الصحراء
عين الداء ويظن الفقير انه ترويح ودواء فلو صبر على الوحدة والخلوة ازدادت
النفس ذوبانا وخفت ولطفت وصارت قرينا صالحا للقلب لا يستثقلها وعلى
هذا يقاس الترويح بالاسفار فللنفس وثبات الى توهم الترويحات فمن فطن لهذه
الدقيقة لا يغتر بالترويحات المستعارة التي لا تحمد عاقبتها ولا يؤمن غايلتها ويثبت
عند ظهور خاطر السفر ولا يكترث بالخاطر بل يطرحه بعدم الالتفات مسيئا
ظنه بالنفس وتسويلاتها ومن هذا القبيل والله اعلم قول رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان الشمس تطلع بين قرني الشيطان فيكون للنفس عند طلوع الشمس
وثبات تستند تلك الوثبة والنهضة من النفس الى المزاج والطبايع ويطول

الترويحات

ويثبت

من

شرح ذلك ويعمق ومن ذلك القبيل خفة مرض المريض غدوة بخلاف العشيات
فيتشكل اهتزاز النفس نهضات القلب ويدخل على الفقير من هذا القبيل
آفات كثيرة ويدخل في مداخل باهتزاز نفسه ظنا منه ان ذلك حكم نهوض
قلبه وربما يترايا له انه بالله يصول وبالله يقول وبالله يتحرك وقد ابتلي
بنهضة النفس ووثوبها ولا يقع هذه الاشتباه الا لارباب القلوب والارباب
الاحوال وغير ارباب القلوب والاحوال عن هذا بمعزل وهذه مزلة قدم مختصة
بالخواص دون العوام فليعلم ذلك فانه عزيز علمه واقل مراتب الفقراء في مبادي
الحركة للسفر لتصحيح وجه الحركة ان يقدموا صلوة الاستخارة وصلوة الاستخارة
لا تهمل وان تبين للفقير صحة خاطره او تبين له وجه المصلحة في السفر ببيان اوضح
واضح من الخاطر فللقوم مراتب في التبيان من العلم بصحة الخواطر وبما فوق
ذلك وفي ذلك كله لا تهمل صلوة الاستخارة اتباعا للسنة ففي ذلك البركة وهو
من تعليم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما حدثنا شيخنا ضياء الدين ابو النجيب املاء
قال انا ابو القسم بن ابي عبد الرحمن في كتابه ان ابا سعيد الكنجروذي اخبرهم
قال انا ابو عمرو بن حمدان قال ثنا احمد بن الحسن الصوفي قال ثنا منصور بن ابي مزاحم
قال ثنا عبد الرحمن بن ابي الموالي عن محمد بن المنكدر عن جابر قال كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة كما يعلمنا السورة من القرآن قال اذا هم
احدكم بالامر او اراد الامر فليصل ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل اللهم اني استخيرك
بعلمك واستقدرك بقدرتك واسئلك من فضلك العظيم فانك تقدر ولا اقدر وتعلم
ولا اعلم وانت علام الغيوب اللهم ان كنت تعلم ان هذا الامر ويسميه بعينه خير
لي في ديني ومعاشي ومعادي وعاقبة امري او قال عاجل امري وآجله فاقدره لي
ثم بارك لي فيه وان كنت تعلمه شرا لي مثل ذلك فاصرفه عني واقدر لي الخير
حيث كان ثم ارضني به
الباب السابع عشر فيما يحتاج اليه
الصوفي في سفره من الفرايض والفضايل فاما اهل الفقه وان كان هنا

هذا

القلب والحال

مما

السهروردي

اني

وامر فيني عنه

ديني ومعاشي ومعادي وعاجل امري وآجله

يذكر في كتب الفقه وهذا الكتاب غير موضوع لذلك ولكن نقول على سبيل الايجاز
تيمنا بذكر الاحكام الشرعية التي هي الاساس الذي يبنى عليه لا بد للصوفي المسافر
من علم التيمم والمسح على الخفين والقصر والجمع في الصلوة اما التيمم فيجاز للمريض
والمسافر في الجنابة والحدث عند عدم الماء والخوف من استعماله تلفا في النفس
او المال او زيادة في المرض على القول الصحيح من المذهب وعند حاجته الى
الماء الموجود لعطشه او عطش دابته او رفيقه ففي هذه الاحوال كلها يصلي
بالتيمم ولا اعادة عليه والخايف من البرد يصلي بالتيمم ويعيد الصلوة على الاصح
ولا يجوز التيمم الا بشرط الطلب للماء في مواضع الطلب ومواضع الطلب مواضع
تردد المسافر في منزله للاحتشاش والاحتطاب ويكون الطلب بعد دخول الوقت
والسفر القصير في ذلك كالطويل وان صلى بالتيمم مع تيقن الماء في اخر الوقت جاز
على الاصح ولا يعيد مهما صلى بالتيمم وان كان الوقت باقيا ومهما توهم وجود الماء
بطل تيممه كما اذا اطلع ركبا وغيره ذلك وان راى الماء في اثناء الصلوة لا تبطل
صلوته ولا يلزمه الاعادة ويستحب له الخروج منها واستينافها بالوضوء على الاصح
ولا يتيمم للفرض قبل دخول الوقت ويتيمم لكل فريضة ويصلي ما شاء من النوافل
بتيمم واحد ولا يجوز اداء الفرايض بتيمم النافلة ومن لم يجد ماء ولا ترابا يصلي
ويعيد عند وجود احدهما ولكن اذا محدثا لا يمس المصحف وان كان جنبا لا يقرا
القرآن في الصلوة بل يذكر الله تعالى عوض القرآن ولا يتيمم الا بتراب طاهر غير مختلط
بالجص والرمل ويجوز بالغبار على ظهر الحيوان والثوب ويسمي الله تعالى عند التيمم
وينوي استباحة الصلوة قبل ضرب اليد على التراب ويضم اصابعه لضربة الوجه
ويمسح جميع الوجه فلو بقي شيء من محل الفرض غير ممسوح لا يصح التيمم ويضرب ضربة
لليدين مبسوطة الاصابع ويعمم التراب محل الفرض وان لم يقدر الا بضربتين فصاعدا
كيف امكنه لا بد ان يعمم التراب محل الفرض ويمسح اذا فرغ احدى الراحتين بالاخرى
حتى تصيرا ممسوحتين ويمر اليد على ما نزل من اللحية من غير ايصال التراب الى

الى المنابت فاما المسح فيمسح على الخف ثلثة ايام ولياليهن في السفر والمقيم يوما
وليلة وابتداء المدة من حين الحدث بعد لبس الخف لا من حين لبس الخف ولا حاجة
الى النية من حين لبس الخف بل يحتاج الى كمال الطهارة حتى لو لبس احدى الخفين
قبل غسل الرجل الاخرى لا يصح ان يمسح على الخف ويشترط في الخف امكان
متابعة المشي عليه وستر محل الفرض ويكفي مسح يسير من اعلى الخف والاولى
مسح اعلاه واسفله من غير تكرار ومتى ارتفع حكم المسح بانقضاء المدة او ظهور
شيء من محل الفرض وان كان عليه لفافة وهو على الطهارة يغسل القدمين
دون استيناف الوضوء على الاصح والماسح في السفر اذا اقام مسح للمقيم وهكذا
المقيم اذا سافر يمسح للمقيم والكبد اذا كب جوربا ونعل يجوز المسح عليه ويجوز
على المشرج اذا ستر محل الفرض ولا يجوز على المنسوج وجنبه الذي يستر بعض
القدم به والباقي باللفافة واما القصر والجمع فيجمع بين الظهر والعصر في
وقت احديهما ويتيمم لكل واحدة ولا يفصل بينهما بكلام وغيره وهكذا الجمع بين
المغرب والعشاء ولا قصر في المغرب والصبح كهيئتها من غير قصر وجمع و
السنن الرواتب يصليها يجمع بين السنتين قبل الفريضتين للظهر والعصر وبعد
الفراغ من الفريضتين يصلي ما يصلي بعد الفريضة من الظهر ركعتين او اربعا
وبعد الفراغ من المغرب والعشاء يؤدي السنن الرواتب لهما ويوتر بعدها
ولا يجوز اداء الفرض على الدابة بحال الا عند التحام القتال للغازي ويجوز ذلك
في السنن الرواتب والنوافل ويكفيه للصلوة على ظهر الدابة في الركوع والسجود
الايماء ويكون ايماء السجود اخفض من الركوع الا ان يكون قادرا على التمكن مثل
ان يكون في محاوة او غير ذلك ويقوم توجهه الى الطريق مقام استقبال القبلة فيصلي
كيف توجه في الطريق فاما ان يكون لا مستقبل القبلة ولا متوجها الى الطريق
فلا حتى لو حرف دابته عن الصوب المتوجه اليه لا الى نحو القبلة بطلت صلوته
والماشي يتنفل في السفر ويقنعه استقبال القبلة عند الاحرام لا يجزئه في الاحرام

المتنفل الماشي يجب استقبال القبلة في ثلثة احوال الركوع والافتتاح والسجود
ويسجد متمكنا على الارض وله ان يتشهد ماشيا لان القعود ينوب عن القيام في
المتنفل سفرا او حضرا فلا يبعد ان ينوب القيام عن القعود في النفل
سفرا ولو مشى في نجاسة قصدا بطلت صلوته بخلاف الوطء سهوا
فيها ولا يلزمه المبالغة في التحرز من النجاسات عند كثرتها في الطريق

الا الاستقبال ويقنعه الايماء للركوع والسجود وراكب الدابة لا يحتاج الى استقبال
القبلة للاحرام ايضا واذا اصبح المسافر مقيما ثم سافر فعليه اتمام ذلك اليوم في الصوم
وهكذا ان اصبح مسافرا ثم اقام والصوم في السفر افضل من الفطر وفي الصلوة
القصر افضل من الاتمام فهذا القدر كاف للصوفي ان يعلم من حكم الشرع في مهام
سفره واما المندوب والمستحب ينبغي ان يطلب لنفسه رفيقا في الطريق يعينه
على امر الدين فقد قيل الرفيق ثم الطريق ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يسافر الرجل وحده الا ان يكون صوفيا عالما بآفة نفسه مختارا الوحدة على
بصيرة من امره فلا باس بالوحدة واذا كانوا جماعة ينبغي ان يكون فيهم مقدم
امير قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كنتم ثلثة في سفر فامروا احدكم والذي
يسمون الصوفية پيش رو وهو الامير ينبغي ان يكون الامير ازهد الجماعة في الدنيا
واوفرهم حظا من التقوى واتمهم مروة وسخاوة واكثرهم شفقة روي عبد الله
بن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خير الاصحاب عند الله خيرهم لصاحبه
نقل عن عبد الله المروزي ان ابا علي الرباطي صحبه فقال علي ان اكون انا
الامير او انت فقال بل انت فلم يزل يحمل الزاد لنفسه ولابي علي على ظهره وامطرت
السماء ذات ليلة فقام عبد الله طول الليل على راس رفيقه ويغطيه بكسائه عن المطر
وكلما قال لا تفعل يقول الست الامير وعليك الانقياد والطاعة فاما ان يكون امير
يستصحب الفقراء لمحبة الاستتباع وطلب الرياسة والتعزز ليتسلط على الخدام
في الرباط ويبلغ نفسه هواها هذا طريق ارباب الهوى الجهال المباينين لطريق
الصوفية وهو سبيل من يريد جمع الدنيا فيتخذ لنفسه رفقا ممن يليق له الدنيا
يجمعون لتحصيل اغراض النفس والدخول على ابناء الدنيا والظلمة للتوصل الى
تحصيل مآرب النفس ولا يخلو اجتماعهم هذا عن الخوض في الغيبة والدخول في المداخل
المكروهة والتنقل في الربط والاستمتاع والتنزهة وكلما كثر معلوم في الرباط
اطالوا المقام وان تعذرت اسباب الدين وكلما قل المعلوم رحلوا وان تيسر اسباب

الدين

الدين وليس هذا طريق الصوفية ومن المستحب ان يودع اخوانه اذا اراد السفر
ويدعو لهم بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بعضهم صحبت عبد الله
ابن عمر من مكة الى المدينة فلما اردت مفارقته شيعني وقال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لقمن لابنه ان الله اذا استودع شيا
حفظه وانا استودع الله دينك وامانتك وخواتيم عملك وروى زيد بن
ارقم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا اراد احدكم سفرا
فليودع اخوانه فان الله تعالى جاعل له في دعائهم البركة وروي عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم ايضا انه كان اذا ودع رجلا قال زودك الله التقوى
وغفر ذنبك ووجهك للخير حيثما توجهت وينبغي ان يعتقد اخوانه انه
اذا دعا لهم او دعهم الله سبحانه ان الله يستجيب دعاءه فقد روي ان عمر
رضي الله عنه كان يعطي الناس عطاياهم اذ جاء رجل معه ابن له فقال
عمر ما رايت احدا اشبه باحد من هذا بك فقال الرجل احدثك عنه يا امير المومنين
اني اردت ان اخرج الى سفر وامه حامل به فقالت تخرج وتدعني على
هذه الحالة فقلت استودع الله ما في بطنك فخرجت ثم قدمت واذا هي
قد ماتت فجلسنا نتحدث فاذا نار على قبرها فقلت للقوم ما هذه النار فقالوا
هذه من قبر فلانة نراه كل ليلة فقلت والله انها كانت صواحة قواحة فاخذت
المعول حتى انتهينا الى القبر فحفرنا فاذا سراج واذا هذا الغلام يدب
فقيل ان هذه وديعتك ولو كنت استودعت امه لوجدتها فقال عمر رضي
الله عنه لهو اشبه بك من الغراب بالغراب وينبغي ان يودع كل منزل يرحل
عنه بركعتين ويقول اللهم زودني التقوى واغفر لي ذنوبي ووجهني للخير
ايما توجهت وروى انس بن مالك قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا ينزل منزلا الا ودعه بركعتين فينبغي ان يودع كل منزل ورباط يرحل عنه
بركعتين واذا ركب الدابة فليقل سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون

بسم الله والله اكبر توكلت على الله ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
اللهم انت الحامل على الظهر وانت المستعان على الامور والسنة ان يرحل من المنازل
بكرة ويبتدئ بيوم الخميس روى كعب بن مالك قال قلما كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يخرج الى سفر الا يوم الخميس وكان اذا اراد ان يبعث سرية
بعثها اول النهار ويستحب كلما اشرف على منزل ان يقول اللهم رب السموات
وما اظللن ورب الارضين وما اقللن ورب الشياطين وما اضللن ورب
الرياح وما ذرين ورب البحار وما جرين اسئلك خير هذا المنزل وخير اهله
واعوذ بك من شر هذا المنزل وشر اهله واذا نزل فليصل ركعتين ومما ينبغي
للمسافر ان يصحبه آلة الطهارة قيل كان ابرهيم الخواص لا يفارقه اربعة
اشياء في الحضر والسفر الركوة والحبل والابرة وخيوطها والمقراض وروت
عايشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا سافر حمل معه
خمسة اشياء المرآة والمكحلة والمدرى والسواك والمشط وفي رواية المقراض
والصوفية لا يفارقهم العصا وهو ايضا من السنة روى معاذ بن جبل قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تخذت منبرا فقد اتخذه ابرهيم وان تخذت
العصا فقد اتخذها موسى وروى عبد الله بن عباس انه قال التوكي على العصا
من اخلاق الانبيا كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم عصا يتوكا عليها ويامر
بالتوكي على العصا واخذ الركوة ايضا من السنة روى جابر بن عبد الله قال
بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضا من ركوة اذ جهش الناس نحوه اي
اسرعوا نحوه والاصل فيه البكاء كالصبي يتلزم بالام ويسرع اليها عند البكاء
قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لكم قالوا يا رسول الله ما نجد ما نشرب
ولا نتوضا الا ما بين يديك فوضع يده في الركوة فنظرت وهو يفور من بين
اصابعه مثل العيون قال فتوضا القوم منه قلت كم كنتم قال لو كنا ماية الف لكفانا
كنا خمس عشرة ماية في غزوة الحديبية ومن سنة الصوفية شد الوسط وهو

من السنة

من السنة روى ابو سعيد قال حج رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه مشاة
من المدينة الى مكة وقال اربطوا على اوساطكم بازركم ومشينا خلط الهرولة
ومن ظاهر اداب الصوفية عند خروجهم من الربط ان يصلي ركعتين في اول
النهار يوم السفر بكرة كما ذكرنا يودع البقعة بالركعتين ويقدم الخف وينفضه
ويشمر الكم اليمنى ثم اليسرى ثم ياخذ الميابند الذي يشد به وسطه
وياخذ خريطة المداس وينفضها وياتي الموضع الذي يريد ان يلبس الخف
فيه فيفرش السجادة طاقين ويحك نعل احد المداسين بالاخرى وياخذ المداس
باليسار والخريطة باليمين ويضع المداس في الخريطة اعقابهما الى اسفل ويشد
راس الخريطة ويدخل المداس بيده اليسرى من كمه اليسرى ويضعه خلف
ظهره ثم يقعد على السجادة ويقدم الخف بيساره وينفضه ويبدي باليمنى فيلبس
ولا يدع شيا من الران والمنطقة ان يقع على الارض ثم يغسل يديه ويجعل
وجهه الى الموضع الذي يخرج منه ويودع الحاضرين فان اخذ بعض الاخوان
زاويته الى خارج الرباط لا يمنعه وهكذا العصا والابريق ويودع من شيعه
ثم يشد الزاوية يرفع يده اليمنى ويخرج اليسرى من تحت ابط الايمن ويشد
الزاوية على الجانب الايسر ويكون كتفه الايمن خاليا وعقده الزاوية على
الجانب اليمنى واذا وصل في طريقه الى موضع شريف واستقبله جمع من الاخوان
او شيخ من الطايفة يحل الزاوية ويحطها ويستقبلهم ويسلم عليهم ثم اذا جاوزه
يشد الزاوية واذا قرب من المنزل رباطا كان او غيره يحل الزاوية ويحملها
تحت ابط الايسر وهكذا العصا والابريق يمسكه بيساره وهذه الرسوم
استحسنها فقراء خراسان والجبل ولا يعتمدها اكثر فقراء العراق والشام والمغرب
ويجري بين الفقراء مشاحة في رعايتها فمن لا يتعاهدها يقول هذه رسوم لا تلزم
والتلزم بها وقوف مع الصورة وغفلة عن الحقايق ومن يتعاهدها يقول هذه
آداب وضعها المتقدمون واذا راوا من يخل بها او بشي منها ينظرون اليه نظر الازدراء

والحقارة ويقال هذا ليس بصوفي ويقولون وكلا الطايفتين في الانكار يتعدون الواجب
والصحيح في ذلك ان من يتعاهدها لا ينكر عليه فليس بمنكر في الشرع ومواديب
حسن ومن لم يتلزم بذلك فلا ينكر عليه فليس بواجب في الشرع والمندوب اليه وكثيرا
ما يبالغ فقراء خراسان والجبل في رعاية هذه الرسوم الى حد يخرج الى الافراط وكثيرا
ما يخل بها فقراء العراق والشام والمغاربة الى حد يخرج الى التفريط والاليق ان ما لم يكره
الشرع لا ينكر ويجعل لتصاريف الاخوان اعذار ما لم يكن فيه منكرا او اخلال بمندوب اليه

الباب الثامن عشر في القدوم من السفر ودخول الرباط

ينبغي للفقير اذا رجع من السفر ان يستعيذ بالله من آفات المقام كما يستعيذ به من
وعثاء السفر ومن الدعاء الماثور اللهم اني اعوذ بك من وعثاء السفر وكابة المنقلب
وسوء المنظر في الاهل والمال والولد واذا اشرف على بلد يريد المقام بها يشير بالسلام
على من بها من الاحياء والاموات ويقرا من القرآن ما تيسر ويجعله هدية للاحيا والاموات
ويكبر فقد روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قفل من غزو او حج كان
يكبر على كل شرف من الارض ثلث مرات ويقول لا اله الا الله وحده لا شريك له
له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير آيبون تائبون عابدون ساجدون
لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ويقول
اذا رأى البلد اللهم اجعل لنا بها قرارا ورزقا حسنا ولو اغتسل كان حسنا اقتداء
برسول الله صلى الله عليه وسلم حيث اغتسل لدخول مكة وروى ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم لما رجع من طلب الاحزاب ونزل المدينة نزع لامته واغتسل واستحم
والا فليجدد الوضوء ويتنظف ويتطيب ويستعد للقاء الاخوان بذلك وينوي
التبرك بمن هناك من الاحياء والاموات ويزورهم روى ابو هريرة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم خرج رجل يزور اخا له في الله فارصد الله بمدرجته ملكا
فقال اين تريد قال ازور فلانا قال لقرابة قال لا قال لنعمة له عندك تشكرها قال لا
قال فبم تزوره قال اني احبه في الله قال فاني رسول الله اليك انه يحبك بحبك اياه وفي

ابو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا عاد الرجل اخاه او زاره
في الله قال الله له طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلا وروي ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فانها تذكر الآخرة
فيحصل للفقير فايدة الاحياء والاموات بذلك فاذا دخل البلد يبتدي بمسجد
من المساجد يصلي فيه ركعتين وان قصد الجامع كان اكمل وافضل فقد كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذا قدم دخل المسجد اولا وصلى ركعتين ثم دخل البيت والرباط
للفقير بمنزلة البيت ثم يقصد الرباط فقصده الرباط من السنة على ما رويناه
عن طلحة قال كان الرجل اذا قدم المدينة وكان له بها عريف نزل على عريفه وان لم يكن
له بها عريف نزل الصفة وكنت فيمن نزل الصفة فاذا دخل الرباط يمضي الى الموضع
الذي يريد نزع الخف فيه فيحل وسطه وهو قايم ثم يخرج الخريطة بيساره من كمه الايسر
ويحل راس الخريطة باليمين ويخرج المداس باليسار ثم يضع المداس على
الارض وياخذ الميابذ ويلفها في وسط الخريطة ثم ينزع خفه اليسار ويضع قدمه اليسرى
على ظهر المداس ثم يخرج خفه اليمين فان كان على الوضوء يغسل قدميه بعد نزع
الخف من تراب الطريق والعرق واذا قدم على السجادة يطوي السجادة من جانب
اليسار ويمسح قدميه بما انطوى ثم يستقبل القبلة ويصلي ركعتين ثم يسلم ويحفظ
القدم ان يطا به موضع السجود من السجادة وهذه الرسوم الظاهرة التي استحسنها
بعض الصوفية لا ينكر على من يتقيد بذلك لانه من استحسان الشيوخ ونيتهم في استحسانها
ذلك تقييد المريد في كل شيء بهيئة مخصوصة ليكون ابدا متفقدا لحركاته غير
قادم على حركة بغير قصد وعزيمة وادب ومن اخل من الفقراء بشيء من ذلك لا ينكر
عليه ما لم يخل بواجب ومندوب لان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما تقيدوا بكثير من رسوم المتصوفة فكون الشبان يطالبون الوارد عليهم بهذه
الرسوم من غير نظرهم الى النية في الاشياء غلط فلعل الفقير يدخل الرباط غير
متمم لكماله وقد كان في السفر لم يتمم الاحكام فنيته ان لا يتعاطى ذلك لنظر الخلق

حيث لم يخل بمندوب اليه شرعا وكون الآخر تشمير الاكمام يقيس ذلك على شد الوسط
وشد الوسط من السنة كما ذكرنا من شد اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
اوساطهم في سفرهم بين المدينة ومكة فتشمير الاكمام في معناه من الخفة والارتفاق
به في المشي فمن كان مشدود الوسط مشمرا يدخل الرباط كذلك ومن لم يكن في السفر
مشدود الوسط او كان راكبا لم يشد الوسط فمن الصدق ان يدخل كذلك ولا يتعمد
شد الوسط وتشمير الاكمام لنظر الخلق فانه تكلف ونظر الى الخلق ومبنى التصوف
على الصدق وسقوط نظر الخلق ومما ينكر على المتصوفة انهم اذا دخلوا الرباط
لا يبتدؤن بالسلام ويقول المنكر هذا خلاف المندوب ولا ينبغي للمنكر ان يبادر
الى الانكار دون ان يعلم مقاصدهم فيما اعتمدوه وتركهم السلام يحتمل وجوها
احدها ان السلام اسم من اسماء الله تعالى وقد روى عبد الله بن عمر قال مر رجل على
النبي صلى الله عليه وسلم وهو يبول فسلم عليه فلم يرد جوابه عليه حتى كاد الرجل
ان يتوارى فضرب بيده على الحائط ومسح بها وجهه ثم ضرب ضربة اخرى فمسح بها
ذراعيه ثم رد على الرجل السلام وقال انه لم يمنعني ان ارد عليك السلام الا اني لم اكن
على طهر وروي انه لم يرد عليه حتى توضأ ثم اعتذر اليه وقال اني كرهت ان اذكر الله
الا على طهر وقد يكون جمع من الفقراء مصطحبين في السفر وقد يتفق لاحدهم حدث
فلو سلم المتوضي وامسك المحدث طرح حاله فيترك السلام حتى يتوضأ من يتوضأ
ويغسل قدميه من يغسل ستر الحال على من احدث حتى يكون سلامهم على طهارة اقتداء
برسول الله صلى الله عليه وسلم وقد يكون بعض المقيمين ايضا على غير طهارة فيستعد
لجواب السلام بالطهارة لان السلام اسم من اسماء الله تعالى وهذا احسن ما يذكر من
الوجوه في ذلك ومنها انه اذا قدم يعانقه الاخوان وقد يكون معه من آثار السفر والطرق
ما يكره فيستعد بالوضوء والنظافة ثم يسلم ويعانقهم ومنها ان جمع الرباط ارباب مراقبة
واحوال فلو هجم عليهم بالسلام قد ينزعج منهم مراقب ويتشوش محافظ والسلام يتقدمه
استيناس بدخوله واشتغاله بغسل القدم والوضوء والصلوة ركعتين فيتأهب الجمع له

كما تأهب لهم بعد سابقة الاستيناس وقد قال الله تعالى حتى تستأنسوا وتسلموا
كل قوم على ما يليق بحالهم ومنها انه لم يدخل على غير بيته ولا هو بغريب منهم بل هم اخوانه
والالفة بالنسبة المعنوية الجامعة لهم في طريق واحد والمنزل منزله والموضع موضعه
فيرى البركة في استفتاح المنزل بمعاملة الله قبل معاملة الخلق وكما يمهد عذرهم في ترك
السلام ينبغي لهم ان لا ينكروا على من يدخل ويبتدئ بالسلام وكما ان من ترك السلام له نية
صالحة فالذي سلم له ايضا نية صالحة وللقوم آداب وردها الشرع ومنها آداب
استحسنها شيوخهم فمما ورد به الشرع ما ذكرنا من شد الوسط والعصا والركوة
والابتداء باليمين في لبس الخف وفي نزعه باليسار روى ابو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال اذا انتعلتم فابدؤا باليمين واذا خلعتم فابدؤا باليسار واخلعهما جميعا وانعلهما جميعا
وروى جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخلع اليسرى قبل اليمنى ويلبس اليمنى قبل اليسرى
وبسط السجادة وردت به السنة وقد ذكرناه وكون احدهم لا يجلس على سجادة الآخر
الا باذنه فمشروع ومسنون ورد في حديث لا يؤم الرجل الرجل في سلطانه ولا في
اهله ولا يجلس على تكرمته الا باذنه واذا سلم على الاخوان يعانقهم ويعانقونه فقد
روى جابر بن عبد الله قال لما قدم جعفر من ارض الحبشة عانقه النبي صلى الله عليه وسلم
وان قبلهم فلا بأس بذلك لما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم جعفر قبل بين
عينيه وقال ما انا بفتح خيبر اسر مني بقدوم جعفر ويصافح اخوانه فقد قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم قبلة المسلم اخاه المصافحة وروى انس بن مالك قال قيل يا رسول
الله الرجل يلقى صديقه واخاه اينحني له قال لا قيل يلتزمه ويقبله قال لا قال فيصافحه
قال نعم ويستحب للفقراء المقيمين في الربط ان يتلقوا الفقير بالترحيب روى عكرمة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم جئته مرحبا بالراكب المهاجر مرتين وان قاموا
اليه فلا بأس وهو حسن روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قام لجعفر يوم قدومه
ويستحب للخادم ان يقدم له الطعام روى لقيط بن صبرة قال وفدنا على رسول الله صلى
الله عليه وسلم فلم نصادفه في منزله وصادفنا عائشة فامرت لنا بالخزيرة فصنعت لنا واتتنا

مسئلة إعطاء القادم للفقراء

بقلع فيه تمروا القلاع الطبق فاكلنا ثم جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اصبتم شيئا
قلنا نعم يا رسول الله ويستحب للقادم ان يقدم للفقراء شيئا الحق القدم روى ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة نحر جزورا وكرامتهم لقدوم القادم بعد العصر له
وجه ووجهه من السنة منع النبي صلى الله عليه وسلم عن طروق الليل والصوفية بعد العصر
يستعدون لاستقبال الليل بالطهارة والانكباب على الاذكار والاستغفار روى
جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قدم احدكم من سفره فلا يطرقن
اهله ليلا وروى كعب بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يقدم من سفر الا نهارا
في الضحى فيستحبون القدوم في اول النهار فان فات من اول النهار فقد يتفق تعويق
من ضعف بعضهم في المشي او غير ذلك فيعذر الفقير بقية النهار الى العصر لاحتمال
التعويق فاذا صار العصر نسب الى تقصيره في الاهتمام بالسنة في قدوم اول النهار
فلذلك يكرهون القدوم بعد العصر والله اعلم فاذا صار العصر يؤخر القدوم الى
الغد ليكون عاملا بالسنة للقدوم ضحوة وايضا فيه معنى آخر ان الصلوة بعد العصر
مكروهة ومن الادب ان يصلي القادم ركعتين فلذلك يكرهون القدوم بعد العصر
وقد يكون من القادمين من يكون قليل الدربة بدخول الرباط وبنا له دهشة فمن
السنة التقرب اليه والتودد وطلاقة الوجه حتى ينبسط ويذهب عنه الدهشة
ففي ذلك فضل كثير روى ابو رفاعة قال اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخطب
فقلت يا رسول الله رجل غريب جاء يسئل عن دينه لا يدري ما دينه قال فاقبل النبي على
وترك خطبته ثم اتى بكرسي قوايمه من حديد فقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
عليه ثم جعل يعلمني مما علمه الله ثم اتى خطبته واتم آخرها فاحسن اخلاق الفقراء
الرفق بالمسلمين واحتمال المكروه من المرئي والمسموع وقد يدخل فقير بعض الربط
ويخل بشيء من مراسم الصوفية فينهر ويخرج وهذا خطأ كبير فقد يكون خلق من
الصالحين والاولياء لا يعرفون هذا الترسم الظاهر ويقصدون الرباط بنية
صالحة فاذا استقبلوا بمكروه يخشى ان يتشوش باطنهم من الاذى ويدخل على المنكر
عليهم

عليهم ضرر في دينه ودنياه فليحذر ذلك ولينظر الى اخلاق النبي صلى الله عليه وسلم
وما كان يعتمده مع الخلق من المداراة والرفق وقد صح ان اعرابيا دخل المسجد
وبال فامر النبي صلى الله عليه وسلم حتى اتي بذنوب من ماء فصبت على ذلك الموضع ولم ينهر
الاعرابي بل رفق به وعرفه الواجب بالرفق واللين والفظاظة والغلظ والتسلط
على المسلمين بالقول والعمل من النفوس الخبيثة وهو ضد حال المتصوفة ومن
دخل الرباط ممن لا يصلح للمقام به راسا يصرف من الموضع على الطف وجه بعد
ان يقدم له طعام ويحسن له كلام فهذا الذي يليق بسكان الرباط وما يعتمدها
الفقراء من تغميز القادم بخلق حسن ومعاملة صالحة وردت في السنة روى عمر
رضي الله عنه قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وغلام له حبشي يغمز
ظهره فقلت يا رسول الله ما شانك فقال ان الناقة اقتحمت بي وقد يحسن الرضا
ممن يغمز بذلك في وقت تعبه وقدومه من السفر فاما ان يتخذ ذلك عادة ويحب
التغميز ويستجلب به النوم ويسا كنه حتى لا يفوته فلا يليق بحال الفقراء وان
كان مباحا في الشرع وكان بعض الفقراء اذا استرسل في التغميز واستلذه وينام
يحتلم ويرى ذلك الاحتلام عقوبة استرساله في التغميز ولارباب العزايم امور
لا يسعهم فيها الركون الى الرخص ومن آداب الفقراء اذا استقر وقعد بعد
قدومه ان لا يبتدئ بكلام دون ان يسال ويستحب له ان يمكث ثلثة ايام
لا يقصد زيارة ومشهدا وغير ذلك مما هو مقصوده من المدينة حتى يذهب
عنه وعثاء السفر ويعود باطنه الى هيئته فقد يكون بالسفر وعوارضه تغير
باطنه وتكدره حتى يجتمع في ثلثة ايام همه وينصلح باطنه ويستعد للقاء
المشايخ والزيارات بتنوير الباطن فان باطنه اذا كان منورا يستوفي حظه
من الخير من كل شيخ واخ يزوره وقد كنت اسمع شيخنا رضي الله عنه يوصي
الاصحاب ويقول لا تكلموا اهل هذه الطريقة الا في اصفى اوقاتكم وهذا فيه
فايدة كثيرة فان نفوذ الكلام على قدر نور القلب ونور السمع على قدر نور القلب فاذا دخل

على شيخ او اخ وزاره ينبغي ان يستاذنه اذا اراد الانصراف فقد روى عبد الله بن
عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا زار احدكم اخاه فجلس عنده فلا يقومن
حتى يستاذنه وان نوى ان يقيم اياما وفي وقته سعة ولنفسه الى البطالة وترك العمل شوف
شوف يطلب خدمة يقوم بها وان كان دايم العمل لربه فكفى بالعبادة شغلا لان الخدمة
لاهل العبادة يقوم مقام العبادة ولا يخرج من الرباط الا باذن المتقدم فيه ولا يفعل
شيئا دون ان ياخذ رايه فيه فهذه جمل اعمال يعتمدها الصوفية وارباب الربط والله تع
بفضله يمدهم توفيقا وتاييدا

الباب التاسع عشر في حال الصوفي والمتسبب

اختلف احوال الصوفية في الوقوف مع الاسباب والاعراض
عن الاسباب فمنهم من كان على الفتوح لا يركن الى معلوم ولا يتسبب بكسب ولا سوال ومنهم
من كان يكتسب ومنهم من كان يسال في وقت فاقته ولهم في كل ذلك ادب وحد يراعونه
ولا يتعدونه واذا كان الفقير يسوس نفسه بالعلم ياتيه الفهم من الله تعالى في الذي
يدخل فيه من سبب او ترك سبب لا ينبغي للفقير ان يسال مهما امكن فقد حث النبي صلى
الله عليه وسلم على ترك السوال بالترغيب والترهيب فاما الترغيب فما روى ثوبان قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من يضمن لي بواحدة اتقبل له بالجنة فقال ثوبان قلت انا قال
لا تسال الناس شيئا فكان ثوبان يسقط علاقة سوطه فلا يامر احدا يناوله وينزل هو
وياخذها وروى ابو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لان ياخذ احدكم حبلا
فيحتطب على ظهره فياكل ويتصدق خير له من ان ياتي رجلا فيساله اعطاه او منعه
ذلك فان اليد العليا خير من اليد السفلى اخبرنا الشيخ ابو زرعة طاهر بن الفضل الحافظ
المقدسي قال اخبرني والدي قال انا ابو محمد الصريفيني ببغداد قال انا ابو القسم عبد الله
ابن محمد قال ثنا عبد الله بن محمد بن عبد العزيز قال انا علي بن الجعد قال انا شعبة عن ابي حمزة
قال سمعت هلال بن حصين قال اتيت المدينة فنزلت دار ابي سعيد فضمني واياه
المجلس فحدثنا انه اصبح ذات يوم وليس عندهم طعام فاصبح وقد عصب على بطنه
حجرا من الجوع فقالت له امراته ايت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد اتاه فلان فاعطاه

واتاه فلان فاعطاه قال فاتيته وقلت التمس شيئا فذهبت اطلب فانتهيت الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو يخطب ويقول من يستعفف يعفه الله ومن يستغن يغنه الله ومن
سالنا شيئا فوجدناه اعطيناه وواسيناه ومن استعف عنه واستغنى فهو احب الينا ممن
سالنا قال فرجعت وما سالته فرزق الله تعالى حتى ما اعلم اهل بيت من الانصار
اكثر اموالا منا واما من حيث التحذير والترهيب فقد روي عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه قال لا تزال المسالة باحدكم حتى يلقى الله وليس في وجهه مزعة لحم وروى
ابو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس المسكين الذي ترده الاكلة
والاكلتان والتمرة والتمرتان ولكن المسكين الذي لا يسال الناس ولا يفطن
مكانه فيعطى قال الشيخ رحمه الله هذا حال الفقير الصادق والمتصوف المتحقق
لا يسال الناس شيئا من امر الدنيا ومنهم من يلزم الادب حتى يوديه الى حال يستحيي
من الله ان يساله شيئا من امر الدنيا حتى اذا همت النفس بالسوال ترده الهيبة ويرى
الاقدام على السوال جراة فيعطيه الله عند ذلك من غير سوال كما نقل عن ابرهيم
الخليل عليه السلام انه جاءه جبريل وهو في الهواء قبل ان يصل الى النار فقال له هل
لك من حاجة فقال اما اليك فلا فقال له فسل ربك فقال حسبي من سوالي علمه بحالي
وقد يضعف عن مثل هذا فيسال الله عبودية ولا يرى سوال المخلوقين فيسوق الله
القسم اليه من غير سوال المخلوق بلغنا عن بعض الصالحين انه كان يقول اذا وجد
الفقير نفسه مطالبة بشي لا يخلو تلك المطالبة اما رزق يريد الله ان يسوقه اليه
فيتنبه النفس له فقد يتطلع نفوس بعض الفقراء الى ما سوف يحدث وكانها تخبر
بما يكون واما ان يكون ذلك عقوبة لذنب وجدها فاذا وجد الفقير ذلك والحت النفس
عليه بالمطالبة فليقم وليسبغ الوضوء ويصلي ركعتين ويقول يا رب ان كانت هذه
المطالبة عقوبة ذنب فاستغفرك واتوب اليك وان كان رزقا قدرته لي فعجل وصوله
الي فان الله تعالى يسوق اليه ان كان رزقه والا فيذهب المطالبة عن باطنه فشان الفقير
ان يزل حوايجه بالحق فاما يرزقه الشي او الصبر او يذهب ذلك عن قلبه فلله تعالى ابواب من الحكمة

وابواب من طريق القدرة فان فتح بابا من طريق الحكمة والا فينفتح بابا من طريق القدرة ويأتيه الشيء بخرق العادة كما كان يأتي مريم كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم انى لك هذا قالت هو من عند الله حكى عن بعض الفقراء قال جعت ذات يوم وكان حالي ان لا اسأل فدخلت بعض المحال ببغداد مجتازا متعرضا لعل الله يفتح لي على يد بعض عباده شيئا فلم يقدر فنمت جائعا فاتاني آت في منامي فقال اذهب الى موضع كذا وعين الموضع فثم خرقة زرقاء فيها قطيعات اخرجها في مصالحك قال الشيخ فمن تجرد عن المخلوقين وتفرد بالله فقد تفرد بغني قادر لا يعجزه شيء يفتح عليه من ابواب الحكمة وقدرته كيف شاء واولى من سأل نفسه بيسا لها الصبر الجميل فان الصادق يجنبه نفسه وحكى شيخنا رحمه الله ان ولده جاء اليه ذات يوم وقال له اريد قال فقلت له ما تحضر الجنة وذكر شهوة يشتريها بالجنة فقال عن ذلك اذهب واستقرض قال قلت نعم استقرضها من نفسك فهي اولى من اقرضك وقد نظم بعضهم هذا المعنى وقال

اذا شئت ان تستقرض المال منفقا على شهوات النفس في زمن العسر
فسل نفسك الانفاق من كنز صبرها عليك وارفاقا الى زمن اليسر
فان فعلت كنت الغنى وان ابت فكل منوع بعدها واسع العذر

فاذا استنفد الفقير الجهد من نفسه واشرف على الضعف وتحققت الضرورة وسأل مولاه ولم يقدر له شيء ووقته يضيق عن الكسب من شغله بحاله فعند ذلك يقرع باب السبب ويسأل فقد كان الصالحون يفعلون ذلك عند فاقاتهم نقل عن ابي سعيد الخراز انه كان يمد يده عند الفاقة ويقول ثم شيء لله ونقل عن ابي جعفر الحداد وكان استاذ الجنيد انه كان يخرج بين العشائين ويسأل من باب او بابين ويكون ذلك معلومه على قدر الحاجة بعد يوم او يومين ونقل عن ابرهيم بن ادهم انه كان معتكفا بجامع البصرة مدة وكان يفطر في كل ثلث ليال ليلة وليلة افطاره يطلب من الابواب ونقل عن سفيان الثوري انه كان يسافر من الحجاز الى صنعاء اليمن ويسأل في الطريق وقد كنت اذكر لهم حديثا في الضيافة فيقدم لي الطعام فاتناول حاجتي واترك ما يبقى وقد ورد من جاع ولم يسأل فمات دخل النار قال الشيخ

ومن عنده

ومن عنده علم وله مع الله حال لا يبتلي بمثل هذا بل يسأل بالعلم ويمسك عن السؤال بالعلم وحكى بعض مشايخنا عن شخص كان مصرا على المعاصي ثم انتبه وتاب وحسن توبته وصار له حال مع الله تعالى قال عزمت ان اخرج مع القافلة ونويت ان لا اسأل احدا شيئا واكتفي بعلم الله تعالى قال بقيت اياما في الطريق يفتح الله علي الماء والزاد في وقت الحاجة ثم وقف الامر بعد ذلك لم يفتح الله تعالى علي بشيء فجعت وعطشت حتى لم يبق لي طاقة فضعفت عن المشي وبقيت اتأخر عن القافلة قليلا قليلا حتى مرت القافلة فقلت في نفسي هذا الآن مني القاء النفس الى التهلكة وقد منع الله من ذلك وهذه مسئلة الاضطرار اسأل فلما هممت بالسؤال انبعث من باطني انكار لهذه الحالة وقلت عزيمة عقدتها مع الله لا انقضها وهان علي الموت دون نقض عزيمتي فقصدت شجرة وقعدت في ظلها وطرحت راسي استطرح للموت وذهبت القافلة فبينا انا كذلك اذ جاءني شاب متقلد بسيف وحركني فقمت وفي يده اداوة فيها ماء فقال لي اشرب فشربت ثم قدم لي طعاما وقال لي كل فاكلت ثم قال لي تريد القافلة قلت له من لي بالقافلة وقد عبرت فقال لي قم واخذ بيدي ومشى معي خطوات ثم قال لي اجلس فالقافلة اليك تجيء فجلست ساعة فاذا انا بالقافلة ورائي متوجهة الي هذا شأن من يعامل مولاه بالصدق وذكر الشيخ ابو طالب المكي رحمه الله ان بعض الصوفية اول قول رسول الله صلى الله عليه وسلم احل ما اكل المؤمن من كسب يده انه المسئلة عند الفاقة وانكر الشيخ ابو طالب هذا التاويل من هذا الصوفي وذكر ان جعفر الخلدي كان يحكي هذا التاويل عن شيخ من مشايخ الصوفية ووقع لي والله اعلم ان الشيخ الصوفي لم يرد بكسب اليد ما انكر الشيخ ابو طالب منه وانما اراد بكسب اليد رفعها الى الله تعالى عند الحاجة فهو من احل ما ياكله اذا اجاب الله سؤاله وساق اليه رزقه وقال الله تعالى حكاية عن موسى رب اني لما انزلت الي من خير فقير قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال ذلك وان خضرة البقل يترايا في بطنه من الهزال قال محمد بن الباقر رحمه الله قالها وانه يحتاج الى شق تمرة ودخل

عن مطرف انه قال اما والله لو كان عند نبي الله شيء ما اتبع المرأة ولكن حمله على ذلك
الجهد وذكر الشيخ ابو عبد الرحمن السلمي عن النصراباذي انه قال في قوله اني لما انزلت
الي من خير فقير لم يسال الكليم الخلق وانما كان سواله من الحق ولم يسال غذاء النفس
انما اراد سكون القلب وقال ابو سعيد الخراز الخلق مترددون بين ما لهم وبين ما اليهم
من نظر الى ما له تكلم بلسان الفقر ومن شاهد بما اليه تكلم بلسان الجبلاء والفخر
الا ترى حال الكليم عليه السلام لما شاهد خواص ما خاطبه به الحق كيف قال ارني
انظر اليك ولما نظر الى نفسه كيف اظهر الفقر وقال اني لما انزلت الي من خير فقير
وقال ابن عطاء نظر من العبودية الى الربوبية فخشع وخضع وتكلم بلسان الافتقار
بما ورد على سره من الانوار وافتقاره افتقار العبد الى مولاه في جميع احواله
لا افتقار طلب وسوال وقال الحسين فقير لما خصصتني من علم اليقين الى ان ترقيني
الى عين اليقين وحق اليقين ووقع لي والله اعلم ان قوله لما انزلت الي من خير فقير
ان الانزال اشعر ببعد رتبته عن حقيقة القرب فيكون الانزال عين الفقر فما اقنع
بالمنزل واراد قرب المنزل ومن صح فقره ففقره في امر آخرته كفقره في امر دنياه
ورجوعه اليه في الدارين واياه يسال حوائج المنزلين ويساوي عنده الحاجتين وما له مع غير

الباب العشرون في ذكر من يأكل من الفتوح

الله شغل في الدارين
قال الشيخ رحمه الله اذا كمل شغل الصوفي بالله وكمل زهده لكمال تقواه يحكم الوقت عليه بترك
التسبب وينكشف له صريح التوحيد وصحة الكفالة من الله الكريم فيزول عن باطنه
الاهتمام بالاقسام ويكون مقدمه هذا ان يفتح الله له بابا من التعريف بطريق المقابلة
على كل فعل يصدر منه حتى لو جرى عليه يسير من ذنب حاله او الذنب مطلقا ما هو
منهي عنه في الشرع يجد غب ذلك في وقته او يومه كان بعضهم يقول اني لاعرف
ذنبي في سوء خلق غلامي وقيل ان بعض الصوفية قرض الفار خفه فلما راى ذلك تألم
وانشد لو كنت من مازن لم تستبح ابلي اشارة منه الى ان الدخل عليه مقابلة له
على شيء استوجب به ذلك ولا تزال به المقابلات متضمنة للتعريفات الالهية حتى

يخص

المساواة برابر كردن اي يساوي الحاجتين عنده لا يخصص حاجات الدنيا بالطلب دون حاجات الاولى

قرضت الشيء اقرضه بالكسر قرضا قطعته والفارة تقرض الثوب

يخص بصدق المحاسبة وصفاء المراقبة عن تضييع حقوق العبودية ومخالفة
حكم الوقت ويتجرد له فعل الله تعالى ويمحي عنده افعال غير الله فيرى المعطي والمانع
هو الله سبحانه وتعالى ذوقا وحالا لا علما وايمانا ثم يتداركه الحق سبحانه بالمعونة
ويوقفه على صريح التوحيد وتجريد فعل الله تعالى كما حكي عن بعضهم انه خطر له
خاطر الاهتمام بالرزق فخرج الى بعض الصحاري فرأى قنبرة عمياء عرجاء
ضعيفة فوقف متعجبا منها متفكرا فيما تاكل مع عجزها عن الطيران والمشي
والرؤية فبينا هو كذلك اذا انشقت الارض وخرجت سكرجتان في احدهما سمسم
نقي وفي الاخرى ماء صاف فاكلت من السمسم وشربت من الماء ثم انشقت الارض وغابت
السكرجتان قال فلما رأيت ذلك سقط عن قلبي الاهتمام بالرزق فاذا اوقف الحق
عبده في هذا المقام يزيل عن باطنه الاهتمام بالاقسام ويرى الدخول في التسبب والتكسب
بالسوال وغيره رتبة العوام ويصير مسلوب الاختيار غير متطلع الى الاغيار ناظرا الى
فعل الله تعالى ينتظر الامر الله فتساق اليه الاقسام ويفتح عليه باب الانعام ويكون
بدوام ملاحظته لفعل الله وترصده بما يحدث من امر الله مكاشفا له تجليات من الله
الكريم بطريق الافعال والتجلي بطريق الافعال رتبة في القرب ومنه يرقى الى التجلي
بطريق الصفات ومن ذلك يرقى الى التجلي للذات والاشارة الى هذه التجليات الى
رتب في اليقين ومقامات في التوحيد شيء فوق شيء وشيء اصفى من شيء فالتجلي بطريق
الافعال يحدث صفو الرضا والتسليم والتجلي بطريق الصفات يكسب الهيبة والانس
والتجلي بالذات يكسب الفناء والبقاء وقد يسمى ترك الاختيار والوقوف مع الله تعالى
فناء يعنون به فناء الارادة والهوى والارادة الطف اقسام الهوى وهذا الفناء هو الفناء
الظاهر فاما الفناء الباطن فهو محو آثار الوجود عند لمعان نور الشهود يكون في تجلي
الذات وهو اكمل اقسام اليقين في الدنيا فاما التجلي حكم الذات فلا يكون الا في الآخرة
وهو المقام الذي حظي به رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج ومنع عنه موسى عليه السلام
بلن تراني فليعلم ان قولنا في التجلي اشارة الى رتب الحظ من اليقين ورؤية البصيرة فاذا وصل

الى لا رؤية العين

القنبرة ضرب من الطيور

الانصبة التي قسم الله

فعل

العبد الى مبادى اقسام التجلى وهو مطالعة الفعل الالهى مجردا عن فعل سوى الله
يكون تناوله الاقسام من الفتوح روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من وجه
اليه شئ من هذا الرزق من غير مسئله ولا اشراف فليأخذه وليتوسع به فى رزقه
وان كان عنده غنى فليدفعه الى من هو احوج منه وفى هذا دلالة ظاهرة على
ان العبد يجوز ان ياخذ زيادة على حاجته بنية صرفه الى غيره وكيف لا ياخذه
وهو يرى فعل الله تعالى ثم اذا اخذ فمنهم من يخرجه الى المحتاج ومنهم من يتوقف فى
الاخراج ايضا حتى يرد عليه من الله علم خاص ليكون اخذه بالحق واخراجه بالحق اخبرنا
الشيخ ابو زرعة طاهر قال انا والدى الحافظ ابو الفضل المقدسى قال انا ابو اسحق ابراهيم بن سعيد
الحبال قال انا محمد بن عبد الرحمن بن سعيد قال انا ابو طاهر احمد بن محمد بن عمرو قال انا
يونس بن عبد الاعلى قال انا ابن وهب قال انا عمرو بن الحارث عن ابن شهاب عن السائب
ابن يزيد عن حويطب بن عبد العزى عن عبد الله بن السعدى عن عمر بن الخطاب
رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطينى العطاء فاقول اعطه
يا رسول الله من هو افقر اليه منى فقال صلى الله عليه وسلم خذه فتموله او تصدق به
وما جاءك من هذا المال وانت غير مستشرف ولا سائل فخذه وما لا فلا تتبعه نفسك
قال سالم فمن اجل ذلك كان ابن عمر لا يسال احدا شيئا ولا يرد شيئا اعطيه درج
رسول الله صلى الله عليه وسلم الاصحاب بأوامره الى رؤية فعل الله تعالى والخروج
من تدبير النفس الى حسن تدبير الله تعالى سئل سهل بن عبد الله التسترى عن علم
الحال قال هو ترك التدبير ولو كان هذا فى واحد لكان من اوتاد الارض روى زيد
ابن خالد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جاءه من اخيه معروف من غير مسئلة ولا اشراف
اشراف نفس فليقبله فانما هو رزق ساقه الله تعالى اليه وهذا العبد لو اقف مع الله تعالى
فى قبول ما ساق الحق آمن ما يخشى على من يرد لان من يرد لا يامن دخول النفس عليه ان يرى
بعين الزهد ففى اخذه اسقاط نظر الخلق تحققا بالصدق والاخلاص وفى اخراجه الى
الغير اثبات حقيقة الزهد عليه فلا يزال فى كلا الحالين زاهدا يراه الغير بعين الرغبة

منشوف

اليه

تعلق

لقلة العلم بحاله وفى هذا المقام يتحقق الزهد فى الزهد ومن اهل الفتوح من يعلم
دخول الفتوح عليه ومنهم من لا يعلم دخول الفتوح عليه فمنهم من لا يتناول من الفتوح
الا اذا تقدمه علم بتعريف من الله اياه ومنهم من ياخذ غير متطلع الى تقدم العلم حيث
تجرد له الفعل ومن لا ينتظر تقدمة العلم فوق من ينتظر تقدمة العلم لتمام صحبته مع
الله تعالى وانسلاخه من ارادته وعلمه حاله فى ترك الاختيار ومنهم من يدخل الفتوح
عليه لا بتقدمة العلم ولا برؤية تجرد الفعل من الله سبحانه وتعالى ولكن يرزق شربا
من المحبة بطريق رؤية النعمة وقد يتكدر شربه هذا بتغير معهود النعمة وهذا
حال ضعيف بالاضافة الى الحالين الاولين لانه علة فى المحبة وو لجة فى الصدق
عند الصديقين وقد ينتظر صاحب الفتوح العلم فى الاخراج ايضا كما انتظر فى الاخذ
لان النفس تظهر فى الاخراج كما تظهر فى الاخذ وانما من هذا من يكون فى اخراجه مختارا
وفى اخذه مختارا بعد تحققه بصحة التصرف فان انتظار العلم انما كان لموضع
اتهام النفس ببقية هوى موجود فاذا زال الاتهام بوجود صريح العلم يأخذ غير محتاج
الى علم يتجدد ويخرج كذلك وهذه حال من تحقق بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم
حاكيا عن ربه فاذا احببته كنت له سمعا وبصرا بى يسمع وبى ينطق الحديث فلما
صح تعرفه صح تصرفه وهذا اعز فى الاحوال من الكبريت الاحمر وكان شيخنا ضياء الدين
ابو النجيب السهروردى رحمه الله يحكى عن الشيخ حماد رحمه الله انه كان يقول انا لا آكل
الا من طعام الفضل وكان يرى الشخص فى المنام ان يحمل اليه شيئا وقد كان يعتبر للرائى
فى المنام ان احمل الى حماد كذا وكذا وقيل انه بقى زمانا يرى هو فى واقعته او منامه
انك احلت على فلان بكذا وكذا وحكى عنه انه كان يقول كل جسم يربى بطعام الفضل
لا يتسلط عليه البلى ويعنى بطعام الفضل ما يشهد له صحة الحال من فتوح الحق سبحانه
ومن كان هذه حالته فهو غنى بالله قال الواسطى الافتقار الى الله تعالى اعلى درجة
المريدين والاستغناء بالله اعلى درجة الصادقين وقال ابو سعيد الخراز العارف
فنى تدبيره فى تدبير الحق فلا واقف مع الفتوح واقف مع الله ناظر الى الله قال الشيخ رحمه الله

سمعا وبصرا منه كما ورد فى الحديث

واحسن ما حكي في هذا ان بعضهم راى النوري يمد يده ويسأل الناس قال فاستعظمت
ذلك منه فاستقبحت له فاتيت الجنيد فاخبرته فقال لي لا يعظم هذا عليك فان النوري
لا يسال الناس الا ليعطيهم سالهم ليقيهم في الآخرة فيوجرون من حيث لا يضره
وقول الجنيد ليعطيهم كقول بعضهم اليد العليا يد الآخذ لانه يعطي الثواب قال ثم
قال الجنيد هات الميزان فوزن مائة درهم ثم قبض قبضة فالقاها على المائة ثم
قال احملها اليه فقلت في نفسي انما يوزن ليعرف مقداره فكيف خلط المجهول بالموزون
وهو رجل حكيم واستحييت ان اسأله فذهبت بالصرة الى النوري فقال هات الميزان
فوزن مائة وقال ردها عليه وقل له انا لا اقبل منك شيئا واخذ ما زاد على المائة قال
فزاد تعجبي فسألته عن ذلك فقال الجنيد رجل حكيم يريد ان ياخذ الحبل بطرفيه
وزن المائة لنفسه طلبا للثواب وطرح عليها قبضة بلا وزن لله تعالى فاخذت ما كان
لله ورددت ما جعله لنفسه قال فرددتها الى الجنيد فبكى وقال اخذ ما له ورد ما لنا
ومن لطايف ما سمعت من اصحاب شيخنا انه قال ذات يوم لاصحابه نحن نحتاج الى
شيء من المعلوم فارجعوا الى خلواتكم واسألوا الله تعالى وما يفتح الله تعالى عليكم
ايتوني به ففعلوا ثم جاءه من بينهم شخص يعرف باسمعيل البطايحي ومعه كاغذ عليه
ثلثون دايرة وقال هذا الذي فتح الله لي في واقعتي فاخذ الشيخ الكاغذ فلم يكن
الا ساعة فاذا بشخص دخل ومعه ذهب فقدمه بين يدي الشيخ ففتح القرطاس فاذا هو
ثلثون صحيحا فترك كل صحيح على دايرة وقال هذا فتوح الشيخ اسمعيل او كلاما
هذا معناه وسمعت ان الشيخ عبد القادر رحمه الله بعث الى شخص وقال الفلان
عندك طعام وذهب اتني من ذلك بكذا ذهبا وكذا طعاما فقال الرجل لبيه اتصرف
في وديعة عندي ولو استفتيتك ما افتيتني في التصرف فالزمه الشيخ بذلك واحسن
الظن بالشيخ وجاء اليه بالذي طلب فلما وقع التصرف منه جاءه مكتوب من صاحب
الوديعة وهو غايب في بعض نواحي العراق ان احمل الى الشيخ عبد القادر القدر
وهو القدر الذي عينه الشيخ عبد القادر فاتيته الشيخ بعد ذلك على توقفه

وقال

وقال ظننت بالفقراء ان اشاراتهم تكون على غير صحة وعلم فالعبد اذا صح مع الله
وافنى سواه متطلبا رضى الله تعالى يرفع الله عن باطنه هموم الدنيا ويجعل الغنى
في قلبه ويفتح عليه ابواب الرفق وكل الهموم المتسلطة على بعض الفقراء لكون
قلوبهم ما استكملت الشغل بالله والاهتمام برعاية حقوق العبودية فعلى قدر
ما خلت عن همة الله تعالى ابتليت بهم الدنيا ولو امتلات من همة الله ما عذبت
بهموم الدنيا ووفقت وارفقت روي عن عبد الله المسعودي كان له ثلثمائة
وستون صديقا وكان يكون عند كل واحد يوما وآخر كان له ثلثون صديقا
وكان عند كل واحد يوما وآخر كان له سبعة اخوان فكان كل يوم من الاسبوع
عند كل واحد فكان اخوانهم معلومهم والمعلوم اذا اقامه الحق للناظر الى الله بنعم
الكامل توحيده يكون نعمة هنيئة جاء رجل الى الشيخ ابي السعود رحمه الله
وكان من ارباب الاحوال السنية وانواقفين في الاشياء مع فعل الله سبحانه متمكنا
في حاله تاركا لاختياره لعله سبق كثيرا من المتقدمين في تحقيق ترك الاختيار
راينا منه وشاهدنا احواله الصحيحة عن قوة وتمكين فقال له الرجل اريد ان اعين
شيئا كل يوم من الخبز احمله اليك ولكني قلت الصوفية يقولون المعلوم شوم
قال الشيخ نحن ما نقول المعلوم شوم فان الحق يصفي لنا فعله نرى فكل ما يقسم لنا
نراه مباركا ولا نراه شوما اخبرنا ابو زرعة طاهر اجازة قال انبانا ابو بكر احمد بن
خلف الشيرازي اجازة قال انبانا ابو عبد الرحمن السلمي قال سمعت ابا بكر بن شاذان
قال سمعت ابا بكر الكتاني قال كنت انا وعمر والمكي وعياش بن المهدي نصطحب
ثلثين سنة نصلي الغداة على طهر العصر وكنا قعودا بمكة على التجريد ما لنا على
الارض ما يساوي فلسا وربما كان يصيبنا الجوع يوما ويومين وثلثة واربعة
وخمسة ولا نسال احدا فان ظهر لنا شيء عرفنا وجهه من غير سوال ولا تعريض قبلناه
واكلناه والا طوينا فاذا اشتد بنا الامر وخفنا على انفسنا النقصان في الفرايض
قصدنا ابا سعيد الخراز فيتخذ لنا الوانا من الطعام ولا نقصد غيره ولا نتبسط

الا اليه لما يعرف من تقواه وورعه وقيل لابي يزيد يوما ما نريك تشتغل بكسب فمن اين
معاشك فقال مولاي يرزق الكلب والخنزير تراه لا يرزق ابا يزيد قال السلمي سمعت
ابا عبد الله الرازي يقول سمعت مظفر القرميسيني يقول الفقير الذي لا يكون
له الى الله حاجة وقيل لبعضهم ما الفقر قال وقوف الحاجة على القلب ومحوها
من كل احد سوى الرب قال بعضهم اخذ الفقير الصدقة ممن يعطيه لا ممن
تصل اليه على يده ومن قبل من الوسائط فهو المتزيي بالفقر مع دناة همته
انبانا شيخنا ضياء الدين ابو النجيب السهروردي قال انا عصام الدين ابو حفص
عمر بن احمد بن منصور الصفار قال انا ابو بكر احمد بن خلف الشيرازي قال انا
ابو عبد الرحمن السلمي قال سمعت احمد بن علي بن جعفر يقول ان ابا سليمن الداراني
كان يقول آخر اقدام الزاهدين اول اقدام المتوكلين وروي ان
بعض العارفين زهد فبلغ من زهده الى ان فارق الناس وخرج من الامصار
فقال لا اسيل احدا شيا حتى ياتيني رزقي فاخذ يسيح فاقام في سفح جبل سبعا
لم ياته شيء حتى كاد ان يتلف فقال يا رب ان احييتني فاتني برزقي الذي قسمت
لي والا فاقبضني اليك فالهمه الله سبحانه في قلبه وعزتي وجلالي لا ارزقنك
حتى تدخل الامصار وتقيم بين الناس فدخل المدينة واقام بين ظهراني الناس فجاءه
هذا بطعام وهذا بشراب فاكل وشرب فاوجس في نفسه من ذلك فسمع اردت
ان تبطل حكمتي بزهدك في الدنيا اما علمت انه يرزق العباد بايدي العباد
احب اليه من ان يرزقهم بايدي القدرة فالواقف مع الفتوح استوى عنده
ايدي الآدميين وايدي الملائكة واستوى عنده القدرة والحكمة وطلب
الفقار والتوصل الى قطع الاسباب للاذهاب برؤية الاسباب واذا صح
التوحيد تلاشت الاسباب اخبرنا شيخنا قال انا ابو حفص عمر قال انا احمد بن
خلف قال انا ابو عبد الرحمن قال انا محمد بن احمد بن حمدان العكبري بها قال سمعت
احمد بن محمود بن البسري يقول سمعت محمد الاسكاف يقول سمعت يحيى بن معاذ الرازي

يقول

يقول من استفتح باب المعاش بغير مفاتيح الاقدار وكل الى المخلوقين قال بعض
المنقطعين كنت ذا صنعة جليلة فاريد مني تركها فجال في صدري من اين المعاش
فهتف بي هاتف لا اراه تنقطع الي وتتهمني في رزقك علي ان اخدمك
اوليائي او اسخر لك منافقا من اعدائي قال الشيخ رحمه الله فلما صح حال الصوفي
وانقطعت اطماعه وسكنت نفسه عن كل تشرف وتطلع خدمته الدنيا وصحت
له الدنيا خادمة وما رضيها مخدومة فصاحب الفتوح يرى حركة بالتشرف
جناية وذنبا روي ان احمد بن حنبل رضي الله عنه خرج ذات يوم الى شارع
باب الشام فاشترى دقيقا ولم يكن في ذلك الموضع من يحمله فوافى ايوب الحمال
فحمله ودفع اليه احمد اجرته فلما دخل الدار بعد اذنه له اتفق ان اهل الدار
قد خبزوا ما كان عندهم من الدقيق وتركوا الخبز على السرير ينشف فراه ايوب
الحمال وكان يصوم الدهر فقال احمد لابنه صالح ادفع الى ايوب من الخبز
فدفع اليه رغيفين فردهما فقال احمد ضعهما ثم صبر قليلا ثم قال خذهما فالحقه
بهما فلحقه فاخذهما فرجع صالح متعجبا فقال له احمد عجبت من رده واخذه
قال نعم قال هذا رجل صالح فراى الخبز فاستشرفت نفسه اليه فلما اعطيناه
مع الاستشراف رده ثم ايس فرددناه اليه بعد الاياس فقبل هذا حال ارباب
الصدق ان سالوا سالوا بعلم وان امسكوا عن السوال امسكوا بحال وان قبلوا قبلوا
بعلم فمن لم يرزق حال الفتوح فله حال السوال والكسب بشرط العلم فاما السايل
مستكثرا فوق الحاجة ولا في وقت الضرورة فليس من الصوفية بشيء سمع عمر
رضي الله عنه سايلا يسال فقال لمن عنده الم اقل لك عش السايل فقال قد عشيته
فنظر عمر فاذا تحت ابطه مخلاة مملوة خبزا فقال لست بسايل ولكنك تاجر ثم
نثر مخلاته بين يدي ابل الصدقة وضربه بالدرة وروي عن علي رضي الله عنه
قال ان الله عز وجل في خلقه مثوبات فقر وعقوبات فقر فمن علامات الفقر
اذا كان مثوبة للفقير ان يحسن خلقه ويطيع ربه ولا يشكو حاله ويشكر الله تعالى

على فقره ومن علامة الفقر اذا كان عقوبة للكفر ان يسوء خلقه ويعصي ربه ويكثر الشكاية
ويتسخط للقضاء فحال الصوفي حسن الادب في السوال والفتوح والصدق مع الله في كل حال
كيف تقلب

الباب الحادي والعشرون في شرح حال المتجرد والمتاهل من الصوفية وصحة مقاصدهم

الصوفي يتزوج لله كما يتجرد لله فلتجرده مقصد وان تاهله مقصد وان
والصادق يعلم اوان التجرد والتاهل لان الطبع الجموح للصوفي يلجم بلجام العلم
فيما يصلح له التجرد لا يستعجله الطبع الى التزوج ولا يقدم على التزوج الا
اذا انصلحت النفس واستحقت ادخال الرفق عليها وذلك اذا صارت منقادة
مطواعة مجيبة الى ما يراد منها بمثابة الطفل الذي يتعاهد بما يروق له ويمنع
عما يضره واذا صارت النفس محكومة مطواعة فقد فاءت الى امر الله وتسلت
عن مشاحنة القلب فيصلح بينهما بالعدل وينظر في امرهما بالقسط ومن صبر من
الصوفية على العزوبة هذا الصبر الى حين بلوغ الكتاب اجله ينتخب له الزوجة
انتخابا ويهيء الله له اعوانا واسبابا وينعم عليه برفق يدخل عليه ورزق يساق اليه
ومتى استعجل المريد واستفزه الطبع وخامره الجهل بثوران الشهوة المغطية
لشعاع العلم وانحط من اوج العزيمة الاتم الذي هو قضية حاله وموجب ارادته
وشريطة صدق طلبه الى حضيض الرخصة التي هي رحمة من الله لعامة خلقه
يحكم عليه بالنقصان ويشهد له بالخسران ومثل هذا الاستعجال هو حيض الرجال
قال سهل بن عبد الله التستري اذا كان للمريد حال يتوقع به زيادة فدخل عليه
الابتلاء فرجوعه للابتلاء الى حال دون ذلك نقصان وحدث وسمعت بعض
الفقراء وقد قيل له لم لا تتزوج فقال المراة لا تصلح الا للرجال وانا ما بلغت مبلغ
الرجال كيف اتزوج فالصادقون لهم اوان بلوغ عنده يتزوجون وقد تعارضت
الاخبار وتماثلت الاثار في فضيلة التجريد والتزويج وتنوع كلام رسول الله صلى
الله عليه وسلم في ذلك لتنوع الاحوال فمنهم من فضيلته في التجرد ومنهم من فضيلته
في التاهل وكل هذا التعارض في حق من نازع نفسه توقانه برد وسلام لكمال تقواه وقمع

هواه

هواه والا ففي غير هذا الرجل الذي يخاف عليه الفتنة يجب النكاح في حال
التوقان المفرط ويكون الخلاف بين الائمة في غير التائق اذا صار زمنا اهلا يتعين
على الاخوان معاونته بالايثار ومسامحته في الاستكثار اذا رؤي ضعيف الحال
قاصرا عن رتبة الرجال كما وصفنا من قبل من صبر حتى ظفر لما بلغ الكتاب اجله
اخبرنا ابو زرعة عن والده ابي الفضل الحافظ المقدسي قال انا ابو محمد عبد الله بن محمد
الخطيب قال انا ابو الحسين محمد بن عبد الله بن اخي ميمي قال ثنا ابو القسم عبيد الله بن محمد
ابن عبد العزيز قال ثنا محمد بن هرون قال ثنا ابو المغيرة قال ثنا صفوان بن عمرو قال
ثنا عبد الرحمن بن جبير عن ابيه عن عوف بن مالك قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا جاءه فيء قسمه من يومه فاعطى الاهل حظين والعزب حظا واحدا فدعينا
وكنت قبل عمار بن ياسر فاعطاه حظا واحدا فسخط حتى عرف ذلك رسول الله
صلى الله عليه وسلم في وجهه ومن حضره فبقيت معه سلسلة من ذهب فجعل رسول
الله صلى الله عليه وسلم يرفعها بطرف عصاه وتسقط وهو يقول كيف انتم يوم يكثر
لكم من هذا فلم يجبه احد فقال عمار وددنا يا رسول الله لو قد اكثر لنا من هذا
فالتجرد عن الازواج والاولاد اعون على الوقت للفقير واجمع لهمه والذ لعيشه
ويصلح للفقير في ابتداء امره قطع العلائق ومحو العوائق والتنقل في الاسفار
وركوب الاخطار والتجرد عن الاسباب والخروج عن كل ما يكون حجابا والتزوج
انحطاط من الرخص ورجوع من التروح الى التنغص وتقيد بالاولاد والازواج
ودوران حول مظان الاعوجاج والتفات الى الدنيا بعد الزهادة وانعطاف
على الهوى بمقتضى الطبيعة والعادة قال ابو سليمان الداراني ثلث من طلبهن فقد
ركن الى الدنيا من طلب معاشا او تزوج امراة او كتب الحديث وقال ما راينا احدا
من اصحابنا تزوج فثبت على مرتبته اخبرنا الشيخ طاهر قال انا والدي ابو الفضل
قال انا محمد بن اسمعيل المقري قال انا احمد بن الحسين قال انا حاجب الطوسي قال ثنا
عبد الرحيم قال ثنا الفزاري عن سليمان التيمي عن ابي عثمان النهدي عن اسامة بن زيد رضي الله عنه

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تركت بعدي فتنة اضر على الرجال من
النساء وروى رجاء بن حيوة عن معاذ بن جبل قال ابتلينا بالضراء فصبرنا وابتلينا
بالسراء فلم نصبر وان اخوف ما اخاف عليكم فتنة النساء اذا تسورن بالذهب
ولبسن ريط الشام وعصب اليمن واتعبن الغني وكلفن الفقير ما لا يجد وقال
بعض الحكماء معالجة العزوبة خير من معالجة النساء وسئل سهل بن عبد الله
عن النساء فقال الصبر عنهن خير من الصبر عليهن والصبر عليهن خير من الصبر على
النار وقيل في تفسير قوله تعالى وخلق الانسان ضعيفا لانه لا يصبر عن النساء
وقيل في قوله تعالى ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به الغلمة فان قدر الفقير على مقاومة
النفس ورزق العلم الوافر بحسن المعاملة في معالجة النفس وصبر عنهن فقد حاز
الفضل واستعمل العقل واهتدى الى رفقه التسهيل قال عليه الصلوة والسلام خيركم
بعد المائتين رجل خفيف الحاذ قيل يا رسول الله وما خفيف الحاذ قال الذي لا اهل
له ولا ولد وقال بعض الفقراء لما قيل له تزوج فقال انا الى ان اطلق نفسي احوج
مني الى التزويج وقيل لبشر بن الحارث ان الناس يتكلمون فيك قال ما يقولون
قيل يقولون انه تارك للسنة يعني النكاح فقال قولوا لهم انا مشغول بالفرض
عن السنة وكان يقول لو كنت اعول دجاجة خفت ان اكون جلادا على الجسر والصوفي
مبتلى بالنفس ومطالبتها وهو في شغل شاغل من نفسه فاذا انضاف الى مطالبات
نفسه مطالبات زوجته يضعف طلبه وتكل ارادته وتفتر عزيمته والنفس
اذا اطمعت طمعت واذا قنعت قنعت فيستعين الشاب الطالب على حسم
مواد خواطر النكاح بادامة الصوم فان للصوم اثرا ظاهرا في قمع النفس وقهرها
وقد ورد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بجماعة من الشبان وهم يربعون حجرا
فقال يا معشر الشبان من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فليجاهد
ومن لم يستطع فليصم فان الصوم له وجاء واصل الوجاء رض الخصيتين كان
العرب يجاء الفحل من الغنم ليذهب فحولته ويسمن ومنه الحديث ضحى رسول الله صلعم

بكبشين املحين موجوءين وقد قيل في النفس ان لم تشغلها شغلتك فاذا ادام الشاب
المريد العمل واذاب النفس في العبادة يقل عليه خواطر النفس وايضا شغله بالعبادة
يثمر له حلاوة المعاملة ومحبة الاكثار منها ويفتح عليه باب السهولة والعيش في
العمل فيغار على حاله ووقته ان يتكدر بهم الزوجة ومن حسن آداب المريد في
عزوبته ان لا يمكن خواطر النساء من باطنه وكلما خطر له خاطر النساء والشهوة
يفر الى الله بحسن الانابة فيتداركه الله حينئذ بقوة العزيمة ويؤيده برؤية
النفس بل ينعكس على نفسه نور قلبه ثوابا بحسن انابته فتسكن النفس عن
المطالبة ثم يعرض على نفسه ما يدخل عليه بالنكاح من الدخول في المداخل المذمومة
المؤدية الى الذل والهوان واخذ الشيء من غير وجهه وما يتوقع من القواطع
بسبب التفات الخاطر الى ضبط المرأة وحراستها وكلف لا تنحصر وقد سئل عن
عبد الله بن عمر عن جهد البلاء فقال كثرة العيال وقلة المال وقد قيل كثرة العيال
احد الفقرين وقلة العيال احد اليسارين وكان ابرهيم بن ادهم يقول من تعود
افخاذ النساء لا يفلح ولا شك ان المرأة تدعوا الى الرفاهية والدعة وتمنع عن
كثرة الاشتغال بالله وقيام الليل وصيام النهار ويتسلط على الباطن خوف الفقر
ومحبة الادخار وكل هذا بعيد عن المتجرد وقد ورد اذا كان بعد المائتين ابيحت
العزوبة لامتي فان توالت على الفقير خواطر النكاح وزاحمت باطنه سيما في الصلوة
والاذكار والتلاوة فليستغث بالله تعالى اولا ثم بالمشايخ والاخوان ويشرح
الحال لهم ويسلم مسئلة الله تعالى له في حسن الاختيار ويطوف على الاحياء
والاموات والمساجد والمشاهد ويستعظم الامر ولا يدخل فيه بقلة الاكتراث
فانه باب فتنة كبيرة وخطر عظيم وقد قال الله تعالى ان من ازواجكم واولادكم
عدوا لكم ويكثر الضراعة الى الله تعالى والبكاء بين يديه في الخلوات ويكرر الاستخارة
وان رزق القوة والصبر حتى يستبين من فضل الله الخيرة في ذلك فهو الكمال والتمام
فقد يكشف الله للصادق ذلك منعا او اطلاقا في منامه ويقظته او على لسان من يثق

في

[وآداب نفسه]

[والاستغفار]

[فاحذروهم]

الى ربه وحاله انه اذا اشار لا يشير الا على بصيرة واذا حكم لا يحكم الا بحق فعند ذلك يكون تزوجه مدبرا معانا فيه وسمعنا ان الشيخ عبد القادر قال له بعض الصالحين لم تزوجت فقال ما تزوجت حتى قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج فقال له ذلك الرجل الرسول لا يامر الا بالرخصة وطريق القوم التلوم بالعزايم فلا اعلم ما قال الشيخ في جوابه ولكني اقول رسول الله صلى الله عليه وسلم يامر بالرخصة وامرها على لسان الشرع فاما من التجا الى الله وافتقر اليه واستخاره فيكاشفه الله تعالى بتنبيهه اياه في منامه وامره لا يكون هذا الامر امر رخصة بل هو امر يتبعه ارباب العزايم لانه من علم الحال لا من علم الحكم ويدل على صحة ما وقع لي ما نقل عنه انه قال كنت اريد الزوجة مدة من الزمان ولا اتجرى على التزوج خوفا من تكدر الوقت فلما صبرت الى ان بلغ الكتاب اجله ساق الله تعالى الي اربعة ازواج ما فيهن الا من تنفق على رغبة وارادة فهذه ثمرة الصبر الجميل الكامل فاذا صبر الفقير وطلب الفرج من الله تعالى ياتيه الفرج والمخرج ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب فاذا تزوج الفقير بعد الاستقصاء والاكثار من الضراعة والدعاء وورد عليه وارد من الله باذن فهو الغاية والنهاية وان عجز عن الصبر الى ورود الاذن واستنفذ جهده في الدعاء والضراعة فقد يكون ذلك حظه من الله تعالى ويعان عليه بحسن نيته وصدق مقصده وحسن رجائه واعتماده على ربه وقد نقل عن عبد الله بن عباس قال لا يتم نسك الشاب حتى يتزوج ونقل عن شيخ من مشايخ خراسان انه كان يكثر التزوج حتى لم يكن يخلو عن زوجتين وثلث فعوتب بذلك فقال هل يعرف احد منكم انه جلس بين يدي الله تعالى جلسة او وقف وقفة في معاملته فخطر على قلبه خاطر شهوة فقالوا قد يصيبنا ذلك فقال لو رضيت في عمري كله بمثل حالكم في وقت واحد ما تزوجت قط ولكن ما خطر على قلبي خاطر قط يشغلني عن حالي الا انفذته لاستريح منه وارجع الى شغلي ثم قال منذ اربعين سنة ما خطر على قلبي خاطر معصية فالصادقون ما دخلوا في النكاح الا بعد بصيرة وقصد واحسم مواد

النفس

المشاق

النفس وقد يكون للاقوياء والعلماء الراسخين احوال في دخولهم في النكاح يختص بهم وذلك انهم بعد طول المجاهدات والمراقبات والرياضات تطمئن نفوسهم وتقبل قلوبهم وللقلوب اقبال وادبار يقول بعضهم ان للقلوب اقبالا وادبارا فاذا ادبرت روحت بالارفاق واذا اقبلت ردت الى المشاق فتبقى قلوبهم دايمة الاقبال الا اليسير ولا يدوم اقبالها الا لطمانينة النفوس وكفها عن المنازعة وترك التشبث بالقلوب فاذا اطمانت النفوس واستقرت عن طيشها ونفورها وشراستها يوفر عليها حقوقها وربما تصير من حقوقها حظوظها لان في اداء الحق اقلاعا وفي اخذ الحظ اتساعا وهذا من دقيق علم الصوفية فافهم فانهم يتسعون بالنكاح المباح ايصالا الى النفس حظوظها لانها ما زالت تخالف هواها حتى صار داؤها دواءها فصارت الشهوات المباحة واللذات المشروعة لا تضرها بحال ابدا ولا تفتر عليها عزايمها بل كلما وصلت النفوس الزكية الى حظوظها ازداد القلب انشراحا وانفساحا ويصير بين القلب والنفس موافقة يعطف احدهما على الآخر ويزداد كل واحد منهما بما يدخل على الآخر من الحظ كلما اخذ القلب حظه من الله تعالى خلع على النفس خلع الطمانينة فيكون مزيد السكينة للقلب مزيد الطمانينة للنفس وينشد

ان السماء اذا اكتست كست الثرى حللا يديجها الغمام الراهم

وكلما اخذت النفس حظها تروح القلب تروح الجار المشفق براحة الجار سمعت بعض الفقراء يقول النفس تقول للقلب كن معي في الطعام اكن معك في الصلوة وهذا من الاحوال العزيزة لا تصلح الا لعالم رباني وكم من مدع هلك بتوهمه هذا في نفسه ومثل هذا العبد يزداد بالنكاح ولا ينقص والعبد اذا كمل علمه ياخذ من الاشياء ولا ياخذ الاشياء منه وقد كان الجنيد يقول انا احتاج الى الزوجة كما احتاج الى الطعام وسمع بعض العلماء بعض الناس يطعن في الصوفية فقال يا هذا ما الذي ينقصهم عندك فقال ياكلون كثيرا فقال وانت ايضا لو جعت كما يجوعون اكلت كما ياكلون قال ويتزوجون كثيرا فقال وانت ايضا لو حفظت فرجك كما يحفظون تزوجت

فقالوا ايضا لو حفظت فرجك كما يحفظون تزوجت كما يتزوجون قال واى شي ايضا قال ياكلون كثيرا بلا
فقال لو جعت كما يجوعون اكلت كما ياكلون قال واى شي ايضا قال يسمعون القول صح نسخه

كما تزوجون قال واي شي ايضا قال يسمعون القول قال وانت ايضا لو نظرت كما ينظرون سمعت كما يسمعون وكان سفين بن عيينة يقول كثرة النساء ليس من الدنيا لان عليا رضي الله عنه كان ازهد اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان له اربع نسوة وسبع عشرة سرية وكان ابن عباس يقول خير هذه الامة اكثرها نساء وقد ذكر في اخبار الانبياء ان عابدا تبتل للعبادة حتى فاق اهل زمانه فذكر لنبي ذلك الزمان فقال نعم الرجل لولا انه تارك لشيء من السنة فنمي ذلك الى العابد فاتمه فقال ما ينفعني عبادتي وانا تارك لسنة فجاء الى النبي فسأله فقال نعم انك تارك التزويج فقال ما تركته اني احرمه وما منعني منه الا اني فقير لا شيء لي وانا عيال على الناس يطعمني هذا مرة وهذا مرة فكرهت ان اتزوج بامراة اعضلها وارهقها جهدا فقال له النبي وما يمنعك الا هذا قال نعم فقال انا ازوجك ابنتي فزوجه النبي ابنته وكان عبد الله بن مسعود يقول لو لم يبق من عمري الا عشرة ايام احببت ان اتزوج ولا القى الله عزبا وما ذكر الله في القرآن من الانبياء الا المتاهلين وقيل ان يحيى بن زكريا تزوج لاجل السنة ولم يكن يقربها وقيل ان عيسى سينكح اذا نزل الى الارض ويولد له وقيل ان ركعة من متاهل خير من سبعين ركعة من اعزب اخبرنا الشيخ طاهر بن ابي الفضل قال انا ابو منصور محمد بن الحسين بن احمد بن الهيثم المقومي القزويني قال انا ابو طلحة القسم بن ابي المنذر الخطيب قال ثنا ابو الحسن علي بن ابرهيم بن سلمة القطان قال ثنا ابو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجة قال ثنا احمد بن الازهر قال ثنا آدم قال ثنا عيسى بن ميمون عن القسم عن عايشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم النكاح سنتي فمن لم يعمل بسنتي فليس مني وتزوجوا فاني مكاثر بكم الامم ومن كان ذا طول فلينكح ومن لم يجد فعليه بالصيام فان الصوم وجاء له ومما ينبغي للمتاهل ان يحذر الافراط في المخالطة والمعاشرة مع الزوجة الى حد ينقطع عن اوراده وسياسة اوقاته فان الافراط في ذلك يقوي النفس وجنودها ويفتر ناهض الهمة وللمتاهل بسبب الزوجة فتنتان فتنة لعموم حاله

وفتنة لخصوص حاله ففتنة عموم حاله الافراط في الاهتمام باسباب المعيشة كان الحسن يقول والله ما اصبح اليوم رجل يطيع امراته فيما تهوى الا اكبه الله على وجهه في النار وفي الخبر ياتي على الناس زمان يكون هلاك الرجل على يد زوجته وابويه وولده يعيرونه بالفقر ويكلفونه ما لا يطيق فيدخل المداخل التي يذهب فيها دينه فيهلك وروي ان قوما دخلوا على يونس النبي عليه السلام فاضافهم وكان يدخل ويخرج الى منزله فتوذيه امراته وتستطيل عليه وهو ساكت فعجبوا من ذلك وهابوه ان يسالوه فقال لا تعجبوا من هذه فاني سالت الله تعالى فقلت يا رب ما كنت معاقبي في الآخرة فعجله لي في الدنيا فقال لي ان عقوبتك بنت فلان تتزوج بها فتزوجت بها وانا صابر على ما ترون فاذا افرط الفقير في المداراة ربما تعدى حد الاعتدال في وجوه المعيشة متطلبا رضى الزوجة فهذه فتنة عموم حاله واما فتنة خصوص حاله الافراط في المجالسة والمخالطة فتنطلق النفس عن قيد الاعتدال وتسترق الغرض بطول الاسترسال فيستولي على القلب بسبب ذلك السهو والغفلة ويستحلس مقارّ المهلة فيفقد الوارد لقلة الاوراد ويتكدر الحال لاهمال شروط الاعمال والطف من هاتين الفتنتين فتنة اخرى تختص باهل القرب والحضور وذلك ان للنفس امتزاجا وترابطة الامتزاج تعتضد وتشتد وتنطري طبيعتها الجامدة وتلتهب نار هما الخامدة فدواء هذه الفتنة ان يكون للمتاهل عند المجالسة عينان باطنان ينظر بهما الى مولاه وعينان ظاهران يستعملهما في طريق هواه وقد قالت رابعة العدوية معنى هذا نظما

اني جعلتك في الفؤاد محدثي ... وابحت جسمي من اراد جلوسي
فالجسم مني للجليس موانس ... وحبيب قلبي في الفؤاد انيسي

والطف من هذه الفتنة فتنة اخرى تخشاها المتاهل وهو ان يصير للروح استرواح الى لطف الجمال ويكون ذلك الاسترواح موقوفا على الروح ويصير ذلك وليجة في حب الروح المخصوص بالتعلق بالحضرة الالهية فيتبلد الروح وينسد باب المزيد من الفتوح

وهذه البلادة في الروح بعز الشعور بها فليحذر ومن هذا القبيل دخلت
الفتنة على طايفة قالوا بالشاهد واذا كان في باب الحلال وليحة في الحب يتولد
منها بلادة الروح في القيام بوظايف حب الحضرة الالهية فما ظنك بمن يدعي
ذلك في باب غير مشروع ثم يغره سكون النفس فيظن انه لو كان من قبيل الهوى
ما سكنت النفس والنفس لا تسكن في ذلك دايما بل تسلب من الروح ذلك الوصف
وتلخذه ايضا اليها على التي استبحث عما يبتلي به المفتونون بالشاهد فوجدت
ان المحب من ذلك من صورة الفسق عنده رغوة شراب الشهوة ولو ذهب
الشراب ما بقيت الرغوة فليحذر ذلك جدا ولا يسمع ممن يدعي فيه حالا وصحة
فانه كذاب مدع ولهذا قال الاطباء الجماع يسكن سيحان العشق وان كان من
غير المعشوق ليعلم ان مستنده الشهوة ويكذب من يدعي فيه حالا وهذه
فتن المتاهل وفتنة العزب مرور النساء بخاطره وتصورهن في متخيله ومن
اعطي الطهارة في باطنه لا يدنس باطنه بخواطر الشهوة واذا سنح الخاطر يمحوه
بحسن الانابة واللياذ بالرب ومتى سامر الفكر كثف الخاطر وخرج من القلب
الى الصدر وعند ذلك يحذر احساس العضو بالخاطر فيصير ذلك عملا خفيا
وما اقبح مثل هذا بالصادق المتطلع الى الحضور واليقظة فيكون ذلك
فاحشة الحال وقد قيل مرور الفاحشة بقلب العارف كفعل الفاعلين لها

الباب الثاني والعشرون في القول في السماع قبولا وايثارا

قال الله تعالى فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك
الذين هداهم الله واولئك هم اولوا الالباب قيل احسنه اي اهداه وارشده
قال الله تعالى واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا
من الحق هذا السماع هو السماع الحق الذي لا يختلف فيه اثنان من اهل الايمان
محكوم لصاحبه بالهداية واللب وهذا سماع ترد حرارته على برد اليقين فيفيض
العين بالدمع لانه تارة يثير حزنا والحزن حار وتارة يثير شوقا والشوق حار وتارة

يثير ندما والندم حار فاذا اثار السماع هذه الصفات من صاحب قلب مملو ببرد
اليقين ابكى وادمع لان الحرارة والبرودة اذا اصطدمتا عصرتا ماء فاذا
الم السماع بالقلب تارة يخف المه فيظهر اثره في الجسد وتقشعر منه الجلد
قال الله تعالى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم وتارة يعظم وقعه
وتتصوب اثره الى الروح فيموج منه الروح موجا يكاد يضيق عنه
نطاق القالب فيكون من ذلك الصياح والاضطراب وهذه كلها احوال
يجدها اربابها من اصحاب الاحوال وقد يحكيها بدلايل هوى النفس ارباب المحال
روي ان عمر رضي الله عنه ربما مر بالآية في ورده فتخنقه العبرة ويسقط ويلزم البيت
اليوم واليومين حتى يعاد ويحسب مريضا فالسماع يستجلب الرحمة من الله الكريم
روى زيد بن اسلم قال قرأ ابي بن كعب عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
فرقوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اغتنموا الدعاء عند الرقة فانها
رحمة وروت ام كلثوم قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اقشعر
جلد العبد من خشية الله تحاتت عنه الذنوب كما يتحات عن الشجرة اليابسة
ورقها وورد ايضا اذا اقشعر الجلد من خشية الله حرمه الله على النار
وهذه جملة لا تنكر ولا اختلاف فيها انما الاختلاف في سماع الاشعار بالالحان
وقد كثرت الاقوال في ذلك وتباينت الاحوال فمن منكر يلحقه بالفسق ومن
مولع به يشهد بانه واضح الحق ويتجاذبان في طرفي الافراط والتفريط قيل
لابي الحسن بن سالم كيف تنكر السماع وقد كان الجنيد وسري السقطي وذو النون
المصري يسمعون فقال كيف انكر السماع وقد اجازه وسمعه من هو خير مني
وقد كان عبد الله بن جعفر الطيار يسمع وانما المنكر اللهو واللعب في السماع
وهذا قول صحيح اخبرنا الشيخ طاهر بن ابي الفضل عن ابيه الحافظ المقدسي
قال انا ابو القسم الحسين بن محمد بن الحسن الخوافي قال ثنا ابو محمد عبد الله بن يوسف
قال انا ابو بكر بن ثوبان قال ثنا عمران بن الخطاب قال ثنا الاوزاعي عن الزهري عن عروة

عن عايشة ان ابا بكر دخل عليها وعندها جاريتان تغنيان وتضربان بدفين ورسول الله صلى الله عليه وسلم متسجى بثوبه فانتهرهما ابو بكر فكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وجهه وقال دعهما يا ابا بكر فانها ايام عيد وقالت عايشة رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسترني بردائه وانا انظر الى الحبشة يلعبون في المسجد حتى اكون انا اسأم وقد ذكر الشيخ ابو طالب المكي رحمه الله مايدل على تجويزه ونقل عن كثير من السلف صحابي وتابعي وغيرهم وقول الشيخ ابي طالب المكي يعتبر لوفور علمه وكمال حاله وعلمه باحوال السلف ومكان ورعه وتقواه وتحريه الاصوب والاولى وقال في السماع حلال وحرام وشبهة فمن سمعه بنفس مشاهدة شهوة وهوى فهو حرام ومن سمعه بمعقوله على صفة مباح من جاريه او زوجة كان شبهة لدخول اللهو فيه ومن سمعه بمشاهدة معان تدله على الطريق وتشهده طرقات الجليل فهو مباح هذا قول الشيخ ابي طالب المكي وهو الصحيح فاذا لا يطلق القول بمنعه وتحريمه والانكار على من يسمع كفعل القراء المتزهدين المبالغين في الانكار ولا يفسح فيه على الاطلاق كفعل المستهترين به المهملين شروطه وادابه المقيمين على الاصرار ونفصل الامر فيه تفصيلا ونوضح الماهية فيه تحريما وتحليلا فاما الدف والشبابة وان كان في مذهب الشافعي رضي الله عنه فيهما فسحة فالاولى تركهما والاخذ بالاحوط والخروج من الخلاف واما غير ذلك فان كان من القصايد في ذكر الجنة والنار والتشويق الى دار القرار وفي وصف نعم الملك الجبار وذكر العبادات والترغيب في الخيرات فلا سبيل الى الانكار ومن ذلك القبيل قصايد الغزاة والحجاج في وصف الحج والغزو ومما يثير كامن العزم من الغازي وساكن الشوق من الحاج واما ما كان فيه ذكر القدود والخدود ووصف النساء فلا يليق باهل الديانات الاجتماع لمثل ذلك واما ما كان من ذكر الهجر والوصل والقطيعة والصد مما يقرب حمله على امور الحق سبحانه وتعالى من تلون احوال المريدين

ودخولهم

الافات على الطالبين فمن يسمع ذلك وحدث عنده ندم على ما فات وتجدد عنده عزم لما هو آت فكيف ينكر سماعه وقد قيل ان بعض الواجدين كان يقتات السماع ويتقوى به على الطي والوصال ويثير عنده من الشوق ما يذهب عنه لهب الجوع فاذا استمع العبد الى بيت من الشعر وقلبه حاضر فيه ويسمع الحادي يقول مثلا

فاما من هوى ليلى وحبي زيارتها فاني لا اتوب

فطاب قلبه لما يجد من قوة عزمه على الثبات في امر الحق الى الممات يكون في سماعه هذا ذاكرا الله تعالى قال بعض اصحابنا كنا نعرف مواجيد اصحابنا في ثلثة اشياء عند المسايل وعند الغضب وعند السماع وقال الجنيد تنزل الرحمة على هذه الطايفة في ثلث مواضع عند الاكل لانهم ياكلون عن فاقة وعند المذاكرة لانهم يتحاورون في مقامات الصديقين واحوال النبيين وعند السماع لانهم يسمعون بوجد ويشهدون حقا وسيل رويم عن وجد الصوفية عند السماع فقال يتنبهون للمعاني التي تعزب عن غيرهم فتشير اليهم الى الى يتنعمون بذلك من الفرح ويقع الحجاب للوقت فيعود ذلك الفرح بكاء فمنهم من يخرق ثيابه ومنهم من يبكي ومنهم من يصيح اخبرنا ابو زرعة اجازة عن ابن خلف عن السلمي قال سمعت ابا سهل محمد بن سليمان يقول المستمع بين استتار وتجلي فالاستتار يورث التلهب والتجلي يورث المزيد فالاستتار يتولد منه حركات المريدين وهو محل الضعف والعجز والتجلي يتولد منه السكون للواصلين وهو محل الاستقامة والتمكين وكذلك محل الحضرة ليس فيه الا الذبول تحت موارد الهيبة قال الشيخ ابو عبد الرحمن السلمي سمعت جدي يقول المستمع ينبغي ان يسمع بقلب حي ونفس ميتة ومن كان قلبه ميتا ونفسه حية لا يحل له السماع وقيل في قوله تعالى يزيد في الخلق ما يشاء الصوت الحسن وقال عليه الصلوة والسلام لله تعالى اشد اذنا للرجل الحسن الصوت بالقران من صاحب قينة الى قينته نقل عن الجنيد قال رايت ابليس في النوم فقلت له هل تظفر من اصحابنا بشي او تنال منهم شيا فقال انه يعسر على شانهم ويعظم على ان اصيب منهم شيا الا في وقتين قلت

اى وقت قال وقت السماع وعند النظر فانى استرق منهم فيه وادخل عليهم
قال فحكيت رؤياى لبعض المشايخ فقال لو رايته قلت له يا احمق من سمع منه
اذا سمع ونظر اليه اذا نظر اترى انت عليه شيئا او تظفر منه بشيء فقلت صدقت
وروت عايشة كان عندى جارية تسمعنى فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهى على حالتها ثم دخل عمر ففرت فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال عمر ما يضحكك يا رسول الله فحدثه حديث الجارية فقال لا ابرح حتى
اسمع ما سمع رسول الله فامرها رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسمعته وذكر
الشيخ ابو طالب المكى قال كان لعطاء جاريتان تلحنان وكان اخوانه يسمعون
اليهما وقال ادركنا ابا مروان القاضى وله جوار يسمعن التلحين اعدهن
للصوفية وهذا القول نقلته من قول الشيخ ابى طالب وعندى اجتناب
ذلك هو الصواب وهذا لا يسلم الا بشرط طهارة القلب وغض البصر والوفاء
بشرط قوله تعالى يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور وفى الحديث فى مدح
داود عليه السلام انه كان حسن الصوت بالنياحة على نفسه وبتلاوة الزبور
حتى كان تجتمع الجن والانس والطير لسماع صوته وكان يحمل من مجلسه الالف من
جنازة وقال عليه الصلوة والسلام فى مدح ابى موسى الاشعرى لقد اعطى
مزمارا من مزامير آل داود وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
ان من الشعر لحكمة ودخل رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده قوم
يقرؤن القرآن وقوم ينشدون الشعر فقال يا رسول الله قرآن وشعر فقال من
هذا مرة ومن هذا مرة وانشد النابغة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
ابياته التى فيها ولا خير فى حلم اذا لم يكن له بوادر تحمى صفوه ان تكدرا
ولا خير فى امر اذا لم يكن له حكيم اذا ما اورد الامر اصدرا
فقال عليه الصلوة والسلام احسنت يا ابا ليلى لا يفضض الله فاك فعاش اكثر من مائة
سنة وكان احسن الناس ثغرا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضع لحسان

منبرا فى المسجد فيقوم على المنبر قايما يهجو الذين كانوا يهجون رسول الله صلى الله
عليه وسلم ويقول النبى عليه الصلوة والسلام ان روح القدس مع حسان ما دام
ينافح عن رسول الله وراى بعض الصالحين ابا العباس الخضر قال قلت ما تقول فى السماع
الذى يختلف فيه اصحابنا قال هو الصفا الزلال لا تثبت عليه الا اقدام العلماء
ونقل عن ممشاد الدينورى قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام فقلت
يا رسول الله هل تنكر من هذا السماع شيئا فقال ما انكره ولكن قل لهم يفتتحون قبله
بقراءة القرآن ويختمون بعده بالقرآن فقلت يا رسول الله انهم يؤذوننى وينبسطون
فقال احتملهم يا ابا على هم اصحابك فكان ممشاد يفتخر ويقول كنانى رسول الله
صلى الله عليه وسلم واما وجه الانكار فيه فهو ان ترى جماعة من المريدين دخلوا
فى مبادى الارادة ونفوسهم ما تمرنت على صدق المجاهدة حتى تحدث عندهم
علم بظهور صفات النفس واحوال القلب حتى تنضبط حركاتهم بعلمهم ويعلمون العلم
ويعلمون ما لهم وعليهم حكى ان ذا النون لما دخل بغداد دخل عليه جماعة معهم
قوال فاستأذنوه ان يقول شيئا فاذن له فانشد القوال
صغير هواك عذبنى فكيف به اذا احتنكا وانت جمعت فى قلبى هوى قد كان مشتركا
اما ترثى لمكتئب اذا ضحك الخلى بكا فطاب قلبه وقام وتواجد
وسقط على جبهته والدم يقطر من جبهته ولا يقع على الارض ثم قام واحد
منهم فنظر اليه ذو النون فقال الذى يراك حين تقوم فجلس الرجل فكان جلوسه
لموضع صدقه وعلمه انه غير كامل الحال الصالح للقيام متواجدا فيقوم احدهم
من غير بصيرة وعلم فى قيامه وذلك اذا سمع ايقاعا موزونا بسمع يؤدى ما يسمعه
الى طبع موزون فيتحرك بالطبع الموزون للصوت الموزون والايقاع الموزون
وينسبل حجاب نفسه المنبسط بانبساط الطبع الموزون على وجه القلب ويستفزه
النشاط المنبعث من الطبع فيقوم يرقص رقصا موزونا ممزوجا بتصنع محرم عند
اهل الحق ويحسب ذلك طيبة القلب وما راى وجه القلب فى طيبته بالله تعالى

ولعمري موطيبة القلب ولكن قلب ملوّن بلون النفس ميّال الى الهوى موافق للردي
لايهتدي الى حسن النية في الحركات ولا يعرف شروط صحة الارادات ومثل
هذا الراقص قيل الرقص نقص لانه رقص مصدره الطبع غير مقترن بنية
صالحة لاسيما اذا انضاف الى ذلك شوب حركاته بصريح النفاق بالتودد
والتقرب الى بعض الحاضرين من غير نية بل بدلالة نشاط النفس من المعانقة
وتقبيل اليد والقدم وغير ذلك من الحركات التي لا يعتمدها من المتصوفة الا
من ليس له من التصوف الا مجرد زي وصورة او يكون القوال امرد تنجذب
النفوس الى النظر اليه وتستلذ ذلك وتضمر خواطر السوء او يكون للنساء اشراف
على الجمع وتتراسل البواطن المملوة من الهوى بسفارة الحركات والرقص واظهار
التواجد فيكون ذلك عين الفسق المجمع على تحريمه واهل المواخير حينئذ
ارجى حالا ممن يكون هذا ضميره وحركاته لانهم يرون فسقهم وهذا يراه ويريه
عبادة لمن لا يعلم ذلك فترى احدا من اهل الديانات يرضى بهذا ولا ينكره فمن
هذا الوجه توجه للمنكر الانكار وكان حقيقا بالاعتذار فكم من حركات
موجبة للمقت وكم من نهضات تذهب دونق الوقت فيكون انكار المنكر
على المريد الطالب يمنعه من مثل هذه الحركات ويحذره مثل هذه المجالسات
وهذا انكار صحيح وقد يرقص بعض الصادقين بايقاع موزون من غير اظهار
وجد وحال ووجه نيته في ذلك انه ربما يوافق بعض الفقراء في الحركة فيتحرك
بحركة موزونة غير مدعي بها حالا ووجدا فيجعل حركته في طرف الباطل لانها
وان لم يكن محرمة في حكم الشرع ولكنها غير محللة بحكم الحال لما فيها من اللهو
فتصير حركاته ورقصه من قبيل المباحات التي تجري عليه من الضحك والملاعبة
مع الاهل والاولاد ويدخل في ذلك باب الترويح للقلب وربما صار ذلك عبادة
بحسن النية اذا نوى به استجمام النفس كما نقل عن ابي الدرداء انه قال اني لاستجم
نفسي بشيء من الباطل ليكون ذلك عونا لي على الحق وموضع الترويح كره الصلوة

في اوقات ليستريح عمال الله وترتفق النفوس ببعض مآربها من ترك العمل
وتستطيب اوطان المهل والادمي بتركيبه المختلف وترتيب خلقه المتنوع
بتنوع اصول خلقته وقد سبق شرحه في غير هذا الباب لا تفي قواه بالصبر
على الحق الصرف فيكون التفسح في امثال ما ذكرناه من المباح الذي ينزع
الى لهو ما باطلا يستعان به على الحق فان المباح وان لم يكن باطلا في صيغة
الشرع لان حد المباح ما استوى طرفاه واعتدل جانباه ولكنه باطل بالنسبة
الى الاحوال ورايت في بعض كلام سهل بن عبد الله يقول في وصف الصادق
يكون جهله مزيدا لعلمه وباطله مزيدا لحقه ودنياه مزيدا لآخرته ولهذا
المعنى حبب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء ليكون ذلك حظ
نفسه الشريفة الموهوب لها حظوظها الموفر عليها حقوقها لموضع طهارتها
وقدسها فيكون ما هو نصيب الباطل الصرف في حق الغير من المباحات المقبولة
برخصة الشرع المردودة بعزيمة الحال في حقه صلى الله عليه وسلم متسما
بسمة العبادات وقد ورد في فضيلة النكاح ما يدل على انه عبادة ومن
ذلك من طريق القياس اشتماله على المصالح الدينية والدنياوية على
ما اطنب في شرحه الفقهاء في مسئلة التخلي لنوافل العبادات فاذا
يخرج هذا الراقص بهذه النية المتبري من دعوى الحال في ذلك من
انكار المنكر ويكون رقصه لا عليه ولا له وربما كان بحسن النية في
الترويح يصير عبادة لاسيما ان اضمر في نفسه فرحا بربه ونظرا الى شمول
رحمته وعاطفته ولكن لا يليق الرقص بالشيوخ ومن يقتدى به لما فيه من
مشابهة اللهو واللهو لا يليق بمنصبهم وبيان حال المتمكن مثل ذلك واما وجه
منع الانكار في السماع من المنكر للسماع على الاطلاق من غير تفصيل لا يخلو
من احد امور ثلثة اما جاهل بالسنن والآثار واما مغتر بما اتيح له من اعمال
الاخيار واما جامد الطبع لا ذوق له فيصر على الانكار وكل واحد من هولاء
فيصر

التفسيح

الصالحين

والولد

رقصه

الثلثه يقابل بما سوف يقبل ما الجاهل بالسنن والآثار يعرف بما اسلفنا
من حديث عايشة والاخبار والآثار الواردة في ذلك في حركة بعض المتحركين
يعرف رخصة رسول الله صلى الله عليه وسلم للحبشة في الرقص ونظر عايشة
اليهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا اذا سلمت الحركة عن المكاره التي
ذكرناها وقد روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعلي انت مني وانا
منك فحجل وقال لجعفر اشبهت خلقي وخلقي فحجل وقال لزيد انت اخونا ومولانا
فحجل وكان حجل جعفر في قصة ابنة حمزة لما اختصم فيها علي وجعفر وزيد
واما المنكر المغرور بما اتيح له من اعمال الاخيار يقال له يقربك الى الله بالعبادات
لشغل جوارحك بها ولولا نية قلبك ما كان لعمل جوارحك قدر فانما الاعمال بالنيات
ولكل امرء ما نوى والنية لنظرك الى ربك خوفا او رجاء فالسامع من
الشعر بيتا ياخذ منه معنى يذكره ربه اما فرحا او خوفا او انكسارا او افتقارا
كيف يقلب قلبه في انواع ذلك ذاكرا لربه ولو سمع صوت طاير طاب له ذلك
الصوت وتفكر في قدرة الله تعالى وتسويته حنجرة الطاير وتسخيره خلقه
ومنشأ الصوت وتاديته الى الاسماع كان في جميع ذلك الفكر مسبحا مقدسا
فاذا سمع صوت آدمي وحضره مثل ذلك الفكر وامتلأ باطنه ذكرا وفكرا
كيف ينكر ذلك حكى بعض الصالحين قال كنت معتكفا في جامع جدة على البحر
فرايت يوما طايفة يقولون في جانب منه شيا فانكرت ذلك بقلبي وقلت
في بيت من بيوت الله تعالى يقولون الشعر فرايت رسول الله صلى الله عليه وسلم
في المنام تلك الليلة وهو جالس في تلك الناحية والى جنبه ابو بكر واذا ابو بكر
يقول شيا من القول والنبي صلى الله عليه وسلم يستمع اليه ويضع يده على
صدره كالواجد بذلك فقلت في نفسي ما كان ينبغي لي ان انكر على اولئك الذين
كانوا يسمعون وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع وابو بكر الى
جنبه يقول فالتفت الي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول هذا حق

بحق

بحق او حق من حق بلى اذا كان الصوت من امرد يخشى بالنظر اليه الفتنة او من امراة
غير محرم وان وجد من الاذكار والافكار ما ذكرنا يحرم سماعه لخوف الفتنة
لا لمجرد الصوت ولكن يجعل سماع الصوت حريما للفتنة ولكل حرام حريم
ينسحب عليه حكم المنع لوجه المصلحة كالقبلة للشاب الصايم حيث جعلت
حريم حرام الوقاع وكالخلوة بالاجنبية وغير ذلك فعلى هذا قد تقتضي المصلحة
المنع من السماع اذا علم حال السامع وما يؤديه اليه سماعه فيجعل المنع حريم
الحرام هكذى وقد ينكر السماع جامد الطبع عديم الذوق فيقال له العنين
لا يعلم لذة الوقاع والمكفوف ليس له بالجمال البارع استمتاع وغير المصاب
لا يتكلم بالاسترجاع فماذا ينكر من محب ترنى باطنه بالشوق والمحبة ويرى انجذاب
روحه الطيارة من مضيق قفص النفس الامارة يمر بروحه نسيم انس الاوطان
ويلوح له طوالع جنود العرفان وهو بوجود النفس في دار الغربة يتجرع كاس
الهجران يان تحت اعباء المجاهدة ولا يجد عنه بسوانح المشاهدة وكلما قطع
منازل النفس بكثرة الاعمال لا يقرب من كعبة الوصال ولا يكشف له المسبل من
الجمال فيستروح بتنفس الصعداء ويتلح بالدايح من شدة البرحاء ويقول
مخاطبا للنفس والشيطان وهما المانعان
ايا جبلي نعمان بالله خليا نسيم الصبا يخلص الي نسيمها
فان الصبا ريح اذا ما تنسمت على قلب محزون تجلت همومها
اجد بردها او تشف مني حرارة على كبد لم يبق الا صميمها
الا ان ادوائي بليلى قديمة واقتل داء العاشقين قديمها
ولعل المنكر يقول ما المحبة الا امتثال الامر وهل يعرف غير هذا وما هناك الا الخوف
من الله تعالى وينكر المحبة الخاصة التي تختص بالعلماء الراسخين والابدال المقربين
ولما تقرر في فهمه القاصر ان المحبة تستدعي مثالا وخيالا واجناسا واشكالا انكر
محبة القوم ولا يعلم ان القوم تبلغوا في رتبة الايمان الى اتم من المحسوس وجادوا

يصوع مسكا بطن نعمان اذ مشت به زينب في نسوة عطرات
وبقال بنعمان الاراك وقال اما والراقصات بذات عرق
ومن صلى بنعمان الاراك

من فرط الكشف والعيان للارواح والنفوس روى ابو هريرة عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم انه ذكر غلاما كان في بني اسرائيل على جبل فقال لامه من خلق
السماء قالت الله قال ومن خلق الارض قالت الله قال ومن خلق الجبال قالت الله
قال ومن خلق الغيم قالت الله فقال اني اسمع لله شانا ورمى بنفسه من الجبل
فتقطع فالجمال الازلي الالهي منكشف للارواح غير مكيف للعقل مفسر للفهم
لان العقل موكل بعالم الشهادة لا يهتدي من الله تعالى الا الى مجرد الوجود
ولا يتطرق الى حريم الشهود المتجلي في طي الغيب المنكشف للارواح بلا ريب
وهذه الرتبة من مطالعة الجمال رتبة خاصة ولعم منها من رتب المحبة الخاصة
دون العامة جمال الكمال من الكبرياء والجلال والاستقلال بالمنح والنوال
والصفات المنقسمة الى ما ظهر منها في الآباد ولاذت الذات في الآزال
فللكمال جمال لا يدرك بالحواس ولا يضبط بالقياس وفي مطالعة ذلك الجمال
طايفة من المحبين خصوا بتجلي الصفات ولهم بحسب ذلك ذوق وشوق ووجد
وسماع والاولون منحوا قسطا من تجلي الذات وكان وجدهم على قدر الوجود
وسماعهم على حد الشهود حكى بعض المشايخ قال راينا جماعة ممن يمشي على
الماء والهواء يسمعون السماع ويجدون به ويتواجدون عنده قال بعضهم كنا
على الساحل فسمع بعض اخواننا فجعل يتقلب على الماء يمر ويجي حتى رجع الى مكانه
ونقل ان بعضهم كان يتقلب على النار عند السماع ولا يحس بها ونقل ان بعض
الصوفية ظهر منه وجد عند السماع فاخذ شمعة فجعلها في عينه فقال الناقل
فقربت من عينه انظر فرايت نارا او نورا يخرج من عينه يرد نار الشمعة وحكي
عن بعضهم انه كان اذا وجد عند السماع ارتفع من الارض في الهواء اذرعا ثم يمر
ويجي فيه ويقول الشيخ ابو طالب المكي في كتابه ان انكرنا السماع مجملا مطلقا
غير مقيد مفصل يكون انكارنا على سبعين صديقا وان كنا نعلم ان الانكار اقرب
الى قلوب القراء والمتعبدين الا انا لا نفعل ذلك لانا نعلم ما لا يعلمون وسمعنا

عن السلف من الاصحاب والتابعين ما لا يسمعون وهذا قول الشيخ عن علمه الوافر
بالسنن والآثار مع اجتهاده وتحريه الصواب ولكن نبسط لاهل الانكار لسان
الاعتذار ونوضح لهم الفرق بين سماع يوثر وبين سماع ينكر سمع الشبلي قايلا
يقول اسايل عن سلمى فهل من مخبر يكون له علم بها اين تنزل فزعق وقال
لا والله ما في الدارين عنه مخبر وقيل الوجد سر صفات الباطن كما ان الطاعة
سر صفات الظاهر وصفات الظاهر الحركة والسكون وصفات الباطن
الاخلاق والاحوال وقال ابو نصر السراج اهل السماع على ثلث طبقات
فقوم يرجعون في سماعهم الى مخاطبات الحق لهم فيما يسمعون وقوم يرجعون
فيما يسمعون الى مخاطبة احوالهم ومقاماتهم واوقاتهم فهم مرتبطون بالعلم و
مطالبون بالصدق فيما يشيرون اليه من ذلك وقوم الفقراء المجردون الذين
قطعوا العلايق ولم تتلوث قلوبهم لمحبة الدنيا والجمع والمنع فهم يسمعون بطيبة
قلوبهم ويليق بهم السماع فهم اقرب الناس الى السلامة واسلمهم من الفتنة وكل
قلب ملوث بحب الدنيا فسماعه سماع طبع وتكلف وسيل بعضهم عن التكلف
في السماع فقال هو على ضربين تكلف في المستمع لطلب جاه او منفعة دنياوية
وذلك تلبيس وخيانة وتكلف فيه لطلب الحقيقة كمن يطلب الوجد بالتواجد
وهو بمنزلة التباكي المندوب اليه وقول القايل ان هذه الهيئة من الاجتماع
بدعة يقال له انما البدعة المحذورة الممنوع عنها بدعة تزاحم سنة مامورا بها
وما لم يكن هكذي فلا باس به وهذا كالقيام للداخل لم يكن من عادة العرب
ترك ذلك حتى نقل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدخل ولا يقام له وفي
البلاد التي هذا القيام عادتهم اذا اعتمد ذلك لتطييب القلوب والمدارات
لا باس به لان تركه يوحش القلوب ويغير الصدور فيكون ذلك من قبيل العشرة
وحسن الصحبة ويكون بدعة لا باس بها لانها لا تزاحم سنة مامورة والله اعلم

الباب الثالث والعشرون في القول في السماع ردا وانكارا

قد ذكرنا وجه صحة السماع وما يليق منه باهل الصدق وحيث كثرت الفتنة بطريقه
وزالت العصمة فيه وتصدى للحرص عليه اقوام قلت اعمالهم وانفسدت احوالهم
وكثروا الاجتماع للسماع وربما يتخذ للاجتماع طعام تطلب النفوس الاجتماع
لذلك لا رغبة للقلوب في السماع كما كان من سير الصالحين فيصير السماع معلولا
تركن اليه النفوس طلبا للشهوات واستحلاء لمواطن اللهو والغفلات وينقطع
بذلك على المريد طلب المزيد ويكون بطريقه تضييع الاوقات وقلة الحظ من
العبادات ويكون الرغبة في الاجتماع طلبا لتناول الشهوة واسترواحا الى
الطرب واللهو والعشرة ولا يخفى ان هذا الاجتماع مردود عند اهل الصدق
فكان يقال لا يصح السماع الا لعارف مكين ولا يصلح لمبتدئ مريد وقال
الجنيد اذا رايت المبتدئ المريد يطلب السماع فاعلم ان فيه بقية للبطالة
وقيل ان الجنيد ترك السماع فقيل له كنت تسمع فقال مع من قيل له تسمع انت
لنفسك فقال ممن لانهم كانوا لا يسمعون الا من اهل مع اهل فلما فقد الاخوان
ترك فما اختاروا السماع حيث اختاروه الا بشروط وقيود وآداب يذكرون به
الآخرة ويرغبون به في الجنة ويحذرون من النار ويزداد به طلبهم ويحسن به
احوالهم ويتفق لهم ذلك اتفاقا في بعض الاحايين لا ان يجعلوه دأبا وديدنا
حتى يتركوا لاجله الاوراد وقد نقل عن الشافعي رضي الله عنه انه قال في كتاب
القضاء الغناء لهو مكروه يشبه الباطل وقال من استكثر منه فهو سفيه ترد
شهادته واتفق اصحابه ان المراة غير المحرم لا يجوز الاستماع اليها سواء كانت
حرة او مملوكة او مكشوفة الوجه او من وراء حجاب ونقل عن الشافعي انه كان يكره
الطقطقة بالقضيب ويقول وضعه الزنادقة ليشتغلوا به عن القرآن وقال
لا باس بالقراءة بالالحان وتحسين الصوت بها باي وجه كان وعند مالك اذا
اشترى جارية فوجدها مغنية فله ان يردها بالعيب وهو مذهب سائر اهل المدينة
وهكذا مذهب ابي حنيفة سماع الغناء من الذنوب وما اباحه الا نفر قليل من الفقهاء

ومن اباحه من الفقهاء ايضا لم ير اعلانه في المساجد والبقاع الشريفة وقيل
في تفسير قوله تعالى ومن الناس من يشتري لهو الحديث الآية قال عبد الله بن مسعود
هو الغناء والاستماع اليه وقيل قوله وانتم سامدون اي مغنون وروى عن عكرمة
عن عبد الله بن عباس هو الغناء بلغة حمير يقول اهل اليمن سمد فلان اذا غنى وقوله
تعالى واستفزز من استطعت منهم بصوتك في قول مجاهد الغناء والمزامير
وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال كان ابليس اول من ناح واول
من تغنى وروى عبد الرحمن بن عوف ان النبي صلى الله عليه وسلم قال انما نهيت عن
صوتين فاجرين صوت عند نغمة وصوت عند مصيبة وروى عن عثمان رضي الله
عنه انه قال ما تغنيت ولا تمنيت ولا مسست ذكري بيميني منذ بايعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم وروى عن عبد الله بن مسعود انه قال الغناء ينبت
النفاق في القلب وروى ان ابن عمر رضي الله عنهما مر على قوم محرمين وفيهم
رجل يتغنى فقال الا لا سمع الله لكم الا لا سمع الله لكم وروى ان انسانا سال القسم
ابن محمد عن الغناء فقال انهاك عنه واكرهه لك فقال احرام هو قال انظر يا ابن اخي اذا
ميز الله الحق والباطل في ايهما يجعل الغناء وقال فضيل بن عياض الغناء رقية الزنا
وعن الضحاك الغناء مفسدة للقلب مسخطة للرب وقال بعضهم اياكم والغناء فانه
يزيد الشهوة ويهدم المروة وانه لينوب عن الخمر ويفعل ما يفعل السكر وهذا الذي
ذكره هذا القائل صحيح لان الطبع الموزون يفيق بالغناء والاوزان ويستحسن
صاحب الطبع عند السماع ما لم يكن يستحسنه من الفرقعة بالاصابع والتصفيق
والرقص ويصدر منه افعال تدل على سخافة العقل وروى عن الحسن انه قال
ليس الدف من سنة المسلمين والذي نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سمع
الشعر لا يدل على اباحة الغناء فان الشعر كلام منظوم وغيره كلام منثور فحسنه
حسن وقبيحه قبيح وانما يصير غناء بالالحان وان انصف المنصف وتفكر في اجتماع
اهل الزمان وقعود المغني بدفه والمشبب بشبابته وتصور في نفسه هل وقع مثل

هذه الهيئة والجلوس بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو استحضروا قوالا
وقعدوا مجتمعين لاستماعه لا شك بان ينكر ذلك من حال رسول الله صلى الله عليه وسلم
واصحابه ولو كان في ذلك فضيلة تطلب ما اهملوها فمن يشير بانه فضيلة تطلب
ويجتمع لها لم يحظ بذوق معرفة احوال رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة
والتابعين ويستروح الى استحسان بعض المتاخرين ذلك وكثيرا ما يغلط الناس
في هذا كلما احتج عليهم بالسلف الماضين يحتج بالمتاخرين وكان السلف
اقرب الى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهديهم اشبه بهدي رسول
الله عليه الصلوة والسلام وكثيرا من الفقراء يتشجون عند قراءة القران باشيا
من غير غلبة قال عبد الله بن عروة بن الزبير قلت لجدتي اسماء بنت ابي بكر رضي الله عنهما
كيف كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعلون اذا قرئ عليهم القرآن
قالت كانوا كما وصفهم الله تعالى تدمع اعينهم وتقشعر جلودهم قال فقلت ان ناسا
اليوم اذا قرئ عليهم القرآن خر احدهم مغشيا عليه قالت اعوذ بالله من الشيطان
الرجيم وروي ان عبد الله بن عمر مر برجل من اهل العراق يتساقط قال ما لهذا
قالوا انه اذا قرئ عليه القرآن وسمع ذكر الله تعالى سقط فقال ابن عمر انا لنخشى
الله وما نسقط ان الشيطان يدخل في جوف احدهم ما هكذا كان يصنع اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر عند ابن سيرين الذين يصرعون اذا
قرئ القرآن قال بيننا وبينهم ان يقعد واحد منهم على ظهر بيت باسطا رجليه
ثم يقرأ عليه القرآن من اوله الى آخره فان رمى بنفسه فهو صادق وليس هذا القول
انكارا منهم على الاطلاق اذ يتفق ذلك لبعض الصادقين ولكن للتصنع المتوهم
في حق الاكثرين وقد يكون ذلك من البعض تصنعا ورياء ويكون من البعض لقصور
علم ومخامرة جهل ممزوج بهوى يلم باحدهم يسير من الوجد فيتبعه بزيادات يجهل
ان ذلك يضر بدينه وقد لا يجهل ان ذلك من النفس ولكن النفس تسترق السمع استراقا
خفيا تخرج الوجد عن الحد الذي ينبغي ان يقف عليه وهذا باب من الصدق [illegible]

عليه السلام وعظ قومه فشق رجل منهم قميصه فقيل لموسى قل لصاحب القميص
لا يشق قميصه ويشرح قلبه واما اذا انضاف الى السماع ان يسمع من الامرد
فقد توجهت الفتنة وتعين على اهل الديانات انكار ذلك قال بقية بن الوليد
كانوا يكرهون النظر الى الغلام الامرد الجميل وقال عطاء كل نظرة يهواها
القلب فلا خير فيها وقال بعض التابعين ما انا اخوف على الشاب التائب من السبع
الضاري خوفي عليه من الغلام الامرد يقعد اليه وقال بعض التابعين ايضا
اللوطية على ثلثة اصناف صنف ينظرون وصنف يصافحون وصنف يعملون
ذلك العمل فقد تعين على طائفة الصوفية الاجتناب من مثل هذه الاجتماعات
واتقاء مواضع التهم فان امر الصوفية صدق كله وجد كله يقول بعضهم التصوف
كله جد فلا تخلطوه بشيء من الهزل فهذه الآثار دلت على اجتناب السماع والاخذ
الحذر منه والباب الاول بما فيه دل على جوازه بشروطه وتنزيهه عن المكاره
التي ذكرناها وقد فصلنا القول وفرقنا بين القصائد والغناء وغير ذلك
وكان جماعة من الصالحين لا يسمعون ومع ذلك لا ينكرون على من يسمع بنية حسنة
ويراعي الادب فيه

الباب الرابع والعشرون في القول في السماع ترفعا واستغناء

اعلم ان الوجد يشعر بسابقة فقد فمن لم يفقد لم يجد وانما كان الفقد لمزاحمة
وجود العبد بوجود صفاته وبقاياه فلو تمحض عبدا لتمحض حرا ومن تمحض
حرا افلت من شرك الوجد فشرك الوجد يصطاد البقايا ووجود البقايا
لتخلف شيء من العطايا قال الحصري رحمه الله ما ادون حال من يحتاج الى
مزعج يزعجه فالوجد بالسماع في حق المحق كالوجد بالسماع في حق المبطل من حيث
النظر الى انزعاجه وتاثر الباطن به وظهور اثره على الظاهر وتغييره للعبد من حال
الى حال وانما يختلف الحال بين المحق والمبطل ان المبطل يجد لوجود هوى النفس
والمحق يجد لوجود ارادة القلب ولهذا قيل السماع لا يحدث في القلب شيئا
وانما يحرك ما في القلب فمن تعلق باطنه بغير الله تحرك بالسماع فيجد بالهوى

لما ذكرنا من ان وجد المبطل من حظ نفسه ووجد المحق من حظ ارادة قلبه

ومن تعلق باطنه محبة الله بجد بالارادة ارادة القلب فالمبطل محجوب بحجاب
النفس والمحق محجوب بحجاب القلب وحجاب النفس حجاب ارضي ظلماني وحجاب
القلب حجاب سماوي نوراني ومن لم يفقد لدوام التحقق بالشهود ولا يتعثر
باذيال الوجود لا يجد ولا يسمع ومن هذه المطالعة قال بعضهم انا ردم كله
لا ينفذ في قول ومن الممشاذ الدينوري بقوم فيهم قوال فلما راوه اسكتوا
فقال ارجعوا الى ما كنتم فيه فلو جمعت ملاهي الدنيا في اذني ما شغل همي ولا شفا
بعض ما بي فالوجد صراخ الروح المبتلي بالنفس تارة في حق المبطل وبالقلب تارة
في حق المحق فمثار الوجد الروح الروحاني في حق المحق والمبطل ويكون الوجد
تارة من فهم المعاني يظهر وتارة من مجرد النغمات والالحان فما كان من قبيل
المعاني يشارك النفس الروح في السماع في حق المبطل ويشارك القلب الروح في
حق المحق وما كان من قبيل مجرد النغمات يتجرد الروح للسماع ولكن في حق
المبطل تسترق النفس السمع وفي حق المحق يسترق القلب السمع ووجه استلذاذ
الروح النغمات ان العالم الروحاني مجمع الحسن والجمال ووجود التناسب في
الاكوان مستحسن قولا وفعلا ووجود التناسب في الهياكل والصور ميراث
الروحانية فمتى سمع الروح النغمات اللذيذة والالحان المتناسبة تاثر به
لوجود الجنسية ثم تتقيد ذلك بالشرع لمصالح عالم الحكمة ورعاية الحدود
للعبد عين المصلحة عاجلا وآجلا ووجه آخر انما يستلذ الروح النغمات
ان النغمات بها نطق النفس مع الروح بالايماء الخفي اشارة ورمزا بين المتعاشقين
وبين النفوس والارواح تعاشق اصلي ينزع ذلك الى انوثة النفس وذكورة الروح
والميل والتعاشق بين الذكر والانثى بالطبيعة واقع قال الله تعالى وجعل منها
زوجها ليسكن اليها وفي قوله تعالى منها اشعار بتلازم وتلاصق موجب للائتلاف
والتعاشق فالنغمات يستلذها الروح لانها مناغاة بين المتعاشقين وكما ان في عالم
الحكمة كونت حوا من آدم ففي عالم القدرة كونت النفس من الروح فهذا التألف من هنا

الاصل وذلك ان النفس روح حيواني تجنست بالقرب من الروح الروحاني
وتجنسها بان امتازت من ارواح جنس الحيوان بشرف القرب من الروح الروحاني
فصارت نفسا فاذا تكون النفس من الروح الروحاني في عالم القدرة كتكون
حوا من آدم في عالم الحكمة فهذا التألف والتعاشق ونسبة الانوثة والذكورة
من ههنا ظهر وبهذا الطريق استطاب الروح النغمات لانها مراسلات بين
المتعاشقين ومكالمة بينهما وقد قال القائل

تكلم منا في الوجوه عيوننا فنحن سكوت والهوى يتكلم

فاذا استلذ الروح النغمة وجدت النفس المعلولة بالهوى وتحركت بما فيها
لحدوث العارض ووجد القلب المعلول بالارادة وتحرك بما فيه لوجود العارض
في الروح وللارض من كاس الكرام نصيب فنفس المبطل ارض لسماء قلبه
وقلب المحق ارض لسماء روحه فالبالغ مبلغ الرجال والمتجوهر المتجرد من
اعراض الاحوال خلع نعلي النفس والقلب بالوادي المقدس في مقعد صدق
عند مليك مقتدر استقر وعرش واحرق بنور العيان اجرام الالحان ولم يضع
روحه الى مناغاة عاشقه لشغله بمطالعة آثار محبوبه والهائم المشتاق لا يسعه
كشف ظلامة العشاق ومن هذا حاله لا يحركه السماع راسا واذا كانت الالحان تلهي
هذا الروح مع لطافة مناجاتها وخفي لطف مناغاتها كيف يلحقه السماع بطريق المعاني
وهو اكثف ومن يضعف عن حمل لطيف الاشارات كيف يتحمل ثقل اعباء العبارات
واقرب من هذا عبارة يقرب الى الافهام الوجد وارد يرد من الحق سبحانه ومن يرد الله
لا يقنع بما من عند الله ومن صار في محل القرب متحققا به لا يلهيه ولا يحركه ما من عند الله
فالوارد من عند الله مشعر ببعد والقريب واجد فما يصنع بالوارد والوجد نار والقلب
الواجد بربه نور والنور الطف من النار والكثيف غير مسيطر على اللطيف فما دام الرجل
البالغ مستمرا على جادة استقامته غير منحرف عن وجهة معهوده بنوازع وجوده
لا يدركه الوجد بالسماع فان دخل عليه فتور او عاقه قصور بدخول الابتلاء عليه

قوله فاي وارد صادف شكلا مازجه
اي امتزج الوارد ذلك الشكل [illegible]
بين الوارد [illegible] مرافقته بسبب الممازجة
وذلك الشكل لا يناسبه ولا يوافقه
فعدم المناسبة بين نور القدم والحادث
فيكون [illegible] ١٢

من المبلي المحسن يتألف من تفاريق صور الابتلاء وجود يدركه الوجد لعود العبد
عند الابتلاء الى حجاب القلب فمن يسمع الحق اذا زل وقع على القلب ومن يسمع
القلب اذا زل وقع على النفس سمعت بعض المشايخ يحكي عن بعضهم انه وجد من السماع
فقيل له اين حالك من هذا فقال دخل علي داخل او ورد لي هذا المورد قال بعض اصحاب
سهل صحبت سهلا سنين فما رايته تغير عند شيء كان يسمعه من الذكر والقرآن فلما
كان في آخر عمره قرئ عنده فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ارتعد وكاد يسقط
فسألته عن ذلك قال نعم لحقني ضعف وسمع مرة الملك يومئذ الحق اضطرب
فسأله ابن سالم وكان صاحبه قال قد ضعفت فقيل له ان كان هذا من الضعف
فما القوة قال القوة ان لا يرد عليه وارد الا يبتلعه بقوة حاله فلا يغيره الوارد
ومن هذا القبيل قول ابي بكر رضي الله عنه هكذا كنا حتى قست القلوب لما
راى الباكي يبكي عند قراءة القرآن وقوله قست اي تصلبت وادمنت سماع القرآن
والفت انواره فما استغربته حتى يتغير الواجد كالمستغرب ولهذا قال بعضهم حالي
قبل الصلوة كحالي في الصلوة اشارة منه الى استمرار حال الشهود فهكذا في السماع
كقبل السماع وقد قال الجنيد لا يضر نقصان الوجد مع فضل العلم وفضل العلم اتم
من فضل الوجد وبلغنا عن الشيخ حماد انه كان يقول البكاء من بقية الوجود وكل
هذا يقرب البعض من البعض في المعنى لمن عرف الاشارة فيه وفهم وهو عزيز الفهم
عزيز الوجود واعلم ان للباكين عند السماع مواجيد مختلفة فمنهم من يبكي خوفا ومنهم
من يبكي شوقا ومنهم من يبكي فرحا كما قال القائل

طفح السرور علي حتى انني ... من عظم ما قد سرني ابكاني

قال ابو بكر الكتاني سماع العوام على متابعة الطبع وسماع المريدين رغبة ورهبة وسماع
الاولياء رؤية الآلاء والنعماء وسماع العارفين على المشاهدة وسماع اهل الحقيقة على
الكشف والعيان ولكل واحد من هؤلاء مصدر ومقام وقال ايضا الوارد يرد فيصادف
شكلا او موافقة فاي وارد صادف شكلا مازجه واي وارد صادف موافقا ساكنه

وهذه كلها مواجيد اهل السماع وما ذكرناه حال من ارتفع من السماع وهذا الاختلاف
ينزل على اختلاف اقسام البكاء الذي ذكرناه من الخوف والشوق والفرح
واعلاها بكاء الفرح بمثابة قادم يقدم على اهله بعد طول غربته فعند رؤية
الاهل يبكي من قوة الفرح وكثرته وفي البكاء رتبة اخرى اعز من هذه يعز
ذكرها ويكبر نشرها لقصور الافهام عن ادراكها فربما يقابل ذكرها بالانكار
ويجفى بالاستكبار ولكن يعرفها من وجدها قدما ووصولا او فهمها نظرا و[illegible]
وهو بكاء الوجدان غير بكاء الفرح وحدوث ذلك في بعض مواطن حق
اليقين ومن حق اليقين في الدنيا المامات يسيرة فيوجد البكاء في بعض
مواطنه لوجود تغاير وتباين بين المحدث والقديم فيكون البكاء رشحا وهو
وصف الحدثان لوهج سطوة عظمة الرحمن ويقرب من ذلك مثلا في الشاهد
قطر الغمام يبلا في مختلف الاجرام وهذا وان عز مشعر ببقية تقدح في صرف الفناء
نعم قد يتحقق العبد في الفناء متجردا عن الآثار منغمسا في الانوار ثم يرقى منه الى
مقام البقاء ويرد اليه الوجود مطهرا فيعود اليه اقسام البكاء خوفا وشوقا
وفرحا ووجدانا بمشاكلة صورها ومباينة حقيقتها بفرق لطيف يدركه
اربابه وعند ذلك يعود عليه من السماع ايضا قسم وذلك القسم مقدور له مقهور
معه يأخذه اذا اراد ويرده اذا اراد ويكون هذا السماع من المتمكن بنفس
اطمانت واستنارت وباينت طبيعتها واكتسبت طمانينتها واكسبها الروح
معنى منه فيكون سماعه نوع تمتع للنفس كتمتعها بمباحات اللذات والشهوات
لا ان ياخذ السماع منه او يزيد به او يظهر عليه منه اثر ويكون النفس في ذلك
بمثابة الطفل في حجر الوالد يفرحه في بعض اوقاته ببعض مآربه ومن هذا
القبيل نقل ان ابا محمد الراشني كان يشغل اصحابه بالسماع ويعتزل عنهم
ناحية يصلي فيها فقد تطرق النغمات مثل هذا المصلي ويتدلى اليها النفس
متنعمة بذلك فيزداد موارد الروح من الانس صفاء عند ذلك لبعد النفس

حجاب وبعده لا يكون كذلك بل يكون في حال زوال الحجاب ولكن لما كان الوجود
الموهوب يقتضي معاني آخر فوق ما حصلت اولا يعود اليه في النهاية حالات البداية
فيعود اقسام البكاء وقال سيد الطائفة قدس سره وقد سئل عن النهاية فقال هي
الرجوع الى البداية ومن هذا يعلم ان الترقيات التي حصلت للنبي صلى الله عليه وسلم
في مقام الرسالة والنبوة فوق الترقيات التي حصلت قبلها اذ الفيوض في حال
البقاء اعلى واكمل من الفيوض في حال الفناء ويفهم ايضا ان النبوة اعلى من الولاية
اذ هي مستصحبة ابدا من غير عكس ١٢

قال

عن الروح في تمتعها فانها مع طمانينتها بوصف من الجنبية بوضعها وجبلتها وفي
بعدها توفر اقسام الروح من الفتوح ويكون طروق الالحان سمعه في الصلوة
غير محيله بينه وبين المناجاة وفهم تنزيل الكلمات وتصل الاقسام الى محالها
غير مزاحمة ولا مزاحمة وذلك كله لسعة شرح الصدر بالايمان فالله المحسن
المنان ولهذا قيل السماع لقوم كالدواء ولقوم كالغذاء ولقوم كالمروحة
ولعود اقسام البكاء ما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابي اقرأ فقال
اقرأ عليك وعليك انزل فقال احب ان اسمعه من غيري فافتتح سورة النساء
حتى بلغ قوله فكيف اذا جينا من كل امة بشهيد وجينا بك على هولاء شهيدا فاذا
عيناه تهملان وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم استقبل الحجر واستلمه
ثم وضع شفتيه عليه طويلا يبكي وقال يا عمر ههنا تسكب العبرات والمتمكن يعود
اليه اقسام البكاء وفي ذلك فضيلة سالها النبي عليه الصلوة والسلام وقال
اللهم ارزقني عينين هطالتين ويكون البكاء في الله ويكون لله ويكون بالله وهو
الاتم لعوده اليه بوجود مستانف موهوب له من الكريم المنان في مقام البقاء

الباب الخامس والعشرون في القول في السماع تأدبا واعتناء

ويتضمن هذا الباب آداب السماع وحكم التخريق واشارات المشايخ في ذلك وما في ذلك
من الماثور والمحذور ومبنى التصوف على الصدق في ساير الاحوال وهو جد كله
لا ينبغي للصادق ان يتعمد الحضور في مجمع يكون فيه سماع الا بعد ان يخلص
النية لله ويتوقع به مزيدا في ارادته وطلبه ويحذر من ميل النفس لشيء من هواها
ثم يقدم الاستخارة للحضور ويسال الله اذا عزم البركة فيه واذا حضر يلزم الصدق
والوقار بسكون الاطراف قال ابو بكر الكتاني المستمع يجب ان يكون في سماعه غير
مستروح اليه يهيج السماع منه وجدا او شوقا او غلبة والوارد عليه يفنيه عن
كل حركة وسكون فيتقي الصادق استدعاء الوجد ويجتنب الحركة فيه مهما امكن
لا سيما بحضرة الشيوخ حكي ان شابا كان يصحب الجنيد وكلما سمع شيئا زعق وتغير

فقال له يوما ان ظهر منك شيء بعد هذا فلا تصحبني فكان بعد ذلك يضبط نفسه
وربما كان من كل شعرة منه يقطر قطرة عرق فلما كان يوما من الايام زعق زعقة
وخرج روحه فليس من الصادق اظهار الوجد من غير وجد نازل وادعاء الحال
من غير حال حاصل وذلك عين النفاق قيل كان النصرآباذي كثير الولع بالسماع
فعوتب في ذلك فقال نعم هو خير من ان نقعد ونغتاب فقال له ابو عمرو بن نجيد
وغيره من اخوانه هيهات يا ابا القسم زلة في السماع شر من كذا وكذا سنة نغتاب الناس
وذلك ان زلة السماع اشارة الى الله تعالى وترويج للحال بصريح المحال وفي ذلك
ذنوب متعددة منها انه يكذب على الله انه وهب له شيئا وما وهب له والكذب
على الله من اقبح الزلات ومنها ان يغر بعض الحاضرين فيحسن به الظن والغرور
خيانة قال عليه الصلوة والسلام من غشنا فليس منا ومنها انه اذا كان مبطلا ويرى
بعين الصلاح سوف يظهر منه بعد ذلك ما يفسد عقيدة المعتقد فيه فيفسد
عقيدته في غيره ممن يظن به الخير من امثاله فيكون متسببا الى فساد العقيدة
في اهل الصلاح ويدخل بذلك ضرر على الرجل الحسن الظن من فساد عقيدته فينقطع
عنه مدد الصالحين ويتشعب من هذا آفات كثيرة يقف عليها من يبحث عنها ومنها
انه يحوج الحاضرين الى موافقته في قيامه وقعوده فيكون متكلفا مكلفا للناس
بباطله ويكون في الجمع من يرى بنور الفراسة انه مبطل ويحمل على نفسه الموافقة
للجمع مداريا ويكثر شرح الذنوب في ذلك فليتق الله ربه ولا يتحرك الا اذا صارت
حركته كحركة المرتعش الذي لا يجد سبيلا الى الامساك وكالعاطس الذي لا يقدر
ان يرد العطسة ويكون حركته بمثابة النفس الذي تتنفس يدعوه الى التنفس
داعية الطبع قهرا قال السري رحمه الله شرط الواجد في زعقته ان يبلغ الى
حد لو ضرب وجهه بالسيف لا يشعر فيه بوجع وقد يقع هذا في حق بعض الواجدين
نادرا وقد لا يبلغ الواجد هذه الرتبة من الغيبة ولكن زعقته تخرج كالتنفس
بنوع ارادة ممزوجة بالاضطرار وهذا الضبط من رعاية الحركات ورد الزعقات

في تمزيق الثياب كذا فان ذلك يكون اتلاف المال واتفاق المحال وهكذا رمي الخرقة الى الحادي لا ينبغي ان يفعل الا اذا حضرته نية تجتنب فيها التكلف والمراياة فاذا حسنت النية فلا باس بالقاء الخرقة الى الحادي فقد روى ان كعب بن زهير دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد وانشد ابياته التي اولها
بانت سعاد فقلبي اليوم متبول حتى انتهى الى قوله فيها
ان الرسول لسيف يستضاء به مهند من سيوف الله مسلول
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم من انت فقال اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله انا كعب بن زهير فرمى اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بردة كانت عليه فلما كان زمن معوية بعث الى كعب بن زهير بعنا بردة رسول الله بعشرة آلاف فوجه اليه ما كنت لاوثر بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم احدا فلما مات كعب بعث معوية الى اولاده بعشرين الفا واخذ البردة وهي البردة الباقية عند الامام الناصر لدين الله اليوم اعاد الله بركتها على ايامه الزاهرة وللمتصوفة اداب يتعاهدونها ورعايتها احسن الادب في المعاشرة وكثير من السلف لم يكونوا يعتمدون ذلك ولكن كل شيء استحسنوه وتواطؤا عليه ولا ينكره الشرع لا وجه للانكار فيه فمن ذلك ان احدهم اذا تحرك في السماع ووقعت منه خرقة او نازله وجد ورمى عمامته الى الحادي فالمستحسن عندهم موافقة الحاضرين له في كشف الراس اذا كان ذلك من متقدم وشيخ وان كان ذلك من الشبان في حضرة الشيخ فليس على الشيوخ موافقة الشبان في ذلك ويستحب حكم الشيوخ على بقية الحاضرين في ترك الموافقة للشاب فاذا سكنوا عن السماع يرد الواجد الى خرقته ويوافقه الحاضرون برفع العمامة ثم يردها على الروس في الحال للموافقة والخرقة اذا رميت الى الحادي هي للحادي اذا قصد اعطاها اياه وان لم يقصد اعطاء الحادي فقال بعضهم هي للحادي لان المحرك هو ومنه صدر الموجب لرمي الخرقة وقال بعضهم هي للجمع والحادي واحد منهم لان المحرك قول الحادي مع بركة الجمع فان بركة الجمع في احداث الوجد بانقاص

عرقوا

عن قول القائل فيكون الحادي واحدا منهم في ذلك روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر من وقف بمكان كذا فله كذا ومن قتل كذا فله كذا ومن اسر كذا فله كذا فتسارع الشبان واقام الشيوخ والوجوه عند الرايات فلما فتح الله على المسلمين طلب الشبان ان يجعل ذلك لهم فقال الشيوخ كنا ظهرا لكم وردا فلا تذهبوا بالغنايم دوننا فانزل الله تعالى يسئلونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول فقسم النبي صلى الله عليه وسلم بينهم بالسوية وقيل اذا كان القوال من القوم يجعل كواحد منهم واذا لم يكن من القوم فما كان له قيمة يوثر به وما كان من خرق الفقراء يقسم بينهم وقيل ان كان القوال اجيرا فليس له منها شيء وان كان متبرعا يوثر بذلك وكل هذا اذا لم يكن هناك شيخ يحكم فاما اذا كان هناك شيخ يهاب ويمتثل امره فالشيخ يحكم في ذلك بما يرى فقد تختلف الاحوال في ذلك وللشيخ اجتهاد يفعل ما يرى فلا اعتراض لاحد عليه وان رفدها بعض المحبين او بعض الحاضرين ورضي القوال والقوم بما رضوا به وعاد كل واحد الى خرقته فلا باس بذلك واذا اصر واحد على الايثار لما خرج منه لنية له في ذلك يوثر بخرقته الحادي واما تمزيق الخرقة المجروحة التي مزقها واجد صادق على غلبة سلبت اختياره لغلبة النفس فمن يتعمد امساكه فنيتهم في تفريقها وتمزيقها التبرك بالخرقة لان الوجد اثر من آثار فضل الحق وتمزيق الخرقة اثر من آثار الوجد فصارت الخرقة متاثرة باثر رباني من حقها ان تفدى بالنفوس وتترك على الروس اكراما واعزازا شعر
تفوح ارواح نجد من ثيابهم يوم القدوم لقرب العهد بالدار
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم استقبل الغيث ويتبرك به ويقول جديد عهد بربه فالخرقة الممزقة جديدة العهد فحكم المجروحة ان يفرق على الحاضرين وحكم ما يتبعها من الخرق الصحاح ان الحكم فيها للشيخ ان خصص بشيء منها بعض الفقراء فله ذلك وان خرقها خرقا فله ذلك ولا يقال ان هذا تفريط وسرف فان الخرق الصغيرة ينتفع بها في مواضعها عند الحاجات كالكبيرة وروي عن امير المؤمنين علي رضي الله عنه

انه قال اُهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم حلة حرير فارسل بها الى فخرجت
فيها فقال لى ما كنت لاكره لنفسى شيئًا ارضاه لك فشققها بين النساء خمرا وفى رواية
اتيته فقلت ما اصنع بها البسها قال لا ولكن اجعلها خمرًا بين الفواطم اراد
فاطمه بنت اسد وفاطمة بنت رسول الله وفاطمة بنت حمزة وفى هذه الرواية
ان الهدية كانت حلة مكفوفة بحرير وهذا وجه فى السنة لتمزيق الثوب وجعله
خرقا حكى ان الفقهاء والصوفية بنيسابور اجتمعوا فى دعوة فوقعت الخرقة وكان شيخ
الفقهاء ابو محمد الجوينى وشيخ الصوفية ابو القسم القشيرى فقسمت الخرقة على
عادتهم فالتفت الشيخ ابو محمد الى بعض الفقهاء وقال سرًّا هذا سرف واضاعة
مال فسمع ابو القسم ولم يقل شيئا حتى فرغت القسمة ثم استدعى الخادم وقال انظر
فى الجمع من معه سجادة خرق ايتنى بها فجاءه بسجادة ثم احضر رجلا من اهل الخبرة
فقال هذه السجادة بكم تشترى فى المزاد قال بدينار قال لو كان قطعة واحدة
كم تساوى قال نصف دينار ثم التفت الى الشيخ ابى محمد وقال هذا لا يسمى اضاعة
مال والخرقه الممزقة تقسم على جميع الحاضرين من كان من الجنس او غير الجنس اذا
كان حسن الظن بالقوم معتقدا للتبرك بالخرقة روى طارق بن شهاب ان اهل
البصرة غزوا نهاوند وامدهم اهل الكوفة وعلى اهل الكوفة عمار بن ياسر فظهروا
فاراد اهل البصرة ان لا يقسموا لاهل الكوفة من الغنيمة شيئا فقال رجل من بنى تميم
لعمار ايها الاجدع تريد ان تشاركنا فى غنائمنا فكتب الى عمر بذلك وكتب عمر
ان الغنيمة لمن شهد الوقعة وذهب بعضهم الى ان المجروح من الخرق يقسم على
الجمع وما كان من ذلك صحيحا يعطى القوال واستدل بما روى عن ابى قتادة قال
لما وضع الحرب اوزارها يوم حنين وفرغنا من القوم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قتل قتيلا فله سلبه وهذا له وجه فى الخرقة الصحيحة فاما المجروحة فحكمها
اسهام الحاضرين والقسمة لهم ولو دخل على الجمع وقت القسمة من لم يكن حاضرا
قسم له روى ابو موسى الاشعرى قال قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم

بعد خيبر بثلاث فاسهم لنا ولم يسهم لاحد لم يشهد الفتح غيرنا ويكره للقوم حضور
غير الجنس عندهم فى السماع لمتزهد لا ذوق له من ذلك فينكر ما لا ينكر او صاحب
دنيا يحوج الى المداراة والتكلف او متكلف للوجد يشوش الوقت على الحاضرين
بتواجده اخبرنا ابو زرعة طاهر عن والده ابى الفضل الحافظ المقدسى قال انا
ابو منصور محمد بن عبد الملك المظفرى بسرخس قال انا ابو على الفضل بن منصور
ابن نصر الكاغدى السمرقندى اجازة قال ثنا الهيثم بن كليب قال ثنا ابو بكر عمار
ابن اسحق قال ثنا سعيد بن عامر عن شعبة عن عبد العزيز بن صهيب عن انس قال كنا عند
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ نزل جبرئيل عليه السلام فقال يا رسول الله ان
فقراء امتك يدخلون الجنة قبل الاغنياء بنصف يوم وهو خمسمائة عام ففرح رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقال افيكم من ينشدنا فقال بدوى نعم يا رسول الله فقال هات
فانشا البدوى قد لسعت حية الهوى كبدى فلا طبيب لها ولا راقى
الا الحبيب الذى شغفت به فعنده رقيتى وترياقى
فتواجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وتواجد الاصحاب معه حتى سقط رداؤه
عن منكبه فلما فرغوا آوى كل واحد الى مكانه قال معاوية بن ابى سفين ما احسن
لعبكم يا رسول الله فقال مه يا معاوية ليس بكريم من لم يهتز عند ذكر الحبيب ثم
قسم رداء رسول الله صلى الله عليه وسلم بين من حاضرهم باربعمائة قطعة فهذا
الحديث اوردناه مسندا كما سمعناه ووجدناه وقد تكلم فى صحته اصحاب
الحديث وما وجدنا شيئا نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يشاكل وجد اهل
الزمان وسماعهم واجتماعهم وهيئتهم الا هذا وما احسنه من حجة للصوفية واهل
الزمان فى سماعهم وتمزيق الخرق وقسمتها ان لو صح والله اعلم ويخالج سرى انه
غير صحيح ولم اجد فيه ذوق اجتماع النبى صلى الله عليه وسلم مع اصحابه وما كانوا
يعتمدونه على ما بلغنا فى الحديث ويأبى القلب قبوله قال ابن عباس هذا حديث باطل لا يحتج به

الباب السادس والعشرون فى خاصية الاربعينية التى تتعاهدها الصوفية

ليس مطلوب القوم من الاربعين شيئاً مخصوصاً لا يطلبونه في غيرها ولكن
لما طرقتهم مخالفات حكم الاوقات احتجوا تقييد الوقت بالاربعين رجاء
ان ينسحب حكم الاربعين على جميع زمانهم فيكونوا في جميع اوقاتهم كهيئتهم
في الاربعين على ان الاربعين خصت بالذكر في قول رسول الله صلى الله عليه
وسلم من اخلص لله اربعين صباحاً ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على
لسانه وقد خص الله تعالى الاربعين بالذكر في قصة موسى وامره بتخصيص
الاربعين مزيد تبتل قال الله تعالى وواعدنا موسى ثلثين ليلة واتممناها
بعشر فتم ميقات ربه اربعين ليلة وذلك ان موسى وعد بني اسرائيل وهم بمصر
ان الله اذا اهلك عدوهم واستنقذهم من ايديهم يأتيهم بكتاب من عند الله
فيه تبيان الحلال والحرام والحدود والاحكام فلما فعل الله ذلك واهلك فرعون
سال الله موسى الكتاب فامره الله تعالى ان يصوم ثلثين يوماً وهو ذو القعدة
فلما تمت ثلثون ليلة انكر خلوف فمه فتسوك بعود خرنوب فقالت له الملائكة
كنا نشم من فيك رايحة المسك فافسدته بالسواك فامره الله تعالى ان يصوم
عشرة ايام من ذي الحجة وقال له اما علمت ان خلوف فم الصايم اطيب عندي
من ريح المسك ولم يكن صوم موسى ترك الطعام بالنهار واكله بالليل بل طوى
الاربعين من غير اكل فدل على ان خلو المعدة من الطعام اصل كبير في الباب
حتى احتاج موسى الى ذلك مستعداً به لمكالمة الله والعلوم اللدنية في قلوب
المنقطعين الى ضرب من المكالمة ومن انقطع الى الله اربعين يوماً مخلصاً
متعاهداً نفسه بخفة المعدة يفتح عليه العلوم اللدنية كما اخبر رسول الله
صلى الله عليه وسلم بذلك غير ان تعيين الاربعين من المدة في قول رسول الله
صلى الله عليه وسلم وفي امر الله موسى بذلك فالتحديد والتقييد بالاربعين
والحكمة فيه لا يطلع احد على حقيقة ذلك الا الانبياء اذا عرفهم الحق ذلك
او من خصه الله بتعريف ذلك غير الانبياء ويلوح في سر ذلك معنى والله اعلم

وذلك ان الله تعالى بتكوين آدم من تراب قدر التخمير بهذا القدر من
العدد كما ورد خمر طينة آدم بيده اربعين صباحاً وكان آدم لما
كان مستصلحاً لعمارة الدارين واراد الله تعالى منه عمارة الدنيا
كما اراد منه عمارة الجنة كونه من التراب تركيباً يناسب عالم الحكمة
والشهادة يعني هذه الدار الدنيا لان عمارة الدنيا لا يتاتى منه وهو
غير مخلوق من اجزاء ارضية سفلية بحسب قانون الحكمة فمن التراب
كونه واربعين صباحاً خمر طينته ليبعد بالتخمير اربعين صباحاً باربعين
اربعين حجاباً من الحضرة الالهية كل حجاب هو معنى مودع فيه يصلح به لعمارة
الدنيا ويتعوق به عن الحضرة الالهية ومواطن القرب اذ لولم يتعوق
بهذا الحجاب ما انعمرت الدنيا فتاصل البعد عن مقام القرب فيه
لعمارة عالم الحكمة وخلافة الله تعالى في الارض فبالتبتل لطاعة
الله تعالى بالاقبال عليه والانتزاع عن التوجه الى امر المعاش بكل يوم
يخرج عن حجاب هو معنى مودع فيه وعلى قدر زوال كل حجاب يتخذ
منزلاً في القرب من الحضرة الالهية التي هي مجمع العلوم ومصدرها
فاذا تمت الاربعون زالت الحجب وانصبت اليه العلوم والمعارف
انصباباً ثم العلوم والمعارف هي اعيان انقلبت باتصال اكسير نور العظمة
الالهية بها فانقلبت اعيان حديث النفس علوماً الهامية وتصدت
اجرام حديث النفوس لقبول انوار العظمة فلولا وجود النفس وحديثها
ما ظهرت العلوم الالهامية لان حديث النفس وعاء وجودي لقبول
الانوار وما للقلب في ذاته لقبول العلم شيء وقول رسول الله صلى الله عليه
وسلم ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه اشارة الى القلب باعتبار
ان للقلب وجهاً الى النفس باعتبار توجهه الى عالم الشهادة وله وجه
الى الروح باعتبار توجهه الى عالم الغيب فيستمد القلب العلوم المكونة

فى النفس ويخرجها الى اللسان الذى هو ترجمانه فظهور العلوم من القلب لانها متاصلة فيه وللقلب في الروح مراتب من قرب الملهم سبحانه وتعالى فوق رتبة الالهام فالعبد بانقطاعه الى الله تعالى واعتزال الناس يقطع مسافات وجوده ويستنبط من معدن نفسه جواهر العلوم وقد ورد فى الخبر الناس معادن كمعادن الذهب والفضة ففي كل يوم باخلاصه في العمل لله ينكشف طبقة من الاطباق الترابيه الجبلية المبعدة عن الله الى ان ينكشف باستكمال الاربعين اربعون طبقة من اطباق حجابه وآية صحة هذا العبد وتاثره بالاربعين ووفاه بشروط الاخلاص ان يزهد بعد الاربعين في الدنيا ويتجافى عن دار الغرور وينيب الى دار الخلود لان الزهد فى الدنيا من ضرورة ظهور الحكمة ومن لم يزهد فى الدنيا ما ظفر بالحكمة ومن لم يظفر بالحكمة بعد الاربعين يتبين انه اخل بالشروط ولم يخلص لله تعالى ومن لم يخلص ما عبد لان الله تعالى امر بالاخلاص كما امر بالعمل فقال تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين اخبرنا الشيخ طاهر بن ابي الفضل قال انا ابو بكر احمد بن خلف اجازة قال انا ابو عبد الرحمن السلمي قال انا ابو منصور الضبعي قال ثنا محمد بن اشرس قال ثنا حفص بن عبد الله قال ثنا ابرهيم بن طهمان عن عاصم عن زر عن صفوان بن عسال عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا كان يوم القيامة يجي الاخلاص والشرك يجثوان بين يدي الرب عز وجل فيقول الرب للاخلاص انطلق انت واهلك الى الجنة ويقول للشرك اذهب انت واهلك الى النار وبهذا الاسناد قال السلمي سمعت علي بن سعيد وسالته عن الاخلاص ما هو قال سمعت ابرهيم الشقيقي وسالته عن الاخلاص ما هو يقول سمعت محمد بن جعفر الخصاف وسالته عن الاخلاص ما هو قال سالت احمد بن بشار عن الاخلاص ما هو قال سالت ابا يعقوب الشروطي عن الاخلاص قال سالت احمد بن غسان عن الاخلاص قال سالت احمد بن علي الهجيمي عن الاخلاص ما هو قال سالت عبد الواحد بن زيد عن الاخلاص ما هو قال سالت

الحسن

الحسن عن الاخلاص ما هو قال سالت حذيفة عن الاخلاص ما هو قال سالت النبي صلى الله عليه وسلم عن الاخلاص ما هو قال سالت جبريل عن الاخلاص ما هو قال سالت رب العزة عن الاخلاص ما هو قال هو سر من سري اودعته قلب من احببت من عبادي فمن الناس من يدخل الخلوة على مراغمة النفس اذ النفس بطبعها كارهة للخلوة ميالة الى مخالطة الخلق فاذا ازعجها عن مقار عاداتها وحبسها على طاعة الله يعقب كل مرارة تدخل عليها حلاوة فى القلب قال ذو النون لم ار باعث على الاخلاص من الخلوة ومن احب الخلوة فقد استمسك بعمود الاخلاص وظفر بركن من اركان الصدق وقال الشبلي لرجل استوصاه الزم الوحدة وامح اسمك عن القوم واستقبل الجدار حتى تموت وقال يحيى بن معاذ الوحدة منية الصديقين ومن الناس من ينبعث من باطنه داعية الخلوة وينجذب النفس الى ذلك وهذا اكمل واتم وادل على كمال الاستعداد وقد روي من حال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يدل على ذلك فيما حدثنا شيخنا ضياء الدين املاء قال انا الحافظ ابو القسم اسمعيل بن احمد المقري قال انا جعفر ابن الحكاك المكي قال انا ابو عبد الله الصنعاني قال انا ابو عبد الله النقوي النقري قال انا اسحق الدبري قال انا عبد الرزاق عن معمر قال اخبرني الزهري عن عروة عن عايشة قالت اول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقه فى النوم فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب اليه الخلاء فكان ياتي حراء فيتحنث فيه الليالي ذوات العدد ويتزود لذلك ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها حتى فجاه الحق وهو في غار حراء فجاء الملك فيه فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اقرأ فقال رسول الله عليه الصلوة والسلام فقلت ما انا بقارئ فاخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرأ فقلت ما انا بقارئ فاخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرأ فقلت ما انا بقارئ فاخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني

فقال اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق حتى بلغ ما لم يعلم فرجع بها
رسول الله صلى الله عليه وسلم ترجف بوادره حتى دخل على خديجة فقال زملوني
فزملوه حتى ذهب عنه الروع وقال لخديجة ما لي واخبرها الخبر فقال خشيت
على عقلي فقالت كلا والله لا يخزيك الله ابدا انك لتصل الرحم وتصدق وتحمل
الكل وتقري الضيف وتعين على نوايب الحق ثم انطلقت به خديجة
حتى اتت به ورقة بن نوفل وكان امرا تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العربي
وكتب بالعربية من الانجيل ما شاء الله ان يكتب وكان شيخا كبيرا قد عمي فقالت له
خديجة اي عمي اسمع من ابن اخيك فقال له ورقة يا ابن اخي ما ترى فاخبره الخبر رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم هذا هو الناموس
الذي انزل على موسى يا ليتني فيها جذعا اكون حيا حين يخرجك قومك فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم او مخرجي هم قال ورقة نعم لم يات احد قط بما
جيت به الا عودي واوذي فان يدركني يومك انصرك نصرا موزرا وحدث
جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحدث عن فترة
الوحي فقال في حديث فبينا انا امشي سمعت صوتا من السماء فرفعت راسي فاذا الملك
الذي جاني بحرا جالس على كرسي بين السماء والارض فجثثت منه رعبا فرجعت فقلت
زملوني فدثروني فانزل الله تعالى يا ايها المدثر قم فانذر الى والرجز فاهجر ونقل
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب مرارا كي يردي نفسه من شواهق الجبل فكلما
وافى لذروة جبل لكي يلقي نفسه منه تبدى له جبريل فقال يا محمد انك رسول الله
حقا فيسكن لذلك جاشه واذا طالت عليه فترة الوحي عاد لمثل ذلك فيتبدى له
جبريل فيقول له مثل ذلك فهذه الاخبار المنبية عن بدء امر رسول الله صلى الله عليه وسلم هي
الاصل في ايثار المشايخ الخلوة للمريدين والطالبين فانهم اذا اخلصوا لله في خلواتهم يفتح الله تعالى
عليهم ما يونسهم في خلوتهم تعويضا من الله اياهم عما تركوا لاجله ثم خلوة القوم مستمرة وانما
الاربعون لاستكمالها له اثر في ظهور مبادي بشاير الحق سبحانه وسنوح مواهبه السنية

الباب السابع والعشرون في ذكر فتوح الاربعينية

وقد غلط في طريق الخلوة والاربعينية قوم وحرفوا الكلم عن مواضعه ودخل عليهم الشيطان
وفتح عليهم باب الغرور ودخلوا الخلوة على غير اصل مستقيم من تادية حق الخلوة بالاخلاص
وسمعوا ان المشايخ والصوفية كانت لهم خلوات وظهرت لهم وقايع وكوشفوا بغرايب
وعجايب فدخلوا الخلوة لطلب ذلك وهذا عين الاعتلال ومحض الضلال وانما القوم
اختاروا الخلوة والوحدة لسلامة الدين وتفقد احوال النفس واخلاص العمل لله
نقل عن ابي عمرو الانماطي انه قال لن يصفو للعاقل فهم الاخبار الا لاحكام ما يجب عليهم
من اصلاح الحال الاول والمواطن التي ينبغي ان يعرف منها امن داد مواد شغل فعليه
ان يطلب مواضع الخلوة لكيلا تعارضه شغل فيفسد عليه ما يريد ابتلي في طامن
ابي الفضل عن ابي بكر بن خلف اجازة قال انا ابو عبد الرحمن السلمي قال سمعت ابا تميم المغربي
يقول من اختار الخلوة على الصحبة ينبغي ان يكون خاليا من جميع الاذكار الا ذكر ربه
وخاليا من جميع المرادات الا مراد ربه وخاليا من مطالبة النفس من جميع الاشيا
فان لم يكن بهذه الصفة فان خلوته توقعه في فتنة او بلية اخبرنا ابو زرعة قال انا
ابو بكر قال انا ابو عبد الرحمن قال سمعت منصورا يقول سمعت محمد بن حامد يقول جا
رجل الى زيارة ابي بكر الوراق وقال له اوصني فقال وجدت خير الدنيا والاخرة
في الخلوة والقلة ووجدت شرهما في الكثرة والاختلاط فمن دخل الخلوة معتلا في دخوله
دخل عليه الشيطان وسول له انواع الطغيان وامتلا من الغرور والمحال فظن انه على
حسن حال وقد دخلت الفتنة على قوم دخلوا الخلوة بغير شروطها واقبلوا على ذكر
من الاذكار واستجموا نفوسهم بالعزلة عن الخلق ومنعوا الشواغل من الحواس كفعل
الرهابين والبراهمة والفلاسفة والوحدة وجمع الهم له تاثير في صفاء الباطن مطلقا
فما كان من ذلك بحسن سياسة الشرع وصدق المتابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم انتج تنوير
القلب والزهد في الدنيا وحلاوة الذكر والمعاملة لله بالاخلاص من الصلوة والتلاوة
وغير ذلك وما كان من ذلك من غير سياسة الشرع ومتابعة رسول الله صلى الله عليه وسلم



ينتج صفاء في النفس يتعان به على اكتساب علوم رياضية مما تعتني به الفلاسفة والذين خذلهم الله تعالى فكلما كثر من ذلك كثر البعد من الله ولا يزال المقبل على ذلك يستغويه الشيطان بما يكتسب من العلوم الرياضية او بما قد تراءا له من صدق الخاطر وغير ذلك حتى يركن اليه كل الركون ويظن انه قد ظفر بالمقصود ولا يعلم ان هذا القدر من الفائدة غير ممنوعة من النصارى والبراهمة وليس هي المقصود من الخلوة يقول بعضهم الحق يريد منك الاستقامة وانت تطلب الكرامة وقد يفتح على الصادقين شي من خوارق العادات وصدق الفراسة وتبيين ما سيحدث في المستقبل وقد لا يفتح عليهم ذلك ولا يقدح في حالهم عدم ذلك وانما يقدح في حالهم الانحراف عن حد الاستقامة فما يفتح من ذلك على الصادقين يصير من مزيد ايقانهم والداعي لهم الى صدق المجاهدة والمعاملة والزهد في الدنيا والتخلق بالاخلاق الحميدة وما يفتح من ذلك على من ليس تحت سياسة الشرع يصير سببا لمزيد بعده وحماقته واستطالته على الناس وازدرائه بالخلق ولا يزال به حتى يخلع ربقة الاسلام عن عنقه وينكر الحدود والاحكام والحلال والحرام ويظن ان المقصود من العبادات ذكر الله ويترك متابعة الرسول ثم يتدرج من ذلك الى الالحاد والزندقة نعوذ بالله من الضلال وقد يلوح لاقوام خيالات يظنونها وقايع ويشبهونها بوقايع المشايخ من غير علم بحقيقة ذلك فمن اراد تحقيق ذلك فليعلم ان العبد اذا اخلص لله واحسن النية وقعد في الخلوة اربعين يوما اكثر فيهم من باشر باطنه صفو اليقين ويرفع الحجاب عن قلبه ويصير كما قال قايلهم راى قلبي ربي وقد يصل الى هذا المقام تارة باحيا الاوقات بالصالحات وكف الجوارح وتوزيع الاوراد من الصلوة والتلاوة والذكر على الاوقات وتارة يباديه الحق لموضع صدقه وقوة استعداده مبادأة من غير عمل وخدمة وجد منه وتارة يجد ذلك بملازمة ذكر واحد من الاذكار ولا يزال يردد ذلك الذكر ويقوله ويكون عبادته الصلوات الخمس بسننها الراتبة فحسب وساير اوقاته مشغولة بالذكر الواحد لا يتخللها فتور ولا يوجد منه قصور لا يزال يردد

ذكر

ذلك الذكر ملتزما به حتى في طريق الوضوء وساعة الاكل لا يفتر عنه واختار جمع من المشايخ من الذكر كلمة لا اله الا الله وهذه الكلمة لها خاصية في تنوير الباطن وجمع الهم اذا داوم عليها صادق مخلص وهي من مواهب الحق لهذه الامة وفيها خاصية لهذه الامة فيما حدثنا شيخنا ضياء الدين املاء قال انا ابو القاسم الدمشقي الحافظ قال انا عبد الدايم بن الحسين قال انا عبد الوهاب الدمشقي قال انا محمد بن خريم قال نا هشام بن عمار قال نا الوليد بن مسلم قال نا عبد الرحمن بن زيد عن ابيه ان عيسى بن مريم عليه السلام قال رب انبئني عن هذه الامة المرحومة قال امة محمد صلى الله عليه وسلم علماء اخفياء حكماء حلماء كانهم انبياء يرضون مني بالقليل من العطاء وارضى منهم باليسير من العمل وادخلهم الجنة بلا اله الا الله يا عيسى هم اكثر سكان الجنة لانها لم تذل السن قوم قط بلا اله الا الله كما ذلت السنتهم ولم تذل رقاب قوم قط بالسجود كما ذلت رقابهم وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال ان هذه الاية مكتوبة في التورية يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للمومنين وكنزا للاميين انت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الاسواق ولا تجزي بالسيئة السيئة ولكن تعفو وتصفح ولن اقبضه حتى يقام به الملة المعوجة بان يقولوا لا اله الا الله ويفتحوا اعينا عميا واذانا صما وقلوبا غلفا فلا يزال العبد في خلوته يردد هذه الكلمة على لسانه مع مواطاة القلب حتى تصير الكلمة متاصلة في القلب مزيلة لحديث النفس ينوب معناها في القلب عن كل حديث النفس فاذا استولت الكلمة وسهلت على اللسان يتشربها القلب فلو سكت اللسان لا يسكت القلب ثم يتجوهر في القلب وبتجوهرها يسكن نور اليقين في القلب حتى اذا ذهب صورة الكلمة من اللسان والقلب لا يزول نورها المتجوهر ويتحد الذكر مع عظمة روية المذكور سبحانه ويصير الذكر حينئذ ذكر الذات وهذا الذكر هو المشاهدة والمكاشفة والمعاينة اعني ذكر الذات بتجوهر نور الذكر وهذا هو المقصد الاقصى

من الخلوة وقد يحصل هذا لا بذكر الكلمة بل بتلاوة القرآن اذا اكثر من التلاوة واجتهد
في مواطاة القلب مع اللسان حتى تجري التلاوة على اللسان وقام معنى الكلام
قائما مقام حديث النفس فيدخل على العبد سهولة في التلاوة والصلوة ويتنور الباطن
بتلك السهولة في التلاوة والصلوة ويتجوهر نور الكلام في القلب ويكون منه ايضا
ذكر الذات ويجتمع نور الكلام في القلب مع مطالعة عظمة المتكلم سبحانه ومن
هذه الموهبة ما ينفتح على العبد من العلوم الالهامية اللدنية والى حين بلوغ
العبد هذا المبلغ من حقيقة الذكر والتلاوة اذا صفا باطنه قد يغيب في الذكر
من كمال انسه وحلاوة ذكره حتى يلتحق في غيبته في الذكر بالنائم وقد يتجلى
له الحقائق في لبسة الخيال او لا كما ينكشف الحقائق للنائم في لبسة الخيال كمن رأى
في المنام انه قتل حية فيقول له المعبر يظفر بالعدو فظفره بالعدو كشف
كاشفه الحق به وهو الظفر روح مجرد صوغ بلكنا الرؤيا لم يجد لهذا الروح
من خيال الحية فالروح الذي هو كشف الظفر اخبار الحق ولبسة الخيال الذي
هو بمثابة الجسد مثال انبعث من نفس الرائي في المنام من استصحاب القوة الوهمية
والخيالية من اليقظة تألف روح كشف الظفر مع جسد مثال الحية فافتقر
الى التعبير اذ لو كوشف بالحقيقة التي هي روح الظفر من غير هذا المثال الذي
هو بمثابة الجسد ما احتاج الى التعبير فكان يرى الظفر ويصح الظفر وقد يتجرد
الخيال باستصحاب الخيال والوهم من اليقظة في المنام من غير حقيقة فيكون المنام
اضغاث احلام لا يعبر وقد يتجرد لصاحب الخلوة الخيال المنبعث من ذاته من غير
ان يكون وعاء لحقيقة فلا ينبني على ذلك ولا يلتفت اليه فليس ذلك واقعة وانما هو
خيال فاما اذا غاب الصادق في ذكر الله تعالى حتى يغيب عن المحسوس بحيث لو دخل
عليه داخل من الناس لا يعلم به لغيبته في الذكر فعند ذلك قد ينبعث في الابتداء
من نفسه مثال وخيال ينفخ فيه روح الكشف فاذا عاد من غيبته فاما يأتيه تفسيره
من باطنه موهبة من الله واما يفسر له شيخه كما يعبر المعبر المنام ويكون ذلك واقعة

لانه كشف حقيقته في لبسة مثال وشرط صحة الواقعة الاخلاص في الذكر او الاستغراق
في الذكر ثانيا وعلامة ذلك الزهد في الدنيا وملازمة التقوى لان الله تعالى جعله
بما يكاشف به في واقعة مورد الحكمة والحكمة تحكم بالزهد والتقوى وقد يجرد
للذاكر الحقائق من غير لبسة المثال فيكون ذلك كشفا واخبارا من الله اياه ويكون ذلك
تارة بالرؤية وتارة بالسماع وقد يسمع من باطنه وقد يطرق ذلك من الهواء او من باطنه كالهواء
يعلم بذلك امرا يريد الله احداثه له ولغيره فيكون اخبار الله اياه بذلك مزيدا ليقينه
او يرى في المنام حقيقة الشيء نقل عن بعضهم انه اتى بشراب في قدح فوضعه من يده
وقال قد حدث في العالم حدث ولا اشرب هذا دون ان اعلم ما هو فانكشف له ان قوما
دخلوا مكة وقتلوا فيها حكي عن ابي سليمن الخواص قال كنت راكبا حمارا لي يوما وكان
يوذيه الذباب فيطاطي راسه فكنت اضرب راسه بخشبة كانت في يدي فرفع
الحمار راسه الي وقال اضرب فانك على راسك تضرب قيل له يا ابا سليمن وقع لك ذلك
او سمعته فقال سمعته يقول كما سمعتني وحكي عن احمد بن عطاء الروذباري قال
كان لي مذهب في امر الطهارة فكنت ليلة من الليالي استنجي الى ان مضى ثلث الليل
ولم يطب قلبي فضجرت وبكيت وقلت يا رب العفو فسمعت صوتا ولم ار احدا
يقول يا عبد الله العفو في العلم وقد يكاشف الله تعالى عبده بايات وكرامات
تربية للعبد وتقوية ليقينه وايمانه قيل كان عند جعفر الخلدي فص له قيمة وكان
راكبا يوما من الايام في سمارية في دجلة فهم ان يعطي الملاح قطعة وحل الخرقة فوقع
الفص في دجلة وكان عنده دعاء للضالة مجرب فكان يدعو به فوجد الفص
في وسط اوراق كان يتصفحها والدعاء هو ان يقول يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه
اجمع علي ضالتي وسمعت شيخا بهمذان حكى لي انه كوشف في بعض خلواته
بولد له في جيحون كاد يسقط في الماء من السفينة قال فزجرته ولم يسقط وكان هذا
الشيخ بنواحي همذان وولده في جيحون فلما قدم الولد اخبر انه كاد يسقط في الماء
فسمع صوت والده فلم يسقط وقول عمر رضي الله عنه يا سارية الجبل على المنبر بالمدينة

وسارية بنهاوند وقد اخذ سارية نحو الجبل وظفر بالعدو وقيل لسارية كيف علمت ذلك
فقال سمعت صوت عمر وهو يقول يا سارية الجبل سيل ابن سالم وقد كان قد قال
الايمان له اربعة اركان ركن منه الايمان بالحكمة وركن منه الايمان بالقدرة بالقدر
وركن منه التبرى من الحول والقوة وركن منه الاستعانة بالله عز وجل في جميع الاشياء
قيل له ما معنى قولك الايمان بالقدرة فقال هو ان يؤمن ولا ينكر ان يكون لله عبد
بالمشرق ويكون من كرامة الله اياه ان يعطيه من القوة ما يتقلب عن يمينه على
يساره فيكون بالمغرب يؤمن بجواز ذلك وكونه وحكى لي فقير انه كان بمكة واشرف
على شخص ببغداد انه قد مات فكاشفه الله تعالى بالرجل وهو راكب يمشي في سوق
بغداد فاخبر اخوانه ان الشخص لم يمت وكان كذلك حتى ذكر لي هذا الشخص انه في
تلك الحالة التي كوشف بالشخص راكبا قال رايته في السوق وانا اسمع باذني صوت
المطرقة من الحداد في سوق بغداد وكل هذه مواهب الله عز وجل وقد يكاشف بها قوما
ويعطي وقد يكون فوق هولاء من لا يكون له شيء من ذلك لان هذه كلها تقوية لليقين
ومن منح صرف اليقين لا حاجة له الى شيء من هذا فكل هذه الكرامات دون ما ذكرناه
من تجوهر الذكر في القلب ووجود ذكر الذات فان تلك الحكمة فيها تقوية المريدين
وتربية السالكين ليزدادوا بها يقينا يجذبون بها الى مراغمة النفوس والسلو عن
ملاذ الدنيا وينتهض بذلك ما كن عزمهم بعمارة الاوقات بالقربات فيروحون بذلك
ويؤتون بطريقه ومن كوشف بصرف اليقين من ذلك المكان ان نفسه اسرع اجابة
واسهل انقيادا واتم استعدادا والاولون اشتلين بذلك منهم من استوعر فاستكشف
منهم من استتر وقد لا يمنع صدور ذلك لرهابين والبراهمة ممن هو غير منتهج سبل الهدى
وراكب طريق الردى ليكون ذلك في حقهم مكرا واستدراجا ليستحسنوا احوالهم
ويستقروا في مقام الطرد والبعد ابقاء لهم فيما اراد الله منهم من العمى والضلال والردى
والوبال حتى لا يغتر السالك بيسير شيء يفتح له ويعلم انه لو مشى على الماء والهوا لا ينفعه
ذلك حتى يؤدي حق التقوى والزهد فاما من تعوق بخيال او قنع بمحال ولم يحكم اساس

هنا

تيسير

خلوته

خلوته بالاخلاص يدخل الخلوة بالزور ويخرج بالغرور فيرفض العبادات ويستحقرها ويسلبه
الله لذة المعاملة ويذهب عن قلبه هيبة الشريعة ويفتضح في الدنيا والآخرة فليعلم الصادق
ان المقصود من الخلوة التقرب الى الله تعالى بعمارة الاوقات وكف الجوارح عن
المكروهات فيصلح لقوم من ارباب الخلوة ادامة الاوراد وتوزيعها على الاوقات
ويصلح لقوم ملازمة ذكر واحد ويصلح لقوم دوام المراقبة ويصلح لقوم الانتقال
من الذكر الى الاوراد ولقوم الانتقال من الاوراد الى الذكر ومعرفة مقادير ذلك
يعلمها المصحوب الشيخ المطلع على اختلاف الاوضاع وتنوعها مع نصحه الامة وشفقته
على الكافة يريد المريد لله لا لنفسه غير مبتلى بهوى نفسه محبا للاستتباع فما يفسده
مثل هذا اكثر مما يصلحه

الباب الثامن والعشرون في كيفية الدخول في الاربعينية

روي ان داود عليه السلام لما ابتلى بالخطيئة خر لله ساجدا
اربعين يوما وليلة حتى اتاه الغفران من ربه قال الشيخ رضي الله عنه قد تقرر ان الوحدة
والعزلة ملاك الامر ومتمسك ارباب الصدق فمن استمرت اوقاته على ذلك في جميع عمره
خلوة وهو السلم لدينه فان لم يتيسر له ذلك وكان مبتلى بنفسه او لا ثم بالاهل
والاولاد ثانيا فليجعل لنفسه من ذلك نصيبا نقل عن سفيان الثوري فيما روى
لعمد بن حرب عن خالد بن زيد عنه انه قال كان يقال ما اخلص عبد لله اربعين صباحا
الا انبت الله الحكمة في قلبه وزهده الله تعالى في الدنيا ورغبه في الآخرة وبصره
داء الدنيا ودواءها فليتعاهد هذا العبد نفسه في كل سنة مرة واما المريد
الطالب اذا اراد ان يدخل الخلوة فاكمل الامر في ذلك ان يتجرد من الدنيا ويخرج من كل
ما يملكه ويغتسل غسلا كاملا بعد الاحتياط للثوب والمصلى بالنظافة والطهارة
ويصلي ركعتين ويتوب الى الله تعالى من ذنوبه ببكاء وتضرع واستكانة وتخشع
ويستوي بين السريرة والعلانية ولا ينطوي على غل وغش وحقد وحسد وخيانة
ثم يقعد في موضع خلوته ولا يخرج الا لصلوة الجمعة وصلوة الجماعة وترك المحافظة
على صلوة الجماعة غلط وخطا فان وجد تفرقة في خروجه يكون له شخص يصلي معه

فان صلوة الجماعة تفضل بسبع وعشرين درجة

جماعة في الخلوة ولا ينبغي ان يرضى بالصلوة منفردا البتة فان ترك الجماعة يخشى عليه افات
وقد راينا من تشوش عقله في خلوته ولعل ذلك بشوم اصراره على ترك صلوة الجماعة
غير انه ينبغي ان يخرج من خلوته لصلوة الجماعة وهو ذاكر لا يفتر عن الذكر ولا يكثر
ارسال الطرف الى ما يرى ولا يصغى الى ما يسمع لان القوة الحافظة والمتخيلة كلوح
يتنقش بكل مرئي ومسموع فيكثر لذلك الوسواس وحديث النفس والخيال ويجتهد
ان يحضر الجماعة بحيث يدرك مع الامام تكبيرة الاحرام فاذا سلم الامام وانصرف انصرف
الى خلوته ويتقي في خروجه لاستحلاء نظر الخلق اليه وعلمهم بجلوسه وخلوته فقد
قيل لا تطمع في المنزلة عند الله وانت تريد المنزلة عند الناس وهذا اصل يفسد
كثير من الاعمال اذا اهمل ويصلح به كثير من الاحوال اذا اعتبر ويكون في خلوته جاعلا
وقته شيا واحدا وهو الوقوف مع الله بادامة فعل الرضا اما تلاوة واما ذكرا او صلوة او مراقبة
واي وقت فتر عن هذه الاقسام ينام فان اراد ان يعين اعدادا من الركعات ومن
التلاوة والذكر فشيا فشيا فعل وان اراد ان يكون تحكم الوقت يعتمد اخف ما على قلبه
من هذه الاقسام فعل فاذا فتر عن ذلك ينام وان اراد يبقى في سجود واحد او ركوع واحد
او ركعة واحدة او ركعتين ساعة او ساعتين فعل ويلازم في خلوته ادامة الوضوء
ولا ينام الا عن غلبة بعد ان يدفع النوم عن نفسه مرات فيكون هذا شغله ليله
ونهاره واذكار ذاكر الكلمة لا اله الا الله وسامت النفس الذكر باللسان
يقولها بقلبه من غير حركة اللسان وقد قال سهل بن عبد الله اذا قلت لا اله الا الله
مد الكلمة وانظر الى قدم الحق فاثبته وابطل ما سواه وليعلم ان الامر كالسلسلة
يتداعى حلقة حلقة فليكن دايم التلزم بفعل الرضا واما قوته في الاربعينية والخلوة
فالاولى ان يقنع بالخبز والملح ويتناول كل ليلة رطلا واحدا يتناوله بعد العشاء الاخرة
وان قسمه نصفين ياكل اول الليل نصف رطل واخر الليل نصف رطل فيكون ذلك اخف
للمعدة واعون على قيام الليل واحيائه بالذكر والصلوة فان اراد اخر فطوره الى السحر
وان لم يصبر على ترك الادام يتناول الادام وان كان الادام شيا يقوم مقام الخبز ينقص

من الخبز بقدر ذلك فان اراد التقلل من هذا القدر ايضا ينقص كل ليلة دون اللقمة
بحيث ينتهي تقلله في العشر الاخير من الاربعين الى نصف رطل وان قوى قنع النفس
بنصف رطل من اول الاربعين وينقص يسيرا كل ليلة بالتدريج حتى يعود فطوره
الى ربع رطل في العشر الاخير وقد اتفق مشايخ الصوفية على ان بناء امرهم على اربعة
اشياء قلة الطعام وقلة الكلام وقلة المنام والاعتزال الناس وقد جعل الجوع
وقتان احدهما اخر الاربع وعشرين ساعة فيكون الرطل لكل ساعة سدس اوقيه
باكلة واحدة يجعلها بعد العشاء الاخرة او يقسمها اكلتين كما ذكرنا والوقت الاخر
على راس اثنين وسبعين ساعة فيكون طي ليلتين والافطار في الليلة الثالثة فيكون
لكل يوم وليلة ثلث الرطل وبين هذين الوقتين وقت وهو ان يفطر من كل
ليلتين ليلة ويكون لكل يوم وليلة نصف رطل وهذا ينبغي ان يفعله اذا لم ينتج عليه
سامة وضجرا وقلة الانشراح في الذكر والمعاملة فاذا وجد شيا من ذلك فليفطر كل
ليلة ويأكل الرطل في الوقتين او وقت واحد والنفس اذا اخذت بالافطار من كل
ليلتين ليلة ثم ردت الى افطار كل ليلة تقنع وان سومحت بافطار كل ليلة
لا يقنع بالرطل وتطلب الادام والشهوات وقس على هذا فانها ان طمعت طمعت
وان قنعت قنعت وقد كان بعضهم ينقص كل ليلة حتى يرد النفس الى اقل قوتها ومن
الصالحين من كان يعتبر القوت بنوى التمر ينقص كل ليلة نواة ومنهم من كان يعتبر
بعود رطب وينقص كل ليلة بقدر نشاف العود ومنهم من كان ينقص كل ليلة ربع
سبع الرغيف حتى يفنى الرغيف في شهر ومنهم من كان يؤخر الاكل ولا يعمل في تقليل
القوت ولكن يعمل في تاخيره بالتدريج حتى يندرج ليلة في ليلة وقد فعل ذلك طايفة
حتى انتهى طيهم الى سبعة ايام وعشرة ايام وخمسة عشر يوما الى الاربعين وقد قيل
لسهل بن عبد الله هذا الذي ياكل في كل اربعين واكثر اكلة اين يذهب لهب الجوع
عنه قال يطفئه النور وقد سالت بعض الصالحين عن ذلك فذكر لي كلاما بعبارة
دلت على انه يجد فرحا بربه ينطفي معه لهب الجوع وهذا في الخلق واقع اذا الشخص بطرقه

فرح وقد كان جايعا فيذهب عنه الجوع وهكذى في طرف الخوف تقع ذلك ومن فعل ذلك
ودرّج نفسه في شي من هذه الاقسام التى ذكرناها لا يوثر ذلك في نقصان عقله واضطرا
جسمه اذا كان في حماية الصدق والاخلاص وانما يخشى في ذلك في دوام الذكر على من اخلص
لله وقد قيل حد الجوع ان لا يميز بين الخبز وغيره مما يوكل ومتى عينت النفس الخبز فليس
بجايع وهذا المعنى قد يوجد في آخر الحد بعد ثلثة ايام وهذا جوع الصديقين
وطلب الغذاء عند ذلك يكون ضرورة لقوام الجسد والقيام بفرايض العبودية
ويكون هذا حد الضرورة لمن لا يجتهد في التقليل بالتدريج فاما من درّج نفسه في ذلك
فقد يصبر على اكثر من هذا الى الاربعين كما ذكرنا وقد قال بعضهم حد الجوع ان يبزق
فاذا لم يقع الذباب على بزاقه يدل على خلو المعدة من الدسومة وصفا البزاق كالماء
الذى لا يقصده الذباب روى لنا عن سفين الثورى وابرهيم بن ادهم كانا يطويان ثلثا
ثلثا وكان ابو بكر الصديق يطوى ستا وكان عبد الله بن الزبير يطوى سبعة ايام
واشتهر حال جدنا محمد بن عبد الله المعروف بعمويه وكان صاحب احمد الاسود الدينورى
انه كان يطوى اربعين يوما واقصى ما بلغ فى هذا المعنى من الطوى رجل ادركنا
زمانه وما رايناه كان فى ابهر يقال له الزاهد خليفة كان ياكل فى كل شهر لوزة ولم نسمع
ان بلغ فى هذه الامة احد بالطوى والتدريج الى هذا الحد وكان فى اول امره على
ما حكى ينقص القوت بنشاف العود ثم طوى حتى انتهى الى اللوزة فى الاربعين فقد
يسلك هذا الطريق جمع من الصادقين وقد يسلك غير الصادق هذا لوجود هوى
مستكن فى باطنه يهون عليه ترك الاكل اذا كان له استحلا نظر الخلق وهذا عين
النفاق نعوذ بالله من ذلك والصادق ربما يقدر على الطى اذا لم يعلم بحاله احد وربما
يضعف اذا علم انه يطوى فان صدقه فى الطى ونظره الى من يطوى لاجله يهون عليه
الطى فاذا علم به احد يضعف عزيمته فى ذلك وهذا علامة الصادق فمهما احس
فى نفسه انه يحب ان يرى بعين التقلل فليتهم نفسه فان فيه شايبة النفاق ومن يطوى
لله يعوضه الله تعالى فرحا فى باطنه ينسيه الطعام وقد لا ينسى الطعام ولكن لامتلاء

قلبه

قلبه بالانوار تقوى جاذب الروح الروحانى فيجذبه الى مركزه ومستقره من
العالم الروحانى ويقفوا بذلك عن ارض الشهوة النفسانية وما اثر جاذب الروح
اذا تخلف عنه جاذب النفس عند كمال طمانينتها وانعكاس انوار الروح عليها
بواسطة القلب المستنير باقل من جاذب المغناطيس للحديد اذ المغناطيس يجذب
الحديد لروح فى الحديد مشاكل للمغناطيس يجذبه بنسبة الجنسية الخاصة
فاذا تحلّت النفس بانعكاس نور الروح الواصل اليها بواسطة القلب يصير فى النفس
روح استمدها القلب من الروح واداها الى النفس فيجذب الروح النفس
بجنسية الروح الجاذب فيه فيزدرى الاطعمة الدنياوية والشهوات الحيوانية
ويتحقق عنده معنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ابيت عند ربى يطعمنى
ويسقينى ولا يقدر على ما وصفناه الا عبد تصير اعماله واقواله وساير
احواله ضرورة فيتناول من الطعام ايضا ضرورة ولو تكلم مثلا بكلمة
من غير ضرورة التهب فيه نار الجوع التهاب الحلفاء بالنار لان النفس الراقدة
يستيقظ بكل ما يوقظها فاذا استيقظت انتزعت الى هواها فالعبد المراد
بهذا اذا فطن بسياسة النفس ورزق العلم سهل عليه الطى وتداركه المعونة
من الله تعالى لا سيما ان كوشف بشى من المنح الالهية وقد حكى لى فقير انه
اشتد به الجوع وكان لا يطلب ولا يتسبب قال فلما انتهى جوعى الى الغاية بعد
ايام فتح على بتفاحة قال فتناولت التفاحة وقصدت اكلها فلما كسرتها كوشفت
بحوراء نظرت اليها عقيب كسر التفاحة فحدث عندى من الفرح بذلك ما استغنيت
به عن الطعام اياما وذكر لى ان الحوراء خرجت من وسط التفاحة والايمان
بالقدرة ركن من اركان الايمان فسلم ولا تنكر وقال سهل بن عبد الله من طوى اربعين
يوما ظهرت له القدرة من الملكوت وكان يقول لا يزهد العبد حقيقة الزهد
الذى لا تشوبه فيه الا بمشاهدة قدرة من الملكوت قال الشيخ ابو طالب المكى
عرفنا من طوى اربعين يوما برياضة النفس فى تاخير القوت كان يوخر فطره كل ليلة

الى نصف سبع الليل حتى يطوى ليلة فى نصف شهر فيطوى الاربعين فى سنة واربعة اشهر فيندرج الايام والليالى حتى يكون الاربعون بمنزلة يوم واحد وذكر ان الذى فعل ذلك ظهرت له آيات من الملكوت وكوشف بمعانى قدرة من الجبروت تجلى الله بها كيف شاء واعلم بان هذا المعنى من الطى والتقليل لو انه عين الفضيلة مافات احد من الانبياء ولكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبلغ من ذلك الى اقصى غاياته ولا شك ان لذلك فضيلة لا تنكر ولكن لا تنحصر مواهب الحق سبحانه وتعالى فى ذلك فقد يكون من ياكل كل يوم افضل ممن يطوى اربعين يوما وقد يكون من لا يكاشف بشى من معانى القدرة افضل ممن يكاشف بها اذا كاشفه الله تعالى بصرف المعرفة والقدرة اثر من القادر ومن اهل القرب القادر لا يستغرب ولا يستنكر شيا من القدرة ويرى القدرة تتجلى له من بحجب اجزاء عالم الحكمة فاذا اخلص العبد لله تعالى اربعين صباحا واجتهد فى ضبط احواله بشى من الانواع التى ذكرناها من العمل والذكر والقوت وغير ذلك يعود بركة تلك الاربعين على جميع اوقاته وساعاته وهو طريق حسن اعتمده طائفة من الصالحين وكان جماعة من الصالحين يختارون فى الاربعين ذا القعدة وعشر ذى الحجة وهو اربعون موسى عليه السلام اخبرنا شيخنا ضياء الدين ابو النجيب اجازة قال انا ابو منصور محمد بن عبد الملك بن خيرون اجازة قال انا ابو محمد الحسن بن على الجوهرى اجازة ثنا ابو عمرو محمد بن عباس قال ثنا ابو محمد يحيى بن محمد بن صاعد ثنا الحسن بن الحسين المروزى قال انا عبد الله بن المبارك قال ثنا ابو معوية الضرير قال ثنا الحجاج عن مكحول قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اخلص لله العبادة اربعين يوما ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه

الباب التاسع والعشرون فى ذكر اخلاق الصوفية وشرح الخلق

الصوفية اوفر الناس حظا من الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم واحقهم باحياء سنته والتخلق باخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم من حسن الاقتداء به واحياء سنته على ما اخبرنا الصدر الاوحد العالم ضياء الدين شيخ الاسلام ابو احمد عبد الوهاب

بن علي

بن على قال انا ابو الفتح عبد الملك بن ابى القسم الهروى قال انا ابو نصر عبد العزيز بن محمد الترياقى قال انا ابو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحى قال انا ابو العباس محمد بن احمد المحبوبى قال انا ابو عيسى محمد بن عيسى الترمذى قال ثنا مسلم بن حاتم الانصارى البصرى قال ثنا محمد بن عبد الله الانصارى عن ابيه عن على بن زيد عن سعيد بن المسيب قال قال انس بن مالك قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بنى ان قدرت ان تصبح وتمسى وليس فى قلبك غش لاحد فافعل ثم قال يا بنى وذلك من سنتى ومن احيا سنتى فقد احيانى ومن احيانى كان معى فى الجنة فالصوفية احيوا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفقوا فى بداياتهم لرعاية اقواله وفى وسط حالهم اقتدوا باعماله فاثمر لهم ذلك ان تحققوا فى نهاياتهم بالخلاقة وتحسين الاخلاق لا تاتى الا بعد تزكية النفس وطريق التزكية بالاذعان لسياسة الشرع وقد قال الله تعالى لنبيه وانك لعلى خلق عظيم لما كان اشرف الناس وازكاهم نفسا كان احسنهم خلقا قال مجاهد على خلق عظيم اى على دين عظيم والدين مجموع الاعمال الصالحة والاخلاق الحسنة سيلت عايشة عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت كان خلقه القرآن قال قتادة هو ما كان ياتمر من امر الله وينتهى عما نهى الله وفى قول عايشة كان خلقه القرآن سر عظيم وعلم غامض ما نطقت بذلك الا بما خصها الله تعالى به من بركة الوحى السماوى وصحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتخصيصه اياها بقوله خذوا شطر دينكم من هذه الحميراء وذلك ان النفوس مجبولة على غرايز وطبايع هى من لوازمها وضروراتها خلقت من تراب ولها بحسب ذلك طبع وخلقت من صلصال ولها بحسب ذلك طبع وخلقت من حما مسنون ومن صلصال كالفخار وبحسب تلك الاصول التى هى مبادى تكونها استفادت صفات من البهيمية والسبعية والشيطانية والى الصفة الشيطنة فى الانسان اشارة بقوله تعالى من صلصال كالفخار لدخول النار فى الفخار وقد قال الله تعالى وخلق الجان من مارج من نار والله تعالى بخفى لطفه وعظيم عنايته نزع

نصيب الشيطان من رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما ورد في حديث حليمة بنت الحرث
انها قالت في حديث طويل فبينا نحن خلف بيوتنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم مع
اخ له من الرضاعة في بهم لنا جاءنا اخوه يشتد فقال ذاك اخي القرشي قد جاءه رجلان
عليهما ثياب بياض فاضجعاه فشقا بطنه فخرجنا انا وابوه نشتد نحوه فنجده
قائما منتقعا لونه فاعتنقه ابوه وقال اي بني ما شانك قال جاءني رجلان عليهما ثياب بيض
فاضجعاني فشقا بطني ثم استخرجا منه شيئا فطرحاه ثم رداه كما كان فرجعنا به
معنا فقال ابوه يا حليمة لقد خشيت ان يكون ابني هذا اصيب انطلقي بنا فلنرده الى
اهله قبل ان يظهر به ما نتخوف قالت فاحتملناه فلم نرع امه الا به قد قدمنا به عليها
قالت ما ردكما قد كنتما عليه حريصين قلنا لا والله لا ضير الا ان الله تعالى قد ادى
عنا وقضينا الذي كان علينا وقلنا نخشى الاتلاف والاحداث نرده الى اهله فقالت
ما ذاك بكما فاصدقاني شانكما فلم تدعنا حتى اخبرناها خبره فقالت خشيتما عليه الشيطان
كلا والله ما للشيطان عليه سبيل وانه لكائن لابني هذا شان الا اخبركما خبره قلنا
بلى قالت حملت به فما حملت قط حملا اخف منه فاريت في النوم حين حملت به كانه خرج
مني نور اضاءت له قصور الشام ثم وقع حين ولدته وقوعا ما يقعه المولود معتمدا
على يديه رافعا راسه الى السماء فدعاه عنكما فبعد تطهير الله رسوله عن نصيب
الشيطان بقيت النفس الزكية النبوية على حد نفوس البشر لها ظهور بصفات
واخلاق مبقاة على رسول الله رحمة للخلق لوجود امهات تلك الصفات في نفوس
الامة بمزيد من الظلمة لتفاوت حال النبي صلى الله عليه وسلم وحال الامة واستمدت
تلك الصفات المبقاة بظهورها في رسول الله صلى الله عليه وسلم تنزيل الايات المحكمات
بازائها لقمعها تاديبا من الله لنبيه رحمة خاصة له وعامة للامة موزعا نزول الايات
على الاناء والاوقات عند ظهور الصفات قال الله تعالى وقالوا لولا نزل عليه القرآن
جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا وتثبيت الفؤاد بعد اضطرابه
لحركة النفس بظهور الصفات لارتباط بين القلب والنفس وعند كل اضطراب آية متضمنة

لخلق

لخلق صالح سني اما تصريحا او تعريضا كما تحركت النفس الشريفة النبوية لما كسرت
رباعيته وصار الدم يسيل على الوجه ورسول الله صلعم يمسحه ويقول كيف يفلح قوم
خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم الى ربهم فانزل الله تعالى ليس لك من الامر شيء فاكتسى
القلب النبوي لباس الاصطبار ووفاء بعد الاضطراب الى القرار فلما توزعت الايات
على ظهور الصفات في مختلف الاوقات صفت الاخلاق النبوية بالقرآن ليكون
خلقه القرآن ويكون في ابقاء تلك الصفات في نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم
معنى من قوله عليه الصلوة والسلام انما انسى لاسن فظهور صفات نفسه الشريفة
استنزلت الايات لتاديب نفوس الامة وتهذيبها رحمة في حقهم حتى تتزكى نفوسهم
وتشرف اخلاقهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الاخلاق مخزونة عند الله
فاذا اراد الله بعبد خيرا منحه منها خلقا وقال عليه الصلوة والسلام انما بعثت
لاتمم مكارم الاخلاق وروي عنه عليه الصلوة والسلام ان لله مائة وسبعة عشر
خلقا من اتاه واحدا منها دخل الجنة فتقديرها وتحديدها لا يكون الا بوحي سماوي
لمرسل ونبي والله تعالى ابرز الى الخلق اسماءه منبئة عن صفاته سبحانه وما اظهرها
لهم الا ليدعوهم اليها ولولا ان الله تعالى اودع في القوى البشرية التخلق بهذه الاخلاق
ما ابرزها لهم دعوة لهم اليها يختص برحمته من يشاء ولا يبعد والله اعلم ان قول
عائشة رضي الله عنها كان خلقه القرآن فيه رمز غامض وايماء خفي الى الاخلاق الربانية
فاحتشمت الحضرة الالهية ان تقول كان متخلقا باخلاق الله فعبرت المعنى بقولها
كان خلقه القرآن استحياء من سبحات الجلال وسترا للحال بلطف المقال وهذا
من وفور علمها وكمال ادبها وبين قوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم
وبين قوله تعالى وانك لعلى خلق عظيم مناسبة مشعرة بقول عائشة كان خلقه
القرآن قال الجنيد سمي خلقه عظيما لانه لم يكن له همة سوى الله وقال الواسطي
لانه جاد بالكونين عوضا عن الحق وقيل لانه عليه الصلوة والسلام عاشر الخلق
بخلقه وباينهم بقلبه وهذا ما قال بعضهم في معنى التصوف الخلق مع الخلق والصدق

مع الحق وقيل عظم خلقه حيث صغرت الاكوان في عينه لمشاهدة مكونها وقيل سمى
خلقه عظيما لاجتماع مكارم الاخلاق فيه وقد ندب رسول الله صلى الله عليه وسلم
امته الى حسن الخلق في حديث اخبرنا به الشيخ العالم ضيا الدين عبد الوهاب بن
علي قال انا ابو الفتح الهروي قال اخبرنا ابو نصر الترياقي قال انا ابو محمد الجراحي قال
انا ابو العباس المحبوبي انا ابو عيسى محمد الحافظ الترمذي انا احمد بن الحسن بن خراش
قال ثنا حبان بن هلال قال ثنا مبارك بن فضالة قال حدثني عبد الله بن سعيد عن محمد بن
المنكدر عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من احبكم الي واقربكم مني
مجلسا يوم القيامة احاسنكم اخلاقا وان من ابغضكم الي وابعدكم مني مجلسا
يوم القيامة الثرثارون المتشدقون المتفيهقون قالوا يا رسول الله علمنا الثرثارون
والمتشدقون فما المتفيهقون قال المتكبرون والثرثار هو المكثار بكثرة الحديث
والمتشدق المتطاول على الناس في الكلام وقال الواسطي الخلق العظيم ان لا يخاصم
ولا يخاصم وقال ايضا وانك لعلى خلق عظيم لوجدانك حلاوة المطالعة على سرك وقال
ايضا لانك قبلت فنون ما اسديت اليك من نعمي احسن مما قبله غيرك من الانبيا والرسل
وقال الحسين لانه لم يوثر فيك جفا الخلق مع مطالعة الحق وقيل الخلق العظيم لباس
النعوت والتخلق باخلاق الله اذ لم يبق للاعواض عنده خطر وقال بعضهم قوله تعالى
ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين اتم لانه حيث قال وانك احضره
واذا احضره اعفله وحجبه وقوله لاخذنا منه اتم لانه فيه فنا وفي قول هذا القايل
نظر فهلا قال ان كان في ذلك فنا ففي قوله انك ابقاء وبقا بعد فنا والبقاء اتم من الفناء
وهذا اليق بمنصب الرسالة لان الفنا انما عز لمراجعة وجود مذموم فاذا نزع المذموم
من الوجود وتبدلت النعوت اي عزة تبقى في الفنا فيكون حضوره بالله لا بنفسه
فاي حجبة تبقى هنالك وقيل من اوتي الخلق فقد اوتي اعظم المقامات لان المقامات
ارتباط عام والخلق ارتباط بالنعوت والصفات قال الجنيد اجتمع فيه اربعة اشيا
السخاء والالفة والنصيحة والشفقة وقال ابن عطاء الخلق العظيم ان لا يكون له اختيار

ويكون تحت الحكم مع فناء النفس وفناء المالوفات وقال ابو سعيد القرشي العظيم
هو الله ومن اخلاقه الجود والكرم والصفح والعفو والاحسان الا ترى الى قول
النبي صلى الله عليه وسلم ان لله مايه وبضعة عشر خلقا من اتى بواحد منها
دخل الجنة فتخلق باخلاق الله فوجد الثناء عليه لقوله تعالى وانك لعلى خلق عظيم
وقيل عظم خلقك لانك لم ترض بالاخلاق وسرت ولم تسكن الى النعوت
حتى وصلت الى الذات وقيل لما بعث محمد الى الحجاز جرده عن اللذات
والشهوات والقاه في الغربة والجفوة فلما صفي بذلك عن دنس الاخلاق قال له
وانك لعلى خلق عظيم اخبرنا الشيخ ابو زرعة بن الحافظ المقدسي ابو الفضل
محمد بن طاهر عن ابيه انا ابن عمر المليحي انا ابو محمد عبد الله بن يوسف انا ابو سعيد
ابن الاعرابي ثنا جعفر بن حجاج الرقي ثنا ايوب بن محمد الوزان قال حدثني الوليد
قال حدثني ثابت عن يزيد عن الاوزاعي عن الزهري عن عروة عن عايشة قالت
كان نبي الله صلى الله عليه وسلم يقول مكارم الاخلاق عشرة تكون في الرجل
ولا تكون في ابنه وتكون في الابن ولا تكون في ابيه وتكون في العبد ولا تكون في سيده
يقسمها الله تعالى لمن اراد به السعادة صدق الحديث وصدق الباس وان لا يشبع
وجاره وصاحبه جايعان واعطاء السايل والمكافاة بالصنايع وحفظ الامانة
وصلة الرحم والتذمم للصاحب واقراء الضيف وراسهن الحياء وسيل رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن اكثر ما يدخل الناس الجنة قال تقوى الله وحسن الخلق وسيل
عن اكثر ما يدخل الناس النار قال الفم والفرج وفسر عبد الله بن المبارك حسن
الخلق فقال هو بسط الوجه وبذل المعروف وكف الاذى فالصوفية راضوا نفوسهم
بالمكابدات والمجاهدات حتى اجابت الى تحسين الاخلاق وكم من نفس تجيب
الى الاعمال ولا تجيب الى الاخلاق فنفوس العباد اجابت الى الاعمال وجمحت
عن الاخلاق ونفوس الزهاد اجابت الى بعض الاخلاق دون البعض ونفوس
الصوفية اجابت الى الاخلاق الكريمة كلها اخبرنا ابو زرعة عن ابي بكر بن خلف اجازة

عن السلمي قال سمعت حسين بن احمد بن جعفر يقول سمعت ابا بكر الكتاني يقول التصوف
خلق من زاد عليك في الخلق زاد عليك في التصوف فالعباد اجابت نفوسهم الى الاعمال
لانهم يسلكون بنور الاسلام والزهاد اجابت نفوسهم الى بعض الاخلاق لكونهم سلكوا
بنور الايمان والصوفية اهل القرب سلكوا بنور الاحسان فلما باشر بواطن اهل
القرب والصوفية نور اليقين وتاصل في بواطنهم ذلك انصلح القلب بكل
ارجائه وجوانبه لان القلب يبيض بعضه بنور الاسلام وبعضه بنور الايمان وكله
بنور الاحسان والايقان فاذا ابيض القلب وتنور انعكس نوره على النفس وللقلب
وجه الى النفس ووجه الى الروح وللنفس وجه الى القلب ووجه الى الطبع والغريزة
والقلب اذا لم تبيض كله لم يتوجه الى الروح بكله ويكون ذا وجهين وجه
الى الروح ووجه الى النفس فاذا ابيض كله توجه الى الروح بكله فيتدارك مدد
الروح ويزداد اشراقا وتنورا وكلما انجذب القلب الى الروح انجذبت النفس
الى القلب وكلما انجذبت توجهت الى القلب بوجهها الذي يليه وتتنور النفس
لتوجهها الى القلب بوجهها الذي يلي القلب وعلامة تنورها طمانينتها قال
الله تعالى يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية وتنور
وجهها الذي يلي القلب بمثابة نورانية احد وجهي الصدف لكتاب النورانية
من اللولو وبقاء شيء من الظلمة على النفس النسبة وجهها الذي يلي الغريزة
والطبع كبقاء ظاهر الصدف على ضرب من الكدر والنقصان مخالف
لنورانية باطنه واذا تنور احد وجهي النفس تجيب الى تحسين الاخلاق وتبدل
النعوت ولذلك سمو الابدال ابدا لا والسر الاكبر في ذلك ان قلب الصوفي
بدوام الاقبال على الله ودوام الذكر بالقلب واللسان يرتقي الى ذكر الذات
ويصير حينئذ بمثابة العرش فالعرش قلب الكائنات في عالم الخلق والحكمة
والقلب عرش في عالم الامر والقدرة وقال سهل بن عبد الله التستري القلب
كالعرش والصدر كالكرسي وقد ورد لا يسعني ارضي ولا سمائي ويسعني

قلب

قلب عبدي المومن فاذا اكتحل القلب بنور ذكر الذات وصار بحرا مواجا من
نسمات القرب جرى في جداول الاخلاق النفس صفاء النعوت والصفات
وتحقق التخلق باخلاق الله حكي عن الشيخ ابي علي الفارمذي انه حكى عن
شيخه ابي القسم الكركاني انه قال ان الاسماء التسعة والتسعين يصير اوصافا
للعبد السالك وهو بعد في السلوك غير واصل ويكون الشيخ عني بذلك ان العبد
ياخذ من كل اسم وصفا يلايم ضعف البشر وقصوره مثل ان ياخذ من اسم الله تعالى
الرحيم معنى من الرحمة على قدر قصور البشر وكل اشارات المشايخ في الاسماء
والصفات التي هي اعز علومهم على هذا المعنى والتفسير وكل من توهم بذلك
شيا من الحلول تزندق والحد وقد اوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذا بوصية
جامعة لمحاسن الاخلاق فقال له يا معاذ اوصيك بتقوى الله وصدق الحديث
والوفاء بالعهد واداء الامانة وترك الخيانة وحفظ الجوار ورحمة اليتيم ولين
الكلام وبذل السلام وحسن العمل وقصر الامل ولزوم الايمان والتفقه في القران
وحب الاخرة والجزع من الحساب وخفض الجناح واياك ان تسب حكيما او تكذب
صادقا او تطيع آثما او تعصي اماما عادلا او تفسد ارضا اوصيك باتقاء الله عند
كل حجر وشجر ومدر وان تحدث لكل ذنب توبة السر بالسر والعلانية بالعلانية
كذلك قد ادب الله تعالى عباده ودعاهم الى مكارم الاخلاق ومحاسن الاداب وروى
معاذ ايضا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حف الاسلام بمكارم الاخلاق
ومحاسن الاداب اخبرنا الشيخ العالم ضياء الدين عبد الوهاب بن علي باسناده المتصل
الى الترمذي قال ثنا ابو كريب قال ثنا قبيصة عن الليث عن مطرف عن عطاء عن
ام الدرداء عن ابي الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من شيء
يوضع في الميزان اثقل من حسن الخلق وان صاحب حسن الخلق ليبلغ به درجة صاحب
الصوم والصلوة وقد كان من اخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان اسخى
الناس لا يبيت عنده دينار ولا درهم وان فضل ولم يجد من يعطيه وياتيه الليل لا ياوي

الى حمزة حتى تبرأ منه ولا ينال من الدنيا اكثر ما يكون قوت عامه من ايسر ما يجد من التمر
والشعير ويضع ما عدا ذلك في سبيل الله لا يسئل شيئا الا يعطي ثم يعود الى قوت
عامه فيؤثر منه حتى ربما احتاج قبل انقضاء العام وكان يخصف النعل ويرقع
الثوب ويخدم في مهنة اهله ويقطع اللحم معهن وكان اشد الناس حياء واكثرهم
تواضعا

الباب الثلثون في ذكر تفاصيل اخلاق الصوفية

من احسن اخلاق الصوفية التواضع ولا يلبس العبد لبسة احمد من التواضع ومن ظفر
بكنز التواضع والحكمة يقيم نفسه عند كل احد مقدارا يعلم انه يقيمه ويقيم
كل احد على ما عنده من نفسه ومن رزق هذا فقد استراح واراح وما يعقلها
الا العالمون اخبرنا ابو زرعة عن ابيه الحافظ المقدسي عن عثمن بن عبيد الله انا
عبد الرحمن بن ابو ميم ثنا عبد الرحمن بن حمدان ثنا ابو حاتم الرازي ثنا النضر بن
عبد الجبار ثنا ابن لهيعة عن يزيد بن ابي حبيب عن سنان بن سعد عن انس ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى اوحى الي ان تواضعوا ولا يبغي بعضكم على بعض
وقال عليه الصلوة والسلام في قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم
الله قال على البر والتقوى والرهبة وذلة النفس وكان من تواضع رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان يجيب دعوة الحر والعبد ويقبل الهدية ولو انها جرعة لبن او فخذ
ارنب ويكافي عليها وياكلها ولا يستكبر عن اجابة الامة والمسكين اخبرنا ابو زرعة
اجازة عن ابن خلف اجازة عن السلمي انا احمد بن علي المقري ثنا محمد بن المنهال قال
حدثني ابي عن محمد بن جابر اليماني عن سليمان بن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من راس التواضع ان تبدأ بالسلام على من لقيته
وترد على من سلم عليك وان ترضى بالدون من المجلس وان لا تحب المدحة والتزكية والبر
وورد ايضا عنه عليه الصلوة والسلام طوبى لمن تواضع من غير منقصة وذل في نفسه
من غير مسكنة سئل الجنيد عن التواضع فقال خفض الجناح ولين الجانب وسئل
الفضيل بن عياض عن التواضع فقال تخضع للحق وتنقاد له وتقبله ممن قاله وتسمع منه وقال

ايضا من راى لنفسه قيمة فليس له في التواضع نصيب وقال وهب بن منبه مكتوب في
كتب الله اني اخرجت الذر من صلب آدم فلم اجد قلبا اشد تواضعا لي من قلب موسى
فلذلك اصطفيته وكلمته وقيل من عرف كوامن نفسه لم يطمع في العلو والشرف
ويسلك سبيل التواضع فلا يخاصم من يذمه ويشكر الله لمن يحمده وقال ابو حفص من
احب ان يتواضع قلبه فليصحب الصالحين وليلتزم بخدمتهم يمن شدة تواضعهم في
نفسهم يقتدي بهم ولا يتكبر وقال لقمن لكل شيء مطية ومطية العمل التواضع
وقال الثوري خمسة انفس اعز الخلق في الدنيا عالم زاهد وفقيه صوفي
وغني متواضع وفقير شاكر وشريف سني وقال ابن الجلاء لولا شرف التواضع
كنا اذا مشينا نخطر وقال يوسف بن اسباط وقد سئل ما غاية التواضع قال ان تخرج
من بيتك فلا تلقى احدا الا رايته خيرا منك ورايت شيخنا ضياء الدين ابا النجيب
رحمة الله عليه وكنت معه في سفره الى الشام وقد بعث بعض ابناء الدنيا طعاما
على رؤس الاسارى من الافرنج وهم في قيودهم فلما مدت السفرة والاسارى
ينتظرون الاواني حتى تفرغ قال الشيخ للخادم احضر الاسارى حتى يقعدوا على
السفرة مع الفقراء فجاء بهم واقعدهم على السفرة صفا واحدا وقام الشيخ
عن سجادته ومشى اليهم وقعد بينهم كالواحد منهم فاكل واكلوا وظهر لنا على وجهه
ما نازل باطنه من التواضع لله والانكسار في نفسه والانسلاخ من التكبر عليهم
بايمانه وعلمه وعمله اخبرنا ابو زرعة اجازة عن ابي بكر بن خلف اجازة عن
السلمي قال سمعت ابا الحسين الفارسي يقول سمعت الجريري يقول صح عند
اهل المعرفة ان للتدين باسر مال خمسة في الظاهر وخمسة في الباطن فاما اللواتي
في الظاهر فصدق في اللسان وسخاوة في الملك وتواضع في الابدان وكف
الاذى واحتمالها بلا اباء واما اللواتي في الباطن فحب وجود سيده وخوف
الفراق من سيده ورجاء الوصول الى سيده والندم على فعله والحياء من سيده
وقال يحيى بن معاذ رحمة الله عليه التواضع حسن ولكن في الاغنياء احسن والتكبر سمج

في الخلق ولكن في الفقراء اسمح قال ذو النون ثلثه من علامات التواضع تصغير
النفس معرفة بالعيب وتعظيم الناس حرمة للتوحيد وقبول الحق والنصيحة
من كل احد وقيل لابي يزيد متى يكون الرجل متواضعا قال اذا لم ير لنفسه مقاما
ولا حالا ولا من علمه بشرها وازدياها ولا يرى ان في الخلق شرا منه قال بعض
الحكما وجدنا التواضع مع الجهل والبخل احمد من الكبر مع الادب والسخاء
وقيل لبعض الحكما هل تعرف نعمة لا يحسد عليها وبلاء لا يرحم صاحبه عليه قال نعم
اما النعمة فالتواضع واما البلاء فالكبر والكشف عن حقيقة التواضع ان التواضع
رعاية الاعتدال بين الكبر والضعة فالكبر رفع الانسان نفسه فوق قدره والضعة
وضع الانسان نفسه مكانا يزرى به ويفضى الى تضييع حقه وقد فهم من كثير
من اشارات المشايخ في شرح التواضع اشياء الى حد اقاموا التواضع مقام الضعة
ويلوح فيه الهوى من اوج الافراط الى حضيض التفريط ويوهم انحرافا عن حد
الاعتدال ويكون قصدهم في المبالغة لقمع نفوس المريدين خوفا عليهم من العجب
والكبر فقل ان ينفك مريد في مبادى ظهور سلطان الحال من العجب حتى نقل
عن جمع من الكبار كلمات موذنه بالاعجاب وكلما نقل من ذلك القبيل عن المشايخ
لبقايا السكر عندهم وانحصارهم في مضيق سكر الحال وعدم الخروج الى فضاء
الصحو في ابتداء امرهم وذلك اذا حقق صاحب البصيرة نظره يعلم انه من استراق
النفس السمع عند نزول الوارد على القلب والنفس اذا استرقت السمع عند ظهور
الوارد على القلب ظهرت بصفتها على وجه لا يخفو على الوقت وصلافة الحال فيكون
من ذلك كلمات موذنة بالعجب كقول بعضهم من تحت خضراء السماء مثلي وكقول بعضهم
قدمي على رقبة جميع الاولياء وكقول الاخر رجت والجمت وطفت في اقطار الارض
وقلت هل من مبارز فلم يخرج الى احد اشارة منه الى تفرده في وقته ومن اشكل عليه
عليه ذلك فلم يعلم انه من استراق النفس السمع فليزن ذلك بميزان احوال اصحاب
رسول الله وتواضعهم واجتنابهم امثال هذه الكلمات واستبعادهم ان يجوز للعبد

التظاهر

التظاهر بشيء من ذلك ولكن يحمل الكلام الصادقين وجها في الصحة ويقال ان ذلك
طفح عليهم في سكر الحال وكلام السكارى يتحمل فالمشايخ ارباب التمكين لما علموا
ان في النفوس هذا الداء الدفين بالغوا في شرح التواضع الى حد الحقوه بالضعة
تداويا للمريدين والاعتدال في التواضع ان يرضى الانسان بمنزلة دون ما يستحقه
ولو امن الشخص جموح النفس لوقفها على حد يستحقه من غير زيادة ونقصان
ولكن لما كان الجموح في جبلة النفس لكونها مخلوقة من صلصال كالفخار فيها
نسبة النارية وطلب الاستعلاء بطبعها الى مركز النار احتاجت الى التداوى
بالتواضع وابقائها دون ما تستحقه لئلا يتطرق اليها الكبر والكبر ظن الانسان
انه اكبر من غيره والتكبر اظهار ذلك وهذه صفة لا يستحقها الا الله تعالى ومن
ادعاها من المخلوقين يكون كاذبا والكبر يتولد من الاعجاب والاعجاب من الجهل
بحقيقة المحاسن والجهل الانسلاخ من الانسانية حقيقة وقد عظم الله شان
الكبر بقوله تعالى انه لا يحب المستكبرين وقال اليس في جهنم مثوى للمتكبرين
وقد ورد يقول الله تعالى الكبرياء ردائى والعظمة ازارى فمن نازعنى واحدا منهما
قصمته وفي رواية قذفته في نار جهنم وقد قال تعالى ردا للانسان في طغيانه
الى حده ولا تمش في الارض مرحا انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا وقد
قال الله تعالى فلينظر الانسان مم خلق خلق من ماء دافق وابلغ من هذا قوله تعالى
قتل الانسان ما اكفره من اى شيء خلقه من نطفة خلقه فقدره وقد قال
بعضهم لبعض المتكبرين اولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة وانت فيما بين ذلك
تحمل العذرة وقد نظم الشاعر المعنى كيف يزهو من رجيعه ابد الدهر ضجيعه
واذا ارتحل التواضع من القلب وسكن الكبر ينتشر اثره في بعض الجوارح ويرشح الاناء
بما فيه فتارة يظهر اثره في العنق بالتمايل وتارة في الخد بالتصعير قال الله تعالى
ولا تصعر خدك للناس وتارة يظهر في الراس عند استعصاء النفس قال الله تعالى
لووا رؤسهم ورايتهم يصدون وهم مستكبرون وكما ان للكبر انقساما على

الجوارح والاعضاء يتشعب منه شعب بعضها اكثف من بعض كالتيه والعزة والزهو
وغير ذلك الا ان العزة يشتبه بالكبر من حيث الصورة ويختلف من حيث الحقيقة
كاشتباه التواضع بالضعة والتواضع محمود والضعة مذمومة والكبر مذموم
والعزة محمودة قال الله تعالى ولله العزة ولرسوله وللمومنين والعزة غير الكبر
ولا يحل للمومن ان يذل نفسه فالعزة معرفة الانسان بحقيقة نفسه واكرامها
ان لا يضعها لاقسام عاجلة دنياوية كما ان الكبر جهل الانسان بنفسه وانزالها
فوق منزلتها قال بعضهم للحسن بن علي ما اعظمك في نفسك قال لست بعظيم ولكني
عزيز ولما كانت العزة غير مذمومة وفيها مشاكلة بالكبر قال الله تعالى ويتكبرون
في الارض بغير الحق فيه اشارة خفية لاثبات العزة بالحق والوقوف على حد التواضع
من غير انحراف الى الضعة وقوف على صراط العزة المنصوب على متن نار الكبر
ولا يؤيد في ذلك ولا يثبت عليه الا اقدام العلماء الراسخين والسادة المقربين
ورؤساء الابدال والصديقين قال بعضهم من تكبر فقد اخبر عن نذالة نفسه ومن
تواضع فقد اخبر عن كرم طبعه وقال الترمذي التواضع على ضربين ومعوان يتواضع
العبد لامر الله تعالى ونهيه فان النفس لطلب الراحة تتعلل في امره وللشهوة التي
فيها تهوى في نهيه فاذا وضع نفسه لامره ونهيه فهو تواضع والثاني ان يضع
نفسه لعظمة الله تعالى فان اشتهت نفسه شيئا مما اطلق له من كل نوع من انواع
منعها ذلك وجملة ذلك ان يترك مشيئته لمشيئة الله تعالى واعلم ان العبد لا يبلغ
حقيقة التواضع الا عند لمعان نور المشاهدة في قلبه فعند ذلك تذوب النفس
وفي ذوبانها صفاؤها من غش الكبر والعجب فتلين وتنطبع للحق والخلق لمحو آثارها
وسكون وهجها وغبارها وكان الحظ الاوفر من التواضع لنبينا عليه الصلوة والسلم
في اوطان القرب فيما روت عايشة رضي الله عنها في الحديث الطويل قالت فقدت
رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فاخذني ما ياخذ النساء من الغيرة ظنا مني انه
عند بعض ازواجه فطلبته في حجر بعض نسائه فوجدته في المسجد ساجدا كالثوب

فلم اجده

الخلق

الخلق وهو يقول في سجوده سجد لك سوادي وخيالي وآمن بك فوادي واقر بك لساني
وها انا ذا بين يديك يا عظيم يا غافر الذنب العظيم وقوله عليه الصلوة والسلام
سجد لك سوادي وخيالي استقصاء في التواضع بمحو آثار الوجود حيث لم تتخلف
ذرة عن السجود ظاهرا وباطنا ومتى لم يكن للصوفي حظ من التواضع الخاص على
بساط القرب لا يتوفر حظه من التواضع للخلق وهذه سعادة اذا اقبلت جاءت
بكليتها والتواضع من اشرف اخلاق الصوفية

ومن اخلاق الصوفية

المداراة واحتمال الاذى من الخلق وبلغ من مداراة رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه وجد قتيلا بين اصحابه من اليهود فلم يحف عليهم ولم يزد على مر الحق بل
وداه بماية ناقة وان باصحابه لحاجة الى بعير واحد يتقوون به وكان من
حسن مداراته ان لا يذم طعاما ولا ينهر خادما اخبرنا الشيخ الصالح ضياء الدين
عبد الوهاب بن علي قال انا ابو الفتح الهروي قال انا ابو نصر الترياقي قال انا
الجراحي انا ابو العباس المحبوبي انا ابو عيسى الترمذي ثنا قتيبة نا جعفر بن سليمان
عن ثابت عن انس قال خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال
لي اف قط وما قال لشيء صنعته لم صنعته ولا لشيء تركته لم تركته كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم من احسن الناس خلقا وما مسست خزا قط ولا
حريرا ولا شيئا كان الين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا شممت مسكا قط
ولا عطرا كان اطيب من عرق رسول الله صلى الله عليه وسلم فالمداراة مع كل
احد من الاهل والاولاد والجيران والاصحاب والخلق كافة من اخلاق
الصوفية وباحتمال الاذى يظهر جوهر النفس وقد قيل لكل شيء جوهر وجوهر
الانسان العقل وجوهر العقل الصبر اخبرنا ابو زرعة طاهر عن ابيه الحافظ المقدسي
قال انا ابو محمد الصريفيني قال انا ابو القسم عبيد الله بن حبابة قال انا ابو القسم عبد الله
ابن محمد بن عبد العزيز قال انا علي بن الجعد قال انا شعبة عن الاعمش عن يحيى بن وثاب
عن شيخ من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت من هو قال ابن عمر عن النبي صلى الله

عليه وسلم انه قال المومن الذي يعاشر الناس ويصبر على اذاهم خير من المومن الذي
لا يخالطهم ولا يصبر على اذاهم وفي الخبر ايعجز احدكم ان يكون كابي ضمضم قيل ماذا يصنع
ابو ضمضم قال كان اذا اصبح قال اللهم اني تصدقت اليوم بعرضي على من ظلمني
فمن ضربني لا اضربه ومن شتمني لا اشتمه ومن ظلمني لا اظلمه اخبرنا ضيا الدين
عبد الوهاب قال انا ابو الفتح الهروي انا الترياقي انا الجراحي انا المحبوبي انا ابو عيسى
الترمذي انا ابن ابي عمر قال نا سفين عن محمد بن المنكدر عن عروة عن عايشة قالت
استاذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا عنده فقال بيس ابن العشيرة او اخو
العشيرة ثم اذن له فالان له القول فلما خرج قلت يا رسول الله قلت له ما قلت ثم النت
له القول قال يا عايشة ان من شر الناس من تركه الناس او ودعه الناس اتقاء فحشه
وروى ابو ذر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اتق الله حيث ما كنت واتبع
السيئة الحسنة تمحها وخالط الناس بخلق حسن فما شيء يستدل به على قوة عقل
الشخص ووفور علمه وحلمه كحسن المداراة والنفس لا تزال تشمئز ممن يعكس
مرادها ويستفزها الغيظ والغضب وبالمداراة قطع حمة النفس ورد طيشها ونفورها
وقد ورد من كظم غيظا وهو يستطيع ان ينفذه دعاه الله على رووس الخلائق يوم القيمة
حتى يخيره في اي الحور شا، وروى جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الا اخبركم
بمن يحرم النار عليه على كل هين لين سهل قريب وروى ابو مسعود الانصاري قال
اتى النبي صلى الله عليه وسلم برجل فكلمه فارعد فقال هون عليك فاني لست بملك
انما انا ابن امراة من قريش كانت تاكل القديد وعن بعضهم في معنى لين جانب الصوفية

هينون لينون ايسار بنو يسر · سواس مكرمة ابنا ايسار
لا ينطقون عن الفحشا ان نطقوا · ولا يمارون ان ماروا باكثار
من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم · مثل النجوم التي يسري بها الساري

وروى ابو الدردا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من اعطي حظه من الرفق فقد اوتي
حظه من الخير ومن حرم حظه من الرفق حرم حظه من الخير حدثنا شيخنا ضيا الدين

ابو النجيب

ابو النجيب املا قال حدثنا ابو عبد الرحمن محمد بن ابي عبد الله الماليني قال انا ابو الحسن عبد الرحمن
بن ابي طلحة الداودي انا ابو محمد عبد الله الحموي السرخسي انا ابو عمران عيسى بن عمر
السمرقندي قال انا عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي قال انا محمد بن ابي خلف نا عبد الرحمن
ابن محمد عن محمد بن اسحق قال حدثني عبد الله بن ابي بكر عن رجل من العرب قال زحمت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين وفي رجلي نعل كثيفة فوطيت بها
على رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فنفحني نفحة بسوط في يده وقال بسم الله
اوجعتني قال فبت لنفسي لايما اقول اوجعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال فبت بليلة كما يعلم الله فلما اصبحنا اذا رجل يقول اين فلان قال قلت هذا
والله الذي كان مني بالامس قال فانطلقت وانا متخوف فقال لي انك
وطيت بنعلك على رجلي بالامس فاوجعتني فنفحتك نفحة بالسوط فهذه ثمانون
نعجة فخذها بها **ومن اخلاق الصوفية** الايثار والمواساة ويحملهم على ذلك
فرط الشفقة والرحمة طبعا وقوة اليقين شرعا لانهم يوثرون بالموجود ويصبرون
عن المفقود قال ابو يزيد البسطامي ما غلبني احد مثل ما غلبني شاب من اهل بلخ
قدم علينا حاجا فقال لي يا ابا يزيد ما حد الزهد عندكم قلت اذا وجدنا اكلنا
واذا فقدنا صبرنا فقال هكذا عندنا كلاب بلخ قلت وما حد الزهد عندكم
قال اذا فقدنا صبرنا واذا وجدنا آثرنا قال ذو النون من علامة الزاهد المشروح
صدره ثلث تفريق المجموع وترك طلبة المفقود والايثار عند القوت وروى
عبد الله بن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النضير للانصار
ان شيتم قسمتم للمهاجرين من اموالكم ودياركم وتشاركونهم في هذه الغنيمة
وان شيتم كانت لكم دياركم واموالكم ولم يقسم لكم شي من الغنيمة فقالت الانصار
بل نقسم لهم من اموالنا ودیارنا ونوثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم فيها فانزل الله تعالى
ويوثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة وروى ابو هريرة قال جاء رجل
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اصابه جهد فقال يا رسول الله اني جايع

فاطعمني فبعث النبي عليه الصلوة والسلام الى ازواجه هل عندكن شيء فكلهن قلن والذي
بعثك بالحق نبيا ما عندنا الا الماء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عندنا
ما نطعمك هذه الليلة ثم قال من يضيف هذا هذه الليلة رحمه الله عليه فقام رجل
من الانصار انا يا رسول الله فاتى به منزله فقال لاهله هذا ضيف رسول الله صلعم
فاكرميه ولا تدخري عنه شيا فقالت ما عندنا الا قوت الصبية فقال قومي عليهم
عن قوتهم حتى يناموا ولا يطعموا شيا ثم اسرجي فاذا اخذ الضيف لياكل قومي كانك
تصلحين السراج فاطفئيه وتعالي نمضغ السنتنا لضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى يشبع ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقامت الى الصبية فعللتهم حتى
ناموا عن قوتهم ولم يطعموا شيا ثم قامت فثردت واسرجت فلما اخذ الضيف
لياكل قامت كانها تصلح السراج فاطفاته فجعلا يمضغان السنتهما لضيف رسول الله
صلى الله عليه وسلم فظن الضيف انهما ياكلان معه حتى شبع الضيف وباتا طاويين
فلما اصبحوا غدوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لقد عجب الله من فلان
وفلانة هذه الليلة فانزل الله تعالى ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة
وقال انس بن مالك رضي الله عنه اهدي لبعض اصحابه راس شاة مشوي وكان
مجهودا فوجه به الى جار له فتداوله سبعة انفس ثم عاد الى الاول فانزلت
الاية لذلك وروي ان ابا الحسن الانطاكي اجتمع عنده نيف وثلثون رجلا
بقرية بقرب الري وله ارغفة معدودة لم يشبع خمسة منهم فكسروا الرغفان
واطفوا السراج وجلسوا للطعام فلما رفع الطعام اذا هو بحاله لم ياكل
احد ايثارا منه على نفسه وحكي عن حذيفة العدوي رحمة الله عليه قال
انطلقت يوم اليرموك لطلب ابن عم لي ومعي شيء من ماء وانا اقول ان كان
به رمق سقيته ومسحت وجهه فاذا انا به فقلت اسقيك فاشار الي نعم فاذا
رجل يقول آه فقال ابن عمي انطلق به اليه فجئته فاذا هو هشام بن العاص
فقلت اسقيك فسمع هشام آخر يقول آه فقال انطلق به اليه فجئته فاذا هو

قد مات

قد مات ثم رجعت الى هشام فاذا هو ايضا قد مات ثم رجعت به الى ابن عمي فاذا
هو قد مات وسئل ابو الحسن البوشنجي عن الفتوة فقال الفتوة عندي ما وصف
الله تعالى به الانصار في قوله تعالى والذين تبوؤا الدار والايمان قال ابن
عطا رحمه الله يؤثرون على انفسهم جودا وكرما ولو كان بهم خصاصة
يعني جوعا وفقرا قال ابو حفص رحمه الله الايثار ان يقدم حظوظ الاخوان
على حظوظه في امر الدنيا والاخرة قال بعضهم الايثار لا يكون عن اختيار انما
الايثار ان يقدم حقوق الخلق اجمع على حقك ولا تميز في ذلك بين اخ وصاحب
وذي معرفة وقال يوسف بن الحسين من راى لنفسه ملكا لا يصلح منه الايثار
لانه يرى نفسه احق بالشيء برؤيه ملكه انما الايثار ممن يرى الاشياء للحق
فمن وصل اليه فهو احق به فاذا وصل شيء من ذلك اليه يرى نفسه ويده فيه
يد امانة يوصلها الى صاحبها ويؤديها اليه وقال بعضهم حقيقة الايثار
ان تؤثر بحظ آخرتك على اخوانك فان الدنيا اقل خطرا من ان يكون لايثارها
محل او ذكر ومن هذا المعنى ما نقل ان بعضهم راى اخا له فلم يظهر البشر الكثير
في وجهه فانكر اخوه ذلك منه فقال يا اخي سمعت ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال اذا التقى المسلمان تنزل عليهما مائة رحمة تسعون
لاكثرهما بشرا وعشرة لاقلهما بشرا فاردت ان تكون اكثر بشرا مني ليكون
لك الاكثر اخبرنا شيخنا ضياء الدين ابو النجيب السهروردي رحمه الله
اجازة قال انا ابو حفص عمر بن الصفار النيسابوري قال انا ابو بكر احمد بن
خلف الشيرازي قال انا ابو عبد الرحمن السلمي قال سمعت ابا القسم الرازي
يقول سمعت ابا بكر بن ابي سعدان يقول من صحب الصوفية فليصحبهم
بلا نفس ولا قلب ولا ملك فمتى نظر الى شيء من اسبابه قطعه ذلك عن بلوغ
مقصده وقال سهل بن عبد الله الصوفي من يرى دمه هدرا وملكه مباحا
وقال رويم التصوف مبني على ثلث خصال التمسك بالفقر والافتقار والتحقق

بالبذل والايثار وترك التعرض والاختيار وقيل لما سُعي على الصوفية وتميز الجنيد
بالفقه وقبض على الشحام والرقام والنوري وبسط النطع لضرب رقابهم تقدم
النوري فقيل له الى ما ذا تبادر فقال اوثر اخواني بفضل حيوة ساعة وقيل دخل
الروذباري دار بعض اصحابه فوجده غايبا وباب بيته مغلق فقال صوفي وله
باب مغلق اكسروا الباب فكسروا وامر بجميع ما وجدوا في البيت ان ينفذوه الى
السوق واتخذوا وقتا من الثمن وقعدوا في الدار ودخل صاحب المنزل ولم يقل
شيا ودخلت المراة الدار وعليها كساء فدخلت البيت ورمت بالكساء وقالت
هذا ايضا من بقية المتاع فبيعوه فقال الزوج لها لم تكلفت هذا باختيارك
قالت اسكت مثل الشيخ يباسطنا ويحكم علينا ويبقى لنا شي ندخره عنه
وقيل مرض قيس بن سعد فاستبطا اخوانه في عيادته فسال عنهم فقيل انهم
يستحيون مما لك عليهم من الدين فقال اخزى الله مالا يمنع الاخوان عن الزيارة
ثم امر مناديا ينادي من كان لقيس عليه دين فهو منه في حل فكسرت عتبته
بالعشي لكثرة عواده وقيل اتى رجل صديقا له ودق عليه الباب فلما خرج
قال لماذا جيتني قال لاربعمائة درهم علي دين فدخل الدار ووزن اربعمائة
واخرجها اليه ودخل الدار باكيا فقالت امراته هلا تعللت حين شق عليك الاجابة
فقال انما ابكي لاني لم اتفقد حاله حتى احتاج الى ان يفاتحني به اخبرنا الشيخ
ابو زرعة عن ابيه الحافظ المقدسي قال انا محمد بن محمد بن محمد امام جامع اصفهان
قال انا ابو عبد الله الجرجاني قال انا ابو طاهر محمد بن الحسن المحمداباذي قال انا
ابو البختري قال انا ابو اسامة قال انا بريد بن ابي بردة عن ابي موسى قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان الاشعريين اذا ارملوا في الغزو وقل طعام عيالهم جمعوا
ما كان عندهم في ثوب واحد ثم اقتسموا في اناء واحد بالسوية فهم مني وانا منهم
وحدث جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه اذا اراد ان يغزو فقال يا معشر
المهاجرين والانصار ان من اخوانكم قوما ليس لهم مال ولا عدة فليضم احدكم اليه

الرجل والرجلين والثلثة فما لاحدكم من ظهر حمله الا عقبة كعقبة احدهم قال
فضممت الي اثنين وثلثة ما لي الا عقبة كعقبة احدهم من جمله وروى انس قال
لما قدم عبد الرحمن بن عوف المدينة آخى النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبين
سعد بن الربيع فقال له اقاسمك مالي نصفين ولي امراتان فاطلق احديهما
فاذا انقضت عدتها فتزوجها فقال له عبد الرحمن بارك الله لك في اهلك ومالك
فما حمل الصوفي على الايثار الا طهارة نفسه وشرف غريزته وما جعله الله صوفيا
الا بعد ان سوى غريزته لذلك وكل من كانت غريزته السخاء يوشك ان يصير
صوفيا لان السخا صفة الغريزة وفي مقابلته الشح والشح من لوازم صفة النفس
قال الله تعالى ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون حكم بالفلاح لمن
يوق الشح وحكم بالفلاح لمن انفق وبذل فقال ومما رزقناهم ينفقون اولئك
على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون والفلاح اجمع اسم لسعادة الدارين
والنبي صلى الله عليه وسلم نبه بقوله ثلث مهلكات وثلث منجيات
فجعل احد المهلكات شحا مطاعا ولم يقل مجرد الشح يكون مهلكا بل يكون
مهلكا اذا كان مطاعا فاما كونه موجودا في النفس غير مطاع لا ينكر ذلك
لانه من لوازم النفس مستمد من اصل جبلتها الترابي وفي التراب قبض
وامساك وليس ذلك بالعجب من الادمي وهو جبلي فيه وانما العجب وجود السخاء
في الغريزة وهو لنفوس الصوفية الداعي لهم الى البذل والايثار والسخا اتم
واكمل من الجود ففي مقابلة الجود البخل وفي مقابلة السخاء الشح والجود والبخل
يتطرق اليهما الاكتساب بطريق العادة بخلاف الشح والسخا اذا كانا ذلك
من ضرورة الغريزة فكل سخي جواد وليس كل جواد سخيا والحق تعالى
لا يوصف بالسخا لان السخا من نتيجة الغريزة والله تعالى منزه عن الغريزة والجود
يتطرق اليه الرياء وياتي به الانسان متطلعا الى عوض من الحق او الخلق مقابلة
من الثناء وغيره من الخلق والثواب من الله تعالى والسخا لا يتطرق اليه الرياء

لانه ينبع من النفس الزكية المرتفعة عن الاعواض دنيا واخرة لان طلب العوض
شعر بالبخل لكونه معلولا بطلب العوض فما تمحض سخاء فالسخاء لاهل الصفا والايثار
لاهل الانوار فيجوز ان يكون قوله تعالى انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم
جزاء ولا شكورا انه نفى في الاية الاطعام لطلب الاعواض حيث قال لا نريد
وقوله تعالى لوجه الله فما كان لله لا يشعر بطلب العوض بل الغريزة لطهارتها
تنجذب الى مراد الحق لا العوض وذلك كمال السخاء من اطهر الغرائز روت اسماء
بنت ابي بكر قالت قلت يا رسول الله ليس لي من شيء الا ما ادخل على الزبير افاعطي
قال نعم لا توكي فيوكى عليك **ومن اخلاق الصوفية** التجاوز والعفو
ومقابلة السيئة بالحسنة قال سفين الاحسان ان تحسن الى من اساء اليك فان
الاحسان الى المحسن متاجرة كنقد السوق خذ شيا وهات شيا وقال
الحسن الاحسان ان تعم ولا تخص كالشمس والريح والغيث وروى انس قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم رايت قصورا مشرفة على الجنة فقلت لمن هذه
يا جبريل قال للكاظمين الغيظ والعافين عن الناس روى ابو هريرة ان ابا بكر
رضي الله عنه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلس فجاء رجل فوقع
في ابي بكر وهو ساكت والنبي صلى الله عليه وسلم يتبسم ثم رد ابو بكر عليه
بعض الذي قال قال فغضب النبي صلى الله عليه وسلم وقام قال فلحقه ابو بكر
فقال يا رسول الله شتمني وانت تتبسم ثم رددت عليه بعض ما قال فغضبت
وقمت فقال انك حيث كنت ساكتا كان معك ملك يرد عليه فلما تكلمت
وقع الشيطان فلم اكن لاقعد في مقعد فيه الشيطان يا ابا بكر ثلثة كلهن حق
اذكر حتى تعلم انه ليس عبد يظلم بمظلمة فيعفو عنها الا اعز الله نصره وليس عبد
يفتح باب مسئلة يريد فيه كثرة الا زاده الله قلة وليس عبد يفتح باب عطية
يبتغي به وجه الله او صلة الا زاده الله بها كثرة اخبرنا ضيا الدين عبد الوهاب بن علي
قال انا الكروخي قال انا الترياقي قال انا الجراحي قال انا المحبوبي قال انا ابو عيسى الترمذي

قال

قال انا ابو هشام الرفاعي قال ثنا محمد بن فضيل عن الوليد بن عبد الله بن جميع عن
ابي الطفيل عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تكونوا امعة
يقولون ان احسن الناس احسنا وان ظلموا ظلمنا ولكن وطنوا انفسكم ان احسن
الناس ان تحسنوا وان اساوا فلا تظلموا وقال بعض الصحابة يا رسول الله الرجل
امر به فلا يقريني ولا يضيفني فيمر بي افاجزيه قال لا اقره وقال الفضيل الفتوة
الصفح عن عثرات الاخوان وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس الواصل المكافي
ولكن الواصل الذي اذا قطعت رحمه وصلها وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال من مكارم الاخلاق ان تعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك وتعطي من حرمك
ومن اخلاق الصوفية البشر وطلاقة الوجه الصوفي بكاؤه في خلوته
وبشره وطلاقته وجهه مع الناس فالبشر على وجهه من اثار انوار قلبه وقد نازل
باطن الصوفي منازلات الهية ومواهب قدسية يرتوي منها القلب ويمتلي فرحا
وسرورا قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا والسرور اذا تمكن في القلب فاض
على الوجه اثاره قال الله تعالى وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة اي مضيئة
مشرقة مستبشرة اي فرحة قيل اشرقت من طول ما اغبرت في سبيل الله ومثال فيض
النور على الوجه من القلب كفيضان نور السراج على الزجاج والمشكوة فالوجه
مشكاة والقلب زجاجة والروح مصباح فاذا تنعم القلب بلذيذ المسامرة ظهر البشر
على الوجه قال الله تعالى تعرف في وجوههم نضرة النعيم اي نضارته وبريقه يقال
انضر النبات اذا ازهر ونور وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة فلما نظرت
نضرت فارباب المشاهدة من الصوفية تنورت بصائرهم بنور المشاهدة وانصقلت
مراة قلوبهم وانعكس فيها نور الجمال الازلي واذا اشرقت الشمس على المراة المصقولة
استنارت الجدران قال الله تعالى سيماهم في وجوههم من اثر السجود واذا تاثر
الوجوه بسجود الظلال وهي القوالب في قول الله تعالى وظلالهم بالغدو والاصال
كيف لا يتاثر بشهود الجمال اخبرنا ضيا الدين عبد الوهاب بن علي قال انا الكروخي

قال انا البرياني قال انا الجراحي قال انا المحبوبي قال انا ابو عيسى الترمذي قال انا
قتيبة قال انا المنكدر بن محمد بن المنكدر عن ابيه عن جابر بن عبد الله قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة وان من المعروف ان تلقى
اخاك بوجه طلق وان تفرغ من دلوك في اناء اخيك قال سعيد بن عبد الرحمن
الزبيدي يعجبني من القراء كل سهل طلق مضحاك فاما من تلقاه بالبشر ويلقاك
بالعبوس كانه يمن عليك فلا اكثر الله في القراء مثله **ومن اخلاق الصوفية**
السهولة ولين الجانب والنزول مع الناس الى اخلاقهم وطباعهم وترك التعسف والتكلف
وقد روي في ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واخلاق الصوفية تحاكي اخلاق
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يقول عليه الصلوة والسلام اما اني امزح ولا اقول
الا حقا وروي ان رجلا يقال له زاهر بن حرام وكان بدويا وكان لا ياتي الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم الا جاء بطرفة يهديها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء يوما
من الايام فوجده رسول الله صلى الله عليه وسلم في سوق المدينة يبيع سلعة له ولم يكن
اتاه ذلك اليوم فاحتضنه النبي صلى الله عليه وسلم من وراءه بكفيه فالتفت فابصر
النبي صلى الله عليه وسلم فقبل كفيه فقال النبي صلى الله عليه وسلم من يشتري العبد
فقال اذا تجدني كاسدا يا رسول الله فقال ولكن عند الله ربيح ثم قال النبي صلى الله
عليه وسلم لكل اهل حضر بادية وبادية آل محمد زاهر بن حرام واخبرنا ابو زرعة
طاهر بن حافظ المقدسي عن ابيه قال انا المطهر بن محمد الفقيه قال انا ابو الحسن قال
انا ابو عمرو بن حكيم قال انا ابو اجية قال انا عبيد الله بن اسحق العطار قال انا سنان بن
هرون عن حميد عن انس قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله
احملني على جمل فقال احملك على ابن الناقة فقال اقول لك احملني على جمل تقول احملك على
ابن الناقة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فالجمل ابن الناقة وروي صهيب قال اتيت
رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين يديه تمر ياكل فقال اصب من هذا الطعام فجعلت آكل
من التمر فقال تاكل من التمر وانت رمد فقلت انا امضغ من الجانب الآخر فضحك رسول الله

صلى الله عليه وسلم وروى انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له ذات يوم يا ذا الاذنين
وسئلت عايشة كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خلا في البيت قالت الين الناس
بساما ضحاكا وروت عايشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سابقها فسبقته ثم
سابقها بعد ذلك فسبقها فقال هذه بتلك واخبرنا الشيخ ضيا الدين عبد الوهاب
ابن علي قال انا ابو الفتح الهروي قال انا ابو نصر الترياقي قال انا ابو محمد الجراحي قال
انا ابو العباس المحبوبي قال انا ابو عيسى الحافظ الترمذي قال ثنا عبد الله بن الوضاح الكوفي
قال انا عبد الله بن ادريس عن شعبة عن ابي التياح عن انس قال كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم ليخالطنا حتى ان كان يقول لاخ لي صغير يا ابا عمير ما فعل النغير والنغير
عصفور صغير وروي ان عمر سابق زبيرا فسبقه الزبير فقال سبقتك ورب الكعبة
ثم سابقه مرة اخرى فسبقه عمر فقال عمر سبقتك ورب الكعبة وروي ابن عباس
قال قال لي عمر تعال اناقسك في الماء اينا اطول نفسا ونحن محرمون وروي بكر بن
عبد الله قال كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبادحون بالبطيخ فاذا كانت
الحقايق كانوا هم الرجال يقال بدح يبدح اذا رمى اي يترامون بالبطيخ واخبرنا
ابو زرعة عن ابيه قال انا الحسن بن احمد الكرخي قال انا ابو طالب محمد بن محمد بن ابرهيم قال حدثنا
انا ابو بكر محمد بن عبد الله قال حدثني اسحق الحربي قال انا ابو سلمة قال انا حماد بن خالد
قال انا محمد بن عمرو بن علقمة قال انا ابو الحسن بن محصن الليثي عن يحيى بن عبد الرحمن
ابن حاطب بن ابي بلتعة قال ان عايشة رضي الله عنها قالت اتيت النبي صلى الله عليه وسلم
بخزيرة طبختها له وقلت لسودة والنبي بيني وبينها كلي فابت فقلت لها كلي فابت
فقلت لتاكلن او لالطخن بها وجهك فابت فوضعت يدي في الخزيرة فلطخت بها وجهها
فضحك النبي صلى الله عليه وسلم فوضع فخذه لها فقال لسودة الطخي وجهها فلطخت
بها وجهي فضحك النبي صلى الله عليه وسلم ايضا فمر عمر على الباب فنادى يا عبد الله
يا عبد الله فظن النبي صلى الله عليه وسلم انه سيدخل فقال قوما فاغسلا وجهيكما
قالت عايشة فما زلت اهاب عمر لهيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم اياه ووصف

بعضهم ابن طاوس فقال كان مع الصبي صبيًا ومع الكهل كهلا وكان فيه مزاحة
اذا خلا وروى معاوية بن عبد الكريم قال كنا نتذاكر الشعر عند محمد بن سيرين
وكان يقول ويمزح عنده ويمازحنا وكنا نخرج من عنده ونحن نضحك وكنا اذا
دخلنا على الحسن نخرج من عنده ونحن نكاد نبكي فهذه الاخبار والاثار دلت على
حسن لين الجانب وصحة حال الصوفية وحسن اخلاقهم فيما يعتمدونه من المداعبة
في الربط وينزلون مع الناس على حسب طباعهم لنظرهم الى سعة رحمة الله تعالى فاذا
خلوا وقفوا موقف الرجال واكتسوا ملابس الاعمال والاحوال ولا يقف في هذا المعنى على
حد الاعتدال الا صوفي قائم للنفس عالم باخلاقها وطباعها سائس لها بنور العلم
حتى يقف في ذلك على صراط الاعتدال بين الافراط والتفريط ولا يصلح الاكثار
من ذلك للمريدين المبتديين لقلة علمهم ومعرفتهم بالنفس وتعديهم حد الاعتدال
فللنفس في هذه المواطن نهضات ووثبات تجر الى الافساد وتخرج الى العناد فالنزول
الى طباع الناس يحسن ممن صعد عنهم وترقى لعلو حاله ومقامه فينزل اليهم والى
طباعهم حين ينزل بالعلم فاما من لم يصعد بصفاء حاله عنهم وفيه بقية مزج من
طباعهم ونفوسهم الجامحة الامارة بالسوء اذا دخل في هذه المداخل اخذت النفس
حظها واغتنمت مآربها واستروحت الى الرخصة والنزول الى الرخصة يحسن لمن
ركب العزيمة غالب اوقاته وليس ذلك شان المبتدي فللصوفية العلماء فيما ذكرناه
ترويح يعلمون حاجة القلب الى ذلك والشي اذا وضع للحاجة يتقدر بقدر الحاجة
ومعيار مقدار الحاجة في ذلك علم غامض لا يسلم لكل احد قال سعيد بن العاص لابنه
اقتصد في مزاحك فان الافراط فيه يذهب البها ويجري عليك السفهاء وتركه يغيظ
المؤانسين ويوحش المخالطين. وقال بعضهم المزاح مسلبة للبها مقطعة للاخاء
وكما يصعب معرفة الاعتدال في ذلك يصعب معرفة الاعتدال في الضحك والضحك
من خصايص الانسان ويميزه عن جنس الحيوان ولا يكون الضحك الا عن سابقة
تعجب والتعجب يستدعي الفكر والفكر شرف الانسان وخاصيته ومعرفة الاعتدال فيه

ايضا

ايضا شان من ترسخ قدمه في العلم ولهذا قيل اياك وكثرة الضحك فانه يميت القلب
وقيل كثرة الضحك من الرعونة وروي عن عيسى انه قال ان الله يبغض الضحاك
من غير عجب والمشاء في غير ارب وذكر فرق بين المداعبة والمزاح فقيل المداعبة
ما لا يغضب جده والمزاح ما يغضب جده وقد جعل ابو حنيفة القهقهة في الصلوة
من الذنب وحكم ببطلان الوضوء بها وقال نقيم الاثم مقام خروج الخارج فالاعتدال
في المزاح والضحك لا يتاتى الا اذا خلص وخرج عن مضيق الخوف والقبض والهيبة
فانه يتقوم بكل مضيق من هذه المضايق بعض التقويم ويعتدل الحال فيه ويستقيم
فيهما البسط والرجا يتشانه فالخوف والقبض يحكمان بالعدل فيه ومن اخلاق
الصوفية ترك التكلف وذلك لان التكلف تصنع وتعمل وتمايل على النفس لاجل
الناس وذلك يباين حال الصوفية وفي بعضه خفي منازعة الاقدار وعدم الرضا
بما قسم الجبار ويقال التصوف ترك التكلف ويقال التكلف تخلف وهو تخلف
عن شاو الصادقين روى انس بن مالك رضي الله عنه قال شهدت وليمة
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما فيها خبز ولا لحم وروي عن جابر رضي الله عنه
انه اتاه اناس من اصحابه فاتاهم بخبز وخل وقال كلوا فاني سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول نعم الادام الخل وروى شقيق بن سلمة قال دخلت على سلمان
الفارسي فاخرج الي خبزا وملحا وقال كل لولا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
نهانا عن التكلف ان يتكلف احد لاحد لتكلفت لكم والتكلف مذموم في جميع الاشياء
كالتكلف بالملبوس للناس من غير نية فيه والتكلف في الكلام وزيادة التملق الذي
صار داب اهل الزمان فما يكاد يسلم من ذلك الا احاد وافراد فكم من متملق لا يعرف انه
متملق ولا يفطن له فقد يتملق الشخص الى حد تخرجه الى صريح النفاق وهو مباين لحال
الصوفي اخبرنا الشيخ العالم ضيا الدين عبد الوهاب بن علي قال انا ابو الفتح الهروي
قال انا ابو نصر الترياقي قال انا ابو محمد الجراحي قال انا ابو العباس المحبوبي قال انا ابو عيسى
الترمذي قال انا احمد بن منيع قال انا يزيد بن هرون عن محمد بن مطرف عن حسان عن عطية

حدثنا

عن ابي امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الحيا والعي شعبتان من الايمان والبذاء
والبيان شعبتان من النفاق البذاء الفحش واراد بالبيان ههنا كثرة الكلام والتكلف
للناس بزيادة تملق وثناء عليهم واظهار التفصح وذلك ليس من شان اهل الصدق
والتصوف وحكى عن ابي وايل قال مضيت مع صاحب لي نزور سلمان فقدم الينا خبز
شعير وملحا جريشا فقال صاحبي لو كان في هذا الملح سعتر كان اطيب فخرج سلمان
ورهن مطهرته فاخذ سعترا فلما اكلنا قال صاحبي الحمد لله الذي قنعنا بما رزقنا
فقال سلمان لو قنعت بما رزقك لم يكن مطهرتي مرهونة وفي هذا من سلمان ترك التكلف
قولا وفعلا وفي حديث يونس النبي عليه السلام انه زاره اخوانه فقدم اليهم كسرا من
خبز شعير وجز لهم بقلا كان يزرعه ثم قال لولا ان الله لعن المتكلفين لتكلفت لكم وقال
بعضهم اذا قصدت للزيارة فقدم ما حضر واذا استزرت فلا تبق ولا تذر وروى
زبير بن العوام قال نادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما اللهم اغفر
للذين يدعون لاموات امتي ولا يتكلفون الا اني بري من التكلف وصالحوا
امتي وروى ان عمر رضي الله عنه قرا قوله تعالى فانبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا
وزيتونا ونخلا وحدايق غلبا وفاكهة وابا ثم قال هذا كله قد عرفنا فما الاب
وقال وبيد عمر عصا فضرب بها الارض ثم قال هذا لعمر الله هو التكلف فخذوا
ايها الناس ما بين لكم منه فما عرفتم اعملوا به وما لم تعرفوا فكلوا علمه الى الله تعالى
ومن اخلاق الصوفية الانفاق من غير اقتار وترك الادخار وذلك لان الصوفي
يرى خزاين فضل الحق فهو بمثابة من هو مقيم على شاطي بحر والمقيم على شاطي البحر
لا يدخر الماء في قربته وراويته روى ابو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه
قال ما من يوم الا وملكان ينا ديان فيقول احدهما اللهم اعط منفقا خلفا ويقول الآخر
اللهم اعط ممسكا تلفا وروى انس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخر شيا
لغد وروى انه اهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثلث طوابر فاطعم خادمه طيرا فلما
كان الغد اتاه به فقال عليه الصلوة والسلام الم انهك ان تخبي شيا لغد فان الله ياتي

برزق يوم كل غد وروى ابو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على بلال
وعنده صبرة من تمر فقال ما هذا يا بلال فقال ادخر يا رسول الله قال اما تخشى انفق
يا بلال ولا تخش من ذي العرش اقلالا وروى انه كان عيسى عليه السلام ياكل الشجر ويلبس
الشعر ويبيت حيث امسى ولم يكن له ولد يموت ولا بيت تخرب ولا يخبا شيا لغد
فالصوفي في كل خباياه في خزاين الله لصدق توكله وثقته بربه فالدنيا للصوفي
كدار الغربة ليس له فيها ادخار ولا له منها استكثار قال عليه الصلوة والسلام لو توكلتم
على الله حق توكله لرزقتم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا اخبرنا
ضياء الدين ابو النجيب قال انا ابو عبد الرحمن محمد بن ابي عبد الله الماليني قال انا ابو الحسن
عبد الرحمن الداودي قال انا ابو محمد عبد الله السرخسي قال انا ابو عمران السمرقندي
قال انا عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي قال انا محمد بن يوسف عن سفين عن ابن المنكدر
عن جابر قال ما سيل النبي عليه الصلوة والسلام شيا قط فقال لا قال ابن عيينة اذا
لم يكن عنده وعد وبالاسناد الى الدارمي قال انا يعقوب بن حميد قال ثنا عبد العزيز
ابن محمد عن ابن اخي الزهري قال قال جبريل قال ما في الارض اهل عشرة ابيات الا قلبتهم
فما وجدت احدا اشد انفاقا لهذا المال من رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومن اخلاق الصوفية القناعة باليسير من الدنيا قال ذو النون المصري
من قنع استراح من اهل زمانه واستطال على اقرانه وقال بشر بن الحارث لو لم يكن في
القناعة الا التمتع بالعز لكفى صاحبه وقال بنان الحمال الحر عبد ما طمع والعبد حر
ما قنع وقال بعضهم انتقم من حرصك بالقناعة كما تنتقم من عدوك بالقصاص وقال
ابو بكر المراغي العاقل من دبر امر الدنيا بالقناعة والتسويف ودبر امر الآخرة بالحرص
والتعجيل وقال يحيى بن معاذ من قنع بالرزق فقد ذهب بالآخرة وطاب عيشه وقال
امير المومنين علي رضي الله عنه القناعة سيف لا ينبو اخبرنا ابو زرعة عن ابيه ابي الفضل
قال انا ابو القسم عبد الله بن الحسن الخلال ببغداد قال انا ابو حفص عمر بن احمد بن ابراهيم
قال ثنا ابو القسم البغوي قال نا محمد بن عباد قال ثنا ابو سعيد عن صدقة بن الربيع عن عمارة

ابن عيينة عن عبد الرحمن بن سعيد عن ابيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو على الاعواد يقول ما قل وكفى خير مما كثر والهى وروى عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه قال قد افلح من اسلم وكان رزقه كفافا ثم صبر عليه
وروى ابو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا وقال اللهم اجعل رزق آل محمد
قوتا وروى جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال القناعة مال لا ينفد وروى
عن عمر رضي الله عنه انه قال كونوا اوعية الكتاب وينابيع الحكمة وعدوا
انفسكم في الموتى واسالوا الله تعالى رزق يوم بيوم ولا يضركم ان لا يكثر
لكم واخبرنا طاهر عن والده ابي الفضل قال انا ابو القسم اسمعيل بن عبد الله الشاكر
قال انا احمد بن علي الحافظ قال انا ابو عمرو بن حمدان قال انا الحسن بن سفين قال انا عمرو بن
مالك البصري قال ثنا مروان بن معوية قال ثنا عبد الرحمن بن ابي سلمة الانصاري
قال اخبرني سلمة بن عبد الله بن محصن عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من اصبح آمنا في سربه معافا في بدنه وعنده قوت يومه فكانما حيزت له الدنيا
وقيل في تفسير قوله تعالى فلنحيينه حيوة طيبة هي القناعة فالصوفي قوام
على نفسه بالقسط عالم بطبايع النفس وجروى القناعة والتوصل الى
استخراج ذلك من النفس لعلمه بدايها ودوايها قال ابو سليمن الداراني القناعة
من الرضا كما ان الورع من الزهد ومن اخلاق الصوفية ترك المراء
والجدال له والغضب للحق واعتماد الرفق والحلم وذلك لان النفوس تثبت وتظهر
في المماريين والصوفي كلما راى نفس صاحبه ظاهرة قابلها بالقلب واذا قوبلت النفس
بالقلب ذهبت الوحشة وانطفت الفتنة قال الله تعالى تعليما لعباده ادفع
بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم ولا ينزع المراء الا
من نفوس زكية انتزع منها الغل ووجود الغل في النفوس مراء الباطن واذا انتزع
المراء من الباطن ذهبت من الظاهر ايضا وقد يكون الغل في النفس مع من تشاكله
ويماثله لوجود المنافسة ومن استقصى في تذويب النفس بنار الزهادة في الدنيا

ينحي الغل من باطنه ولا يبقى عنده منافسة دنياوية في حظوظ عاجلة من جاه
ومال قال الله تعالى في وصف اهل الجنة ونزعنا ما في صدورهم من غل قال ابو حفص
كيف يبقى الغل في قلوب ائتلفت بالله واتفقت على محبته واجتمعت على مودته
وانست بذكره فان تلك قلوب صافية من هواجس النفوس وظلمات الطبايع
بل كحلت بنور التوفيق وصارت اخوانا فهكذا قلوب اهل التصوف والمجتمعين
على الكلمة الواحدة من التلزم بشروط الطريق والانكباب على الظفر بالتحقيق
والناس رجلان رجل طالب ما عند الله تعالى ويدعو الى ما عند الله نفسه وغيره
فما للمحق الصوفي مع هذا منافسة ومراء وغل فان هذا معه في طريق واحد وجهة
واحدة واخوه ومعينه والمومنون كالبنيان يشد بعضه بعضا ورجل
مفتتن بشيء من محبة الجاه والمال والرياسة ونظر الخلق فما للصوفي مع
هذا منافسة لانه زهد فيما فيه رغب فمن شان الصوفي ان ينظر الى مثل هذا
نظر رحمة وشفقة حيث يراه محجوبا مفتتنا فلا ينطوي له على غل ولا يماريه
في الظاهر على شيء لعلمه بظهور النفس الامارة بالسوء في المراء والجدال له
اخبرنا الشيخ العالم ضيا الدين عبد الوهاب بن علي قال انا ابو الفتح الهروي
قال انا ابو نصر الترياقي قال انا ابو محمد الجراحي قال انا ابو العباس المحبوبي قال انا
ابو عيسى الترمذي قال ثنا زياد بن ايوب قال ثنا المحاربي عن ليث عن عبد الملك
عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تمار اخاك ولا تعده
موعدا فتخلفه وفي الخبر من ترك المراء وهو مبطل بني له في ربض الجنة ومن ترك
المراء وهو محق بني له في وسطها ومن حسن خلقه بني له في اعلاها واخبرنا
شيخنا شيخ الاسلام ابو النجيب السهروردي قال انا ابو عبد الرحمن محمد بن ابي عبد الله
الماليني قال انا ابو الحسن عبد الرحمن الداودي قال انا ابو محمد عبد الله بن احمد
الحموي قال انا ابو عمران عيسى السمرقندي قال انا ابو محمد عبد الله بن عبد الرحمن
الدارمي قال ثنا يحيى بن بسطام عن يحيى بن حمزة قال حدثني نعمان عن مكحول عن ابن عباس

تعلمه

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من طلب العلم ليباهي به العلماء او يماري به السفهاء
او يريد ان تقبل بوجوه الناس اليه ادخله الله جهنم انظر كيف جعل رسول الله صلى الله
عليه وسلم المماراة مع السفهاء سببا لدخول النار وذلك لظهور نفوسهم في طلب
القهر والغلبة والقهر والغلبة من صفات الشيطنة في الآدمي قال بعضهم المجادل
المماري يضع في نفسه عند الخوض في الجدال ان لا يقنع بشيء ومن لا يقنع الا بان يقنع
فما الى قناعته سبيل فنفس الصوفي تبدلت صفاتها وذهب عنه صفة الشيطنة
والسبعية وتبدلت باللين والرفق والسهولة والطمانينة روي عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم انه قال والذي نفسي بيده لا يسلم عبد حتى يسلم قلبه ولسانه ولا يؤمن
حتى يامن جاره بوائقه انظر كيف جعل النبي صلى الله عليه وسلم من شرط الاسلام
سلامة القلب واللسان وروي عنه عليه الصلوة والسلام انه مر بقوم وهم يجذون
يجذون حجرا قال ما هذا قالوا هذا حجر الاشداء قال الا اخبركم باشد من هذا رجل
كان بينه وبين اخيه غضب فاتاه فغلب شيطانه وشيطان اخيه فكلمه وروي
انه جاء غلام لابي ذر وقد كسر رجل شاة فقال ابو ذر من كسر رجل هذه الشاة فقال
انا قال ولم فعلت ذلك قال عمدا فعلت قال ولم قال اغيظك فتضربني فتأثم قال
ابو ذر لاغيظن من حضك على غيظي فاعتقه وروي الاصمعي عن اعرابي قال
اذا اشكل عليك امران لا تدري ايهما ارشد فخالف اقربهما الى هواك فان اكثر ما يكون
الخطاء مع متابعة الهوى اخبرنا ابو زرعة عن ابيه ابي الفضل قال انا ابو بكر احمد بن علي
قال ثنا ابن خورشيذ قوله ابو ميسر بن عبد الله قال ثنا احمد بن محمد بن سليم قال ثنا زبير بن بكار
قال ثنا سعيد بن سعد عن اخيه عن جده عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ثلث منجيات وثلث مهلكات فاما المنجيات فخشية الله في السر والعلانية
والحكم بالحق عند الغضب والرضا والاقتصاد عند الفقر والغنى واما المهلكات
فشح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه فالحكم بالحق عند الغضب والرضا لا يصح
الا من عالم رباني امير على النفس يصرفها بعقل حاضر وقلب يقظان ونظر الى الله بحسن

نقل

نقل انهم يتوضؤن عن اذى المسلم يقول بعضهم لان اتوضا عن كلمة خبيثة احب
الي من ان اتوضا من طعام طيب وقال عبد الله ابن عباس الحدث حدثان حدث
من فرجك وحدث من فيك فلا يحل حبوة الوقار والحلم الا الغضب ويخرج
عن حد العدل الى العدوان ان يتجاوز الحد فبالغضب يتحرك دم القلب فان كان
الغضب على من فوقه ممن يعجز عن انفاذ الغضب ذهب الدم من ظاهر الجلد
واجتمع في القلب ويصير منه الهم والحزن والانكاد والصوفي على
مثل هذا لانه يرى الحوادث والاعراض من الله ولا يسكمد ولا يغتم والصوفي
صاحب الرضا صاحب الروح والراحة والنبي عليه الصلوة والسلام اخبر
ان الهم والحزن في الشك والسخط سئل عبد الله بن عباس عن الغم والغضب
قال مخرجهما واحد واللفظ يختلف فمن نازع من يقوى عليه اضمره غضبا ومن
نازع من لا يقوى عليه كتمه حزنا والحرد غضب ايضا ولكن تستعمل اذا قصد المغضوب
عليه وان كان الغضب على من يشاكله ويماثله ممن يتردد في الانتقام
منه يتردد دم القلب بين الانقباض والانبساط فيتولد منه الغل والحقد
ولا ياوي مثل هذا الى قلب الصوفي قال الله ونزعنا ما في صدورهم من غل
اخوانا وصلاقة قلب الصوفي وحاله يقذف زبد الغل والحقد كما يقذف البحر
الزبد لما فيه من تلاطم امواج الانس والهيبة وان كان الغضب على من دونه
ممن يقدر على الانتقام منه ثار دم القلب والقلب اذا ثار دمه يحمر ويقسو
ويتصلب ويذهب عنه الرقة والبياض ومنه تحمر الوجنتان لان الدم في القلب
ثار وطلب الاستعلاء وانتفخ منه العروق وظهر عكسه واثره على الخد فيتعدى
الحدود حينئذ بالضرب والشتم ولا يكون هذا في الصوفي الا عند هتك الحرمات
والغضب لله تعالى فاما في غير ذلك ينظر الصوفي عند الغضب الى الله تعالى
ثم تقواه تحمله على ان يزن حركته وقوله بميزان الشرع والعدل ويتهم النفس بعدم
الرضا بالقضا قيل لبعضهم من اقهر الناس لنفسه قال ارضاهم بالمقدور وقال

بعضهم اصبحت ومالى سرور الا مواقع القضا فاذا اتهم الصوفى النفس عند الغضب
تداركه العلم واذا لاح علم العلم قوى القلب وسكنت النفس وعاد دم القلب الى
موضعه ومقره واعتدل الحال وغاض جمرة الحد وبان فضيلة العلم قال عليه الصلوة
والسلام السمت الحسن والتودة والاقتصاد جزء من اربع وعشرين جزء من النبوة وكما
روى جارية بن قدامة قال قلت يا رسول الله اوصنى واقلل لعلى اعيه قال
لا تغضب فاعاد عليه كل ذلك يقول لا تغضب وقال عليه الصلوة والسلام
ان الغضب جمرة الم تر الى حمرة عينيه وانتفاخ اوداجه من وجد ذلك منكم فان
كان قايما فليجلس وان كان جالسا فليضطجع اخبرنا ضيا الدين عبد الوهاب
بن على قال انا ابو الفتح الهروى قال انا ابو نصر الترياقى قال انا الجراحى قال انا
المحبوبى قال انا ابو عيسى الترمذى قال ثنا محمد بن عبد الله قال ثنا بشر بن المفضل عن
قرة بن خالد عن ابى جمرة عن ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لاشج بن
عبد القيس ان فيك خصلتين يحبهما الله تعالى الحلم والاناة **ومن اخلاق**
الصوفية التودد والتالف والموافقة مع الاخوان وترك المخالفة قال الله تعالى
فى وصف اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اشداء على الكفار رحماء بينهم
وقال تعالى لو انفقت ما فى الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم
والتودد والتالف من ايتلاف الارواح على ما ورد فى الخبر الذى اوردناه
فما تعارف منها ايتلف قال الله تعالى فاصبحتم بنعمته اخوانا وقال واعتصموا
بحبل الله جميعا ولا تفرقوا وقال عليه الصلوة والسلام المومن الف مالوف ولا خير
فيمن لا يالف ولا يولف وقال عليه الصلوة والسلام مثل المومنين اذا التقيا
مثل اليدين يغسل احدهما الاخرى وما التقى المومنان الا استفاد احدهما من صاحبه
خيرا وقال ابو ادريس الخولانى لمعاذ انى احبك فى الله فقال ابشر ثم ابشر فانى سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ينصب لطايفة من الناس كراسى حول العرش يوم
القيامة وجوههم كالقمر ليلة البدر يفزع الناس وهم لا يفزعون ويخاف الناس

وهم

مواضعه ومقاره

عن قرة بن خالد

وهم لا يخافون وهم اوليا الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فقيل من هولاء يا رسول
الله قال المتحابون فى الله وقيل لو تحاب الناس وتعاطوا المحبة لاستغنوا بها عن العدالة
وقيل العدالة خليفة المحبة يستعمل حيث لا يوجد المحبة وقيل طاعة المحبة افضل
من طاعة الرهبة فان طاعة المحبة من داخل وطاعة الرهبة من خارج ولهذا المعنى
كانت صحبة الصوفية موثرة من البعض فى البعض لانهم لما تحابوا فى الله تواصوا
بمحاسن الاخلاق ووقع القبول لوجود المحبة فانتفع لذلك المريد بالشيخ والاخ
بالاخ ولهذا المعنى امر الله تعالى باجتماع الناس فى كل يوم خمس مرات فى المسجد
اهل كل درب وكل محلة وفى الجامع فى الاسبوع مرة اهل كل بلد وانضمام اهل
السواد الى البلدان فى الاعياد فى جميع السنة مرتين واهل الاقطار من البلدان
المتفرقة فى العمر مرة للحج كل ذلك لحكمة بالغة منها تاكيد الالفة والمودة بين
المومنين وقال عليه الصلوة والسلام المومن للمومن كالبنيان يشد بعضه بعضا
اخبرنا ابو زرعة قال انا والدى ابو الفضل قال انا ابو نصر محمد بن سليمان العدل قال انا
ابو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادى قال انا ابو العباس عبد الله بن يعقوب الكرمانى
قال ثنا يحيى الكرمانى قال ثنا حماد بن زيد عن مجالد بن سعيد عن الشعبى عن النعمان
ابن بشير قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الا ان مثل المومنين فى
توادهم وتحابهم وتراحمهم كمثل الجسد اذا اشتكى عضو فيه تداعى سايره بالسهر
والحمى والتالف والتودد يوكد اسباب الصحبة والصحبة مع الاخيار موثرة جدا
وقد قيل لقا الاخوان لقاح ولا شك ان البواطن تتلقح ويقوى البعض بالبعض بل مجرد
النظر الى اهل الصلاح يوثر صلاحا والنظر فى الصور يوثر اخلاقا مناسبة لخلق
المنظور اليه كدوام النظر الى المحزون يحزن ودوام النظر الى المسرور يسر وقد قيل
من لا ينفعك لحظه لا ينفعك لفظه والجمل الشرود يصير ذلولا بمقارنة الجمل الذلول فالمقارنة
لها تاثير فى الحيوان والنبات والجماد والماء والهواء يفسدان بمقارنة الجيف والزروع
تنقى عن انواع العروق فى الارض والنبات لموضع الافساد بالمقارنة واذا كانت المقارنة

فوقع

بعضه تداعى

موثرة في هذه الاشياء ففي النفوس الشريفة البشرية اكثر تاثيرا وقيل يحب الانسان اخاه لانه يانس بما يراه من خير وشر والتالف والتودد مستجلب للمزيد وانما العزلة والوحدة
تحمد بالنسبة الى اراذل الناس واهل الشر فاما اهل العلم والصفا والوفاء والاخلاق
الحميدة يغتنم مقارنتهم ويوثر مقاربتهم والاستيناس بهم استيناس بالله تعالى كما ان
محبتهم من محبة الله تعالى والجامع معهم رابطة الحق ومع غيرهم رابطة الطبع فالصوفي
مع غير الجنس كاين باين ومع الجنس كاين معاين والمومن مراة المومن اذا نظر الى اخيه
يستشف من وراء اقواله واعماله واحواله تجليات الهية وتعريفات وتلويحات من الله
الكريم خفية غابت عن الاغيار وادركها اهل الانوار ومن اخلاق الصوفية
شكر المحسن على الاحسان والدعا له وذلك منهم مع كمال توكلهم على صفا توحيدهم وقطعهم
النظر عن الاغيار ورويتهم النعم من المنعم الجبار ولكن يفعلون ذلك اقتداء برسول الله
صلى الله عليه وسلم على ما ورد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب فقال ما من الناس
احد امن علينا في صحبته وذات يده من ابن ابي قحافة ولو كنت متخذا خليلا لاتخذت
ابا بكر خليلا وقال ما نفعني مال كمال ابي بكر فالخلق حجبوا عن الله بالخلق في المنع والعطا
فالصوفي في الابتدا يفنى الخلق ويرى الاشيا من الله تعالى حيث طالع ناصية التوحيد
وخرق الحجاب الذي منع الخلق عن صرف التوحيد فلا يثبت للخلق منعا واعطا
وتحجبه الحق عن الخلق فاذا ارتقى الى ذروة التوحيد يشكر الخلق بعد شكر الحق
ويثبت لهم وجودا في المنع والعطا بعد ان يرى المسبب ولا وذلك لسعة علمه
وقوة معرفته يثبت الوسايط فلا يحجبه الخلق عن الحق كعامة المسلمين ولا يحجبه
الحق عن الخلق كارباب الارادة والمبتدئين فيكون شكره للحق لانه المنعم والمعطي
والمسبب ويشكر الخلق لانهم واسطة وسبب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اول من يدعى الى الجنة الحمادون الذي يحمدون الله في السراء والضراء وقال عليه الصلوة
والسلام من عطس او تجشا فقال الحمد لله على كل حال دفع الله بها عنه سبعين داء ادناها
الجذام وروى جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من عبد ينعم عليه نعمة

فحمد الله تعالى الا كان الحمد افضل فقوله كان الحمد افضل منها يحتمل انه يرضى بها شكرا
ويحتمل ان الحمد افضل منها نعمة فيكون نعمة الحمد افضل من النعمة التي حمد عليها
فاذا شكروا المنعم الاول يشكرون الواسطة المنعم من الناس ويدعون له روى
انس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا افطر عند قوم قال افطر عندكم
الصايمون واكل طعامكم الابرار وتنزلت عليكم السكينة اخبرنا ابو زرعة عن ابيه
قال انا احمد بن محمد بن احمد البزار قال انا ابو حفص عمر بن ابرهيم قال ثنا عبد الله بن محمد
البغوي قال ثنا عمرو بن زرارة قال ثنا عيينة بن يونس عن موسى بن عبيدة عن محمد بن
ثابت عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال لاخيه جزاك الله
خيرا فقد ابلغ في الثناء ومن اخلاق الصوفية بذل الجاه للاخوان والمسلمين كافة
فاذا كان الرجل وافر العلم بصيرا بعيوب النفس وافاتها وشهواتها يتوصل الى قضاء
حوايج المسلمين ببذل الجاه والمعاونة في اصلاح ذات البين وفي هذا المعنى
يحتاج الى مزيد علم لانها امور تتعلق بالخلق ومخالطتهم ومعاشرتهم ولا يصلح
ذلك الا لصوفي تام الحال عالم رباني روى زيد بن اسلم انه قال كان نبي من انبياء
ياخذ بركاب الملك يتالفه بذلك لقضاء حوايج الناس وقال عطاء لان ترى الرجل
سنين فيكتسب جاها يعيش فيه مومن اتم له من ان يخلص العمل لنجاة نفسه وهذا
باب غامض لا يومن ان يفتتن به خلق من الجهال المدعين ولا يصلح هذا الا
لعبد اطلع الله تعالى على باطنه فعلم منه ان لا رغبة له في شيء من الجاه والمال
ولو ان ملوك الارض وقفوا في خدمته ما طغا ولا استطال ولو دخل على اتون
يوقد ما ظهرت نفسه بصريح الانكار لهذا الحال وهذا لا يصلح الا لاحاد من الخلق
وافراد من الصادقين يتسلخون من ارادتهم واختيارهم ويكاشفهم الله تعالى بمراده
منهم فيدخلون في الاشياء بمراد الله تعالى فاذا علموا ان الحق يريد منهم المخالطة
وبذل الجاه يدخلون في ذلك بغيبة صفات النفس وهذا لاقوام ما تواثم حشروا
واحكموا مقام الفنا ثم رقوا الى مقام البقا فيكون لهم في كل مدخل ومخرج برهان

وبيان واذن من الله تعالى على بصيرة من ربهم ليس فيه ارتياب لصاحب قلب مكاشف
بصريح المراد في خفي الخطاب فيلخذ وقته ابدا من الاشياء ولم ياخذ من الاشياء من
وقته ولا يكون هذا الا في قطر من الاقطار واحد متحقق بهذا الحال قال ابو عثمن
الحيري لا يكمل الرجل حتى يستوي في قلبه اربعة اشياء المنع والعطاء والعز
والذل ومثل هذا الرجل يصلح بذل الجاه والدخول فيما ذكرناه قال سهل بن عبد الله
لا يستحق الانسان الرياسة حتى يجتمع فيه ثلث خصال يصرف جهله عن الناس
ويحتمل جهل الناس ويترك ما في ايديهم ويبذل ما في يده لهم وهذه الرياسة انفا غير
الرياسة التي زهد فيها وتعين الزهد فيها الضرورة صدقه وسلوكه وانما هذه
الرياسة اقامها الحق لصلاح خلقه فهو فيها بالله يقوم بواجب حقها ويشكر نعمتها
لله تعالى

الباب في ذكر الادب ومكانه من التصوف الحادي والثلثون

روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ادبني ربي فاحسن تاديبي فالادب
تهذيب الظاهر والباطن فاذا تهذب ظاهر العبد وباطنه صار صوفيا
اديبا سميت المادبة مادبة لاجتماعها على اشياء ولا يتكامل الادب في العبد
الا بتكامل مكارم الاخلاق ومكارم الاخلاق مجموعها من تحسين الخلق والخلق
صورة الانسان والخلق معناه فقال بعضهم الخلق لا سبيل الى تغييره كالخلق
وقد ورد فرغ ربكم عن الخلق والخلق والرزق والاجل وقد قال تعالى
لا تبديل لخلق الله والاصح ان تبديل الاخلاق ممكن مقدور عليه بخلاف
الخلق وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حسنوا اخلاقكم
وذلك ان الله تعالى خلق الانسان وهياه لقبول الصلاح والفساد وجعله
اهلا للادب ومكارم الاخلاق ووجود الاهلية فيه كوجود النار في الزناد
ووجود النخل في النوى ثم ان الله بقدرته الهم الانسان ومكنه من
اصلاحه بالتربية الى ان يصير النوى نخلا والزناد بالعلاج حتى يخرج منه نار
وكما جعل في نفس الادمي صلاحية الخير والشر كذلك الاصلاح والافساد

عليه فقال تعالى ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها فتسويتها بصلاحيتها
للشيئين جميعا ثم قال تعالى قد افلح من زكيها وقد خاب من دسيها فاذا تركت النفس
تدبرت بالعقل واستقامت احوالها الظاهرة والباطنة وتهذبت بالاخلاق وتكونت
الاداب فالاداب استخراج ما في القوة الى الفعل وهذا يكون لمن ركبت السجية الصالحة
فيه والسجية فعل الحق لا قدرة للبشر على تكوينها كتكون النار في الزناد اذ هو
فعل الله المحض واستخراجها بكسب الادمي فهكذا الاداب منبعها السجايا
الصالحة والمنح الالهية ولما هيا الله بواطن الصوفية بتكميل السجايا فيها
توصلوا بحسن الممارسة والرياضة الى استخراج ما في النفوس مركوز بخلق الله تعالى
الى الفعل فصاروا مؤدبين مهذبين والاداب يقع في حق بعض الاشخاص من غير
زيادة ممارسة ورياضة لقوة ما اودع الله في غرايزهم كما قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ادبني ربي فاحسن تاديبي وفي بعض الناس تحتاج الى طول الممارسة
لنقصان قوة اصولها في الغريزة ولهذا احتاج المريد الى صحبة المشايخ لتكون
الصحبة والتعليم عونا على استخراج ما في الطبيعة الى الفعل قال الله تعالى قوا
انفسكم واهليكم نارا قال ابن عباس فقهوهم وادبوهم وفي لفظ اخر قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ادبني ربي فاحسن تاديبي ثم امرني بمكارم الاخلاق فقال
خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين قال يوسف بن الحسين بالادب
يفهم العلم وبالعلم يصح العمل وبالعمل تنال الحكمة وبالحكمة يقام الزهد وبالزهد
يترك الدنيا وبترك الدنيا يرغب في الاخرة وبالرغبة في الاخرة تنال الرتبة عند
الله تعالى قيل لما ورد ابو حفص العراق جاء اليه الجنيد فراى اصحاب ابي حفص
وقوفا على راسه ياتمرون بامره لا يخطي احد منهم فقال يا ابا حفص ادبت اصحابك
ادب الملوك فقال لا يا ابا القسم ولكن حسن الادب في الظاهر عنوان ادب الباطن
قال ابو الحسين النوري ليس لله في عبده مقام ولا حال ولا معرفة يسقط
معها ادب الشريعة وادب الشريعة حلية الظاهر والله تعالى لا يبيح تعطيل

الجوارح من التحلي بمحاسن الآداب قال عبد الله بن مبارك الادب للخادم اعز من
الخدمة حكى عن ابي عبيد القسم بن سلام قال دخلت مكة فكنت اقعد بحذاء الكعبة
وربما كنت استلقي وامد رجلي فجاءتني عايشة المكية فقالت لي يا ابا عبيد يقال
انك من اهل العلم اقبل مني كلمة لا تجالسه الا بالادب والا فيمحى اسمك من ديوان
القرب قال ابو عبيد وكانت من العارفات وقال ابن عطاء النفس مجبولة على
سوء الادب والعبد مامور بملازمة الادب والنفس تجري بطبعها في ميدان
المخالفة والعبد يردها بجهد النفس الى حسن المطالبة فمن اعرض عن الجهد فقد
اطلق عنان النفس وغفل عن الرعاية ومهما اعانها فهو شريكها وقال الجنيد من اعان
نفسه على هواها فقد اشترك في قتل نفسه لان العبودية ملازمة الادب والطغيان
سوء الادب اخبرنا الشيخ ضياء الدين عبد الوهاب بن علي قال انا ابو الفتح
الهروي قال انا ابو نصر الترياقي قال انا ابو محمد الجراحي قال انا ابو العباس المحبوبي
قال انا ابو عيسى الترمذي قال ثنا قتيبة قال ثنا يحيى بن يعلى عن ناصح عن سماك
عن جابر بن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لان يؤدب الرجل ولده
خير له من ان يتصدق بصاع وروي ايضا انه قال عليه الصلوة والسلام ما نحل
والد ولدا من نحل افضل من ادب حسن وروت عايشة عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال حق الولد على الوالد ان يحسن اسمه ويحسن موضعه ويحسن ادبه
وقال ابو علي الدقاق العبد يصل بطاعته الى الجنة وبادبه في طاعته الى الله
وقال ابو القسم القشيري كان الاستاذ ابو علي الدقاق لا يستند الى شيء وكان
يوما في مجمع فاردت ان اضع وسادة خلف ظهره لاني رايته غير مستند
فتنحى عن الوسادة قليلا فتوهمت انه توقى الوسادة لانه لم يكن عليها خرقة او سجادة
فقال لا اريد الاستناد فتاملت بعد ذلك فعلمت انه لا يستند الى شيء ابدا وقال
الجلاجلي البصري التوحيد يوجب الايمان فمن لا ايمان له لا توحيد له والايمان
يوجب الشريعة فمن لا شريعة له لا ايمان له ولا توحيد له والشريعة توجب الادب

فمن لا ادب له لا شريعة له ولا ايمان ولا توحيد وقال بعضهم الزم الادب ظاهرا
وباطنا فما اساء احد الادب في الظاهر الا عوقب ظاهرا وما اساء احد الادب باطنا
الا عوقب باطنا وقال بعضهم وهو غلام الزقاق نظرت الى غلام امرد فنظر الي
الزقاق وانا انظر اليه فقال لتجدن غبها ولو بعد سنين قال فوجدت غبها
بعد عشرين سنة ان نسيت القرآن وقال سري صليت وردي ليلة من
الليالي ومددت رجلي في المحراب فنوديت يا سري كذا تجالس الملوك فضممت
رجلي ثم قلت وعزتك لا مددت رجلي ابدا قال الجنيد فبقي ستين سنة ما مد رجله
ليلا ونهارا قال عبد الله بن المبارك من تهاون بالادب عوقب بحرمان السنن ومن تهاون
بالسنن عوقب بحرمان الفرايض ومن تهاون بالفرايض عوقب بحرمان المعرفة
وسئل السري عن مسيلة فجعل يتكلم فيها فدب على رجله عقرب فجعل يضربه
بابرتها فقيل الا تدفعها عن نفسك فقال استحيي من الله ان اتكلم في حال ثم اخالف
ما اعلم فيه وقيل في ادب رسول الله صلى الله عليه وسلم زويت لي الارض فاريت
مشارقها ومغاربها ولم يقل رايت وقال انس بن مالك الادب في العمل علامة قبول
العمل وقال ابن عطاء الادب الوقوف مع المستحسنات قيل ما معناه قال ان تعامل
الله سرا وعلنا بالادب فاذا كنت كذلك كنت اديبا وان كنت اعجميا ثم انشد
اذا نطقت جاءت بكل مليحة　　وان سكتت جاءت بكل مليح
وقال الجريري منذ عشرين سنة ما مددت رجلي في الخلوة فان حسن الادب مع الله
احسن واولى وقال ابو علي ترك الادب موجب للطرد فمن اساء الادب على
البساط رد الى الباب ومن اساء الادب على الباب رد الى سياسة الدواب

الباب الثالث والثلثون في آداب الحضرة الالهية لاهل القرب

كل الآداب تتلقى من رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه عليه الصلوة والسلام
مجمع الآداب ظاهرا وباطنا واخبر الله تعالى عن ادبه في الحضرة بقوله تعالى
ما زاغ البصر وما طغى وهذه غامضة من غوامض الآداب اختص بها رسول الله صلى الله

عليه وسلم اخبر الله تعالى عن اعتدال قلبه المقدس في الاعراض والاقبال اعرض
عما سوى الله تعالى وتوجه الى الله تعالى وترك ولم ينظر الى الارضين والدار
العاجلة بحظوظها والسموات والدار الآخرة بحظوظها فما التفت الى
ما اعرض عنه ولا لحقه الاسف على ما فاته في اعراضه قال الله تعالى لكيلا
تاسوا على ما فاتكم فهذا الخطاب للعموم وما زاغ البصر اخبار عن حال النبي صلى
الله عليه وسلم بوصف خاص من معنى ما خاطب به العموم فكان ما زاغ البصر
حاله في طرف الاعراض وفي طرف الاقبال تلقى ما ورد عليه في مقام قاب قوسين
بالروح والقلب ثم فر من الله تعالى حياء منه وهيبة واجلالا وطوى نفسه
بفراره في مطاوى انكساره وافتقاره لكيلا تنبسط النفس فتطغى لان
الطغيان عند الاستغناء وصف النفس قال الله تعالى كلا ان الانسان
ليطغى ان رآه استغنى فالنفس عند المواهب الواردة على الروح والقلب
تسترق السمع ومتى نالت قسطا من المنح استغنت وطغت والطغيان
يظهر منه فرط البسط والافراط في البسط يسد باب المزيد وطغيان
النفس لضيق وعائها عن المواهب فموسى عليه السلام صح له في الحضرة
احد الطرفين ما زاغ بصره وما التفت الى ما فاته متاسفا عليه لحسن ادبه
ولكن امتلاء من المنح واسترقت النفس السمع وتطلعت الى البسط و
الحظ فلما حظيت النفس استغنت وطفح عليها ما وصل اليها وضاق
نطاقها فتجاوز الحد من فرط البسط وقال ارني انظر اليك فمنع ولم يطلق
في فضاء المزيد وظهر الفرق بين الحبيب والكليم عليهما السلام وهذه دقيقة
لارباب القرب والاحوال السنية فكل قبض يوجد عقوبة لان كل قبض
سد في وجه الفتوح والعقوبة بالقبض اوجبت للافراط في البسط ولو حصل
الاعتدال في البسط ما وجبت العقوبة بالقبض والاعتدال في البسط
بالاتفاق لما نزل من المنح على الروح والقلب والاتفاق على الروح والقلب

بما ذكرناه

بما ذكرناه من حال النبي عليه الصلوة والسلام من تغييب النفس في مطاوى
الانكسار فذلك الفرار من الله الى الله وهو غاية الادب حظي به رسول الله
صلى الله عليه وسلم فما قوبل بالقبض فدام مزيده وكان قاب قوسين ويشاكل
الشرح الذي شرحناه قول ابن العباس بن عطاء في قوله تعالى ما زاغ البصر
وما طغى قال لم يره بطغيان بميل بل رآه على شرط اعتدال القوى وقال سهل بن
عبد الله التستري لم يرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى شاهد نفسه
ولا الى مشاهدتها وانما كان مشاهدا بكليته لربه يشاهد ما يظهر عليه
من الصفات التي اوجبت الثبوت في ذلك المحل وهذا الكلام لمن اعتبره موافق
لما شرحناه برمز في ذلك من سهل ويؤيد ذلك ايضا ما اخبرنا شيخنا ضياء الدين
ابو النجيب السهروردي اجازة انا الشيخ العالم عصام الدين ابو حفص
عمر بن احمد بن منصور الصفار النيسابوري انا ابو بكر احمد بن خلف الشيرازي
انا الشيخ ابو عبد الرحمن السلمي قال سمعت ابا نصر عبد الله بن علي السراج
اخبرني ابو الطيب العكي عن ابي محمد الجريري قال التبرع الى استدراك علم
الانقطاع وسيلة والوقوف على حد الانحسار نجاة والالتذاذ بالهرب من علم
الدنو وصلة واستفتاح فقد ترك الجواب ذخيرة والاعتصام من قبول دواعي
استماع الخطاب تكلف وخوف فوت علم ما انطوى من مصلحة الفهم في حين
الاقبال مساءة والاصغاء الى تلقي ما ينفصل عن معدنه بعد والاستسلام عند التلاقي
جراة والانبساط في محل الانس غرة وهذه الكلمات كلها من آداب الحضرة لاربابها
وفي قوله تعالى ما زاغ البصر وما طغى وجه آخر الطف مما سبق ما زاغ البصر حيث
لم يتخلف عن البصيرة ولم يتقاصر وما طغى لم يسبق البصيرة البصر فيتجاوز حده
ويتعدى مقامه بل استقام البصر مع البصيرة والظاهر مع الباطن والقلب
مع القالب والنظر مع القدم ففي تقدم النظر على القدم طغيان والمعني بالنظر
علم وبالقدم حال فلم يتقدم النظر على القدم فيكون طغيانا ولم يتخلف القدم عن النظر

فيكون تقصيرًا فلما اعتدلت الاحوال صار قلبه كقالبه وقالبه كقلبه وظاهره
كباطنه وباطنه كظاهره وبصره كبصيرته وبصيرته كبصره فحيث انتهى نظره
وعلمه قارنه قدمه وحاله ولهذا المعنى انعكس حكم معناه ونوره على ظاهره ولقي
براق ينتهي خطوه حيث ينتهي نظره لا تتخلف قدم البراق عن موضع نظره كما جاء
في حديث المعراج فكان البراق لقالبه مشاكلًا لمعناه ومتصفًا بصفته
لقوة حاله ومعناه واشار في حديث المعراج الى مقامات الانبياء ورآى في كل سماء
بعض الانبياء اشارة الى تعويقهم وتخلفهم عن شاوه ودرجته ورآى موسى
في بعض السموات فمن هو في بعض السموات يكون قوله ارني انظر اليك تجاوز
النظر عن حد القدم وتخلف القدم عن النظر وهذا هو الاخلال باحد الوصفين
من قوله تعالى ما زاغ البصر وما طغى فرسول الله صلى الله عليه وسلم جمل مقترنا
قدمه ونظره في مجال الحياء والتواضع وتطاول بالنظر متعديا حد القدم تعوق
في بعض السموات كتعوق غيره من الانبياء فلم يزل صلى الله عليه وسلم متخلل بجاله
في خفارة ادب حاله حتى خرق حجب السموات فانصبت اليه اقسام القرب انصبابا
وانقشعت عنه سحائب الحجب حجابا حجابا حتى استقام على صراط ما زاغ البصر
وما طغى فمر كالبرق الخاطف الى مخدع الوصل واللطائف وهذا غاية
في الادب ونهاية في الارب قال ابو محمد رويم حين سئل عن ادب المسافر
فقال لا يجاوز همته قدمه وحيث وقف قلبه يكون مقره اخبرنا شيخنا
ضيا الدين ابو النجيب اجازة قال انا عمر بن احمد قال انا ابو بكر بن خلف قال انا
ابو عبد الرحمن السلمي قال انا القاضي ابو محمد يحيى بن منصور قال انا ابو عبد الله
محمد بن علي الترمذي قال نا محمد بن رزام الايلي قال ثنا محمد بن عطاء الهجيمي
ثنا محمد بن نصير عن عطاء بن ابي رباح عن ابن عباس قال تلا رسول الله صلى الله
عليه وسلم هذه الآية رب ارني انظر اليك قال قال يا موسى انه لا يراني حي
الا مات ولا يابس الا تدهده ولا رطب الا تفرق وانما يراني اهل الجنة

الذين

الذين لا تموت اعينهم ولا تبلى اجسامهم ومن آداب الحضرة ما قال الشبلي الانبساط
بالقول مع الحق ترك الادب وهذا يختص ببعض الاحوال والاشياء دون
البعض ليس هو على الاطلاق لان الله تعالى امر بالدعاء وانما الامساك عن
القول كما امسك موسى عن الانبساط في طلب المآرب والحاجات الدنياوية
حتى رفعه الحق مقاما في القرب واذن له في الانبساط وقال اطلب مني ولو
ملحا لعجينك فلما بسط انبسط وقال رب اني لما انزلت الي من خير فقير
لانه كان يسال حوائج الآخرة ويستعظم الحضرة ان يسال حوائج الدنيا لحقارتها
وهو في حجاب الحشمة عن سؤال المحقرات ولهذا مثال الشاهد فان الملك
المعظم يسال منه المعظمات ويحتشم في طلب المحقرات فلما رفع بساط الحشمة
صار في مقام خاص من القرب يسئل الحقير كما يسئل الخطير قال ذو النون المصري
ادب العارف فوق كل ادب لان معروفه مؤدب قلبه وقال بعضهم يقول
الحق سبحانه وتعالى من الزمته القيام مع اسمائي وصفاتي الزمته الادب
ومن كشفت له عن حقيقة ذاتي الزمته العطب فاختر ايهما شئت الادب او العطب
وقول القائل هذا يشير الى ان الاسماء والصفات يستقل بوجود محتاج الى الادب
لبقاء الوجود البشرية وحظوظ النفس ومع لمعان نور عظمة الذات تتلاشى
الآثار بالانوار ويكون معنى العطب التحقق بالفناء وفي ذلك العطب نهاية الارب
وقال ابو علي الدقاق في قوله تعالى وايوب اذ نادى ربه اني مسني الضر
وانت ارحم الراحمين قال لم يقل ارحمني لانه حفظ ادب الخطاب وقال عيسى
ان كنت قلته فقد علمته ولم يقل لم اقل رعاية لادب الحضرة وقال ابو نصر السراج
ادب اهل الخصوصية من اهل الدين في طهارة القلوب ومراعاة الاسرار والوفا
بالعهود وحفظ الوقت وقلة الالتفات الى الخواطر والعوارض والبوادي و
العوايق واستواء السر والعلانية وحسن الادب في مواقف الطلب ومقامات
القرب واوقات الحضور والادب ادبان ادب قول وادب فعل فمن تقرب

ينبغي ان يعلم المتفطن اوقات الطلب فليس كل وقت يصلح للطلب
فانه اذا لمع بارق من نور الجمال او سرت نسمة من مهب الوصال استدعى
ويستر عند ترك الدعاء والسؤال ويسعى بسره في التلاشي والاضمحلال فاذا كان
اوان ظهور الوجود وتزاحمت الدواعي والقصود فلا يطلب الا بثبته
على قوانين اهل المحبة من استقامة قلبه وسره وعدم تسليط نفسه ودوام رعاية وحفظ

الى الله تعالى بادب فعلومنحه محبّة القلوب وقال ابن المبارك نحن الى قليل من
الادب احوج منّا الى كثير من العلم وقال ايضا الادب للعارف بمنزلة التوبة
للمستانف وقال النورى من لم يتادّب للوقت فوقته مقت وقال ذو النون
اذا خرج المريد عن حدّ استعمال الادب فانه يرجع من حيث جاء وقال
ابن المبارك ايضا قد اكثر الناس فى الادب ونحن نقول معرفة النفس وهذه
اشارة منه الى ان النفس هى منبع الجهالات وترك الادب من مخامرة الجهل
فاذا عرف النفس صادف نور العرفان على ما ورد من عرف نفسه فقد
عرف ربّه ولهذا النور لا تظهر النفس بجهالة الا ويقمعها بصريح العلم
فحينئذ يتادّب ومن قام باداب الحضرة فهو بغيرها اقوم وعليها اقدر

الباب الثالث والثلثون فى اداب الطهارة ومقدماتها

قال الله تعالى فى وصف اصحاب الصفة رجال يحبّون ان يتطهّروا والله
يحبّ المطهّرين قيل فى التفسير يحبّون ان يتطهّروا من الاحداث والجنابات
والنجاسات بالماء قال الكلبى هو غسل الادبار بالماء وقال عطاء كانوا
يستنجون بالماء ولا ينامون بالليل على الجنابة روى ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لاهل قباء لمّا نزلت هذه الاية ان الله عزّ وجلّ قد اثنى عليكم
فى الطهور فما هو قالوا انّا نستنجى بالماء وكان قبل ذلك قال لهم رسول الله صلعم
اذا اتى احدكم الخلاء فليستنج بثلاثة احجار وهكذا كان الاستنجاء فى
الابتداء حتى نزلت الاية فى اهل قباء قيل لسلمان قد علّمكم نبيّكم كل شى حتى
الخراءة فقال سلمان اجل نهانا ان نستقبل القبلة لغايط او بول او ان نستنجى
باليمنى او ان يستنجى احدنا باقلّ من ثلثة احجار وان نستنجى برجيع او عظم
اخبرنا شيخنا ضياء الدين ابو النجيب السهروردى املاء قال انا ابو منصور
الكرخى قال انا ابو بكر الخطيب قال انا ابو عمر الهاشمى قال انا ابو على اللؤلؤى قال
انا ابو داود قال نا عبد الله بن محمد قال انا عبد الله بن المبارك عن ابن عجلان عن القعقاع

حدثنا

عن ابى صالح عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال انّما انا لكم بمنزلة
الوالد اعلّمكم فاذا اتى احدكم الغايط فلا يستقبل القبلة ولا يستدبرها
ولا يستطب بيمينه وكان يامر بثلثة احجار وينهى عن الروث والرمّة قال الشيخ
رحمه الله الفرض فى الاستنجاء شيئان ازالة الخبث وطهارة المزيل وهو ان لا يكون
رجيعا وهو الروث ولا مستعملا مرة اخرى ولا رمّة وهى عظم الميتة ووتر
الاستنجاء سنّة فامّا ثلثة احجار او خمسة او سبعة واستعمال الماء بعد استعمال
الحجر سنّة وقد قيل فى الاية يحبّون ان يتطهّروا قالوا لما سئلوا عن ذلك قالوا كنّا نتبع
الماء الحجر والاستنجاء بالشمال سنّة ومسح اليد بالتراب بعد الاستنجاء سنّة وهذا
يكون فى الصحراء اذا كانت ارضا طاهرة وترابا طاهرا وكيفية الاستنجاء ان ياخذ
الحجر بيساره ويضعه على مقدّم المخرج قبل ملاقات النجاسة ويمدّه بالمسح ويدير
الحجر فى مدّه حتى لا ينقل النجاسة من موضع الى موضع يفعل ذلك الى ان ينتهى
الى موخّر المخرج وياخذ الثانى ويضعه على الموخّر كذلك ويمسح الى المقدّم وياخذ
الثالث ويديره حول المسربة وان استجمر بحجر ذى ثلث شعب جاز وامّا الاستبراء
اذا انقطع البول يمدّ ذكره من اصله ثلاثا الى الحشفة بالرفق لئلا تندفق
بقية البول ثم ينتره ثلثا ويحتاط فى الاستبراء بالاستنقاء وهو ان يتنحنح ثلثا
لان العروق ممتدّة من الحلق الى الذكر وبالتنحنح يتحرك ويقذف ما فى مجرى
البول فان مشى خطوات وزاد فى التنحنح فلا باس ولكن يراعى حدّ العلم ولا يجعل
للشيطان عليه سبيلا بالوسوسة وتضييع الوقت ثم يمسح الذكر ثلث مسحات
او اكثر الى ان لا يرى الرطوبة وشبّه بعضهم الذكر بالضرع وقال لا يزال يظهر
منه الرطوبة ما دام يمدّ فيراعى الحدّ فى ذلك ويراعى الوتر فى ذلك ايضا والمسحات
تكون على الارض الطاهرة او حجر طاهر وان احتاج الى اخذ الحجر لصغره فلياخذ
الحجر باليمين والذكر باليسار ويمسح على الحجر ويكون الحركة باليسار لا باليمين لئلا
يكون مستنجيا باليمين واذا اراد استعمال الماء انتقل الى موضع اخر ويقنع بالحجر

ما لم ينتشر البول على الحشفة وفي ترك الاستنقاء في الاستبراء وعيد ورد فيما رواه
عبد الله بن عباس قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على قبرين فقال انهما
يعذبان وما يعذبان في كبيرة اما هذا فكان لا يستبرئ او لا يستنزه من البول
واما هذا فكان يمشي بالنميمة ثم دعا بعسيب رطب فشقه باثنين ثم
غرس على هذا واحدا وعلى هذا واحدا وقال لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا والعسيب
الجريد واذا كان في الصحراء يبعد عن العيون روى جابر ان النبي عليه الصلوة والسلم
كان اذا اراد البراز انطلق حتى لا يراه احد وروى المغيرة بن شعبة قال كنت مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فاتى النبي عليه الصلوة والسلام حاجته
فابعد في المذهب وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يتبوأ لحاجته كما يتبوأ الرجل
المنزل وكان يستتر بحائط او نشز من الارض او كوم من الحجارة ويجوز ان يستتر
الرجل براحلته في الصحراء او بذيله اذا حفظ الثوب من الرشاش ويستحب البول
في ارض دمثة او على تراب مهيل قال ابو موسى كنت مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاراد ان يبول فاتى دمثا في اصل جدار فبال ثم قال اذا اراد احدكم ان يبول
فليرتد لبوله وينبغي ان لا يستقبل القبلة ولا يستدبرها ولا يستقبل الشمس والقمر
ولا يكره استقبال القبلة في البنيان والاولى اجتنابه لذهاب بعض الفقهاء الى
كراهية ذلك في البنيان ايضا ولا يرفع ثوبه حتى يدنو من الارض ويتجنب مهاب
الرياح احترازا من الرشاش قال رجل لبعض الصحابة من الاعراب وقد خاصمه
قال لا احسبك تحسن الخراءة فقال بلى وابيك اني بها لحاذق قال فصفها لي فقال
ابعد البشر واعد المدر واستقبل الشيح واستدبر الريح واقعي اقعاء الظبي
واجفل اجفال النعام يعني استقبل اصول النبات من الشيح وغيره واستدبر الريح
احترازا من الرشاش والاقعاء ههنا ان يستوفز على صدور قدميه والاجفال
ان يرفع عجزه ويقول عند الفراغ من الاستنجاء اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وطهر
قلبي من الرياء وحصن فرجي من الفواحش ويكره ان يبول الرجل في المغتسل روى

عبدالله

مغفل

عبد الله بن مغفل ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى ان يبول الرجل في مستحمه وقال
ان عامة الوسواس منه وقال ابن المبارك يوسع في البول في المستحم اذا جرى
فيه الماء واذا كان في البنيان يقدم رجله اليسرى لدخول الخلاء ويقول قبل
الدخول بسم الله اعوذ بالله من الخبث والخبائث حدثنا شيخنا شيخ الاسلام
ابو النجيب السهروردي قال انا ابو منصور المقري انا ابو بكر الخطيب انا ابو عمر
الهاشمي انا ابو علي اللؤلؤي انا ابو داود ثنا عمرو هو ابن مرزوق البصري ثنا
شعبة عن قتادة عن النضر بن انس عن زيد بن ارقم عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال ان هذه الحشوش محتضرة فاذا اتى احدكم الخلاء فليقل اعوذ بالله من
الخبث والخبائث واراد بالحشوش الكنف واصل الحش جماعة النخل الكثيف
كانوا يقضون حوائجهم اليها قبل ان تتخذ الكنف في البيوت وقوله محتضرة اي
تحضرها الشياطين وفي الجلوس للحاجة يعتمد على الرجل اليسرى ولا يتولع
بيده ولا يخط في الارض والحائط وقت قعوده ولا يكثر النظر على عورته الا
للحاجة الى ذلك ولا يتكلم فقد ورد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يخرج
الرجلان يضربان الغائط كاشفين عورتهما يتحدثان فان الله يمقت على ذلك
ويقول عند خروجه غفرانك الحمد لله الذي اخرج عني ما يؤذيني وابقى علي ما ينفعني
ولا يستصحب معه شيئا عليه اسم الله تعالى من ذهب وخاتم وغيره ولا يدخل الخلاء
حاسر الراس روت عائشة عن ابيها انه قال استحيوا من الله واني لادخل الكنف فالزق
ظهري واغطي راسي استحياء من ربي

الباب الرابع والثلاثون في ادب الوضوء واسراره

اذا اراد الوضوء يبتدي بالسواك
حدثنا شيخنا قال انا ابو عبد الله الطائي انا الحافظ الفراء انا عبد الواحد بن
احمد المليحي انا ابو منصور محمد بن محمد قال انا ابو جعفر محمد بن احمد بن عبد الجبار
انا حميد بن زنجويه انا يعلى بن عبيد حدثنا محمد بن اسحق عن محمد بن ابرهيم عن ابي سلمة بن
عبد الرحمن عن زيد بن خالد الجهني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا ان اشق



على امتى لاخرت العشاء الى ثلث الليل ولامرتهم بالسواك عند كل مكتوبة وروت
عايشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال السواك مطهرة للفم مرضاة للرب وعن
حذيفة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام من الليل يشوص فاه بالسواك
والشوص الدلك ويستحب السواك عند كل صلوة وعند كل وضوء وكلما تغير
الفم من ازم وغيره واصل الازم امساك الاسنان بعضها على بعض وقيل السكوت
ازم لان الاسنان تنطبق وبذلك يتغير الفم ويكره للصايم بعد الزوال ويستحب له
قبل الزوال واكثر استحبابه مع غسل الجمعة وعند القيام من الليل ويندى السواك
اليابس بالماء ويستاك عرضا وطولا وان اقتصر فعرضا فاذا فرغ من السواك يغسله
ويجلس للوضوء والاولى ان يستقبل القبلة يبتدى بسم الله الرحمن الرحيم ويقول
رب اعوذ بك من همزات الشياطين واعوذ بك رب ان يحضرون ويقول عند
غسل اليد اللهم انى اسئلك اليمن والبركة واعوذ بك من الشوم والهلكة ويقول
عند المضمضة اللهم صل على محمد واعنى على تلاوة كتابك وكثرة الذكر لك ويقول عند
الاستنشاق اللهم صل على محمد واوجدنى رائحة الجنة وانت عنى راض ويقول
عند الاستنثار اللهم صل على محمد واعوذ بك من رائحة النار وسوء الدار ويقول
عند غسل الوجه اللهم صل على محمد وبيض وجهى بنورك يوم تبيض وجوه اوليائك
ولا تسود وجهى يوم تسود فيه وجوه اعدائك وعند غسل اليمين اللهم صل على محمد
وآتنى كتابى بيمينى وحاسبنى حسابا يسيرا وعند غسل الشمال اللهم انى اعوذ بك ان
تؤتينى كتابى بشمالى او من وراء ظهرى وعند مسح الراس اللهم صل على محمد
وغشنى برحمتك وانزل على من بركاتك واظلنى تحت ظل عرشك يوم لا ظل الا
ظل عرشك ويقول عند مسح الاذنين اللهم صل على محمد واجعلنى ممن يستمع القول
فيتبع احسنه اللهم اسمعنى منادى الجنة مع الابرار ويقول فى مسح العنق اللهم
فك رقبتى من النار واعوذ بك من السلاسل والاغلال ويقول عند غسل قدمه اليمنى
اللهم صل على محمد وثبت قدمى على الصراط مع اقدام المومنين ويقول عند اليسرى

اللهم صل على محمد واعوذ بك من ان تزل قدمى على الصراط يوم تزل فيه اقدام المنافقين
واذا فرغ من الوضوء يرفع راسه الى السماء ويقول اشهد ان لا اله الا الله وحده
لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا انت
عملت سوء وظلمت نفسى استغفرك واتوب اليك فاغفر لى وتب على انك انت
التواب الرحيم اللهم صل على محمد واجعلنى من التوابين واجعلنى من المتطهرين
واجعلنى صبورا شكورا واجعلنى اذكرك كثيرا واسبحك بكرة واصيلا
وفرايض الوضوء النية عند غسل الوجه وغسل الوجه وحده من مبتدا تسطيح
الجبهة الى منتهى الذقن وما ظهر من اللحية وما استرسل منها ومن الاذن الى الاذن
عرضا ويدخل فى الغسل البياض الذى بين الاذنين واللحية وموضع الصلع وما
انحسر عنه الشعر وهما النزعتان من الراس ويستحب غسلهما مع الوجه ويوصل
الماء الى شعر التحذيف وهو القدر الذى يزيله النساء من الوجه ويوصل الماء
الى العنفقة والشارب والحاجب والعذار وما عدا ذلك لا يجب اللحية
ان كانت خفيفة يجب ايصال الماء الى البشرة وحد الخفيف ان يرى البشرة من
تحته وان كانت كثيفة فلا يجب ويجتهد فى تنقية مجتمع الكحل من مقدم العين الواجب
الثالث غسل اليدين الى المرفقين ويجب ادخال المرفقين فى الغسل ويستحب
غسلهما الى انصاف العضدين وان طالت الاظافير حتى خرجت من رؤس
الاصابع يجب غسل ما تحتها على الاصح الواجب الرابع مسح الراس ويكفى ما يطلق
عليه اسم المسح واستيعاب الراس بالمسح سنة وهو ان يلصق رؤس الاصابع
اليمنى باليسرى ويضعهما على مقدم الراس ويمدهما الى القفا ثم يردهما
الى الموضع الذى بدا منه ويمسح ببلل الكفين مستقبلا ومستدبرا الواجب
الخامس غسل القدمين ويجب ادخال الكعبين فى الغسل ويستحب غسلهما الى انصاف
الساقين ويقع غسل القدمين مع الكعبين ويجب تخليل اصابع الملتفة
فيخلل بخنصر يده اليسرى من باطن القدم يبدا بخنصر رجله اليمنى ويختم بخنصر

اليسرى وان كان في الرجل شقوق يجب ايصال الماء الى باطنها وان ترك فيها
عجينا او شحما يجب ازالة عين ذلك الشيء الواجب السادس الترتيب على النسق
المذكور في كتاب الله تعالى الواجب السابع التتابع في القول القديم عند الشافعي
وحد التفريق الذي يقطع التتابع يشاف العضو مع اعتدال الهواء وسنن الوضوء
ثلثة عشر التسمية في اول الطهارة وغسل اليدين الى الكوعين والمضمضة والاستنشاق
والمبالغة فيهما فيغرغر في المضمضة حتى يرد الماء الى الغلصمة ويتمد في الاستنشاق
الماء بالنفس الى الخياشيم ويرفق في ذلك اذا كان صايما وتخليل اللحية الكثة
وتخليل الاصابع المنفرجة والبداية بالميامن واطالة الغرة واستيعاب الراس
بالمسح والتثليث وفي القول الجديد التتابع ويجتنب ان يزيد على الثلث ولا ينفض اليد
ولا يتكلم في اثناء الوضوء ولا يلطم وجهه بالماء لطما وتجديد الوضوء يستحب بشرط
ان يصلي بالوضوء ما تيسر والا فمكروه

الباب الخامس والثلثون في ادب اهل الخصوص والصوفية في الوضوء

ادب الصوفية بعد
القيام بمعرفة الاحكام ادبهم في الوضوء حضور القلب في غسل الاعضاء سمعت بعض
الصالحين يقول اذا حضر القلب في الوضوء يحضر في الصلوة واذا دخل السهو فيه
دخل الوسوسة في الصلوة ومن آدابهم استدامة الوضوء فالوضوء سلاح المومن
والجوارح اذا كانت في حماية الوضوء الذي هو اثر شرعي يقل طروق الشيطان
عليها قال عدي بن حاتم ما اقيمت صلوة منذ اسلمت الا وانا على وضوء وقال انس بن
مالك قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وانا يومئذ ابن ثمان سنين فقال لي
يا بني ان استطعت ان لا تزال على الطهارة فافعل فانه من اتاه الموت وهو على الوضوء
اعطي الشهادة فشان العاقل ان يكون ابدا مستعدا للموت ومن الاستعداد لزوم
الطهارة وحكي عن الحصري انه قال مهما انتبه من النوم لا يحملني النوم الا بعد
ما اقوم واجدد الوضوء لئلا يعود الى النوم وانا على غير طهارة وسمعت من صحب الشيخ
علي بن الهيتي انه كان يقعد الليل جميعه فان غلبه النوم يكون قاعدا كذلك وكلما انتبه

يقول لا يكون اساءة الادب فيقوم ويجدد الوضوء ويصلي ركعتين روى ابو هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لبلال عند صلوة الفجر يا بلال حدثني بارجى
عمل عملته في الاسلام منفعة فاني سمعت الليلة خشخشة نعليك بين يدي في الجنة قال
فقال ما عملت عملا في الاسلام ارجى عندي منفعة من اني لا اتطهر طهرا تاما في ساعة
من ليل او نهار الا صليت لربي عز وجل ما كتب لي ان اصلي ومن ادابهم في الطهارة ترك
الاسراف في الماء والوقوف على حد العلم اخبرنا عبد الوهاب بن علي انا ابو الفتح
الهروي انا ابو نصر الترياقي انا ابو محمد الجراحي انا ابو العباس المحبوبي انا ابو عيسى
الترمذي انا محمد بن بشار ثنا ابو داود ثنا خارجة بن مصعب عن يونس بن عبيد عن
الحسن عن عتي بن ضمرة السعدي عن ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
قال للوضوء شيطان يقال له الولهان فاتقوا وسواس الماء قال ابو عبد الله الروذباري
ان الشيطان يجتهد ان ياخذ نصيبه من جميع اعمال بني آدم ولا يبالي ان ياخذ نصيبه
بان يزدادوا فيما امروا به او ينقصوا منه وحكي عن ابن الكربني انه اصابته جنابة
ليلة من الليالي وكانت عليه مرقعة ثخينة غليظة فجاء الى الدجلة وكان برد
شديد فحزنت نفسه عن الدخول في الماء لشدة البرد فطرح نفسه في الماء مع
المرقعة ثم خرج من الماء وقال اعتقدت ان لا انزعها من بدني حتى يجف
علي قيل لم يجف عليه شهرا لثخانتها وغلظها اذب بذلك نفسه لما حرنت عند
الايتمار لامر الله تعالى وقيل ان سهل بن عبد الله كان يحث اصحابه على كثرة
شرب الماء وقلة صبه على الارض وكان يرى ان في الاكثار من شرب الماء ضعف
النفس واماتة الشهوة وكسر القوة ومن افعال الصوفية الاحتياط في استبقاء الماء
للوضوء قيل كان ابرهيم الخواص اذا دخل البادية لا يحمل معه الا ركوة من الماء وربما
كان لا يشرب منها الا القليل يحفظه للوضوء قيل انه كان يخرج من مكة الى الكوفة
ولا يحتاج الى التيمم يحفظ الماء للوضوء ويقنع بالقليل للشرب وقيل اذا رايت
الصوفي ليس معه ركوة او كوز فاعلم انه قد عزم على ترك الصلوة شاء ام ابى

وحكي عن بعضهم انه ادب نفسه في الطهارة الى حد انه قام بين ظهراني جماعة من
الناس وهم مجتمعون في دار فما رآه احد منهم انه دخل الخلاء لانه كان يقضي حاجته
اذا خلا الموضع في وقت يريد لتاديبه نفسه وقيل مات الخواص في جامع الري في
وسط الماء وذلك انه كان به علة البطن وكلما قام دخل الماء وغسل نفسه فدخل
مرة ومات فيه كل ذلك لحفظه على الوضوء والطهارة وقيل كان ابرهيم بن ادهم به
قيام فقام في ليلة واحدة نيفا وسبعين مرة كل مرة يجدد الوضوء ويصلي ركعتين
وقيل ان بعضهم ادب نفسه حتى لا يخرج منه الريح الا في وقت البراز براعي الادب
في الخلوات واتخاذ المنديل بعد الوضوء كرهه قوم وقالوا ان ماء الوضوء يوزن واجازه
بعضهم ودليلهم ما اخبرنا الشيخ ضياء الدين عبد الوهاب بن علي قال انا ابو الفتح
انا ابو نصر انا ابو محمد انا ابو العباس انا الترمذي ثنا سفين بن وكيع ثنا عبد الله بن
وهب عن زيد بن حباب عن ابي معاذ عن الزهري عن عروة عن عايشه قالت كان
لرسول الله صلى الله عليه وسلم خرقة ينشف بها اعضاءه بعد الوضوء وروى معاذ
ابن جبل قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا توضا مسح وجهه بطرف
ثوبه واستقصاء الصوفي في تطهير البواطن من الصفات والاخلاق المذمومة
لا الاستقصاء في طهارة الظاهر الى حد يخرج عن حد العلم وتوضا عمر رضي الله عنه
من جرة نصرانية مع كون النصارى لا يحترزون عن الخمر واجرى الامر على الظاهر
واصل الطهارة وقد كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلون على الارض
من غير سجادة ويمشون حفاة في الطرق وقد كانوا لا يجعلون وقت النوم بينهم
وبين التراب حائلا وقد كانوا يقتصرون على الحجر في الاستنجاء في بعض الاوقات وكان
امرهم في الطهارات الظاهرة على التساهل واستقصاؤهم في طهارة الباطن وهكذا
شغل الصوفية وقد يكون في بعض الاشخاص تشدد في الطهارة ويكون مستند
ذلك رعونة النفس فلو اتسخ ثوبه تحرج ولا يبالي بما في باطنه من الغل والحقد
والكبر والعجب والرياء والنفاق ولعله ينكر على الشخص لو داس الارض حافيا مع وجود

رخصة الشرع ولا ينكر عليه ان يتكلم بكلمة غيبة تخرب بها دينه وكل ذلك
من قلة العلم وترك التادب بصحبة الصادقين من العلماء الراسخين وكانوا يكرهون
كثرة المدد في الاستبراء لانه ربما يسترخي العرق ولا يمسك البول ويتولد منه
القطر المفرط ومن حكايات المتصوفة في الوضوء والطهارة ان ابا عمرو
الزجاجي جاور بمكة ثلثين سنة وكان لا يتغوط في الحرم ويخرج الى الحل واقل
ذلك فرسخ وقيل كان بعضهم على وجهه قرح لم يندمل اثنى عشر سنة لان الماء كان
يضره وكان مع ذلك لا يدع تجديد الوضوء عند كل فريضة وبعضهم نزل في عينه
الماء فحملوا اليه المداوي وبذلوا له مالا كثيرا ليداويه فقال المداوي يحتاج
ان لا يمس الماء اياما ويكون مستلقيا على قفاه فلم يفعل ذلك واختار ذهاب بصره على
ترك الوضوء

الباب السادس والثلثون في فضيلة الصلوة وكبر شانها

روى عبد الله بن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خلق الله
جنة عدن وخلق فيها ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر
قال لها تكلمي قالت قد افلح المومنون ثلثا شهد القرآن المجيد بالفلاح
للمصلين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاني جبريل لدلوك الشمس
حين زالت وصلى بي الظهر واشتقاق الصلوة قيل من الصلي وهو النار والخشبة
المعوجة اذا ارادوا تقويمها تعرض على النار ثم تقوم وفي العبد اعوجاج لوجود
نفسه الامارة بالسوء وسبحات وجه الكريم التي لو كشف حجابها احرقت
من ادركته يصيب بها المصلي من وهج السطوة الالهية والعظمة
الربانية ما يزول به اعوجاجه بل يتحقق به معراجه فالمصلي كالمصطلي بالنار
ومن اصطلى بنار الصلوة وزال بها اعوجاجه لا يعرض على نار جهنم الا تحلة القسم
اخبرنا الشيخ العالم رضي الدين احمد بن اسمعيل القزويني اجازة قال انا ابو سعيد محمد
ابي العباس بن محمد الخليلي انا ابو سعيد الفرخزاذي انا ابو اسحق احمد بن محمد انا ابو القاسم
الحسن بن محمد بن الحسن انا ابو زكريا يحيى بن محمد العنبري قال ثنا جعفر بن احمد الحافظ انا احمد بن نصر

قال ثنا آدم بن ابي اياس عن سمعان العلاء عن ابيه عن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال يقول الله تعالى قسمت الصلوة بيني وبين عبدي نصفين فاذا قال
العبد بسم الله الرحمن الرحيم قال الله عز وجل مجدني فاذا قال الحمد لله رب العالمين
قال حمدني عبدي فاذا قال الرحمن الرحيم قال اثنى علي عبدي فاذا قال مالك يوم
الدين قال فوض الي عبدي فاذا قال اياك نعبد واياك نستعين قال هذا
بيني وبين عبدي فاذا قال اهدنا الصراط المستقيم قال الله هذا لعبدي ولعبدي
ما سال فالصلوة صلة بين العبد وبين الرب وما كان صلة بينه وبين الله فحق العبد
ان يكون خاشعا لصولة الربوبية على العبودية وقد ورد ان الله تعالى اذا تجلى
لشيء خضع له ومن تحقق بالصلة في الصلوة تلمع له طوالع التجلي فيخشع و
الفلاح للذين هم في صلوتهم خاشعون وبانتفاء الخشوع ينتفي الفلاح وقال الله تعالى
واقم الصلوة لذكري وان كانت الصلوة للذكر كيف يسيغ فيها النسيان وقال
الله تعالى لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون فمن قال ولا يعلم
ما يقول كيف يصلي وقد نهاه الله تعالى عن ذلك فالسكران يقول الشيء لا بحضور
عقل فهو كالسكران وقيل في غرايب التفسير في قوله تعالى اخلع نعليك انك بالواد
المقدس طوى قيل نعليك همك بامرأتك وغنمك فالاهتمام بغير الله سكر في الصلوة
وقيل كان اصحاب رسول الله يرفعون ابصارهم الى السماء في الصلوة وينظرون يمينا
وشمالا فلما نزلت الذين هم في صلوتهم خاشعون جعلوا وجوههم حيث يسجدون
وما راى بعد ذلك احد منهم ينظر الا الى الارض روى ابو هريرة عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان العبد اذا قام الى الصلوة فانه بين يدي الرحمن فاذا التفت قال له
الرب الى من تلتفت الى من هو خير لك مني ابن آدم اقبل الي فانا خير لك ممن تلتفت اليه
وابصر رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يعبث بلحيته في الصلوة فقال لو خشع قلب
هذا خشعت جوارحه وقد قال رسول الله اذا صليت صلوة فصل صلوة مودع فالمصلي
سائر الى الله بقلبه يودع هواه ودنياه وكل شيء سواه والصلوة في اللغة هي الدعاء

فكان المصلي يدعو الله بجميع جوارحه فصارت اعضاؤه كلها السنة يدعو بها
ظاهرا وباطنا ويشارك الظاهر والباطن بالتضرع والتقلب في الهيآت تملقا
متضرع سائل محتاج فاذا دعا بكليته اجابه مولاه لانه وعد وقال ادعوني استجب
لكم كان خلد الربعي يقول عجبت لهذه الآية ادعوني استجب لكم امرهم بالدعاء
ووعدهم بالاجابة ليس بينهما شرط والاستجابة والاجابة هو نفوذ دعاء العبد
فان الداعي الصادق العالم بمن يدعوه بنور يقينه تخرق الحجب وتقف
الدعوة بين يدي الله عز وجل متقاضية للحاجة وخص الله تعالى هذه الامة
بانزال فاتحة الكتاب وفيها تقديم الثناء على الدعاء ليكون اسرع الى الاجابة
وهي تعليم الله عباده كيفية الدعاء وفاتحة الكتاب هي السبع المثاني والقرآن
العظيم قيل سميت مثاني لانها نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين
مرة بمكة ومرة بالمدينة وكان لرسول الله بكل مرة نزلت منها فهم آخر بل كان لرسول
الله صلى الله عليه وسلم بكل مرة يقرؤها على التردد مع طول الزمان فهم آخر
وهكذا المصلون المحققون من قراءته ينكشف لهم عجايب اسرارها وتقذف لهم
كل مرة درر بحارها وقيل سميت مثاني لانها استثنيت من الرسل وهي سبع
آيات وروت ام رومان قالت رآني ابو بكر وانا اتميل في الصلوة فزجرني
زجرا كدت ان انصرف عن صلوتي ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول اذا قام احدكم الى الصلوة فليسكن اطرافه ولا يتميل تميل اليهود فان سكون
الاطراف من تمام الصلوة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعوذ بالله من خشوع
النفاق قيل وما خشوع النفاق قال خشوع البدن ونفاق القلب فاما تميل اليهود
قيل كان موسى يعامل بني اسرائيل على ظاهر الامور لقلة ما في باطنهم وكان يهيب الامور
ويعظمها ولهذا المعنى اوحى الله تعالى اليه ان يحلي التورية بالذهب قال الشيخ
رضي الله عنه وقع لي والله اعلم ان موسى عليه السلام كان يرد عليه الوارد
في صلوته ومحال مناجاته فيموج به باطنه بحرا لكن تهب عليه الرياح فيتلاطم

الامواج فكان تمايل موسى لتلاطم امواج بحر القلب اذا هبت عليه نسمات الفضل
وربما كانت الروح تتطلع الى الحضرة الالهية فيهم بالاستعلاء وللقالب بها
تشبك وامتزاج فيضطرب القالب ويتمايل لذلك وقرات اليهود ظاهرة فتمايلوا من غير
حظ لبواطنهم من ذلك ولهذا المعنى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انكارا
على الوسوسة هكذا خرجت عظمة الله من قلوب بني اسرائيل حتى شهدت ابدانهم
وغابت قلوبهم لا يقبل الله صلوة امرئ لا يشهد فيها قلبه كما يشهد بدنه وان الرجل
على صلوته دايم ولا يكتب له عشرها اذا كان قلبه ساهيا لاهيا واعلم ان الله سبحانه
اوجب الصلوة الخمس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوة عماد الدين
فمن ترك الصلوة فقد كفر فالصلوة تحقيق العبودية واداء حق الربوبية
وساير العبادات وسايل الى تحقيق سر الصلوة قال سهل بن عبد الله التستري
يحتاج العبد الى السنن الرواتب لتكميل الفرايض ويحتاج الى النوافل
لتكميل السنن ويحتاج الى الاداب لتكميل النوافل ومن الادب ترك الدنيا
والذي ذكره سهل هو معنى ما قال عمر على المنبر ان الرجل ليشيب عارضاه
في الاسلام وما اكمل لله صلوة قيل وكيف ذلك قال لا يتم خشوعها وتواضعها
واقباله على الله فيها وقد ورد في الاخبار ان العبد اذا قام الى الصلوة
رفع الله تعالى الحجاب بينه وبينه وواجهه بوجهه الكريم وقامت الملائكة
من لدن منكبيه الى الهواء يصلون بصلوته ويؤمنون على دعائه وان
المصلي لينثر عليه من البر من عنان السماء الى مفرق راسه ويناديه
مناد لو علم المصلي من يناجي ما التفت او ما انفتل وقد جعل الله تعالى للمصلين
في كل ركعة ما فرق على اهل السموات فلله ملائكة في الركوع منذ خلقهم
الله تعالى لا يرفعون من الركوع الى يوم القيامة وهكذا في السجود
والقيام والقعود والعبد المتيقظ يتصف في ركوعه بصفة الراكعين
منهم وفي السجود بصفة الساجدين وفي كل هيئة هكذا ويصير كالواحد منهم

وبينهم

وبينهم وفي غير الفريضة ينبغي للمصلي ان يمكث في ركوعه متلذذا بالركوع غير
مهتم بالرفع منها فان طرقته سامة بحكم الجبلة استغفر منها ويستديم الهيئة
ويتطلع الى ان يذوق الخشوع اللايق بهذه الهيئة ليصير قلبه بلون الهيئة
وربما يترايا للراكع المحق انه ان يبق همه في حال الركوع والسجود الى الرفع
منهما وفي الهيئة حقها فيكون همه لحظته مستغرقا فيها مشغولا بها عن
غيرها من الهيات فبذلك توفر حظه من بركة كل هيئة فان الشرعة التي
يقاضيها الطبع تسد باب الفتوح وتقف في مهاب النفحات الالهية
حتى يتكامل حظ العبد فينمحي آثاره بحر الاسترسال ويستقر في مقعد الوصال
وقيل في الصلوة اربع هيات وستة اذكار فالهيات الاربع القيام
والقعود والركوع والسجود والاذكار الستة التلاوة والتسبيح والحمد
والاستغفار والدعاء والصلوة على النبي عليه الصلوة والسلام فصارت عشرة
كاملة وتفرق هذه العشرة على عشرة صفوف من الملايكة كل صف عشرة الف
فيجتمع في الركعتين ما تفرق على ماية الف من الملايكة والله اعلم

الباب السابع والثلثون في وصف صلوة اهل القرب

ونذكر في هذا الفصل كيفية الصلوة بهياتها وشروطها وادابها الظاهرة
والباطنة على الكمال باقصى ما انتهى اليه فهمنا وعلمنا على الوجه مع الاعراض عن
نقل الاقاويل في كل شيء من ذلك اذ في ذلك كثرة ويخرج عن حد الاختصار والايجاز
المقصود فنقول وبالله التوفيق ينبغي للعبد ان يستعد للصلوة قبل دخول وقتها
بالوضوء ولا يوقع الوضوء في وقت الصلوة فذلك من المحافظة عليها ويحتاج في معرفة
الوقت الى معرفة الزوال وتفاوت الاقدام لطول النهار وقصره ويعتبر الزوال بان
الظل ما دام في الانتقاص فهو النصف الاول من النهار فاذا اخذ الظل في الازدياد
فهو النصف الاخير وقد زالت الشمس فاذا عرفت الزوال وان الشمس على كم قدم تزول
يعرف اول الوقت وآخره ووقت العصر ويحتاج الى معرفة المنازل ليعلم طلوع الفجر

ويعلم اوقات الليل وشرح ذلك يطول ويحتاج الى ان تفرد له باب فاذا دخل
وقت الصلوة يقدم السنة الراتبة ففي ذلك سر وحكمة وذلك والله اعلم
ان العبد تشعث باطنه وتفرق همه بما يلى به من المخالطة مع الناس وقيامه
بمهام المعاش وسهو جرى بوضع الجبلة او صرفهم الى اكل او نوم بمقتضى العادة
فاذا قدم السنة ينجذب باطنه الى الصلوة ويتهيأ للمناجاة ويذهب بالسنة
الراتبة اثر الغفلة والكدورة من الباطن فيصلح الباطن ويصير مستعدا
للفريضة فالسنة مقدمة صالحة تستنزل البركات وتطرق النفحات
ثم يجدد التوبة مع الله تعالى عند الفريضة عن كل ذنب عمله ومن الذنوب
عامة وخاصة فالعامة الكباير والصغاير مما اومى اليه الشرع ونطق به
الكتاب والسنة والخاصة ذنوب حال الشخص ولكل عبد على قدر صفاء
حاله له ذنوب تلايم حاله وتعرفها صاحبها وقيل حسنات الابرار سيئات المقربين
ثم لا يصلي الا جماعة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تفضل صلوة الجماعة
صلوة الفذ بسبع وعشرين درجة ثم يستقبل القبلة بظاهره والحضرة
الالهية بباطنه ويقرأ قل اعوذ برب الناس ويقرأ في نفسه اية التوجه
وهذا التوجه قبل الصلوة والاستفتاح قبل الصلوة لوجه الظاهر بانصرافه
الى القبلة وتخصيص جهة بالتوجه دون جهة للصلوة ثم يرفع يديه حذو منكبيه
بحيث تكون كفاه حذو منكبيه وابهاماه عند شحمتي اذنيه ورؤس الاصابع
مع الاذنين ويضم الاصابع وان نشرها جاز والضم اولى فانه قيل النشر نشر
الكف لا نشر الاصابع ويكبر ولا يدخل بين باء اكبر ورائه الفا ويجزم الاكبر
ويجعل المد في الله ولا يبالغ في ضم الهاء من الله ولا يبتدئ بالتكبير الا اذا
استقرتا اليدان حذو المنكبين ويرسلهما مع التكبير من غير نفض فالوقار
اذا سكن القلب تشكلت به الجوارح وتايدت بالاولى والاصوب ويجمع
بين نية الصلوة والتكبير بحيث لا يغيب عن قلبه حالة التكبير انه يصلي الصلوة

بعينها

بعينها حكى عن الجنيد انه قال لكل شيء صفوة وصفوة الصلوة التكبيرة
الاولى وانما كانت التكبيرة الاولى صفوة لانها موضع النية واول الصلوة قال
ابو نصر السراج سمعت ابن سالم يقول النية بالله لله ومن الله والافات التي
تدخل في صلوة العبد بعد النية من الحدق ونصيب العدو وان كثرت لا توازن
بالنية التي هي لله وبالله ومن الله وان قل وسئل ابو سعيد الخراز كيف
الدخول في الصلوة فقال هو ان تقبل على الله تعالى كاقبالك عليه يوم القيامة
ووقوفك بين يدي الله ليس بينك وبينه ترجمان وهو مقبل عليك وانت
تناجيه وتعلم بين يدي من انت واقف فانه الملك العظيم وقيل لبعض العارفين
كيف تكبر التكبيرة الاولى فقال ينبغي اذا قلت الله اكبر ان يكون مصحوبك
في الله التعظيم مع الالف والهيبة مع اللام والمراقبة والقرب مع الهاء
ولعلم ان من الناس من اذا قال الله اكبر غاب في مطالعة العظمة والكبرياء
وامتلا باطنه نورا وصار الكون باسره في فضاء شرح صدره كخردلة بارض
فلاة ثم تلقى الخردلة فما يخشى من الوسوسة وحديث النفس وما يتخايل في الباطن
هو من الكون الذي صار بمثابة الخردلة والقيت فكيف تزاحم الوسوسة
مثل هذا العبد وقد تزاحم مطالعة العظمة والغيبوبة في ذلك كون النية
غير انه لغاية لطف الحال تختص الروح بمطالعة العظمة والقلب تميز بالنية
فيكون النية موجودة بالطف صفاتها مندرجة في نور العظمة اندراج
الكوكب في ضوء الشمس ثم يقبض بيده اليمنى يده اليسرى ويجعلهما بين
السرة والصدر واليمنى لكرامتها يجعل فوق اليسرى ويمد المسبحة والوسطى
على الساعد ويقبض بالثلثة البواقي اليسرى من الطرفين وقد فسر امير
المومنين علي رضوان الله عليه قوله تعالى فصل لربك وانحر قال انه وضع
اليمين على الشمال تحت الصدر وذلك ان تحت الصدر عرقا يقال له الناحر
اي ضع يدك على الناحر وقال بعضهم وانحر استقبل القبلة بنحرك وفي ذلك

سر خفي يكاشف به من وراء استار الغيب وذلك ان الله تعالى بلطف حكمته
خلق الادمي وشرفه وكرمه وجعله محل نظره ومورد وحيه ونخبة ما في
ارضه وسمائه روحانيا جسمانيا ارضيا سماويا منتصب القامة مرتفع الهيئة
فنصفه الفوقاني من حد الفواد مستودع اسرار السموات ونصفه
التحتاني مستودع اسرار الارض فمحل نفسه ومركزها النصف الاسفل ومحل
روحها الروحاني والقلب النصف الاعلى فجواذب الروح مع جواذب النفس
يتطاردان ويتجاذبان وباعتبار تطاردهما وتغالبهما لمة الملك ولمة الشيطان
ووقت الصلوة يكثر التطارد لوجود التجاذب بين الايمان والطبع فيكاشف
المصلي الذي صار قلبه سماويا مترددا بين الفناء والبقاء بجواذب النفس
متصاعدة من مركزها وللجوارح وتصرفها وحركتها مع معاني الباطن ارتباط
وموازنة فبوضع اليمين على الشمال حصر النفس ومنع من صعود جواذبها واثر
ذلك يظهر بدفع الوسوسة وزوال حديث النفس في الصلوة ثم اذا استولت
جواذب الروح وتمكنت من الفرق الى القدم عند كمال الانس وتحقق قرة العين
واستيلاء سلطان المشاهدة تصير النفس مقهورة ذليلة ويستدير مركزها بنور
الروح فينقطع حينئذ جواذب النفس وعلى قدر استنارة مركز النفس يزول
كل العبادة ويستغني حينئذ عن مقاومة النفس ومنع جواذبها بوضع اليمين
على الشمال فيسبل حينئذ ولعل لذلك والله اعلم ما نقل عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه صلى مسبلا وهو مذهب مالك ثم يقرأ وجهت وجهي الاية وهذا التوجه
آنفا لوجه قلبه والذي قبل الصلوة لوجه قالبه ثم يقول سبحانك اللهم وبحمدك
وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك اللهم انت الملك لا اله الا انت انت
ربي وانا عبدك ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي جميعا انه لا يغفر
الذنوب الا انت واهدني لاحسن الاخلاق فانه لا يهدي لاحسنها الا انت
واصرف عني سيئها فانه لا يصرف عني سيئها الا انت لبيك وسعديك والخير كله

بيديك

بيديك والشر ليس اليك انا بك واليك تباركت وتعاليت استغفرك واتوب
اليك ويطرق راسه في قيامه ويكون نظره الى موضع السجود ويكمل القيام بانتصاب
القامة وترك يسير الانطواء من الركبتين والخواصر ومعاطف البدن ويقف كانه
ناظر بجميع جسده الى الارض فهذا من خشوع ساير الاجزاء ويكون الجسد بلون
القلب من الخشوع ويراوح بين القدمين مقدار اربع اصابع فان ضم الكعبين هو
الصفد المنهي عنه ولا يرفع احدى الرجلين فانه الصفن المنهي عنه نهى رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن الصفن والصفد واذا كان الصفد منهيا عنه
ففي زيادة الاعتماد على احدى الرجلين دون الاخر معنى من الصفن فالاولى رعاية
الاعتدال في الاعتماد على الرجلين جميعا ويكره اشتمال الصماء وهو ان يخرج
يده من قبل صدره ويجتنب السدل وهو ان يرخي اطراف الثوب الى الارض
ففيه معنى الخيلاء وقيل هو الذي يلتف بالثوب ويجعل يديه من داخل فيركع
ويسجد كذلك وفي معناه اذا جعل يديه داخل القميص ويجتنب الكف
وهو ان يرفع ثيابه بين يديه عند السجود ويكره الاختصار وهو ان يجعل يده على
الخاصرة ويكره الصلب وهو وضع اليدين جميعا على الخصرين ويجافي
العضدين فاذا وقف في الصلوة على الهيئة التي ذكرناها مجتنبا للمكاره
فقد تم القيام وكمله فيقرأ التوجه والدعاء كما ذكرنا ثم يقول اعوذ بالله
من الشيطان الرجيم ويقولها في كل ركعة امام القراءة ويقرأ الفاتحة
وما يقرأ بعدها بحضور قلب وجمع هم ومواطاة بين القلب واللسان
بحظ وافر من الوصلة والدنو والهيبة والخشوع والخشية والتعظيم والوقار
والمشاهدة والمناجاة وان قرأ بين الفاتحة وما يقرأ بعدها اذا كان اماما
في السكتة الثانية اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب
ونقني من الخطايا كما ينقى الثوب الابيض من الدنس اللهم اغسل خطاياي بالماء
والثلج والبرد فحسن وان قالها في السكتة الاولى فحسن روى عن النبي صلى الله عليه وسلم

مشاهد السالك المراتب الثلث الغسل بالماء اي بنور هو كالماء ينجي به كدورات الطبيعة والغسل بالثلج اي بنور اصفى وازهر هو كالثلج يزول به ظلمات صفات النفس والغسل بالبرد اي بنور اصفى من الاصفى يصقل به القلب من غبار الالتفات الى الغير ١٢

انه قال ذلك فان كان منفردا يقولها قبل القراءة ويعلم العبد ان تلاوته نطق اللسان
ومعناها نطق القلب وكل مخاطب لشخص يتكلم بلسانه ولسانه يعبر عما في قلبه
ولو امكن للمتكلم افهام من يكلمه من غير لسان فعل ولكن حيث تعذر الافهام
الا بالكلام جعل اللسان ترجمانا فاذا قال باللسان من غير مواطاة القلب
فما اللسان ترجمان ولا القارئ متكلم قاصدا اسماع الله حاجته ولا مستمع
الى الله فاهم عنه سبحانه ما يخاطبه وما عنده غير حركة اللسان بقلب غايب
عن قصد ما يقول فلا يكون متكلما مناجيا ولا مستمعا واعيا فاقل مراتب اهل
الخصوص في الصلوة الجمع بين القلب واللسان في التلاوة ووراء ذلك احوال
للخواص يطول شرحها قال بعضهم ما دخلت في صلوة قط فاهمني فيها غير ما اقول
وقيل لعامر بن عبد الله هل تجد في الصلوة شيا من امر الدنيا فقال لان تختلف
على الاسنة احب الي من ان اجد في الصلوة ما تجدون وقيل لبعضهم هل تحدث
نفسك في الصلوة بشي من الدنيا فقال لا في الصلوة ولا في غيرها فمن الناس من
اذا اقبل على الله في صلوته تحقق بمعنى الانابة لان الله تعالى قدم الانابة وقال
منيبين اليه واتقوه واقيموا الصلوة فينيب الى الله تعالى ويتقي الله بالتبري
عما سواه ويقيم الصلوة بصدر منشرح بالاسلام وقلب منفسح بنور الانعام
فيخرج الكلمة من القرآن من لسانه ويسمعها بقلبه فتقع الكلمة في فضا قلب
ليس فيه غير ها فيتملكها القلب بحسن الفهم ولذاذة الاصغاء ويتشربها بحلاوة
الاستماع وكمال الوعي ويدرك لطيف معناها وشريف نجواها معاني تلطف عن
تفصيل الفكر ويتشكل بخفي الذكر ويصير الظاهر من معاني القرآن قوتا للنفس
والنفس المطمئنة متعوضة بمعاني القرآن عن حديثها لكونها معاني ظاهرة
متوجهة الى عالم الحكمة والشهادة بقرب مناسبتها من النفس المكونة لاقامة
رسم الحكمة ومعاني القرآن الباطنة التي يكاشف بها من الملكوت قوت القلب
وتخلص الروح المقدس الى اوايل سرادقات الجبروت بمطالعة عظمة المتكلم

ومثل

وبمثل هذه المطالعة يكون كمال الاستغراق في لجج الاشواق كما نقل عن مسلم
ابن يسار انه صلى ذات يوم في مسجد البصرة فوقعت اسطوانة تسامع بسقوطها
اهل السوق وهو واقف في الصلوة لم يعلم بذلك ثم اذا اراد الركوع يفصل
بين القراءة والركوع ثم يركع منطوي القامة والنصف الاسفل بحاله في القيام
من غير انطواء الركبتين ويجافي مرفقيه عن جنبيه ويمد عنقه مع ظهره ويضع
راحتيه على ركبتيه منشورة الاصابع روى مصعب بن سعد قال صليت
الى جنب سعد بن مالك فجعلت يدي بين ركبتي وبين فخذي فطبقتهما فضرب
بيدي وقال اضرب بكفيك على ركبتيك وقال يا بني انا كنا نفعل ذلك فامرنا
ان نضرب بالاكف على الركب ويقول سبحان ربي العظيم ثلثا وهو ادنى الكمال
والكمال ان يقول عشرا وما ياتي به من العدد يكون بعد التمكن من الركوع ومن
غير ان يمزج آخره بذلك بالرفع ويرفع يديه للركوع وللرفع من الركوع ويكون في
ركوعه ناظرا نحو قدميه فهو اقرب الى الخشوع من النظر الى موضع السجود
وانما ينظر الى موضع سجوده في قيامه ويقول بعد التسبيح اللهم لك ركعت
ولك خشعت وبك امنت ولك اسلمت خشع سمعي وبصري وعظمي ومخي وعصبي
ويكون قلبه في الركوع بمعنى الركوع من التواضع والاخبات ثم يرفع راسه
قايلا سمع الله لمن حمده عالما بقلبه ما يقول فاذا استوى قايما يحمد ويقول ربنا
لك الحمد ملء السموات وملء الارض وملء ما شئت من شيء بعد ثم يقول اهل الثناء
والمجد حق ما قال العبد كلنا لك عبد لا مانع لما اعطيت ولا معطي لما منعت
ولا ينفع ذا الجد منك الجد فان طال في النافلة القيام بعد الرفع من الركوع
فليقل لربي الحمد مكررا ذلك مهما شاء فاما في الفرض فلا يطول تطويلا يزيد
على الحد زيادة بينة ويقنع في الرفع من الركوع بتمام الاعتدال باقامة الصلب
ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا ينظر الله الى من لا يقيم صلبه بين
الركوع والسجود ثم يهوي ساجدا ويكون في هويه مكبرا متيقظا حاضرا خاشعا

عالما بما يهوى فيه واليه وله فمن الساجدين من يكاشف انه يهوى لى تخوم
الارضين متغيبا فى اجزاء الملك لامتلاء قلبه من الحياء واستشعار روحه
عظيم الكبرياء كما ورد ان جبريل تستر بخافقة من جناحه حياء من الله تعالى
ومن الساجدين من يكاشف انه يطوى بسجوده بساط الكون والمكان
ويسرح قلبه فى فضاء الكشف والعيان فيهوى دون هويه اطباق السموات
وتمحى لقوة شهوده تماثيل الكائنات ويسجد على طرف رداء العظمة
وذلك اقصى ما ينتهى اليه طاير الهمة البشرية ويفى بالوصول اليه القوى
الانسانية ويتفاوت الانبياء والاولياء فى مراتب العظمة واستشعارها
لكل منهم على قدره حظ من ذلك وفوق كل ذى علم عليم ومن الساجدين من يتسع
وعاؤه وينتشر ضياؤه ويحظى بالصفتين ويبسط الجناحين فيتواضع بقلبه
اجلالا ويرفع بروحه اكراما وافضالا فيجتمع له الانس والهيبة والحضور
والغيبة والفرار والقرار والاسرار والجهار فيكون فى سجوده سابحا فى بحر
شهوده لم يتخلف منه عن السجود شعرة كما قال سيد البشر فى سجوده سجد
لك سوادى وخيالى ولله يسجد من فى السموات والارض طوعا وكرها فالطوع
للروح والقلب لما فيهما من الاهلية والكره من النفس لما فيهما من الجنبية
ويقول فى سجوده سبحان ربى الاعلى ثلثا الى العشر الذى هو الكمال ويكون
فى السجود مفتوح العينين لانهما يسجدان وفى الهوى يضع ركبتيه ثم
يديه ثم جبهته وانفه ويكون ناظرا الى ارنبة انفه فى السجود فهو ابلغ فى
الخشوع للساجد ويباشر بكفيه المصلى لا يلفهما فى الثوب ويكون راسه
بين كفيه ويداه حذو منكبيه غير متيامن ومتياسر بهما ويقول بعد التسبيح
اللهم لك سجدت وبك امنت ولك اسلمت سجد وجهى للذى خلقه وصوره
وشق سمعه وبصره فتبارك الله احسن الخالقين وروى امير المومنين على رضى الله
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول فى سجوده ذلك وان قال سبوح قدوس

رب

رب الملائكة والروح فحسن روت عايشة رضى الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان يقول فى سجوده ذلك ويجافى مرفقيه عن جنبيه ويوجه اصابعه فى السجود
نحو القبلة ويضم اصابع كفيه مع الابهام ولا يفرش ذراعيه على الارض ثم يرفع
راسه مكبرا ويجلس على رجله اليسرى وينصب اليمنى موجها بالاصابع الى القبلة
ويضع اليدين على الفخذين من غير تكلف ضمها وتفريجها ويقول رب اغفر لى
وارحمنى واهدنى واجبرنى وعافنى واعف عنى ولا يطيل هذه الجلسة فى الفريضة
اما فى النافلة فلا باس مهما اطال قال رب اغفر وارحم مكررا ذلك ثم يسجد السجدة
الثانية مكبرا ويكره الاقعاء فى القعود وهو ههنا ان يضع اليتيه على عقبيه
ثم اذا اراد النهوض الى الركعة الثانية يجلس جلسة خفيفة للاستراحة
ويفعل فى بقية الركعات هكذا ثم يتشهد وفى الصلوة سر المعراج وهو
معراج القلوب والتشهد مقر الوصول بعد قطع مسافات الهيات
على تدريج طبقات السموات والتحيات سلام على رب البريات فليذهن
لما يقول ومع من يقول وكيف يقول ويسلم على النبى عليه الصلوة والسلام
ويمثله بين عينى قلبه ويسلم على عباد الله الصالحين فلا يبقى عبد فى السماء
والارض من عباد الله الصالحين الا يسلم عليه بالنسبة الروحية والخاصية
الفطرية ويضع يده اليمنى على فخذه اليمنى مقبوضة الاصابع الا المسبحة
ويرفع المسبحة فى الشهادة فى الا الله لا فى كلمة النفى ولا يرفعها منتصبة بل
مايلة براسها الى الفخذ منطوية فهذه هيئة خشوع المسبحة ودليل سراية خشوع
القلب اليها ويدعو فى اخر صلوته لنفسه وللمومنين وان كان اماما ينبغى ان لا ينفرد
بالدعاء بل يدعو لنفسه ولمن وراءه فان الامام المتيقظ فى الصلوة كالحاجب دخل
على سلطان وراءه اصحاب الحوايج يسيل لهم ويعرض حاجاتهم والمومنون كالبنيان
يشد بعضهم بعضا وبهذا وصفهم الله تعالى فى كلامه فقال كانهم بنيان مرصوص
وفى وصف هذه الامة فى الكتب السالفة صفهم فى صلوتهم كصفهم فى قتالهم

اخبرنا

حدثنا بذلك شيخنا ضياء الدين ابو النجيب السهروردي املاء قال انا ابو عبد الله محمد بن عيسى
ابن شعيب الماليني انا ابو الحسن عبد الرحمن بن محمد بن المظفر الواعظ قال انا ابو محمد
عبد الله بن احمد السرخسي انا ابو عمران عيسى بن عمر بن العباس السمرقندي انا ابو محمد
عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي انا مجاهد بن موسى قال ثنا معن هو ابن عيسى
انه سال كعب الاحبار كيف تجد نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في التورية
قال نجد محمد بن عبد الله يولد بمكة ويهاجر بطيبة ويكون ملكه بالشام وليس بفحاش
ولا سخاب في الاسواق ولا يكافي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح امته
الحمادون يحمدون الله تعالى في كل سراء ويكبرون الله تعالى على كل نجد يوضئون
اطرافهم ويأتزرون في اوساطهم يصفون في صلوتهم كما يصفون في قتالهم دويهم
في مساجدهم كدوي النحل يسمع مناديهم في جو السماء فالامام في الصلوة مقدمة
الصف في محاربة الشيطان فهو اولى المصلين بالخشوع والاتيان بوظايف
الادب ظاهرا وباطنا والمصلون المتيقظون كلما اجتمعت ظواهرهم تجتمع بواطنهم
وتتناصر وتتعاضد ويسري من البعض الى البعض انوار وبركات بل جميع المؤمنين
المصلين في اقطار الارض بينهم تعاضد وتناصر بحسب القلوب ونسب الاسلام
ورابطة الايمان بل امدهم الله تعالى بالملائكة الكرام كما امد رسول الله بالملئكة
المسومين فحاجتهم الى محاربة الشيطان امس من حاجاتهم الى محاربة الكفار
ولهذا كان يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد
الاكبر فيتداركهم الاملاك بل بانفاسهم الصادقة يتماسك الافلاك فاذا اراد الخروج
من الصلوة يسلم عن يمينه وينوي مع التسليم الخروج من الصلوة والسلام
على الملئكة والحاضرين من المؤمنين ومؤمني الجن ويجعل خده بينا لمن على
يمينه بالتواء عنقه ويفصل بين هذا السلام والسلام عن يساره فقد ورد
النهي عن المواصلة والمواصلة خمس اثنان تختص بالامام وهو ان لا يواصل القراءة
بالتكبير والركوع بالقراءة واثنان على الماموم وهو ان لا يواصل تكبيرة الاحرام

ولا صخاب

بتكبيرة

بتكبيرة الامام ولا تسليمه بتسليمه وواحدة على الامام والماموم وهو ان لا يواصل
تسليم الفرض بتسليم النفل ويجزم التسليم ولا يمده مدا ثم يدعو بعد التسليم
بما شاء من امر دينه ودنياه ويدعو قبل التسليم ايضا في صلب الصلوة فانه
يستجاب ومن اقام الصلوات الخمس في جماعة فقد ملا البر والبحر عبادة وكل
المقامات والاحوال زبدتها الصلوات الخمس وهي سر الدين وكفارة الموجز
وتمحيص الخطايا على ما اخبرنا شيخنا ضياء الدين ابو النجيب السهروردي اجازة
قال انا ابو منصور محمد بن عبد الملك بن خيرون انا ابو محمد الحسن بن علي الجوهري
اجازة انا ابو عمرو محمد بن العباس بن زكريا قال ثنا ابو محمد يحيى بن محمد بن صاعد ثنا
الحسين بن الحسن المروزي انا عبد الله بن المبارك انا يحيى بن عبيد الله قال سمعت ابي
يقول سمعت ابا هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوات كفارات
للخطايا واقرؤا ان شئتم ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين

الباب الثامن والثلثون في ذكر اداب الصلوة واسرارها

احسن اداب المصلي ان لا يكون مشغول القلب بشيء قل او كثر لان الاكياس لم يرفضوا
الدنيا الا ليقيموا الصلوة كما امروا لان الدنيا واشغالها لما كانت شاغلة للقلب
رفضوها غيرة على محل المناجاة ورغبة في اوطان القربات واذعانا بالباطن
لرب البريات لان حضور الصلوة بالظاهر اذعان الظاهر وفراغ القلب
في الصلوة عما سوى الله تعالى اذعان الباطن فلم يروا حضور الظاهر وتخلف
الباطن حتى لا يختل اذعانهم فتنخرم عبوديتهم فيجتنب ان يكون باطنه مرتهنا بشيء
ويدخل الصلوة وقيل من فقه الرجل ان يبدا بقضاء حاجته قبل الصلوة ولهذا
ورد اذا حضر العشا والعشا فقدموا العشا على العشا ولا يصلي وهو حاقن
يطالبه البول والحازق يطالبه الغايط والخرق ايضا ضيق الخف ولا يصلي
ايضا وخفه ضيق يشغل قلبه فقد قيل لا راي لحازق قيل الذي يكون خفه
ضيقا وفي الجملة ليس من الادب ان يصلي وعنده ما يغير مزاج باطنه عن الاعتدال

كهذه الاشياء التي ذكرناها والاهتمام المفرط والغضب في الخبر لا يدخل احدكم
في الصلوة وهو مقطب ولا يصلين احدكم وهو غضبان فلا ينبغي للعبد ان
يتلبس بالصلوة الا وهو على اتم الهيآت واحسن لبسة المصلي سكون الاطراف
وعدم الالتفات والاطراق ووضع اليمين على الشمال فما احسنها من هيئة عبد
ذليل واقف بين يدي ملك عزيز وفي رخصة الشرع دون ثلث حركات متواليات
جايز وارباب العزيمة يتركون الحركة في الصلوة جملة وقد حركت يدي في الصلوة
وعندي شخص من الصالحين فلما انصرفت من الصلوة انكر علي وقال عندنا
ان العبد اذا وقف في الصلوة ينبغي ان يبقى جمادا مجمدا لا يتحرك منه شيء وقد
في الخبر سبعة اشياء في الصلوة من الشيطان الرعاف والنعاس والوسوسة
والتثاوب والحكاك والالتفات والعبث بالشيء وقيل السهو والشك وقد روي
عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انه قال ان الخشوع في الصلوة ان لا يعرف
المصلي من على يمينه وشماله ونقل عن سفين انه قال من لم يخشع فسدت صلوته
وروي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه اشد من ذلك قال من عرف من عن يمينه وشماله
في الصلوة متعمدا فلا صلوة له وقال بعض العلماء من قرأ كلمة مكتوبة في حايط
او بساط في صلوته فصلوته باطلة قال بعضهم لان ذلك عدوه عملا وقيل في تفسير
قوله تعالى والذين هم على صلوتهم دائمون قيل هو سكون الاطراف والطمانينة
قال بعضهم اذا كبرت التكبيرة الاولى فاعلم ان الله ناظر الى شخصك عالم بما في ضميرك
مثل في صلوتك الجنة عن يمينك والنار عن شمالك وانما ذكر ان يمثل الجنة والنار
لان القلب اذا شغل بذكر الاخرة ينقطع عنه الوسواس فيكون هذا التمثيل مداواة
للقلب لدفع الوسوسة اخبرنا شيخنا ضيا الدين ابو النجيب السهروردي اجازة
انا عمر بن احمد الصفار قال انا ابو بكر بن خلف انا ابو عبد الرحمن قال سمعت ابا الحسين
الفارسي يقول سمعت محمد بن الحسين يقول قال سهل من خلا قلبه من ذكر الاخرة
تعرض لوساوس الشيطان فاما من باشر باطنه صفو اليقين ونور المعرفة يستغني

شاهده

يشاهده عن تمثيل يشاهده قال ابو سعيد الخراز اذا ركع فالادب في ركوعه ان ينتصب ويدنو
ويتدلى في ركوعه حتى لا يبقى منه مفصل الا وهو منتصب نحو العرش ثم يعظم
الله تعالى حتى لا يكون في قلبه شيء اعظم من الله ويصغر في نفسه حتى يكون اقل
من الهباء فاذا رفع راسه وحمد الله يعلم انه سبحنه يسمع ذلك وقال ايضا ويكون
معه من الخشية ما يكاد يذوب قال السراج اذا اخذ العبد في التلاوة فالادب
في ذلك ان يشاهد بسمع قلبه كانه يسمع من الله ذكرا او كانه يقرا على الله وقال
السراج من ادبهم قبل الصلوة المراقبة ومراعاة القلب من الخواطر والعوارض
وذكر كل شيء وترك ذكر غير الله فاذا قاموا الى الصلوة بحضور القلب فكانهم
قاموا من الصلوة الى الصلوة فيبقون مع النفس والعقل اللذين دخلوا في الصلوة
بهما فاذا خرجوا من الصلوة رجعوا الى حالهم من حضور القلب فكانهم ابدا في الصلوة
فهذا هو ادب الصلوة وقيل كان بعضهم لا يتهيا له حفظ العدد من كمال الاستغراقه
وكان يجلس واحد من اصحابه يعدد عليه كم ركعة صلى وقيل للصلوة اربع شعب
حضور القالب في المحراب وشهود العقل عند الملك الوهاب وخشوع القلب
بلا ارتياب وخضوع الاركان بلا ارتقاب لان عند حضور القلب رفع الحجاب
وعند شهود العقل رفع العتاب وعند حضور النفس فتح الابواب وعند
خضوع الاركان وجود الثواب فمن اتى الصلوة بلا حضور القلب فهو مصلي
لاهي ومن اتاها بلا شهود العقل فهو مصلي ساهي ومن اتاها بلا حضور النفس
فهو مصلي خاطي ومن اتاها بلا خشوع الاركان فهو مصلي جافي ومن اتاها كما وصف
فهو مصلي وافي وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام العبد الى الصلوة
المكتوبة مقبلا على الله بقلبه وسمعه وبصره انصرف من صلوته وقد خرج من ذنوبه
كيوم ولدته امه وان الله ليغفر بغسل الوجه خطيئة اصابها وبغسل يديه خطيئة
اصابتهما وبغسل رجليه خطيئة اصابتهما حتى يدخل في صلوته وليس عليه وزر
وذكرت السرقة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اي السرقة اقبح قالوا

فقالوا

الله ورسوله اعلم فقال ان اقبح السرقة ان يسرق الرجل صلوته قالوا كيف يسرق الرجل
صلوته قال لا يتم ركوعها ولا سجودها ولا خشوعها ولا القراة فيها وروى عن عمرو
ابن العلا انه قدم للامامة فقال لا اصلح فلما الحوا عليه كبر فغشي عليه فقدموا
اماما آخر فلما افاق سئل فقال لما قلت استووا هتف بي هاتف هل استويت
انت مع الله قط وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا احسن الوضوء
وصلى الصلوة لوقتها وحافظ على ركوعها وسجودها ومواقيتها قالت الصلوة
حفظك الله كما حفظتني ثم صعدت ولها نور حتى ينتهي الى السماء وحتى تصل
الى الله فتشفع لصاحبها واذا اضاعها قالت ضيعك الله كما ضيعتني ثم صعدت
ولها ظلمة حتى تنتهي الى ابواب السماء فتغلق دونها ثم تلف كما تلف الثوب الخلق فيضرب
بها وجه صاحبها وقال ابو سليمن الداراني اذا وقف العبد في الصلوة يقول الله
ارفعوا الحجب فيما بيني وبين عبدي فاذا التفت يقول الله ارخوها فيما بيني وبينه
وخلوا عبدي وما اختار لنفسه وقال ابو بكر الوراق ربما اصلي فانصرف منها
وانا استحيي من الله تعالى حياء رجل انصرف من الزنا قوله هذا لعظيم الادب عنده
ومعرفة كل انسان بادب الصلوة على قدر حظه من القرب وقيل لموسى بن جعفر
ان الناس قد افسدوا عليك الصلوة بمرهم بين يديك قال ان الذي اصلي له اقرب
الي من الذي يمشي بين يدي وقيل كان زين العابدين علي بن الحسين رضي الله عنهما
اذا اراد ان يخرج الى الصلوة لا يعرف من تغير لونه فيقال له في ذلك فيقول
اتدرون بين يدي من اريد اقف وروى عمار بن ياسر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال لا يكتب للعبد من صلوته الا ما يعقل وقد ورد في لفظ آخر منكم من يصلي
الصلوة كاملة ومنكم من يصلي النصف والثلث والربع والخمس حتى يبلغ العشر
قال الخواص ينبغي للرجل ان ينوي نوافله لفرايضه فان لم ينوها لم تحسب له منها بلغنا
ان الله لا يقبل نافلة حتى يودي فريضته يقول الله مثلكم كمثل العبد السوء بدا
بالهدية قبل قضاء الدين وقال ايضا انقطع الخلق عن الله بخصلتين احدهما انهم

طلبوا

طلبوا النوافل وضيعوا الفرايض والثانية انهم عملوا اعمالا بالظواهر ولم ياخذوا
انفسهم بالصدق فيها والنصح لها وابى الله ان يقبل من عامل عملا الا بالصدق
واصابة الحق وفتح العين في الصلوة اولى من تغميض العين الا ان يتشتت همه
بتفريق النظر فيغمض العين للاستعانة على الخشوع وان يتثاوب في الصلوة يضم
شفتيه بقدر الامكان ولا يلزق ذقنه بصدره ولا يزاحم في الصلوة غيره فيبارك
المزحوم بصلوة الزاحم وقيل من ترك الصف الاول مخافة ان يضيق على اهله فقام
في الثاني لعطاه الله مثل ثواب الصف الاول من غير ان ينقص من اجورهم شيا
وقيل ان ابرهيم الخليل عليه السلم كان اذا قام الى الصلوة يسمع خفقان قلبه
من ميل وروت عايشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسمع من صدره
ازيز كازيز المرجل حتى كان يسمع في بعض سكك المدينة وسئل الجنيد ما فريضة
الصلوة قال قطع العلايق وجمع الهم والحضور بين يديه وقال الحسن ما ذا يعز
عليك من امر دينك اذا هانت عليك صلوتك وقيل اوحى الله تعالى الى بعض
الانبياء وقال اذا دخلت الصلوة فهب لي من قلبك الخشوع ومن بدنك الخضوع ومن
عينيك الدموع فاني قريب وقال ابو الخير الاقطع رايت رسول الله صلى الله
عليه وسلم في المنام فقلت يا رسول الله اوصني فقال يا ابا الخير عليك بالصلوة فاني
استوصيت ربي فاوصاني بالصلوة وقال ان اقرب ما تكون من ربك وانت تصلي
وقال ابن عباس ركعتان في تفكر خير من قيام ليلة وقيل ان محمد بن يوسف الفرغاني
راى حاتما الاصم واقفا يعظ الناس فقال له يا حاتم اراك تعظ الناس فتحسن
ان تصلي قال نعم قال كيف تصلي قال اقوم بالامر وامشي بالخشية وادخل بالهيبة
واكبر بالعظمة واقرا بالترتيل واركع بالخشوع واسجد بالتواضع واجلس للتشهد
بالتمام واسلم على السنة واسلمها الى ربي واحفظها ايام حيوتي وارجع باللوم
على نفسي واخاف ان لا يقبل مني وارجوا ان يقبل مني وانا بين الخوف والرجا واشكر
من علمني واعلمها من سالني واحمد ربي اذ هداني فقال محمد بن يوسف مثلك يصلح

ان يكون واعظا وقيل لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى قيل من حب الدنيا وقيل من
الاهتمام وقال عليه الصلوة والسلام من صلى ركعتين لم يحدث نفسه بشيء من الدنيا
غفر الله له ما تقدم من ذنبه وقال ايضا ان الصلوة تمسكن وتواضع
وتضرع وتنادم وترفع يديك وتقول اللهم اللهم فمن لا يفعل ذلك فهي خداج اي
ناقص وقد ورد ان المومن اذا توضأ للصلوة تباعدت عنه الشياطين في
اقطار الارض خوفا منه لانه يتاهب للدخول على الملك فاذا كبر حجب عنه ابليس
ويضرب بينه وبينه سرادق لا ينظر اليه وواجهه الملك الجبار بوجهه
واذا قال الله اكبر اطلع الملك في قلبه فاذا راه وليس في قلبه اكبر من الله عز وجل
فيقول صدقت الله تعالى في قلبك كما تقول ويتشعشع من قلبه نور يلحق بملكوت
العرش ويكشف له بذلك النور ملكوت السموات والارض ويكتب له حشو ذلك النور
حسنات وان الغافل الجاهل اذا قام الى الصلوة احتوشته الشياطين كما يحتوش
الذباب على نقطة العسل فاذا كبر اطلع الملك على قلبه فاذا كان في قلبه شيء
اكبر من الله عنده فيقول له كذبت ليس الله تعالى اكبر في قلبك كما تقول فيثور
من قلبه دخان يلتحق بعنان السماء فيكون حجابا لقلبه عن الملكوت فيزداد ذلك
الحجاب صلابة ويلتقم الشيطان قلبه فلا يزال ينفخ فيه وينفث ويوسوس اليه
ويزين حتى ينصرف من صلوته ولا يعقل ما كان فيه وفي الخبر لولا ان الشياطين
يحومون حول قلوب بني ادم لنظروا الى ملكوت السماء فالقلوب الصافية
التي كملت ادبها لكمال ادب قوالبها تصير سماوية يدخل بالتكبير في السماء كما يدخل
في الصلوة والله تعالى حرس السماء من تصرف الشياطين فالقلب السماوي
لا سبيل للشيطان اليه فينتفي هواجس نفسانية عند ذلك لا ينقطع بالتحصن
بالسماء كانقطاع تصرف الشيطان والقلوب المرادة بالقرب تدرج
بالتقريب وتعرج في طبقات السموات وفي كل طبقة من اطباق السماء تخلف
شيء من ظلمة النفس وبقدر ذلك يقل الهاجس الى ان يتجاوز السموات ويقف

امام

امام العرش فعند ذلك يذهب بالكلية هاجس النفس بساطع نور العرش
وتندرج ظلمات النفس في نور القلب اندراج الليل في النهار ويتأدى حينئذ
حقوق الآداب على وجه الصواب وما ذكرناه من ادب الصلوة يسير من كثير
وشان الصلوة اكبر من وصفنا واكمل من ذكرنا وقد غلط اقوام وظنوا ان
المقصود من الصلوة ذكر الله تعالى واذا حصل الذكر فاي حاجة الى الصلوة
وسلكوا طرقا من الضلال وركنوا الى اباطيل الخيال ومحوا الرسوم والاحكام
ورفضوا الحلال والحرام وقوم آخرون سلكوا في ذلك طريقا اداهم الى نقصان
الحال حيث سلموا من الضلال لانهم اعترفوا بالفرايض وانكروا فضل النوافل واغتروا
بيسير روح الحال واهملوا افضل الاعمال ولم يعلموا ان الله في كل هيئة من الهيآت
وكل حركة من الحركات اسرارا وحكما لا يوجد في شيء من الاذكار والاحوال
والاعمال روح وجثمان وما دام العبد في دار الدنيا فاعراضه عن الاعمال عين
الطغيان فالاعمال تزكوا بالاحوال والاحوال تنموا بالاعمال

الباب التاسع والثلثون في فضل الصوم وحسن اثره

روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الصبر نصف الايمان والصوم نصف
الصبر وقيل ما في عمل ابن آدم شيء الا ويذهب به برد المظالم الا الصوم فانه لا يدخله
قصاص ويقول الله عز وجل يوم القيامة هذا لي فلا يقتص احد منه شيئا وفي
الخبر الصوم لي وانا اجزي به قيل اضافه الى نفسه لان فيه خلقا من اخلاق
الصمدية وايضا لانه من اعمال السر من قبيل التروك لا يطلع عليه احد الا
الله وقيل في تفسير قوله تعالى السائحون هم الصائمون لانهم ساحوا الى الله بجوعهم
وعطشهم وقيل انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب هم الصائمون لان
الصبر اسم من اسماء الصوم ويفرغ للصائم افراغا ويجازف له مجازفة وقيل احد
الوجوه في قوله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون
كان عملهم الصوم وقال يحيى بن معاذ اذا ابتلي المريد بكثرة الاكل بكت عليه

الملايكة رحمة له ومن ابتلى بحرص الاكل فقد احرق بنار الشهوة وفي نفس ابن آدم
الف عضو من الشر كلها في كف الشيطان متعلق بها فاذا جوع بطنه واخذ حلقه
وروض نفسه ييبس كل عضو واحترق بنار الجوع وفر الشيطان من ظله واذا
اشبع بطنه وترك حلقه في لذايذ الشهوات فقد رطب اعضاءه وامكن الشيطان
والشبع نهر في النفس يرده الشياطين والجوع نهر في الروح يرده الملئكة
وينهزم الشيطان من جايع نايم فكيف اذا كان قايما ويعانق الشيطان شبعانا
قايما فكيف اذا كان نايما فعجب المريد الصادق يضرع الى الله من طلب النفس
الطعام والشراب دخل رجل على الطيالسي وهو ياكل خبزا يابسا قد بله بالماء
مع ملح جريش فقال له كيف تشتهي هذا قال ادعه حتى اشتهيه وقيل من اسرف
في مطعمه ومشربه يعجل الصغار والذل اليه في الدنيا قبل آخرته وقال بعضهم
الباب العظيم الذي يدخل منه الى الله قطع الغذاء وقال بشر ان الجوع يصفي الفؤاد
ويميت الهوى ويورث العلم الدقيق وقال ذو النون ما اكلت حتى شبعت ولا شربت
حتى رويت الا عصيت الله او هممت بمعصية وروى القاسم بن محمد عن عايشة رضي الله عنها
قالت كان ياتي علينا الشهر ونصف شهر ما يدخل بيتنا نار لا لمصباح ولا لغيره قال
قلت سبحان الله فباي شي كنتم تعيشون قالت التمر والماء وكان لنا جيران من الانصار
جزاهم الله خيرا كانت لهم منايح فربما ارسلوا بالشي وروي ان حفصة بنت عمر
رضي الله عنهما قالت لابيها ان الله قد اوسع الرزق فلو اكلت طعاما اكثر من طعامك
ولبست ثيابا الين من ثيابك فقال انا اخاصمك الى نفسك الم يكن من امر رسول الله
صلى الله عليه وسلم كذى يقول مرارا فبكت فقال قد اخبرتك والله لاشاركنه في عيشه
الشديد لعلي اصيب عيشه الرخي وقال بعضهم ما نخلت لعمر دقيقا الا وانا له عاص
وقالت عايشة رضي الله عنها ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثة ايام من خبز بر حتى
مضى لسبيله وقالت عايشة ادمنوا قرع باب الملكوت يفتح لكم قالوا كيف نديم قالت
بالجوع والعطش والظما وقيل ظهر ابليس ليحيى بن زكريا وعليه معاليق فقال يا هذا قال

الشهوات التي اصيد بها ابن آدم فقال هل تجد لي فيها شهوة قال لا غير انك شبعت ليلة
فثقلناك عن الصلوة والذكر فقال لا جرم اني لا اشبع ابدا قال ابليس لا جرم اني لا انصح
احدا ابدا وقال شقيق العبادة حرفة وحانوتها الخلوة وآلتها الجوع وقال لقمن
لابنه اذا امتلئت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الاعضاء عن العبادة
وقال الحسن لا تجمعوا بين الادمين فانه من طعام المنافقين وقال بعضهم اعوذ بالله من زاهد
قد افسدت معدته الوان اطعمة الاغنياء فيكره للمريد ان يوالي في الافطار اكثر
من اربعة ايام فان النفس عند ذلك تركن الى العادة وتتسع بالشهوة وقيل الدنيا
بطنك على قدر زهدك في بطنك زهدك في الدنيا وقال عليه الصلوة والسلام
ما ملا آدمي وعاء شرا من بطن حسب ابن آدم لقيمات يقمن بها صلبه فان كان لا محالة
فثلث طعام وثلث شراب وثلث لنفسه وقال فتح الموصلي صحبت ثلثين شيخا كل
يوصيني عند مفارقتي اياه بترك عشرة الاحداث وقلة الاكل

الباب الاربعون في اختلاف احوال الصوفية بالصوم والافطار

جمع من مشايخ الصوفية كانوا يديمون الصوم في السفر والحضر على الدوام حتى
لحقوا بالله تعالى وكان ابو عبد الله بن جابار صام نيفا وخمسين سنة لا يفطر
في السفر والحضر فجهد واصحابه يوما فافطر فاعتل من ذلك اياما فاذا راى
المريد صلاح قلبه في دوام الصوم فليصم دايما ويدع الافطار جانبا فهو عون
حسن له على ما يريد روى ابو موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من صام الدهر ضيقت عليه جهنم هكذى وعقد تسعين اي لم يكن له فيها موضع
وكره قوم صوم الدهر وقد ورد في ذلك ما رواه قتادة قال سيل رسول الله صلى
الله عليه وسلم كيف بمن صام الدهر قال لا صام ولا افطر واول قوم ان صوم
الدهر هو ان لا يفطر العيدين وايام التشريق فهو الذي يكره واذا افطر هذه الايام
فليس هو الصوم الذي كرهه رسول الله ومنهم من كان يصوم يوما ويفطر يوما وقد
ورد افضل الصيام صوم اخي داود كان يصوم يوما ويفطر يوما واستحسن ذلك

مسئلة موافقة مع الاخوان و خلوص نية

قوم من الصالحين ليكون بين حال الصبر وحال الشكر ومنهم من كان يصوم يومين و يفطر يوما ويصوم يوما ويفطر يومين ومنهم من كان يصوم الاثنين والخميس والجمعة وقيل كان سهل بن عبد الله ياكل في كل خمسة عشر يوما مرة وفي رمضان ياكل اكلة واحدة وكان يفطر في كل ليلة بالماء القراح للسنة وحكي عن الجنيد انه كان يصوم على الدوام فاذا دخل عليه اخوانه افطر معهم ويقول ليس فضل المساعدة مع الاخوان باقل من فضل الصوم غير ان هذا الافطار يحتاج الى علم فقد يكون الداعي الى ذلك شره النفس لا نية الموافقة وتخليص النية لمحض الموافقة مع وجود شره النفس صعب وسمعت شيخنا يقول لي سنين ما اكلت شيئا بشهوة نفس ابتداء واستدعاء بل يقدم لي الشيء فارى فضل الله ونعمته وفعله فاوافق الحق في فعله وذكر انه ذات يوم اشتهى الطعام ولم يحضر من عادته تقديم الطعام اليه قال ففتحت باب البيت الذي فيه الطعام واخذت رمانة لاكلها فدخلت السنور واخذت دجاجة كانت هناك فقلت هذا عقوبة لي على تصرفي في اخذ الرمان ورايت الشيخ ابا السعود يتناول الطعام في اليوم مرات اي وقت احضر الطعام اكل منه ويرى ان تناوله الطعام موافقة الحق لان حاله مع الله كان ترك الاختيار في ماكوله وملبوسه وجميع تصاريفه وكان حاله الوقوف مع فعل الحق وقد كان له في ذلك بداية يعز مثلها حتى لعله كان يبقى اياما لا ياكل ولا يعلم احد بحاله ولا يتصرف هو لنفسه ولا يتسبب الى تناول شيء وينتظر فعل الحق بسياقة الرزق اليه ولم يشعر بحاله احد مدة من الزمان ثم ان الله تعالى اظهر حاله واقام له الاصحاب والتلامذة وكانوا يتكلفون الاطعمة وياتون بها اليه وهو يرى في ذلك فضل الحق والموافقة سمعته يقول اصبح كل يوم واحب الي الصوم وينقض الحق علي محبتي الصوم بفعله فاوافق الحق في فعله وحكي عن بعض الصادقين من اهل واسط انه صام سنين كثيرة وكان يفطر كل يوم قبل غروب الشمس الا في رمضان قال ابو نصر السراج انكر قوم هذا لمخالفة العلم وان كان الصوم تطوعا واستحسنه آخرون لان صاحبه كان يريد بذلك تاديب النفس بالجوع

وان لا تمتع

وان لا يتمتع برؤية الصوم ووقع لي ان هذا ان قصد ان لا يتمتع برؤية الصوم فقد تمتع برؤية عدم التمتع برؤية الصوم وهذا يتسلسل والاليق موافقة العلم وامضاء الصوم قال الله تعالى ولا تبطلوا اعمالكم ولكن اهل الصدق لهم نيات فيما يفعلون فلا يعارضون فالصدق محمود لعينه كيف كان والصادق في حقارة صدقه كيف تقلب وقال بعضهم اذا رايت الصوفي يصوم صوم التطوع فاتهمه فانه قد اجتمع معه شيء من الدنيا وقيل اذا كانوا جماعة متوافقين اشكالا وفيهم مريد يحثونه على الصوم فان لم يساعدوه يهتموا لافطاره ويتكلفوا له رفقا به ولا يحملون حاله على حالهم وان كانوا جماعة مع شيخ يصومون لصومه ويفطرون لافطاره الا من يامره الشيخ بغير ذلك وقيل ان بعضهم صام سنين بسبب شاب كان يصحبه حتى ينظر الشاب اليه فيتادب به ويصوم بصيامه وحكي عن ابي الحسن المكي انه كان يصوم الدهر وكان مقيما بالبصرة وكان لا ياكل الخبز الا ليلة الجمعة وكان قوته في كل شهر اربع دوانيق يعمل بيده حبال الليف ويبيعها وكان الشيخ ابو الحسن بن سالم يقول لا اسلم عليه الا ان يفطر وياكل وكان ابن سالم اتهمه بشهوة خفية له في ذلك لانه كان مشهورا بين الناس وقال بعضهم ما اخلص عبد قط الا احب ان يكون في جب لا يعرف ومن اكل فضلا من الطعام اخرج فضلا من الكلام وقيل اقام ابو الحسن التنيسي بالحرم مع اصحابه سبعة ايام لم ياكلوا فخرج بعض اصحابه ليتطهر فراى قشر بطيخ فاخذه واكله فرآه انسان فاتبع اثره وجاء برفق فوضعه بين يدي القوم فقال الشيخ من جنا منكم هذه الجناية فقال الرجل انا وجدت قشر بطيخ فاكلته فقال كن انت مع جنايتك ورفقك فقال انا تائب من جنايتي فقال لا كلام بعد التوبة وكانوا يستحبون صيام ايام البيض وهو الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر روي ان آدم عليه السلم لما اهبط الى الارض اسود جسده من اثر المعصية فلما تاب الله عليه امر ان يصوم ايام البيض فابيض ثلث جسده بكل يوم صام حتى ابيض جميع جسده بصيام ايام البيض ويستحبون

صوم النصف الاول من شعبان وافطار نصفه الاخير وان واصل بين شعبان
ورمضان فلا باس به ولكن ان لم يكن صام فلا يستقبل رمضان بيوم او بيومين
وكان يكره بعضهم ان يصام رجب جميعه كراهة المضاهاة برمضان ويستحب
صوم العشر من ذي الحجة والعشر من المحرم ويستحب الخميس والجمعة والسبت ان يصام
من الاشهر الحرم وورد في الخبر من صام ثلثة ايام من شهر حرام الخميس والجمعة والسبت
بعد من النار سبع مائة عام

الباب الحادي والاربعون في ادب الصوم ومهامه

ادب الصوفية في الصوم ضبط الظاهر والباطن وكف الجوارح عن الاثام كمنع
النفس عن الطعام ثم كف النفس عن الاستهتام بالاقسام سمعت ان بعض الصالحين
بالعراق كان طريقه وطريق اصحابه انهم كانوا يصومون وكلما فتح عليهم قبل وقت
الافطار يخرجونه ولا يفطرون الا على ما فتح لهم وقت الافطار ومن الادب
ان يمسك المريد نفسه عن مباح الطعام ويفطر بحرام الاثام قال ابو الدرداء يا حبذا
نوم الاكياس وفطرهم كيف يغبنون قيام الحمقى وصيامهم ولذرة من ذي يقين
وتقوى افضل من امثال الجبال من اعمال المغترين ومن فضيلة صومه وادبه
ان يقلل الطعام من الحد الذي كان ياكله وهو مفطر والا اذا جمع الاكلات باكلة
واحدة فقد ادرك ما فوت ومقصود القوم من الصوم قهر النفس ومنعها من
الاتساع واخذهم من الطعام قدر الضرورة لعلمهم ان الاختصار على الضرورة
يجذب النفس في ساير الافعال والاقوال الى الضرورة والنفس من طبعها انها اذا
قهرت لله تعالى في شيء واحد على الضرورة تادى ذلك الى ساير احوالها فيصير الاكل
ضرورة والنوم ضرورة والقول والفعل ضرورة وهذا باب من ابواب الخير لاهل
الله تعالى يجب رعايته وانتقاده والمختص بعلم الضرورة وفائدتها وطلبها لا عبد
يريد الله به ان يقربه ويدنيه ويصطفيه ويربيه ويمتنع في صومه من ملاعبة الاهل
بالملامسة لان ذلك اتم للصوم ويستحب استعمال السنة وهو ادعى الى امضاء الصوم
لمعنيين احدهما عود بركة السنة عليه والثاني التقوى بالطعام على الصيام

روى

روى انس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تسحروا فان في السحور بركة
وتعجيل الفطر عملا بالسنة فان لم يرد تناول الطعام الا بعد العشاء ويريد احياء
ما بين العشائين يفطر بالماء او على اعداد من الزبيب او التمر او ياكل لقيمات ان كانت
نفسه تنازع ليصفو له الوقت بين العشائين ففي احياء ذلك فضل كبير والا فليختم
على الماء لاجل السنة اخبرنا ضياء الدين عبد الوهاب بن علي قال انا ابو الفتح الهروي
قال انا ابو نصر الترياقي قال انا ابو محمد الجراحي قال انا ابو العباس المحبوبي قال انا
ابو عيسى الترمذي قال ثنا اسحق بن موسى الانصاري ثنا الوليد بن مسلم عن الاوزاعي
عن قرة عن الزهري عن ابي سلمة عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال الله عز وجل احب عبادي الي اعجلهم فطرا وقال عليه الصلوة والسلام لا يزال
الناس بخير ما عجلوا الفطر والافطار قبل الصلوة سنة كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يفطر على جرعة من ماء او مذقة من لبن او تمرات وفي الخبر كم صائم حظه
من صيامه الجوع والعطش قيل هو الذي يجوع بالنهار ويفطر على الحرام وقيل
هو الذي يصوم عن الحلال من الطعام ويفطر على لحوم الناس بالغيبة وقال
سفين من اغتاب فسد صومه وعن مجاهد خصلتان يفسدان الصوم الغيبة
والكذب قال الشيخ ابو طالب المكي رحمة الله عليه قرن الله تعالى الاستماع
الى الباطل والقول بالاثم الى اكل الحرام فقال سماعون للكذب اكالون للسحت
وورد في الخبر ان امراتين صامتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجهدهما
الجوع والعطش من آخر النهار حتى كادتا ان تتلفا فبعثتا الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم تستاذنانه في الافطار فارسل اليهما قدحا وقال قولوا لهما قيئا فيه ما اكلتما
فقاءت احديهما نصفه دما عبيطا ولحما غريضا وقاءت الاخرى مثل ذلك حتى
ملأتاه فتعجب الناس من ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هاتان صامتا عما
احل الله لهما وافطرتا على ما حرم الله عليهما وقال عليه الصلوة والسلام اذا
كان يوم صوم احدكم فلا يرفث ولا يجهل فان امرؤ شاتمه فليقل اني صائم

وفي الخبر ان الصوم امانة فليحفظ احدكم امانته والصوفي الذي لا يرجع الى معلوم ولا يدري متى يساق اليه الرزق فاذا ساق الله اليه الرزق تناوله بالادب وهو دايم المراقبة لوقته فهو في افطاره افضل من الذي له معلوم معد فاذا كان مع ذلك يصوم فقد اكمل الفضل حكي عن رويم قال اجتزت في الهاجرة ببعض سكك بغداد فعطشت فتقدمت الى باب دار فاستسقيت فاذا جارية قد خرجت ومعها كوز جديد ملآن من الماء المبرد فلما اردت ان اتناول من يدها قالت صوفي ويشرب بالنهار وضربت بالكوز على الارض وانصرفت قال رويم استحييت من ذلك ونذرت ان لا افطر ابدا والجماعة الذين كرهوا دوام الصوم كرهوه لمكان ان النفس اذا الفت الصوم وتعودت اشتد عليها الافطار وهكذا يتعودها الافطار تكره الصوم فيرون الفضل في ان لا تركن النفس الى عادة وراوا ان افطار يوم وصوم يوم اشد على النفس ومن ادب الفقير ان الواحد اذا كان بين جمع او في صحبة جماعة لا يصوم الا باذنهم وانما كان ذلك لان قلوب الجمع تتعلق بفطوره وهم على غير معلوم فان صام باذن الجمع وفتح عليهم شي لا يلزمهم الادخار للصايم مع العلم بان الجمع المفطرين يحتاجون الى ذلك فان الله تعالى ياتي للصايم برزقه الا ان يكون الصايم يحتاج الى الرفق لضعف حاله او ضعف بنيته لشيخوخة وغير ذلك وهكذى الصايم لا يليق ان ياخذ نصيبه فيدخره لان ذلك من ضعف الحال فان كان ضعيفا يعترف بحاله وضعفه فيدخره والذي ذكرناه لاقوام هم على غير معلوم فاما الصوفية المقيمون في رباط على معلوم فلا يليق بحالهم الصيام ولا يلزمهم موافقة الجمع في الافطار اذا كان الافطار يتيسر في جمع منهم ولهم معلوم يقدم لهم بالنهار فاما اذا كانوا على غير معلوم فقد قيل مساعدة الصوام للمفطرين احسن من استدعا الموافقة من المفطرين للصوام وامر القوم مبناه على الصدق ومن الصدق سداد النية واحوال النفس فكلما صحت النية فيه من الصوم والافطار والموافقة وترك الموافقة هو الافضل فاما من حيث السنة فمن يوافق له وجه اذا كان صايما وافطر للموافقة وان صام ولم يوافق فله وجه

فاما

فاما وجه من يفطر ويوافق ما اخبرنا ابو زرعة طاهر عن ابيه ابي الفضل الحافظ المقدسي قال انا ابو الفضل محمد بن عبد الله قال انا السيد ابو الحسن محمد بن الحسن العلوي قال انا ابو بكر محمد بن حمدويه قال ثنا عبد الله بن حماد قال ثنا عبد الله بن صالح قال حدثني عطاف بن خالد عن حماد بن حميد عن محمد بن المنكدر عن ابي سعيد الخدري قال اصطنعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه طعاما فلما قدم اليهم قال رجل من القوم اني صايم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاكم اخوكم وتكلف لكم ثم تقول اني صايم افطر واقض يوما مكانه واما وجه من لا يوافق فقد ورد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه اكلوا وبلال صايم فقال صلى الله عليه وسلم ناكل رزقنا ورزق بلال في الجنة فاذا علم ان من ناكل قلبا يتاذى او فضلا يرجى من موافقته من يغتنم موافقته يفطر بحسن النية لا بحكم الطبع وتقاضيه فان لم يجد هذا المعنى لا ينبغي ان يتلبس عليه الشره وداعية النفس بالنية فليتم صومه وقد يكون الاجابة لداعية النفس لا لقضاء حق اخيه ومن احسن ادب الفقير الطالب انه اذا افطر وتناول الطعام ربما يجد باطنه متغيرا عن هيئته ونفسه متثبطة عن اداء وظايف العبادة فيعالج مزاج القلب المتغير باذهاب التغير عنه ويذيب الطعام بركعات يصليها او بايات يتلوها ويتفكر فيها او باذكار واستغفار ياتي به فقد ورد في الخبر اذيبوا طعامكم بالذكر ومن مهام اداب الصوم كتمانه مهما امكن الا ان يكون متمكنا من الاخلاص فلا يبالي ظهر ام بطن والله اعلم

الباب الثاني والاربعون في ذكر الطعام وما فيه من المصلحة والمفسدة

الصوفي بحسن نيته وصحة مقصده ووفور علمه واتيانه بادبه تصير عاداته عبادة والصوفي موهوب وقته لله ويريد حيوته لله كما قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم قل ان صلوتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين فيدخل على الصوفي امور العادة لموضع حاجته وضرورة بشريته وتحف بعاداته نور يقظته فيتنور العادات ويتشكل بالعبادات ولهذا ورد نوم العالم عبادة ونفسه تسبيح

هذا مع كون النوم عين الغفلة ولكن كل ما يستعان به على العبادة يكون عبادة فتناول
الطعام اصل كبير يحتاج الى علوم كثيرة لاشتماله على المصالح الدينية والدنياوية
وتعلق اثره بالقلب والقالب وبه قوام البدن باجرا سنة الله تعالى بذلك والقالب
مركب القلب وبهما عمارة الدنيا والاخرة وقد ورد ارض الجنة قيعان نباتها التسبيح
والتقديس والقالب بمفرده على طبيعة الحيوانات يستعان به على عمارة الدنيا والروح
والقلب على طبيعة الملائكة يستعان بهما على عمارة الاخرة وباجتماعهما اصلحا
لعمارة الدارين والله سبحانه وتعالى ركب الادمي بلطيف حكمته من اخص جواهر
الجسمانيات والروحانيات وجعله مستودع خلاصة الارضين والسموات
وجعل عالم الشهادة وما فيها من النبات والحيوان لقوام بدن الادمي قال الله تعالى
خلق لكم ما في الارض جميعا فكون الطبايع وهي الحرارة والرطوبة والبرودة
واليبوسة وكون بواسطتها النبات وجعل النبات قواما للحيوانات وجعل
الحيوانات مسخرة للادمي يستعين بها على امر معاشه لقوام بدنه فالطعام يصل
الى المعدة وفي المعدة طبايع اربع وفي الطعام طبايع اربع فاذا اراد الله اعتدال
مزاج البدن اخذ كل طبع من طبايع المعدة ضده من الطعام فياخذ الحرارة
للبرودة والرطوبة لليبوسة فيعتدل المزاج ويامن الاعوجاج واذا اراد الله تعالى
افناء قالب وتخريب بنية اخذت كل طبيعة جنسها من الماكول فيميل الطبايع ويضطرب
المزاج ويسقم البدن ذلك تقدير العزيز العليم روى عن وهب بن منبه قال
وجدت في التورية صفة آدم عليه السلام اني خلقت آدم ركبت جسده من اربعة
اشياء من رطب ويابس وبارد وسخن وذلك لاني خلقته من التراب وهو يابس ورطوبته
من الماء وحرارته من قبل النفس وبرودته من قبل الروح وخلقت في الجسد بعد هذا
الخلق الاول اربعة انواع من الخلق هن ملاك الجسم باذني وبهن قوامه فلا يقوم
الجسم الا بهن ولا يقوم منهن واحدة الا بالاخرى منهن المرة السودا والمرة الصفرا والدم
والبلغم ثم اسكنت بعض هذا الخلق في بعض فجعلت مسكن اليبوسة في المرة السودا

ومسكن

ومسكن الرطوبة في المرة الصفرا ومسكن الحرارة في الدم ومسكن البرودة في البلغم
فايما جسد اعتدلت فيه هذه الفطر الاربع التي جعلتها ملاكه وقوامه وكانت
كل واحدة منهن ربعا لا يزيد ولا ينقص كملت صحته واعتدلت بنيته فان
زاد منهن واحدة عليهن هزمتهن ومالت بهن ودخل عليه السقم من ناحيتها بقدر
غلبتها حتى يضعف عن طاقتهن ويعجز عن مقدارهن فاهم الامور في الطعام ان يكون
حلالا وكل ما لا يذمه الشرع حلال رخصة ورحمة من الله تعالى لعباده ولولا رخصة
الشرع لكبر الامر واتعب طلب الحلال ومن ادب الصوفية روية المنعم على النعمة
ويبتدى بغسل اليد قبل الطعام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الوضوء قبل
الطعام ينفي الفقر وانما كان موجبا لنفي الفقر لان غسل اليد قبل الطعام استقبال
النعمة بالادب وذلك من شكر النعمة والشكر يستوجب المزيد فصار غسل اليد
مستجلبا للنعمة مذهبا للفقر وقد روى انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال من احب ان يكثر خير بيته فليتوضا اذا حضر غداؤه ثم يسمي الله تعالى فقوله
عز وجل ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه تفسيره تسمية الله تعالى عند ذبح الحيوان
واختلف الشافعي وابو حنيفة في وجوب ذلك وفهم الصوفي من ذلك بعد القيام
بظاهر التفسير ان لا ياكل الطعام الا مقرونا بالذكر وذلك فريضة وقته وادبه
ويرى ان تناول الطعام والماء داء لما ينتج من افاقة النفس ومتابعة هواها ويرى
ذكر الله تعالى دواءه وترياقه وروت عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم ياكل الطعام في ستة نفر من اصحابه فجاء اعرابي فاكله بلقمتين
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما انه لو كان يسمي الله لكفاكم فاذا اكل احدكم
طعاما فليقل بسم الله فان نسي ان يقول بسم الله فليقل بسم الله اوله وآخره ويستحب
ان يقول في اول لقمة بسم الله وفي الثانية بسم الله الرحمن وفي الثالثة يتم ويشرب
الماء بثلثة انفاس يقول في اول نفس الحمد لله وفي الثانية الحمد لله رب العالمين
وفي الثالثة الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم وكما ان للمعدة طبايع تتدبر كما ذكرنا

الفقر صح

مقترنا

طبايع

بموافقه طبايع الطعام فللقلب ايضا مزاج وطباع لارباب التفقد والرعاية واليقظة يعرف انحراف مزاج القلب من اللقمة المتناولة تارة تحدث من اللقمة حرارة الطيش بالنهوض الى الفضول وتارة تحدث في القلب برودة الكسل بالتقاعد عن وظيفة الوقت وتارة تحدث رطوبة السهو والغفلة وتارة يبوسة الهم والحزن بسبب الحظوظ العاجلة فهذه كلها عوارض يتفطن لها المتيقظ ويرى بعين القلب هذه العوارض لتغيير مزاج القلب عن الاعتدال والاعتدال كما هو مهم طلبه للقالب فللقلب اهم واولى وتطرق الانحراف الى القلب اسرع منه الى القالب ومن انحراف ما يسقم به القلب فيموت موت القالب واسم الله تعالى دوا نافع مجرب ينفي الاسوا ويذهب الدا ويجلب الشفا حكي ان الشيخ محمد الغزالي لما رجع الى طوس وصف له في بعض القرى عبد صالح فقصده زايرا فصادفه وهو في صحرا له يبذر الحنطة في الارض فلما راى الشيخ محمدا جا اليه واقبل عليه فجا رجل من اصحابه وطلب منه البذر لينوب الشيخ في ذلك وقت اشتغاله بالغزالي فامتنع ولم يعطه البذر فسأله الغزالي عن سبب امتناعه فقال لاني ابذر هذا البذر بقلب حاضر ذاكر ارجو البركة فيه لكل من يتناول منه شيئا فلا احب ان اسلمه الى هذا فيبذره بلسان غير ذاكر وقلب غير حاضر وكان بعض الفقرا عند الاكل يشرع في تلاوة سورة من القرآن يحصن الوقت بذلك حتى ينغمر اجزا الطعام بانوار الذكر ولا يعقب الطعام مكروها ولا يغير مزاج القلب وقد كان شيخنا ابو النجيب السهروردي يقول انا آكل وانا اصلي يشير الى حضور القلب في الطعام وربما كان يوقف من يمنع عنه الشواغل وقت اكله لئلا يتفرق همه وقت الاكل ويرى للذكر وحضور القلب في الاكل اثرا كبيرا لا يسعه الامساك وله من الذكر عند الاكل التفكر فيما هيا الله تعالى من الاسنان المعينة على الاكل فمنها الكاسرة ومنها القاطعة ومنها الطاحنة وما جعل الله تعالى من الما الحلو في الفم حتى لا يتغير الذوق كما جعل ما العين مالحا لما كان شحما حتى لا ينفسد وكيف جعل الندواة تنبع من ارجا اللسان والفم

ليعين

ليعين ذلك على المضغ والسوغ وكيف جعل القوة الهاضمة متسلطة على الطعام بفضله وتجربة متعلق مددها بالكبد والكبد بمثابة النار والمعدة بمثابة القدر وعلى قدر فساد الكبد تقل الهاضمة وينفسد الطعام ولا ينفصل ولا يصل الى كل عضو نصيبه وهكذى تاثير الاعضا كلها من الكبد والطحال والكليتين ويطول شرح ذلك فمن اراد الاعتبار يطالع تشريح الاعضا ليرى العجب من قدرة الله تعالى من تعاضد الاعضا وتعاونها وتعلق بعضها بالبعض في اصلاح الغذا واستجلاب القوة منه للاعضا وانقسامه الى الدم والثفل واللبن لتغذية المولود من بين فرث ودم لبنا خالصا سايغا للشاربين فتبارك الله احسن الخالقين فالفكر في ذلك وقت الطعام ويعرف لطيف الحكم والقدر فيه من الذكر ومما يذهب دا الطعام المغير لمزاج القلب ان يدعو في اول الطعام ويسأل الله تعالى ان يجعله عونا على الطاعة ويكون من دعائه اللهم صل على محمد وعلى ال محمد وما رزقتنا مما نحب اجعله عونا لنا على ما تحب وما زويت عنا مما نحب اجعله فراغا لنا فيما تحب

الباب الثالث والاربعون في ادب الاكل

فمن ذلك ان يبتدى بالملح ويختم به روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لعلي يا علي ابدا طعامك بالملح واختم بالملح فان الملح شفا من سبعين دا منها الجنون والجذام والبرص ووجع البطن ووجع الاضراس وروت عايشه قالت لدغ رسول الله صلى الله عليه وسلم في ابهامه من رجله اليسرى لدغة فقال علي بذلك الابيض الذي يكون في العجين فجينا بالملح فوضعه في كفه ثم لعق منه ثلث لعقات ثم وضع بقيته على اللدغة فسكنت عنه ويستحب الاجتماع على الطعام وهو سنة الصوفية في الربط وغيرها روى جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان احب الطعام الى الله تعالى ما كثرت عليه الايدي وروى انه قيل يا رسول الله انا ناكل ولا نشبع قال لعلكم تفترقون على طعامكم اجتمعوا واذكروا اسم الله عليه يبارك لكم فيه ومن عادة الصوفية الاكل على السفر وهو سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبرنا الشيخ ابو زرعة

عن المقومي باسناده الى ابن ماجة الحافظ القزويني قال ثنا محمد بن المثنى قال ثنا معاذ بن هشام
قال ثنا ابي عن يونس بن الفرات عن قتادة عن انس بن مالك قال ما اكل رسول الله صلى
الله عليه وسلم على خوان ولا سكرجه قال فعلى ما كانوا ياكلون قال على السفر ويصغر
اللقمة ويجود الاكل بالمضغ وينظر بين يديه ولا يطالع وجوه الآكلين ويقعد على
رجله اليسرى وينصب اليمنى ويجلس جلسة التواضع غير متكئ ولا متعزز نهى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان ياكل الرجل متكئا وروى انه اهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم
شاة فجثا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ركبتيه ياكل فقال اعرابي ما هذه الجلسة فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلقني عبدا ولم يجعلني جبارا عنيدا ولا يبتدئ
بالطعام حتى يبتدئ المتقدم او الشيخ روى حذيفة قال كنا اذا حضرنا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم طعاما لم يضع احدنا يده حتى يبدا رسول الله صلى الله عليه وسلم وياكل باليمين
روى ابو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لياكل احدكم بيمينه وليشرب بيمينه وليأخذ
بيمينه وليعط بيمينه فان الشيطان ياكل بشماله ويشرب بشماله ويعطي بشماله ويأخذ بشماله
وان كان الماكول تمرا او ماله عجم لا يجمع من ذلك ما يرمى وما يوكل على الطبق ولا في كفه
بل يضع ذلك على ظهر كفه من فيه ويرميه ولا ياكل من ذروة الثريد روى عبد الله
ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا وضع الطعام فخذوا من حاشيته
وذروا وسطه فان البركة تنزل في وسطه ولا يعيب الطعام روى ابو هريرة رضي الله عنه
قال ما عاب رسول الله صلى الله عليه وسلم طعاما قط ان اشتهاه اكله والا تركه واذا سقطت
اللقمة ياكلها فقد روى انس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا سقطت
لقمة احدكم فليمط عنها الاذى وليأكلها ولا يدعها للشيطان ويلعق اصابعه
فقد روى جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا اكل احدكم الطعام فليمص اصابعه
فانه لا يدري في اي طعامه يكون البركة وهكذا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بسلت
القصعة ومسحها من الطعام قال انس بن مالك امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بسلت
القصعة ولا ينفخ في الطعام فقد روت عايشة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم النفخ في الطعام

يذهب

يذهب البركة وروى عبد الله بن عباس قال لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفخ
في طعام ولا شراب ولا يتنفس في الاناء فليس من الادب ذلك والخل والبقل على
السفرة من السنة قيل ان الملائكة تحضر المائدة اذا كان عليها بقل روت ام سعد
قالت دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على عايشة وانا عندها فقال هل من غداء
فقالت عندنا خبز وتمر وخل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم الادام الخل
اللهم بارك في الخل فانه كان ادام الانبياء قبلي ولم يقفر بيت فيه خل ولا يصمت على
الطعام فهو من سيرة الاعاجم ولا يقطع اللحم والخبز بالسكين ففيه نهي ولا يكف
يده عن الطعام حتى يفرغ الجمع فقد ورد عن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال اذا وضعت المائدة فلا يقوم رجل حتى ترفع المائدة ولا يرفع يده
وان شبع حتى يفرغ القوم وليتعلل فان الرجل يخجل جليسه فيقبض يده وعسى
ان يكون له في الطعام حاجة واذا وضع الخبز لا ينتظر غيره فقد روى ابو موسى الاشعري
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكرموا الخبز فان الله عز وجل سخر لكم بركات السموات
والارض والحديد والبقر وابن ادم ومن احسن الادب واهمه ان لا ياكل الا بعد
الجوع ويمسك عن الطعام قبل الشبع فقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما ملا آدمي وعاء شرا من البطن ومن عادة الصوفية ان يلقم الخادم اذا لم يجلس مع
القوم وهو سنة روى ابو هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا جاء احدكم خادمه بطعامه فاذا لم يجلسه معه فليناوله اكلة او اكلتين فانه ولي
حره ودخانه واذا فرغ من الطعام يحمد الله تعالى روى ابو سعيد قال كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا اكل طعاما قال الحمد لله الذي اطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين
روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من اكل طعاما فقال الحمد لله الذي اطعمني
هذا ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه ويتخلل فقد روى
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تخللوا فانه نظافة والنظافة تدعو الى الايمان والايمان
مع صاحبه في الجنة ويغسل يده فقد روى ابو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

وليتعذر

فان لم

من بات وفي يده غمر لم يغسل فاصابه شي فلا يلومن الا نفسه ومن السنة غسل
الايدي في طست واحد روى عن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اترعوا الطسوت وخالفوا المجوس ويستحب مسح العين ببلل اليد روى ابو هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا توضاتم فاشربوا اعينكم الما ولا تنفضوا
ايديكم فانها مراوح الشيطان قيل لابي هريرة في الوضوء وغيره قال نعم في الوضوء
وغيره وفي غسل اليد ياخذ الاشنان باليمين وفي الخلال لا يزدرد ما يخرج بالخلال
من الاسنان وما يلوكه باللسان فلا باس به ويجتنب التصنع في الطعام ويكون اكله
بين الجمع كاكله منفردا فان الريا يدخل على العبد في كل شي وصف لبعض العلما بعض العباد
فلم يثن عليه قيل له تعلم به باسا قال نعم رايته يتصنع في الاكل ومن تصنع في الاكل لا يومن
عليه التصنع في العمل وان كان الطعام حلالا فليقل الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات
وتنزل البركات اللهم صل على محمد وعلى آل محمد اللهم اطعمنا طيبا واستعملنا صالحا
وان كان شبهة يقول الحمد لله على كل حال اللهم صل على محمد ولا تجعله عونا على
معصيتك ويكثر الحزن على اكل الشبهة فليس من ياكل وهو يبكي كمن ياكل وهو يضحك
ويقرا بعد الطعام قل هو الله احد ولايلاف ويجتنب الدخول على قوم في وقت اكلهم
وقد ورد من مشى الى طعام لم يدع اليه مشى فاسقا واكل حراما وسمعنا لفظا آخر
دخل سارقا وخرج مغيرا الا ان يتفق دخوله على قوم يعلم منهم فرحهم بموافقته ويستحب
ان يخرج الرجل مع ضيفه الى باب الدار ولا يخرج الضيف بغير اذن صاحب الدار
ويجتنب المضيف التكلف الا ان يكون له نية فيه من كثرة الانفاق ولا يفعل ذلك
حيا وتكلفا واذا اكل عند قوم طعاما فليقل عند فراغه افطر عندكم الصائمون
واكل طعامكم الابرار وصلت عليكم الملائكة وروى ايضا عليكم صلوة قوم ابرار
ليسوا باثمين ولا فجار يصلون بالليل ويصومون بالنهار كان بعض الصحابة يقول ذلك
ومن الادب ان لا يحتقر ما يقدم له من الطعام وكان اصحاب رسول الله يقولون ما ندري
ايهم اعظم وزرا الذي يحتقر ما يقدم اليه او الذي يحتقر ما عنده ان يقدمه ويكره اكل

طعام

المروحة ما يتروح به والجمع المراوح ١٢

اللوك خاييدن ٥

طعام المباهاة وما تكلف للاعراس والتعازي وما عمل للنوايح لا يوكل وما عمل لاهل
العزا لا باس به وما يجري مجراه واذا علم الرجل من حال اخيه انه يفرح بالانبساط
اليه في التصرف في شي من طعامه فلا حرج ان ياكل من طعامه بغير اذنه قال الله
تعالى او صديقكم قيل دخل قوم على سفين الثوري فلم يجدوه ففتحوا الباب
وانزلوا السفرة واكلوا فدخل سفين الثوري وفرح وقال ذكرتموني اخلاق
السلف هكذا كانوا ومن دعي الى طعام فالاجابة من السنة واوكد ذلك الوليمة
وقد يتخلف بعض الناس عن الدعوة تكبرا وذلك خطا وان عمل ذلك تصنعا
وريا فهو شر من التكبر روى ان الحسن بن علي مر بقوم من المساكين الذين يسئلون
الناس على الطرق وقد نثروا كسرا على الارض وهو على بغلته فلما مر بهم سلم
عليهم فردوا عليه السلام وقالوا هلم الغدا يا بن رسول الله فقال نعم ان الله
لا يحب المستكبرين ثم ثنى وركه فنزل عن دابته وقعد معهم على الارض واقبل ياكل
معهم ثم سلم عليهم وركب وكان يقال الاكل مع الاخوان افضل من الاكل مع العيال
روى ان هرون الرشيد دعا ابا معوية الضرير وامر ان يقدم له طعام فلما اكل
صب الرشيد على يده في الطست فلما فرغ قيل يا با معوية تدري من صب على
يدك الما قال لا قال امير المومنين قال يا امير المومنين انما اكرمت العلم واجللته فاجلك
الله واكرمك كما اكرمت العلم

الباب الرابع والاربعون في ذكر ادبهم في اللباس ونياتهم ومقاصدهم

اللباس من حاجات النفس وضروراتها لدفع الحر والبرد كما ان الطعام من حاجات
النفس لدفع الجوع وكما ان النفس غير قانعة بقدر الحاجة في الطعام بل تطلب
الزيادات والشهوات فهكذا في اللباس تتفنن فيه ولها فيه اهوية متنوعة
ومآرب مختلفة فالصوفي يرد النفس في اللباس الى متابعة صريح العلم قيل لبعض
الصوفية ثوبك ممزق قال ولكنه من وجه حلال قيل له وهو وسخ قال ولكنه
طاهر فنظر الصادق في ثوبه ان يكون من وجه حلال لانه ورد في الخبر عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال من اشترى ثوبا بعشرة دراهم وفي ثمنه درهم من حرام لا يقبل الله

منه صرفا او اعدلا اى لا فريضة ولا نافلة ثم بعد ذلك نظر فيه ان يكون طاهرا لان
طهارة الثوب شرط فى صحة الصلوة وما عدى هذين النظرين فنظره فى كونه يدفع
الحر والبرد لان ذلك مصلحة النفس وبعد ذلك ما يدعوا النفس اليه فكله فضول
وزيادة ونظر الى الخلق والصادق لا ينبغى ان يلبس الثوب الا لله وهو ستر العورة
او لنفسه لدفع الحر والبرد حكى ان سفين الثورى خرج ذات يوم وعليه ثوب قد لبسه
مقلوبا فقيل له ولم يعلم بذلك فهم ان يخلعه ويغيره ثم ترك وقال حيث لبسته نويت
انى البسه لله والان فما اغيره الا لنظر الخلق فلا انقض النية الاولة بهذه والصوفية
خصوا بطهارة الاخلاق ومارزقوا طهارة الاخلاق الا بالصلاحية والاهلية والاستعداد
الذى هياه الله لنفوسهم ولطهارة الاخلاق وتعاضدها تناسب واقع لوجود تناسب
هيئة النفس وتناسب هيئة النفس هو المشار اليه بقوله تعالى فاذا سويته
ونفخت فيه من روحى فالتناسب هو التسوية فمن التناسب ان يكون لباسهم مشاكلا
لطعامهم وطعامهم مشاكلا لكلامهم وكلامهم مشاكلا لمنامهم لان التناسب الواقع
فى النفس مقيد بالعلم والتشابه والتماثل فى الاحوال يحكم به العلم ومتصوفة هذا
الزمان يتلزمون شيء من التناسب مع مزج الهوى وما عندهم من التطلع الى
التناسب رشح حال سلفهم فى وجود التناسب قال ابو سليمن الدارانى يلبس احدهم
عباة بثلثة دراهم وشهوته فى بطنه بخمسة دراهم انكر ذلك لعدم التناسب
فمن خشن ثوبه ينبغى ان يكون ماكوله من جنسه واذا اختلف الثوب والماكول يدل
على وجود انحراف لوجود هوى كامن فى احد الطرفين اما فى طرف الثوب لموضع
نظر الخلق واما فى طرف الماكول لفرط الشره وكلا الوصفين مرض يحتاج الى
المداواة ليعود الى حد الاعتدال لبس ابو سليمن الدارانى ثوبا غسيلا فقال له احمد
لو لبست ثوبا اجود من هذا فقال ليت قلبى فى القلوب مثل قميصى فى الثياب وكان
الفقرآء يلبسون المرقع وربما كانوا ياخذون الخرق من المزابل ويرقعون بها ثوبهم
وقد فعل ذلك طايفه من اهل الصلاح وهوا ما كان لهم معلوم يرجعون اليه فكما كان

رقاعهم

رقاعهم من المزابل كان لقمهم من الابواب كان ابو عبد الله الرفاعى سافر على الفقر والتوكل
ثلثين سنة وكان اذا حضر للفقرآء طعام لا ياكل معهم فيقال له فى ذلك فيقول انتم تاكلون
بحق التوكل وانا اكل بحق المسكنة ثم يخرج بين العشايين يطلب الكسر من الابواب وهذا
شان من لا يرجع الى معلوم ولا يدخل تحت منة حكى ان جماعة من اصحاب المرقعات
دخلوا على بشر بن الحارث فقال لهم يا قوم اتقوا الله ولا تظهروا هذا الزى فانكم تعرفون
به وتكرمون له فسكتوا كلهم فقام شاب من بينهم وقال الحمد لله الذى جعلنا ممن يعرف
به ويكرم له والله لنظهرن هذا الزى حتى يكون الدين كله لله فقال له بشر احسنت
يا غلام مثلك من يلبس المرقعة فكان احدهم يبقى زمانه لا يطوى له ثوب ولا يملك غير
ثوبه الذى عليه وروى ان امير المومنين عليا لبس قميصا شراه بثلثة دراهم ثم قطع
كمه من رؤس الاصابعه وروى عنه انه قال لعمر ان اردت ان تلقى صاحبيك
فرقع قميصك واخصف نعلك وقصر املك وكل دون الشبع وحكى عن الجريرى
قال كان فى جامع بغداد رجل لا نكاد نجده الا فى ثوب واحد فى الشتا والصيف فسئل
عن ذلك فقال قد كنت ولعت بكثرة لبس الثياب فرايت ليله فيما يرى النايم كانى
دخلت الجنة فرايت جماعة من اصحابنا من الفقرآء على مايدة فاردت ان اجلس معهم
واذا بجماعة من الملايكة اخذوا بيدى واقامونى وقالوا لى هولآء اصحاب ثوب واحد
وانت لك قميصان فلا تجلس معهم فانتبهت ونذرت ان لا البس الا ثوبا واحدا الى
ان القى الله عز وجل وقيل مات ابو يزيد ولم يترك الا قميصه الذى كان عليه وكان
عارية فردوه الى صاحبه وحكى لنا عن الشيخ حماد الدباس شيخ شيخنا رحمهما الله
انه بقى زمانا لا يلبس الثوب الا مستاجرا حتى لا يلبس على ملك نفسه شيا وقال ابو حفص
الحداد اذا رايت ضوء الفقير فى ثوبه فلا ترج خيره وقيل مات ابن الكرنبى وكان استاذ
الجنيد وعليه مرقعته قيل كان فرد كم له وتحريصه ثلثة عشر رطلا فقد يكون جمع
من الصالحين على هذا الزى والتخشن وقد يكون جمع من الصالحين يتكلفون على
لبس غير المرقع وزى الفقرآء ويكون نيتهم فى ذلك ستر الحال او خوف عدم النهوض بواجب

حق المرقعة وقيل كان ابو حفص الحداد يلبس الناعم وله بيت فرش فيه الرمل
لعله كان ينام عليه بلا وطاء وقد كان قوم من اصحاب الصفة يكرهون ان يجعلوا
بينهم وبين التراب حايلا ويكون لبس ابي حفص الناعم بعلم ونية يلقى الله تعالى
بصحتها وهكذى الصادقون ان لبسوا غير الخشن من الثياب لنية يكون لهم في ذلك
فلا يعترض عليهم غير ان لبس الخشن والمرقع تصلح لساير الفقرا بنية التقلل من الدنيا
وزهرتها وبهجتها وقد ورد من ترك ثوب جمال وهو قادر على لبسه البسه الله تعالى
من حلل الجنة واما لبس الناعم فلا يصلح الا لعالم بحاله بصير بصفات نفسه متفقد
خفي شهوات النفس يلقى الله تعالى بحسن النية في ذلك ولحسن النية في ذلك وجوه متعددة
يطول شرحها ومن الناس من لا يقصد لبس ثوب بعينه لا الخشونة ولا النعومة بل يلبس
ما يدخل عليه الحق فيكون بحكم الوقت وهذا حسن واحسن من ذلك انه يتفقد
نفسه فيه فان راى للنفس شرها وشهوة خفية اوجلية في الثوب الذي ادخله الله
اليه تخرجه الا ان يكون حاله مع الله ترك الاختيار فعند ذلك لا يسعه الا ان يتلبس
بالثوب الذي ساقه الله اليه وكان شيخنا ابو النجيب السهروردي لا يتقيد بهيئة
من الملبوس بل كان يلبس ما يتفق من غير تعمد وتكلف واختيار وقد كان يلبس العمامة
بعشرة دنانير ويلبس العمامة بدانق وكان الشيخ عبد القادر يلبس هيئة مخصوصة
ويتطيلس وكان علي بن الهيتي يلبس لبس الفقراء السواد وكان ابو بكر الفرا بزنجان
يلبس فروا خشنا كاحاد العوام ولكل في لبسه وهيئته نية صالحة وشرح تفاوت
الاقدام في ذلك يطول وكان الشيخ ابو السعود حاله مع الله ترك الاختيار وقد يساق
اليه الثوب الناعم فيلبسه وكان يقال له ربما يسبق الى بواطن بعض الناس الانكار عليك
في لبسك هذا الثوب فيقول لا نلقي الا احد الرجلين رجل يطالبنا بظاهر حكم الشرع فنقول
له هل ترى ان ثوبنا يكرهه الشرع او يحرمه فيقول لا ورجل يطالبنا بحقايق القوم من
ارباب العزيمة فيقول له هل ترى لنا فيما لبسنا اختيارا او ترى عندنا فيه شهوة فيقول لا
وقد يكون من الناس من يقدر على لبس الناعم ولبس الخشن ولكن يحب ان يختار الله له هيئة

مخصوصة

مخصوصة فيكثر اللجا الى الله تعالى والافتقار اليه ويسئله ان يراه احب الزي الى
الله له واصلحه لدينه ودنياه لكونه غير صاحب غرض وهوى في زي بعينه
فالله تعالى يفتح عليه ويعرفه زيا مخصوصا فيلتزم بذلك الزي فيكون لبسه بالله
ويكون هذا اتم واكمل ممن يكون لله ومن الناس من يتوفر حظه من العلم وينبسط
بما بسطه الله فيلبس الثوب عن علم وايقان ولا يبالي بما لبسه ناعما اولبس خشنا
وربما لبس ناعما ولنفسه فيه اختيار وحظ وذلك الحظ فيه يكون مكفرا له مردودا
عليه موهوبا له يوافقه الله تعالى في ارادة نفسه ويكون هذا الشخص تام التزكية
تام الطهارة محبوبا مرادا يسارع الله تعالى الى مراده ومحابه غير ان ههنا مزلة
القدم لكثير من المدعين حكي عن يحيى بن معاذ الرازي انه كان يلبس الصوف
والخلقان في ابتدا امره ثم صار في آخر عمره يلبس الناعم فقيل لابي يزيد ذلك
فقال مسكين يحيى لم يصبر على الدون فكيف يصبر على النجب ومن الناس من يسبق
اليه علم ما سوف يدخل عليه من الملبوس فيلبسه فيكون محمولا فيه وكل احوال الصادقين
على اختلاف تنوعها مستحسنة قل كل يعمل على شاكلته فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا
ولبس الخشن من الثياب هو الاحب والاولى والاسلم للعبد والابعد من الآفات قال مسلم
عبد الملك دخلت على عمر بن عبد العزيز اعوده في مرضه فرايت قميصه وسخا
فقلت لامراته فاطمة اغسلوا ثياب امير المومنين فقالت نفعل ان شا الله قال ثم عدته
فاذا القميص على حاله فقلت يا فاطمة الم آمركم ان تغسلوا قالت والله ما له قميص غيره
وقال سالم كان عمر بن عبد العزيز من الين الناس لباسا من قبل ان يسلم عليه بالخلافة
فلما سلم عليه بالخلافة ضرب راسه بين ركبتيه وبكا ثم دعا باطمار له فلبسها وقيل
لما مات ابو الدردا وجد في ثوبه اربعون رقعة وكان عطاوه اربعة الف وقال
زيد بن وهب لبس علي بن ابي طالب قميصا رازيا وكان اذا مد كمه بلغ اطراف اصابعه
فعابه الخوارج بذلك فقال اتعيبوني على لباس هو ابعد من الكبر واجدر ان يقتدي
بي المسلم وقيل كان عمر اذا راى على رجل ثوبين رقيقين علاه بالدرة وقال دعوا

هذه البراقات للنساء وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نوروا قلوبكم بلباس
الصوف فانه مذلة في الدنيا ونور في الآخرة وإياكم أن تفسدوا دينكم بحمد الناس
وثنائهم وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم احتذى نعلين فلما نظر إليهما أعجبه
حسنهما فسجد لله فقيل له في ذلك فقال خشيت أن يعرض عني ربي فتواضعت له
لا جرم لا يبيتان في منزلي لما تخوفت من المقت من الله من أجلهما فأخرجهما فدفعهما
إلى أول مسكين لقيه ثم أمر فاشترى له نعلان مخصوفتان وروى أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم لبس الصوف واحتذى المخصوف وأكل مع العبيد وإذا
كانت النفس محل الآفات والوقوف على دسائسها وخفي شهواتها وكامن هواها
عسر جدا فالأجدر والأولى الأخذ بالأحوط وترك ما يريب إلى ما لا يريب ولا يجوز
للعبد الدخول في السعة إلا بعد إتقان علم السعة وكمال تزكية النفس وذلك إذا
غابت النفس بغيبة هواها المتبع وتخلصت النية وتسدد التصرف بعلم صريح واضح
وللعزيمة أقوام يركبونها ويرعونها لا يرون النزول إلى الرخص خوفا من فوت
فضيلة الزهد في الدنيا واللباس الناعم من الدنيا وقد قيل من رق ثوبه رق
دينه وقد يرخص في ذلك لمن لا يتلزم بالزهد ويقف على رخصة الشرع روى
علقمة عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا يدخل الجنة
من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر فقال رجل إن الرجل يحب أن يكون ثوبه
حسنا ونعله حسنا فقال النبي عليه الصلوة والسلام إن الله جميل يحب الجمال ويكون
هذه الرخصة في حق من لا يلبسه بهوى نفسه في ذلك غير مفتخر به ومتخيل
فأما من لبس الثوب للتفاخر بالدنيا والتكاثر بها فقد ورد فيه وعيد روى أبو هريرة
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إزرة المؤمن إلى نصف الساق فيما بينه وبين
الكعبين وما كان أسفل من الكعبين فهو في النار من جر إزاره بطرا لم ينظر الله
إليه يوم القيامة فبينما رجل ممن كان قبلكم يتبختر في ردائه إذ أعجبه رداؤه
فخسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة والأحوال تختلف ومن صح حاله

وخلصت

يتجلجل في الأرض أي يسيخ ويدخل

بصحة

بصحة علمه صحت نيته في مأكوله وملبوسه وسائر تصاريفه وكل الأحوال يستقيم
ويتسدد باستقامة الباطن مع الله وبقدر ذلك يستقيم تصاريف العبد كلها بحسن توفيق الله تعالى

الباب الخامس والأربعون في ذكر فضل قيام الليل

قال الله تعالى إذ يغشيكم النعاس أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به
ويذهب عنكم رجز الشيطان نزلت هذه الآية في المسلمين يوم بدر حيث نزلوا
على كثيب من الرمل تسوخ فيه الأقدام وحوافر الدواب وسبقهم المشركون إلى ماء
بدر العظمى وغلبوهم عليها وأصبح المسلمون محدثين وجنبا فأصابهم الظماء
ووسوس إليهم الشيطان أنكم تزعمون أنكم على الحق وفيكم نبي الله وقد غلب
المشركون على الماء وأنتم تصلون محدثين ومجنبين فكيف ترجون الظفر عليهم
فأنزل الله مطرا من السماء سال منه الوادي فشرب المسلمون واغتسلوا وتوضؤا
وسقوا الدواب وملأوا الأسقية ولبد الوادي حتى ثبتت به الأقدام قال الله تعالى
ويثبت به الأقدام إذ يوحي ربك إلى الملائكة أمدهم الله تعالى بالملائكة حتى
غلبوا المشركين ولكل آية من القرآن ظهر وبطن وحد ومطلع والله تعالى كما جعل
النعاس رحمة وأمنة للصحابة خاصة في تلك الواقعة والحادثة فهو رحمة تعم
المؤمنين والنعاس قسم صالح من الأقسام العاجلة للمريدين وأمنة لقلوبهم
عن منازعات النفس لأن النفس بالنوم تستريح ولا تشكوا الكلال والتعب إذ في
شكايتها وتعبها تكدير القلب وباستراحتها بالنوم بشرط العلم والاعتدال راحة
القلب لما بين القلب والنفس من المواطاة عند طمأنينتها للمريدين السالكين فقد قيل
ينبغي أن يكون ثلث الليل والنهار نوما حتى لا يضطرب الجسد فيكون ثمان ساعات
النوم ساعتين من ذلك يجعلهما المريد بالنهار وست ساعات بالليل ويزيد في أحدهما
وينقص من الآخر على قدر طول الليل وقصره في الشتاء والصيف وقد يكون بحسن
الإرادة وصدق الطلب ينقص النوم عن قدر الثلث ولا يضر ذلك إذا صار بالتدريج
عادة وقد يحمل ثقل السهر وقلة النوم وجود الروح والأنس فإن النوم طبعه بارد رطب

بين

أيديهم

ينفع الجسد والدماغ ويسكن من الحرارة واليبس الحادث في المزاج فان نقص من الثلث
يضر الدماغ ويخشى منه اضطراب الجسم فاذا ناب عن النوم روح القلب وانسه لا يضر
نقصانه لان طبيعة الروح والانس بارد رطب كطبيعة النوم وقد يقصر مدة طول
الليل وجود الروح فيصير بالروح اوقات الليالي الطويلة كالقصيرة كما يقال سنة
الوصل سنة وسنة الهجر سنة فيقصر الليل لاهل الروح ونقل عن علي بن بكار انه
قال منذ اربعين سنة ما احزنني الا طلوع الفجر وقيل لبعضهم كيف انت والليل قال
ما راعيته قط يريني وجهه ثم ينصرف وما تاملته وقال ابو سليمن الداراني اهل الليل
في ليلهم اشد لذة من اهل اللهو في لهوهم وقال بعضهم ليس في الدنيا شي يشبه نعيم
اهل الجنة الا ما يجده اهل التملق في قلوبهم بالليل من حلاوة المناجاة فحلاوة المناجاة
ثواب عاجل لاهل الليل وقال بعض العارفين ان الله تعالى يطلع على قلوب المستيقظين
في الاسحار فيملاها نورا فترد الفوايد على قلوبهم فيستنير ثم ينتشر من قلوبهم العوافي
الى قلوب الغافلين وقد ورد ان الله تعالى اوحى في بعض ما اوحى الى بعض انبيايه ان لي
عبادا يحبونني واحبهم ويشتاقون الي واشتاق اليهم ويذكرونني واذكرهم وينظرون
الي وانظر اليهم فان حذوت طريقهم احببتك وان عدلت عن ذلك مقتك قال يا رب
ما علامتهم قال يراعون الظلال بالنهار كما يراعي الراعي غنمه ويحنون الى غروب
الشمس كما تحن الطير الى اوكارها فاذا جنهم الليل واختلط الظلام وخلا كل حبيب
بحبيبه نصبوا الي اقدامهم وافترشوا الي وجوههم ناجوني بكلامي وتملقوا الي بانعامي فبين
صارخ وباكي وبين متاوه وشاكي بعيني ما يتحملون من اجلي وبسمعي ما يشكون من حبي
اول ما اعطيهم ان اقذف من نوري في قلوبهم فيخبرون عني كما اخبر عنهم والثاني لو كانت
السموات السبع والارضون وما فيها في موازينهم استقللتها لهم والثالث اقبل بوجهي عليهم
فترى من اقبلت بوجهي عليهم يعلم احد ما اريد ان اعطيه فالصادق المريد اذا خلا في ليله
بمناجاة ربه انتشر انوار ليله على جميع اجزاء نهاره ويصير نهاره في حماية ليله وذلك
لامتلا قلبه بالانوار فيكون حركاته وتصاريفه بالنهار يصدر من منبع الانوار المجتمعة

من الليل

من الليل ويصير قالبه في قبة من قباب الحق مسددة حركاته موقرة سكناته وقد ورد
من صلى بالليل حسن وجهه بالنهار ويجوز ان يكون بمعنيين احدهما ان المشكاة تستنير
بالمصباح فاذا صار سراج اليقين في القلب يزهر بكثرة زيت العمل بالليل يزداد المصباح
اشراقا ويكتسب مشكاة القالب نورا وضيا كان يقول سهل بن عبد الله اليقين نار والاقرار
فتيلة والعمل زيت وقد قال الله تعالى سيماهم في وجوههم من اثر السجود وقال تعالى مثل
نوره كمشكاة فيها مصباح فنور اليقين من نور الله في زجاجة القلب يزداد ضيا بزيت
العمل فيبقى زجاجة القلب كالكوكب الدري وينعكس انوار الزجاجة على مشكاة القالب
وايضا يلين القلب بنار النور ويسري لينه الى القالب فلين القالب للين القلب فيتشابهان
لوجود اللين الذي عمهما قال الله تعالى ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله وصف
الجلود باللين كما وصف القلوب باللين فاذا امتلا القلب بالنور ولان القالب بما سري
فيه من الانس والسرور يندرج المكان والزمان في نور القلب فيندرج فيه الكلم والايات
والسور وتشرق الارض ارض القالب بنور ربها الى ان يصير القلب سماء والقالب
ارضا ولذة تلاوة كلام الله تعالى في محل المناجاة تستر كون الكاينات والكلام المجيد
بكونه ينوب عن ساير الوجود في مزاحمة صفو الشهود فلا يبقى حينيذ للنفس حديث
ولا يسمع للهاجس حسيس وفي مثل هذه الحال يتصور تلاوة القران من فاتحته الى خاتمته
من غير وسوسة وحديث نفس وذلك هو الفضل العظيم الوجه الثاني لقوله صلى
الله عليه وسلم من صلى بالليل حسن وجهه بالنهار ومعناه ان وجوه اموره التي يتوجه اليها
تحسن ويتداركه المعونة من الله الكريم في تصاريفه ويكون معانا في مصادره وموارده
فيحسن وجه مقاصده وافعاله وينتظم في سلك السداد مسددا اقواله لان الاقوال
يستقيم باستقامة القلب الباب الثامن والاربعون في ذكر الاسباب المعينة على قيام الليل وادب النوم
فمن ذلك ان العبد يستقبل الليل عند غروب الشمس بتجديد الوضوء ويقعد مستقبل
القبلة منتظرا مجي الليل وصلوة المغرب مقيما في ذلك على انواع الاذكار ومن اولاها
التسبيح والاستغفار قال الله تعالى لنبيه واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشي

والابكار ومن ذلك ان يواصل بين العشائين بالصلوة او بالتلاوة او الذكر وافضل ذلك الصلوة
فانه اذا واصل بين العشائين تغسل عن باطنه اثار الكدورة الحادثة في اوقات النهار
من رؤية الخلق ومخالطتهم وسماع كلامهم فان ذلك كله له اثر وخدش في القلوب حتى
النظر اليهم يعقب كدرا في القلب يدركه من رزق صفا القلب فيكون اثر النظر الى
الخلق للبصيرة كالقذى في العين للبصر وبالمواصلة بين العشائين يرجى ذهاب ذلك
الاثر ومن ذلك ترك الحديث بعد العشاء الآخرة فان الحديث في ذلك الوقت يذهب
طراوة النور الحادث في القلب من مواصلة العشائين ويقيد عن قيام الليل سيما
اذا كان عريا عن يقظة القلب ثم تجديد الوضوء بعد العشاء الآخرة ايضا معين على
قيام الليل حكى لي بعض الفقراء عن شيخ له بخراسان انه كان يغتسل بالليل ثلث مرات
مرة بعد العشاء الآخرة ومرة في اثناء الليل بعد الانتباه من النوم ومرة قبل الصبح فللوضوء
والغسل بعد العشاء الآخرة اثر ظاهر في تيسير قيام الليل ومن ذلك القعود على الذكر او
القيام بالصلوة حتى يغلب النوم فان ذلك يعين على سرعة الانتباه الا ان يكون واثقا
من نفسه وعادته فيتعمل للنوم ويستجلبه ليقوم في وقته المعهود والا فالنوم عن الغلبة
هو الذي يصلح للمريدين والطالبين وهذا وصف المحبين قيل نومهم نوم الغرقى
واكلهم اكل المرضى وكلامهم ضرورة فمن نام عن غلبة بهم مجتمع متعلق بقيام الليل يوفق
لقيام الليل فانما النفس اذا اطمعت ووطنت على النوم استرسلت فيه واذا ازعجت
بصدق العزيمة لا يسترسل في الاستقرار وهذا الانزعاج في النفس بصدق العزيمة
هو التجافي الذي قال الله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع لان الهم بقيام الليل وصدق
العزيمة يجعل بين الجنب والمضجع تنافيا وتجافيا وقد قيل للنفس نظران نظر الى تحت
لاستيفا الاقسام البدنية ونظر الى فوق لاستيفا الاقسام الروحانية فارباب
العزيمة تجافت جنوبهم عن المضاجع لنظرهم الى فوق الى الاقسام العلوية الروحانية
فاعطوا النفوس حقها من النوم ومنعوها حظها فان النفس بما فيها مركوز من الترابية
والجمادية ترسب في محلها وتستلذ النوم قال الله تعالى هو الذي خلقكم من تراب والادمي

بكل اصل من اصول خلقته طبيعة لازمة له والرسوب صفة التراب والكسل والتقاعد
والتناوم بسبب ذلك طبيعة في الانسان فارباب الهمة اهل العلم الذين حكم الله لهم بالعلم
في قوله امن هو قانت اناء الليل ساجدا وقائما يحذر قل هل يستوى الذين يعلمون والذين
لا يعلمون حكم لهؤلاء الذين قاموا بالليل بالعلم فهم لموضع علمهم ازعجوا النفوس عن
مقار طبيعتها ورقوها بالنظر الى اللذات الروحانية الى ذرى حقيقتها فتجافت جنوبهم
عن المضاجع وخرجوا من صفة الغافل الساهي ومن ذلك ان تغير العادة فان كان
ذا وسادة يترك الوسادة وان كان ذا وطاء يترك الوطاء وقد كان بعضهم يقول لان
ارى في بيتي شيطانا احب الي من ان ارى وسادة فانها تدعو الى النوم وتغيير العادة
في الوسادة والغطاء والوطاء تاثير في ذلك ومن ترك شيئا من ذلك والله عالم بنيته وعزيمته
يثبته على ذلك بتيسير ما رام ومن ذلك خفة المعدة من الطعام ثم تناول ما ياكل من الطعام
اذا اقترن بذكر الله ويقظة الباطن اعان على قيام الليل لان بالذكر يذهب داؤه فان
وجد للطعام ثقلا على المعدة ينبغي ان يعلم ان ثقله على القلب اكثر فلا ينام حتى يذهب
الطعام بالذكر والتلاوة والاستغفار يقول بعضهم لان انقص من عشائي لقمة احب الي
من ان اقوم ليلة والاحوط ان يوتر قبل النوم فانه لا يدري ما ذا يحدث ويعد طهوره وسواكه
عنده ولا يدخل النوم الا وهو على طهارة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نام العبد
وهو على الطهارة عرج بروحه الى العرش وكانت رؤياه صادقة وان لم ينم على الطهارة
قصرت روحه عن البلوغ فيكون المنامات اضغاث احلام لا تصدق والمريد المتاهل
اذا نام في الفراش مع الزوجة ينتقض وضوءه باللمس ويفوته بذلك فايدة النوم على الطهارة
ما لم يسترسل في التذاذ النفس باللمس او بعدم يقظة القلب فاما اذا استرسل في الالتذاذ
وغفل يحجب الروح ايضا لمكان صلاقة والطهارة التي تثمر صدق الرؤيا طهارة الباطن
عن خدوش الهوى وكدورة محبة الدنيا والنقاء عن انجاس الغل والحقد والحسد وقد
ورد من اوى الى فراشه لا ينوي ظلم احد ولا يحقد على احد غفر له ما اجترم واذا طهرت
النفس عن الرذايل انجلى مرآة القلب وقابل اللوح المحفوظ في النوم وانتقش فيه عجايب الغيب

ومحادثه

وغرايب الانبا ففي الصديقين من يكون له في منامه مكالمة ومحادثة ويامره الله تعالى وينهاه ويفهمه في المنام ويعرفه ويكون موضع ما يفتح له في نومه من الامر والنهي كالامر والنهي الظاهر يعصي الله تعالى ان اخل بها بل يكون هذه الاوامر آكد واعظم وقعا لان المخالفات الظاهرة يمحوها التوبة والتايب من الذنب كمن لا ذنب له وهذه اوامر خاصة يتعلق بحاله فيما بينه وبين الله فاذا اخل بها يخشى ان ينقطع عليه طريق الارادة ويكون في ذلك الرجوع عن الله واستيجاب مقام المقت فان ابتلي العبد في بعض الاحايين بكسل او فتور عزيمة يمنع من تجديد الطهارة عند النوم بعد الحدث فليمسح اعضاوه بالما مسحا حتى يخرج بهذا القدر عن زمرة الغافلين حيث تقاعد عن فعل المتيقظين وهكذا اذا كسل عن القيام عقيب الانتباه يجتهد ان يستاك ويمسح اعضاوه بالما مسحا في تقلباته وانتباهاته ففي ذلك فضل كثير لمن كثر نومه وقل قيامه روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يستاك في كل ليلة مرارا عند كل نوم وعند الانتباه منها ويستقبل القبلة في نومه وهو على نوعين فاما على جنبه الايمن كاللحود واما على ظهره مستقبلا للقبلة كالميت المسجى ويقول باسمك اللهم وضعت جنبي وبك ارفعه اللهم ان امسكت نفسي فاغفر لها وارحمها وان ارسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين اللهم اني وجهت وجهي اليك وفوضت امري اليك والجات ظهري اليك رهبة ورغبة اليك لا ملجا ولا منجا منك الا اليك آمنت بكتابك الذي انزلت وبنبيك الذي ارسلت اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك الحمد لله الذي علا فقهر الحمد لله الذي بطن فخبر الحمد لله الذي ملك فقدر الحمد لله الذي هو يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير اللهم اني اعوذ بك من غضبك وسوء عقابك وشر عبادك وشر الشيطان وشركه ويقرا خمس آيات من البقرة الاربع من اوله والاية ان في خلق السموات وآية الكرسي وآمن الرسول وان ربكم الله وقل ادعوا الله واول سورة الحديد وآخر سورة الحشر وقل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد والمعوذتين وينفث بهن في يديه ويمسح بهما وجهه وجسده

وان

حتى تذكرك فتذكرني

وان اضاف اليها قرا عشرا من اول الكهف وعشرا من آخرها فحسن ويقول اللهم ايقظني في احب الساعات اليك واستعملني باحب الاعمال اليك الذي تقربني اليك زلفى وتبعدني من سخطك بعدا اسالك فتعطيني واستغفرك فتغفر لي وادعوك فتستجيب لي اللهم لا تومني مكرك ولا تولني غيرك ولا ترفع عني سترك ولا تنسني ذكرك ولا تجعلني من الغافلين وقد ورد ان من قال هذه الكلمات بعث الله تعالى اليه ثلثة املاك يوقظونه للصلوة فان صلى ودعا امنوا وان لم يقم تعبدت الاملاك في الهوا وكتب له ثواب عبادتهم ويسبح ويحمد ويكبر كل واحد ثلثا وثلثين ويتم المائة بلا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

الباب السابع والاربعون في ادب الانتباه من النوم والعمل بالليل

اذا فرغ المودن من اذان المغرب يصلي ركعتين خفيفتين بين الاذان والاقامة وكان العلماء يصلون هاتين الركعتين في البيت يعجلون بها قبل الخروج الى الجماعة كيلا يظن الناس انها سنة مرتبة فيقتدوا بهم ظنا منهم انها سنة فاذا صلى المغرب يصلي ركعتي السنة بعد المغرب يعجل بها فانها ترفع مع الفريضة يقرا فيهما بقل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد ثم يسلم على ملايكة الليل والكرام الكاتبين فيقول مرحبا بملايكة الليل مرحبا بالملكين الكريمين الكاتبين اكتبا في صحيفتي اني اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واشهد ان الجنة حق والنار حق والحوض حق والشفاعة حق والصراط حق والميزان حق واشهد ان الساعة اتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور اللهم اودعك هذه الشهادة ليوم حاجتي اليها اللهم احطط بها وزري واغفر بها ذنبي وثقل بها ميزاني واوجب لي بها اماني وتجاوز عني يا ارحم الراحمين فان واصل بين العشائين في مسجد جماعة يكون جامعا بين الاعتكاف ومواصلة العشائين وان راى انصرافه الى منزله والمواصلة بين العشائين في بيته اسلم لدينه واقرب الى الاخلاص واجمع للهم فليفعل وسيل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تتجافى

جنوبهم عن المضاجع قال هي الصلوة بين العشائين وقال عليه الصلوة والسلام عليكم بالصلوة
بين العشائين فانها تذهب بملاغاة النهار وتهذب اخره ويجعل من الصلوة بين العشائين
ركعتين بسورة البروج والطارق ثم ركعتين يقرا في الاولى عشر ايات من اول
سورة البقرة والايتين والهكم اله واحد الى اخر الايتين وخمس عشرة مرة قل هو الله
احد وفي الثانية اية الكرسي وامن الرسول وخمس عشر مرة قل هو الله احد ويقرا
في الركعتين الاخريين سورة الزمر والواقعة ويصلي بعد ذلك ما شا فان اراد ان يقرا
شيا من حزبه في هذا الوقت في الصلوة او غيرها وان شا صلى عشرين ركعة خفيفة
بسورة الاخلاص والفاتحة ولو واصل بين العشائين بركعتين يطيلهما فحسن وفي
هاتين الركعتين يطيل القيام تاليا للقران حزبه او مكررا اية فيها الدعا والتلاوة مثل
ان يقرا مكررا ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير او اية اخرى في معناها
فيكون جامعا بين التلاوة والصلوة والدعا ففي ذلك جمع الهم وظفر بالفضل ثم يصلي
قبل العشا اربعا وبعدها ركعتين ثم ينصرف الى منزله او موضع خلوته فيصلي اربعا
اخر وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي في بيته اول ما يدخل قبل ان يجلس ويقرا
في هذه الاربع السجدة لقمن ويس وحم الدخان وتبارك الملك وان اراد ان يخفف
فيقرا فيها اية الكرسي وامن الرسول واول سورة الحديد واخر سورة الحشر ويصلي
بعد الاربع احدى عشرة ركعة يقرا فيها بثلثماية اية من القران ومن السما والطارق
الى اخر القران ثلثماية اية هكذا ذكر الشيخ ابو طالب المكي رحمة الله عليه وان
اراد قرا هذا القدر في اقل من هذا العدد من الركعات وان قرا من سورة الملك
الى اخر القران فهو الف اية فهو خير عظيم كثير وان لم يحفظ القران يقرا في كل ركعة
خمس مرات قل هو الله احد الى عشر مرات الى اكثر ولا يوخر الوتر الا ان يكون واثقا
من نفسه في عادتها الانتباه للتهجد فيكون تاخير الوتر الى اخر التهجد حينئذ افضل
وقد كان بعض العلما اذا اوتر قبل النوم ثم قام يتهجد يصلي ركعة يشفع بها وتره
ثم يتنفل ما شاء ويوتر في اخر ذلك واذا كان الوتر من اول الليل يصلي بعد الوتر ركعتين

جالسا

جالسا يقرا فيهما باذا زلزلت والهيكم وقيل ان الركعتين قاعدا بمنزلة الركعة قايما يشفع
له الوتر حتى اذا اراد التهجد ياتي به ويوتر في اخر تهجده ونية هاتين الركعتين نية النفل
لا غير ذلك فكثيرا رايت الناس يتفاوضون في كيفية نيتها وان قرا في كل ليلة المسبحات
واضاف اليها سورة الاعلى فيصير سبعا فقد كان العلما يقرؤن هذه السور ويعرفون
بركتها فاذا استيقظ من النوم فمن احسن الادب عند الانتباه ان يذهب باطنه
الى الله ويصرف فكره الى امر الله قبل ان يجول الفكر في شي سوى الله ويشغل اللسان
بالذكر فالصادق كالطفل الكلف بالشي اذا نام ينام على محبة الشي واذا انتبه
يطلب ذلك الشي الذي كان كلفا به وعلى حسب هذا الكلف والشغل يكون الموت
والقيام الى الحشر فلينظر وليعتبر عند انتباهه من النوم ما همه فانه هكذا يكون
عند القيام من القبر ان كان همه الله ولا فهمه غير الله والعبد اذا انتبه من
النوم فباطنه عايد الى طهارة الفطرة فلا يدع الباطن يتغير بغير ذكر الله تعالى
حتى لا يذهب عنه نور الفطرة الذي انتبه عليه ويكون فارا الى الله تعالى بباطنه
خوفا من ذكر الاغيار ومهما وفى الباطن بهذا العيار فقد نقى طريق الانوار
وطرق للنفحات الالهية فجدير ان تنصب اليه اقسام الليل انصبابا ويصير
جنابا لقرب له حويلا ومابا ويقول باللسان الحمد لله الذي احيانا بعد ما اماتنا
واليه النشور ويقرا العشر الاواخر من سورة ال عمران ثم يقصد الماء الطهور
قال الله تعالى وينزل عليكم من السما ما ليطهركم به وقال تعالى انزل من السما ما
فسالت اودية بقدرها قال عبد الله بن عباس الما القران والاودية القلوب فسالت
بقدرها واحتملت ما وسعت والما مطهر والقران مطهر والقران بالتطهير اجدر
فالما لا يقوم غيره مقامه والقران والعلم لا يقوم غيره مقامه ولا يسد مسده
فالما الطهور يطهر الظاهر والعلم والقران يطهر الباطن ويذهب رجز الشيطان
فالنوم غفلة وهو من اثار الطبع وجدير ان يكون من رجز الشيطان لما فيه من الغفلة
عن الله تعالى وذلك ان الله تعالى امر بقبض القبضة من التراب من وجه الارض

تفاوض القوم في الامر اى فاوض بعضهم بعضا

يقال كلفت بهذا الامر اى اولعت به

يطهران ويذهبان

وكانت القبضة جلدة الارض والجلدة ظاهرها بشرة وباطنها ادمة قال الله تعالى
انى خالق بشرًا من طين فالبشرة والبشر عبارة عن ظاهره وصورته والادمة عبارة
عن باطنه وآدميته والآدمية مجمع الاخلاق الحميدة وكان التراب موطأ اقدام
ابليس ومن ذلك اكتسب ظلمة وصارت تلك الظلمة معجونة فى باطنية الادمي ومنها
الصفات المذمومة والاخلاق الردية ومنها الغفلة والسهو فاذا استعمل الماء وقرا
القرآن فى المطهرين جميعًا ويذهب عنه رجز الشيطان واثر وطأته ويحكم
له بالعلم والخروج من حيز الجهل فاستعمال الطهور امر شرعى له تاثير فى تنوير القلب
بازاء النوم الذى هو الحكم الطبيعى الذى له تاثير فى تكدير القلب فيذهب نور هذا
بظلمة ذلك ولهذا راى بعض العلماء الوضوء مما مست النار وحكم ابو حنيفة
بالوضوء من القهقهة فى الصلوة حيث رآه حكما طبيعيا جالبا للاثم والاثم
من رجس الشيطان والماء يذهب رجس الشيطان حتى كان بعضهم يتوضا عند
الغيبة والكذب وعند الغضب لظهور النفس وتصرف الشيطان فى هذه
المواطن ولو ان المتحفظ المراعى المراقب المحاسب كلما انطلقت النفس فى مباح
من كلام او مساكنة الى مخالطة الناس او غير ذلك مما هو برخصة تحليل عقد
العزيمة كالخوض فيما لا يعنى قولا او فعلا عقب ذلك بتجديد الوضوء ثبت القلب
على طهارته ونزاهته ولكان الوضوء لصفاء البصيرة بمثابة الجفن الذى ازال
بخفة حركته يجلوا البصر وما يعقلها الا العالمون فتفكر فيما نبهتك عليه
تجد بركته واثره ولو اغتسل عند هذه المجددات والعوارض والانتباه من
النوم كان ازيد فى تنوير قلبه ولكان الاجدر ان العبد يغتسل لكل فريضة باذلا
مجهوده فى الاستعداد لمناجاة الله ويجدد غسل الباطن بصدق الانابة وقد
قال الله تعالى منيبين اليه واتقوه واقيموا الصلوة قدم الانابة للدخول فى الصلوة
ولكن رحمة الله تعالى وحكم الحنيفية السهلة السمحة رفع الحرج وعوض بالوضوء
عن الغسل وجوز اداء مفترضات بوضوء واحد دفعا للحرج عن عامة الامة

والخواص واهل العزيمة مطالبات من بواطنهم يحكم عليهم بالاولى وتلجئهم الى سلوك
طريق الاعلى فاذا قام الى الصلوة واراد استفتاح التهجد يقول الله اكبر كبيرا
والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا ويقول سبحان الله والحمد لله الكلمات
عشر مرات ويقول الله اكبر ذو الملك والملكوت والجبروت والكبرياء والعظمة
والجلال والقدرة اللهم لك الحمد انت نور السموات والارض ولك الحمد انت
بهاء السموات والارض ومن فيهن ومن عليهن انت الحق ووعدك الحق ومنك الحق
ولقاؤك حق والجنة حق والنار حق والنبيون حق ومحمد صلى الله عليه وسلم حق
اللهم لك اسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وبك خاصمت واليك حاكمت فاغفر لى
ما قدمت وما اخرت وما اسررت وما اعلنت وما انت اعلم به منى انت المقدم
وانت المؤخر لا اله الا انت اللهم آت نفسى تقواها وزكها انت خير من زكيها
انت وليها ومولها اللهم اهدنى لاحسن الاخلاق لا يهدى لاحسنها الا
انت واصرف عنى سيئها لا يصرف عنى سيئها الا انت اسئلك مسئلة البايس
المسكين وادعوك دعاء الفقير الذليل فلا تجعلنى بدعائك رب شقيا وكن بى
رؤفا رحيما يا خير المسئولين ويا اكرم المعطين ثم يصلى ركعتين تحية الطهارة
يقرأ فى الاولى بعد الفاتحة ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاؤك الآية وفى الثانية
ومن يعمل سوءًا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما ويستغفر
بعد الركعتين مرات ثم يستفتح الصلوة بركعتين خفيفتين ان اراد يقرا فيهما
باية الكرسى وآمن الرسول وان اراد غير ذلك ثم يصلى ركعتين طويلتين روى
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يتهجد هكذا ثم يصلى ركعتين طويلتين
اقصر من الاوليين وهكذا يتدرج الى ان يصلى اثنتى عشرة ركعة او ثمانى ركعات
او يزيد على ذلك ففى كل ذلك فضل كثير

الباب الثامن والاربعون في تقسيم قيام الليل

قال الله سبحانه وتعالى والذين يبيتون لربهم سجدًا وقياما
وقيل فى قوله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون

الحنيفية

لايهدينى

هكذا

كان عملهم قيام الليل وقيل استعينوا بالصبر والصلوة استعينوا بصلوة الليل
على مجاهدة النفس ومصابرة العدو وفي الخبر عليكم بقيام الليل فانه مرضاة
لربكم وهو داب الصالحين قبلكم ومنهاة عن الاثم وملغاة للوزر ومذهب كيد
الشيطان ومطردة للداء عن الجسد وقد كان جمع من الصالحين يقومون الليل كله
حتى نقل ذلك عن اربعين من التابعين كانوا يصلون الغداة بوضوء العشاء منهم
سعيد بن المسيب وفضيل بن عياض ووهيب بن الورد وابو سليمان الداراني
وعلي بن بكار وحبيب العجمي وكهمس بن المنهال وابو حازم ومحمد بن المنكدر وغيرهم
عدهم وسماهم باسمائهم الشيخ ابو طالب المكي في كتابه قوت القلوب فمن عجز
عن ذلك يستحب له قيام ثلثيه او ثلثه واقل الاستحباب سدس الليل فاما ان ينام
ثلث الليل الاول ويقوم نصفه وينام سدسه الاخر او ينام النصف الاول
ويقوم ثلثه وينام السدس روي ان داود عليه السلام قال يا رب اني احب ان اتعبد
لك فاي وقت اقوم فاوحى الله تعالى اليه يا داود لا تقم اول الليل ولا اخره فانه من قام
اوله نام اخره ومن قام اخره نام اوله ولكن قم وسط الليل حتى تخلو بي واخلو بك
وارفع الي حوائجك فيكون القيام بين النومتين والاعتدال ان يتنفس من اول الليل
ويتنفل فاذا غلبه النوم ينام فاذا انتبه يتوضا فيكون له قومتان ونومتان ويكون
ذلك من افضل ما يفعله ولا يصلي وعنده نوم يشغله عن الصلوة والتلاوة حتى
يعقل ما يقول وقد ورد لا تكابدوا الليل وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانة
تصلي من الليل فاذا غلبها النوم تعلقت بحبل فنهى عن ذلك وقال ليصل احدكم من الليل
ما تيسر فاذا غلبه النوم فلينم وقال عليه الصلوة والسلام لا تشادوا هذا الدين
فانه متين فمن يشاده يغلبه ولا تبغض الى نفسك عبادة الله ولا يليق بالطالب
ولا ينبغي له ان يطلع الفجر وهو نايم الا ان يكون سبق له في الليل قيام طويل فيعذر
في ذلك على انه اذا استيقظ قبل الفجر بساعة مع قيام قليل سبق في الليل يكون افضل
من قيام طويل ثم النوم الى بعد طلوع الفجر فاذا استيقظ قبل طلوع الفجر يكثر الاستغفار

والتسبيح

والتسبيح ويغتنم تلك الساعة وكلما يصلي بالليل يجلس قليلا بعد كل ركعتين
ويسبح ويستغفر ويصلي على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه يجد بذلك ترويحا
وقوة على القيام وقد كان بعض الصالحين يقول هي اول نومة فان انتبهت ثم
عدت الى نومة اخرى فلا انام الله عيني وحكى لي بعض الفقراء عن شيخ له
انه كان يامر الاصحاب بنومة واحدة بالليل واكلة واحدة لليوم والليلة
وقد جاء في الخبر قم من الليل ولو قدر حلب شاة وقيل يكون ذلك قدر اربع ركعات
وقدر ركعتين وقيل في تفسير قوله تعالى تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن
تشاء هو قيام الليل ومن حرم قيام الليل كسلا وفتورا في العزيمة او تهاونا به
لقلة الاعتداد بذلك واغترارا بحاله فليبك عليه فقد قطع عليه طريق كثير
من الخير وقد يكون من ارباب الاحوال من يكون له ابواب الى القرب ويجد من روح
القرب ما يفتر عليه داعية الشوق ويرى ان القيام وقوف في مقام الشوق
وهذا يغلط فيه ويهلك به خلق من المدعين والذي له ذلك ينبغي ان يعلم ان
استمرار هذه الحالة متعذر والانسان متعرض للقصور والتخلف والشبهة
ولا حالة اجل من حال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما استغنى عن قيام الليل
وقام حتى تورمت قدماه وقد يقول بعض من يحتج في ذلك ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم فعل ذلك تشريعا فنقول ما بالنا لا نتبع تشريعه وهذه دقيقة تعلم ان
روية الفضيلة في ترك القيام وادعاء الايواء الى جناب القرب واستواء النوم
واليقظة ابتلاء وابتلاء حالي في تقيد بالحال وتحكيم للحال وتحكم من الحال في العبد
والاقوياء لا يتحكم فيهم الحال ويصرفون الحال في صور الاعمال فهم متصرفون في الحال
لا الحال متصرف فيهم فليعلم ذلك فانا راينا من الاصحاب من كان في ذلك ثم انكشف
لنا بتاييد الله تعالى ان ذلك وقوف وقصور قال رجل للحسن يا ابا سعيد اني
ابيت معافى واحب قيام الليل واعد طهوري فما بالي لا اقوم قال ذنوبك قيدتك
فليحذر العبد في نهاره ذنوبا تقيده في ليله وقال الثوري حرمت قيام الليل سبعة

بذنب اذنبته فقيل له ما كان ذنبك قال رايت رجلا بكا فقلت في نفسي هذا مرائي قال
بعضهم دخلت على كرز بن وبرة وهو يبكي فقلت ما بالك اتاك نعي بعض اهلك فقال اشد
فقلت وجع يولمك قال اشد قلت فما ذاك قال بابي مغلوق وستري مسبل ولم اقرا حزبي
البارحة وما ذاك الا لذنب احدثته وقال بعضهم الاحتلام عقوبة وهذا صحيح
لان المراعي المتحفظ بحسن تحفظه وعلمه بحاله يقدر ان يتمكن من سد باب الاحتلام
ولا يتطرق الاحتلام الا على جاهل بحاله او مهمل حكم وقته وادب حاله ومن كل
تحفظه ورعايته وقيامه بادب حاله قد يكون من ذنبه الموجب للاحتلام وضع
الراس على الوسادة اذا كان ذا عزيمة على ترك الوسادة فقد يتمهد للنوم ووضع
الراس على الوسادة بحسن النية من لا يكون ذلك ذنبه وله فيه نية للعون على القيام
وقد يكون ذلك ذنبا بالنسبة الى بعض الناس فاذا كان من هذا القدر يصلح ان يكون
ذنبا جالبا للاحتلام فقس على هذا ذنوب الاحوال فانها تختص بارباها ويعرفها
اصحابها وقد يترفق بانواع الرفق من الفراش الوطي والوسادة فلا يعاقب بالاحتلام
وغيره على فعله اذا كان عالما ذا نية يعرف مداخل الامور ومخارجها وكم من نايم سبق
القايم لوفور علمه وحسن نيته وفي الخبر اذا نام العبد عقد الشيطان على راسه
ثلث عقد فان قعد وذكر الله تعالى انحلت عقدة فان توضا انحلت عقده اخرى
وان صلى ركعتين انحلت العقد كلها فاصبح نشيطا طيب النفس والا اصبح كسلانا
خبيث النفس وفي خبر آخر ان نام حتى يصبح بال الشيطان في اذنه والذي يخل
بقيام الليل كثرة الاهتمام بامور الدنيا وكثرة اشتغال الدنيا واتعاب الجوارح
والامتلاء من الطعام وكثرة الحديث واللغو واللغط واهمال القيلولة والموفق
من يغتنم وقته ويعرف داه ودواه ولا يهمل فيهمل والله اعلم

الباب التاسع والاربعون في استقبال النهار والادب والعمل فيه

قال الله تعالى واقم الصلوة طرفي النهار اجمع المفسرون على ان احد الطرفين اراد به
الفجر وامر بصلوة الفجر واختلفوا في الطرف الاخر قال قوم اراد المغرب وقال آخرون

صلوة

صلوة العشا وقال قوم صلوة الفجر والظهر طرف وصلوة العصر والمغرب طرف وزلفا
من الليل صلوة العشا ثم ان الله تعالى اخبر عن عظيم بركة الصلوة وشرف فايدتها
وثمرتها وقال ان الحسنات يذهبن السيئات اى الصلوات الخمس يذهبن الخطيات
وروى ان ابا اليسر كعب بن عمرو الانصارى كان يبيع التمر فاتته امراة تبتاع
تمرا فقال لها ان هذا التمر ليس بجيد وفي البيت اجود منه فهل لك فيه رغبة قالت
نعم فذهب بها الى بيته فضمها الى نفسه وقبلها فقالت له اتق الله فتركها وندم ثم اتى
النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله ما تقول في رجل راود امراة عن نفسها ولم يبق
شيا مما يفعل الرجال بالنساء الا ركبه غير انه لم يجامعها قال عمر بن الخطاب لقد ستر
الله عليك لو سترت على نفسك ولم يرد رسول الله صلى الله عليه وسلم شيا وقال انتظر
امر ربي وحضرت صلوة العصر وصلى النبي عليه الصلوة والسلام العصر فلما فرغ
اتاه جبريل بهذه الاية فقال النبي عليه الصلوة والسلام اين ابو اليسر فقال ها انا
ذا يا رسول الله فقال شهدت معنا هذه الصلوات قال نعم قال اذهب فانها
كفارة لما عملت فقال عمر يا رسول الله هذا له خاصة او لنا عامة فقال بل للناس
عامة فيستعد العبد لصلوة الفجر باستكمال الطهارة قبل طلوع الفجر ويستقبل
الفجر بتجديد الشهادة كما ذكرنا في اول الليل ثم يؤذن ان لم يكن اجاب المؤذن
ثم يصلي ركعتي الفجر يقرا في الاولى بعد الفاتحة قل يا ايها الكافرون وفي الثانية
قل هو الله احد وان اراد قرا في الاولى قولوا آمنا بالله وما انزل الينا الاية في سورة
البقرة وفي الاخرى ربنا آمنا بما انزلت واتبعنا الرسول ثم يستغفر الله تعالى
ويسبح الله تعالى بما تيسر له من العدد وان اختصر على كلمة استغفر الله الذي
سبحان الله وبحمده اتى بالمقصود من التسبيح والاستغفار ثم يقول اللهم صل على
محمد وعلى آل محمد اللهم اني اسئلك رحمة من عندك تهدي بها قلبي وتجمع بها شملي وتلم
بها شعثي وترد بها الفتي وتصلح بها ديني وتحفظ بها غايبي وترفع بها شاهدي
وتزكي بها عملي وتبيض بها وجهي وتلقنني بها رشدي وتعصمني بها من كل سوء

اللهم اعطني ايمانا صادقا ويقينا ليس بعده كفر ورحمة انال بها شرف كرامتك في الدنيا
والاخرة اللهم اني اسئلك الفوز عند القضا ومنازل الشهدا وعيش السعدا والنصر على
الاعدا ومرافقة الانبيا اللهم اني انزل بك حاجتي وان قصر رائي وافتقرت الى رحمتك واسالك
يا قاضي الامور ويا شافي الصدور كما تجير بين البحور ان تجيرني من عذاب السعير ومن دعوة
الثبور ومن فتنة القبور اللهم ما قصر عنه راي وضعف فيه عملي ولم تبلغه نيتي
او امنيتي من خير وعدته احدا من عبادك او خير انت معطيه احدا من خلقك فانا ارغب اليك
فيه واسئلكه يا رب العالمين اللهم اجعلنا هادين مهديين غير ضالين ولا مضلين حربا لاعدائك
سلما لاوليائك نحب بحبك الناس ونعادي بعداوتك من خالفك من خلقك اللهم هذا
الدعا ومنك الاجابة وهذا الجهد وعليك التكلان ولا حول ولا قوة الا بالله ذي
الحبل الشديد والامر الرشيد اسئلك الامن يوم الوعيد والجنة دار الخلود مع
المقربين الشهود والركع السجود والموفين بالعهود انك رحيم ودود وانت تفعل ما تريد
سبحان من تعطف بالعز وقال به سبحان من لبس المجد وتكرم به سبحان الذي لا ينبغي التسبيح
الا له سبحان ذي الفضل والنعم سبحان ذي الجود والكرم سبحان الذي احصى كل شي بعلمه
اللهم اجعل لي نورا في قلبي ونورا في سمعي ونورا في بصري ونورا في شعري ونورا في بشري
ونورا في لحمي ونورا في دمي ونورا في عظامي ونورا من بين يدي ونورا من خلفي ونورا
عن يميني ونورا عن شمالي ونورا من فوقي ونورا من تحتي اللهم زدني نورا واعطني نورا
واجعل لي نورا ولهذا الدعا اثر كثير وما رايت احدا حافظ عليه الا وعنده خير ظاهر وبركة
وهو من وصية الصادقين بعضهم بعضا حفظه والمحافظة عليه منقول عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم انه كان يقراه بين الفريضة والسنة من صلوة الفجر ثم يقصد المسجد للصلوة
في الجماعة ويقول عند خروجه من منزله وقل رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق
واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا ويقول في الطريق اللهم اني اسئلك بحق السائلين عليك
وبحق ممشاي هذا اليك لم اخرج اشرا ولا بطرا ولا ريا ولا سمعة خرجت اتقا سخطك
وابتغا مرضاتك اسئلك ان تنقذني من النار وان تغفر لي ذنوبي انه لا يغفر الذنوب الا انت

الاثر ... شدة الفرح

روى ابو سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال ذلك اذا خرج الى الصلوة
وكل الله به سبعين الف ملك يستغفرون له واقبل عليه بوجهه حتى يقضي صلوته
واذا دخل المسجد او دخل سجادته للصلوة يقول بسم الله والحمد لله والصلوة والسلام
على رسول الله اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك ويقدم رجله اليمنى في الدخول
واليسرى في الخروج من المسجد والسجادة فسجادة الصوفي بمنزلة البيت في المسجد
ثم يصلي صلوة الصبح في جماعة فاذا سلم يقول لا اله الا الله وحده لا شريك له له
الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شي قدير لا اله
الا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده لا اله الا
الله اهل النعمة والفضل والثنا الحسن لا اله الا الله ولا نعبد الا اياه مخلصين
له الدين ولو كره الكافرون ويقرا هو الله الذي لا اله الا هو الرحمن الرحيم الى تمام
التسعة والتسعين اسما فاذا فرغ منها يقول اللهم صل على محمد عبدك ونبيك
ورسولك النبي الامي وعلى آل محمد صلوة تكون لك رضا ولحقه ادا واعطه الوسيلة والفضيلة
والمقام المحمود الذي وعدته واجزه عنا ما هو اهله واجزه عنا افضل ما جزيت
نبيا عن امته وصل على جميع اخوانه من النبيين والصديقين والشهدا والصالحين
اللهم صل على محمد في الاولين وصل على محمد في الاخرين وصل على محمد الى يوم الدين
اللهم صل على روح محمد في الارواح وصل على جسد محمد في الاجساد واجعل شرايف
صلواتك ونوامي بركاتك ورافتك ورحمتك وتحيتك ورضوانك على محمد عبدك ونبيك
ورسولك اللهم انت السلام ومنك السلام واليك يعود السلام فحينا ربنا بالسلام وادخلنا
دار السلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام اللهم اصبحت لا استطيع دفع ما اكره
ولا املك نفع ما ارجو واصبح الامر بيد غيري واصبحت مرتهنا بعملي فلا فقير افقر مني
اللهم لا تشمت بي عدوي ولا تسو بي صديقي ولا تجعل مصيبتي في ديني ولا تجعل الدنيا
اكبر همي ولا تسلط علي من لا يرحمني اللهم ان هذا خلق جديد فافتحه علي بطاعتك واختمه
لي بمغفرتك ورضوانك وارزقني فيه حسنة تقبلها مني وزكها وضعفها لي وما عملت فيه

من سيئة فاغفره لي انك غفور رحيم ودود رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد
صلى الله عليه وسلم نبيا اللهم اني اسئلك خير هذا اليوم وخير ما فيه واعوذ بك من شره
وشر ما فيه واعوذ بك من شر طوارق الليل والنهار ومن بغتات الامور وفجاة الاقدار
ومن شر كل طارق يطرق الا طارقا يطرق منك بخير يا رحمن الدنيا والاخرة ورحيمهما
واعوذ بك ان ازل او ازل واضل او اضل واذل او اذل واظلم او اظلم او اجهل
او يجهل علي عز جارك وجل ثناؤك وتقدست سماؤك وعظمت نعماؤك واعوذ بك
من شر ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها اعوذ بك
من حدة الحرص وشدة الطمع وسورة الغضب وسنة الغفلة وتعاطي الكلفة
اللهم اني اعوذ بك من مباهاة المكثرين والازراء على المقلين وان انصر ظالما او اخذل
مظلوما وان اقول في العلم بغير علم او اعمل في الدين بغير يقين اعوذ بك ان اشرك بك
وانا اعلم واستغفرك لما لا اعلم اعوذ بعفوك من عقابك واعوذ برضاك من سخطك
واعوذ بك منك لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك اللهم انت ربي لا اله الا
انت خلقتني وانا عبدك وابن عبديك على عهدك ووعدك ما استطعت اعوذ بك من شر
ما صنعت ابوء بنعمتك علي وابوء بذنوبي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت
اللهم اجعل اول يومنا هذا صلاحا واخره نجاحا واوسطه فلاحا اللهم اجعل اوله رحمة
واوسطه نعمة واخره تكرمة اصبحنا واصبح الملك لله والعظمة والكبرياء لله والجبروت
والسلطان لله والليل والنهار وما سكن فيهما لله الواحد القهار اصبحنا على فطرة
الاسلام وكلمة الاخلاص وعلى دين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وملة ابينا ابرهيم
حنيفا مسلما وما كان من المشركين اللهم انا نسئلك بان لك الحمد لا اله الا انت الحنان
المنان بديع السموات والارض ذو الجلال والاكرام انت الاحد الصمد الذي
لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد يا حي يا قيوم يا حي حين لا حي في ديمومة
ملكه وبقائه يا حي محيي الموتى يا حي مميت الاحياء وارث الارض والسماء اللهم
انا نسئلك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم وباسمك الذي لا اله الا هو وبسمك الله و

١١٧

لا اله الا هو الحي القيوم لا تاخذه سنة ولا نوم اللهم اني اسئلك باسمك الاعظم
الاجل الاعز الاكرم الذي اذا دعيت به اجبت واذا سئلت به اعطيت يا نور
النور يا مدبر الامور يا عالم ما في الصدور يا سميع يا قريب يا مجيب الدعا يا لطيفا
لما يشا يا رؤف يا رحيم يا كبير يا عظيم يا الله يا رحمن يا ذا الجلال والاكرام الم الله
لا اله الا هو الحي القيوم وعنت الوجوه للحي القيوم يا الهي واله كل شيء الها واحدا
لا اله الا انت اللهم اني اسئلك باسمك يا الله الله الله الله الذي لا اله الا هو
رب العرش العظيم فتعالى الله الملك الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم انت
الاول والاخر والظاهر والباطن وسعت كل شيء رحمة وعلما كهيعص
حم عسق الرحمن يا واحد يا قهار يا عزيز يا جبار يا احد يا صمد يا ودود
يا غفور هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم لا اله
الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين اللهم اني اعوذ باسمك المكنون المخزون
المنزل السلام الطهر الطاهر القدوس المقدس يا دهر يا ديهور يا ديهار
يا ابد يا ازل يا من لم يزل ولا يزال على ما لم يزل هو يا هو لا اله الا هو يا من لا هو
الا هو يا من لا يعلم ما هو الا هو يا كاين يا كان يا كينان يا روح يا كاين قبل كل كون
يا كاين بعد كل كون يا مكونا لكل كون اهيا شراهيا اذوني اصباوت يا مجلي عظائم
الامور فان تولوا فقل حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم
ليس كمثله شيء وهو السميع البصير اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على
ابرهيم وبارك على محمد وعلى ال محمد كما باركت على ابرهيم وال ابرهيم انك حميد
مجيد اللهم اني اعوذ بك من علم لا ينفع وقلب لا يخشع ودعا لا يسمع اللهم اني اعوذ بك
من فتنة الدجال وعذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات اللهم اني اعوذ بك من شر
ما علمت ومن شر ما لم اعلم واعوذ بك من شر سمعي وبصري ولساني وقلبي اللهم اني اعوذ بك
من القسوة والغفلة والذل والمسكنة واعوذ بك من الفقر والكفر والفسوق والشقاق
والنفاق وسوء الاخلاق وضيق الارزاق والسمعة والريا واعوذ بك من الصمم والبكم

والجنون والجذام والبرص وسائر الاسقام اللهم انى اعوذ بك من زوال نعمتك ومن تحويل عافيتك ومن فجاة نقمتك ومن جميع سخطك اللهم انى اسيلك الصلوة على محمد وآله واسئلك من الخير كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم اعلم واعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم اعلم واسيلك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل واسئلك ما سئلك عبدك ورسولك محمد عليه الصلوة والسلام واستعيذك بما استعاذك منه عبدك ونبيك محمد عليه الصلوة والسلام واسئلك ما قضيت لى من امر ان تجعل عاقبته رشدا برحمتك يا ارحم الراحمين يا حى يا قيوم برحمتك استغيث لا تكلنى الى نفسى طرفة عين واصلح لى شانى كله يا جمال السموات والارض يا عماد السموات والارض يا بديع السموات والارض يا ذا الجلال والاكرام يا صريخ المستصرخين يا غوث المستغيثين يا منتهى رغبة الراغبين والمفرج عن المكروبين والمروح عن المغمومين ومجيب دعوة المضطرين ويا كاشف السوء ارحم الراحمين واله العالمين منزول بك كل حاجة يا ارحم الراحمين اللهم استر عوراتى وآمن روعاتى واقلنى عثراتى اللهم احفظنى من بين يدى ومن خلفى وعن يمينى وعن شمالى ومن فوقى واعوذ بك ان اغتال من تحتى اللهم انى ضعيف فقو فى رضاك ضعفى وخذ الى الخير بناصيتى واجعل الاسلام منتهى رضاى اللهم انى ضعيف فقونى اللهم انى ذليل فاعزنى اللهم انى فقير فاغننى برحمتك يا ارحم الراحمين اللهم انك تعلم سرى وعلانيتى فاقبل معذرتى وتعلم حاجتى فاعطنى سولى وتعلم ما فى نفسى فاغفر لى ذنوبى اللهم انى اسيلك ايمانا يباشر قلبى ويقينا صادقا حتى اعلم انه لن يصيبنى الا ما كتبت لى والرضا بما قسمت لى يا ذا الجلال والاكرام اللهم يا هادى المضلين ويا راحم المذنبين ويا مقيل عثرة العاثرين ارحم عبدك ذا الخطر العظيم والمسلمين كلهم اجمعين واجعلنا من الاحيا المرزوقين مع الذين انعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهدا والصالحين آمين رب العالمين اللهم انت علام الخفيات رفيع الدرجات تلقى الروح من امرك على من تشا من عبادك غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذا الطول لا اله الا انت اليك المصير يا من لا يشغله سمع عن سمع ولا تشتبه عليه الاصوات ويا من لا تغلطه

يقال ان الخضر عليه السلام علم عليا عليه السلام هذا الدعاء

انه لا يغفر الذنوب الا انت

المسايل ولا تختلف عليه اللغات ويا من لا يتبرم بالحاح الملحين اذقنى برد عفوك وحلاوة رحمتك اللهم انى اسيلك قلبا سليما ولسانا صادقا وعملا متقبلا اسيلك من خير ما تعلم واعوذ بك من شر ما تعلم واستغفرك لما تعلم ولا اعلم وانت علام الغيوب اللهم انى اسيلك ايمانا لا يرتد ونعيما لا ينفد وقرة عين لا يد ومرافقة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم واسئلك حبك وحب من احبك وحب عمل يقرب الى حبك اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على خلقك احينى ما كانت الحيوة خيرا لى وتوفنى اذا كانت الوفاة خيرا لى اسئلك خشيتك فى الغيب والشهادة وكلمة العدل فى الرضا والغضب والقصد فى الغنا والفقر ولذة النظر الى وجهك والشوق الى لقائك واعوذ بك من ضرا مضرة وفتنة مضلة اللهم اقسم لى من خشيتك ما تحول بينى وبين معصيتك ومن طاعتك ما تدخلنى جنتك ومن اليقين ما تهون به علينا مصايب الدنيا اللهم ارزقنا حزن خوف الوعيد وسرور رجا الموعود حتى نجد لذة ما نطلب وخوف ما منه نهرب اللهم البس وجوهنا منك الحيا واملا قلوبنا بك فرحا واسكن فى نفوسنا من عظمتك وذلل جوارحنا لخدمتك واجعلك احب الينا مما سواك واجعلنا اخشى لك ممن سواك نسيلك تمام النعمة بتمام التوبة ودوام العافية بدوام العصمة واداء الشكر بحسن العبادة اللهم انى اسيلك بركة الحيوة وخير الحيوة واعوذ بك من شر الحيوة وشر الوفاة واسيلك خير ما بينهما احينى حيوة السعدا حيوة من تحب بقاه وتوفنى وفاة الشهدا وفاة من تحب لقاه يا خير الرازقين واحسن التوابين واحكم الحاكمين وارحم الراحمين ورب العالمين اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وارحم ما خلقت واغفر ما قدرت وطيب ما رزقت وتمم ما انعمت وتقبل ما استعملت واحفظ ما استحفظت ولا تهتك ما سترت فانه لا اله الا انت استغفرك من كل لذة بغير ذكرك ومن كل راحة بغير خدمتك ومن كل سرور بغير قربك ومن كل فرح بغير مجالستك ومن كل شغل بغير معاملتك اللهم انى استغفرك من كل ذنب تبت اليك منه ثم عدت فيه اللهم انى استغفرك من كل عقد عقدته ثم لم اف به اللهم انى استغفرك من كل نعمة انعمت بها على فتقويت بها على معصيتك اللهم انى استغفرك من كل

عمل عملته لك فخالطه ما ليس لك اللهم انى اسئلك ان تصلى على محمد وعلى آل محمد واسئلك
جوامع الخير وفواتحه وخواتمه واعوذ بك من جوامع الشر وفواتحه وخواتمه اللهم احفظنا
فيما امرتنا واحفظنا عما نهيتنا واحفظ لنا ما اعطيتنا يا حافظ الحافظين ويا ذاكر
الذاكرين ويا شاكر الشاكرين بذكرك ذكروا وبفضلك شكروا يا غياث يا مغيث
يا مستغاث يا غياث المستغيثين لا تكلني الى نفسى طرفة عين فاهلك ولا الى احد من خلقك
فاضيع اكلانى كلاية الوليد ولا تخل عنى وتولنى بما تولى به عبادك الصالحين
انا عبدك وابن عبدك ناصيتى بيدك جار فى حكمك عدل فى قضاؤك نافذة فى مشيتك
ان تعذب فاهل ذلك انا وان ترحم فاهل ذلك انت فافعل اللهم يا مولاى يا الله يا رب ما انت له
اهل ولا تفعل اللهم يا رب يا الله ما انا له اهل انك اهل التقوى واهل المغفرة يا من افرغ
علينا صبرا وتوفنا مسلمين توفنى مسلما والحقنى بالصالحين انت ولينا فاغفر لنا وارحمنا
وانت خير الغافرين ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير ربنا اغفر لنا ذنوبنا
واسرافنا فى امرنا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين ربنا آتنا من لدنك رحمة
وهيئ لنا من امرنا رشدا ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الاخرة حسنة وقنا عذاب النار
اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وارزقنا العون على الطاعة والعصمة من المعصية
وافراغ الصبر فى الخدمة وايزاع الشكر فى النعمة واسئلك حسن الخاتمة اسئلك اليقين
وحسن المعرفة بك واسئلك المحبة وحسن التوكل عليك واسئلك الرضا وحسن الثقة
بك واسئلك حسن المنقلب اليك اللهم صل على محمد وعلى آل محمد واصلح امة محمد
اللهم ارحم امة محمد اللهم فرج عن امة محمد فرجا عاجلا ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين
سبقونا بالايمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤف رحيم اللهم اغفر لوالدى
ولمن توالدوا وارحمهما كما ربيانى صغيرا واغفر لاعمامنا وعماتنا ولاخوالنا وخالاتنا وازواجنا
وذرياتنا ولجميع المومنين والمومنات والمسلمين والمسلمات الاحيا منهم والاموات يا ارحم
الراحمين ويا خير الغافرين ولما كان الدعا مخ العبادة احببنا ان نستوفى من ذلك قسما صالحا
نرجو بركته وهذه الادعية استخرجها الشيخ ابو طالب المكى فى كتابه وعلى نقله كل الاعتماد

الكلاءة والكلو نگاه داشتن

وفيه البركة فليدع بهذه الدعوات مفردا وفى الجماعة اماما كان او ماموما ويختصر منها
ما يشا

الباب الخمسون فى ذكر العمل جميع النهار وتوزيع الاوقات

فمن ذلك ان يلازم موضعه الذى صلى فيه مستقبل القبلة الا ان يرى انتقاله الى زاويته
اسلم لدينه لكيلا يحتاج الى حديث والتفات الى شئ وان السكوت فى هذا الوقت
وترك الكلام له اثر ظاهر بين يجده اهل المعاملة وارباب القلوب وقد ندب رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى ذلك ثم يقرا الفاتحة واول سورة البقرة الى المفلحون والايتين
والهكم اله واحد لا اله الا هو وآية الكرسى والايتين بعدها وآمن الرسول والاية
قبلها وشهد الله وقل اللهم مالك الملك وان ربكم الله الذى خلق السموات والارض
الى المحسنين ولقد جاكم رسول الى الاخر وقل ادعوا الله الايتين وآخر الكهف من ان
الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت وذا النون اذ ذهب مغاضبا الى آخر الوارثين
فسبحان الله حين تمسون وسبحن ربك الى آخر السورة ولقد صدق الله واول سورة
الحديد الى بذات الصدور وآخر سورة الحشر من لو انزلنا ثم يسبح ثلثا وثلثين ويحمد
ثلثا وثلثين ويكبر مثله ويتمها ماية مرة بلا اله الا الله وحده لا شريك له فاذا فرغ
من ذلك يشتغل بتلاوة القران حفظا او من المصحف او يشتغل بانواع الاذكار واتزال
كذلك من غير فتور وقصور ونعاس فان النوم فى هذا الوقت مكروه جدا فان غلبه النوم
فليقم من مصلاه قايما مستقبل القبله فان لم يذهب النوم بالقيام يخطو خطوات
نحو القبله ويتاخر بالخطوات كذلك ولا يستدبر القبله فلادامة استقبال القبله
وترك الكلام والنوم ودوام الذكر فى هذا الوقت اثر كثير وبركة غير قليلة وجدنا ذلك
بحمد الله ونوصى الطالبين واثر ذلك فى حق من يجمع فى الاذكار بين القلب واللسان
اكثر واظهر وهذا الوقت اول النهار واول النهار مظنة الآفات فاذا احكم اوله بهذه
الرعاية فقد احكم بنيانه وينبنى اوقات النهار جميعها على هذا البنا فاذا قارب طلوع
الشمس يبتدى بقراة المسبعات وهى من تعليم الخضر عليه السلم علمها ابرهيم التيمى وذكر
انه تعلمها من رسول الله صلى الله عليه وسلم وينال بالمداومة عليها جميع المتفرق فى الاذكار

والدعوات وهي عشرة سبعة سبعة الفاتحه والمعوذتين وقل هو الله احد وقل
يا ايها الكافرون واية الكرسي وسبحن الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر
والصلوة على النبي واله ويستغفر لنفسه ولوالديه وللمومنين والمومنات ويقول
سبعا اللهم افعل بي وبهم عاجلا واجلا في الدين والدنيا والاخرة ما انت له اهل ولا تفعل
بنا يا مولاي ما نحن له اهل انك غفور حليم جواد كريم رووف رحيم وروي ان ابرهيم
التيمي لما قرا هذه بعد ان تعلمها من الخضر راى في المنام انه دخل الجنة وراى
الملايكة والانبيا واكل من طعام الجنة وقيل انه مكث اربعة اشهر لم يطعم قيل لعله
كان ذلك لكونه اكل من طعام الجنة فاذا فرغ من المسبعات يقبل على التسبيح والاذكار
والتلاوة الى ان تطلع الشمس قيد رمح روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
لان اقعد في مجلس اذكر الله فيه من صلوة الغداة الى طلوع الشمس احب الي من ان
اعتق اربع رقاب ثم يصلي ركعتين قبل ان ينصرف من مجلسه فقد نقل عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه كان يصلي الركعتين وبهاتين الركعتين تتبين فايدة رعاية هذا
الوقت واذا صلى الركعتين بجمع همه وحضور فهم وحسن تدبر لما يقرا يجد في باطنه
اثرا ونورا وروحا وانسا اذا كان صادقا والذي يجده من البركة ثواب معجل له على
عمله هذا واحب ان يقرا في هاتين الركعتين في الاولى اية الكرسي وفي الاخرى
امن الرسول والله نور السموات والارض الى اخر الاية ويكون نيته فيها الشكر
لله على نعمه في يومه وليلته ثم يصلي ركعتين اخريين يقرا المعوذتين فيهما في كل ركعة
سورة ويكون صلوته هذه ليستعيذ بالله من شر يومه وليلته ويذكر بعد هاتين
الركعتين كلمات الاستعاذة فيقول اعوذ باسمك وكلمتك التامة من شر السامة
والهامة واعوذ باسمك وكلمتك التامة من شر عذابك وشر عبادك واعوذ باسمك
وكلمتك التامة من شر ما يجري به الليل والنهار ان ربي الله الذي لا اله الا هو عليه توكلت وهو
رب العرش العظيم ويقول بعد الركعتين الاوليين اللهم اني اصبحت لا استطيع دفع
ما اكره ولا املك نفع ما ارجوا واصبحت مرتهنا بعملي واصبح امري بيد غيري فلا فقير

اللهم اني

التلاوة

افقرمني

افقر مني اللهم لا تشمت بي عدوي ولا تسوء بي صديقي ولا تجعل مصيبتي في ديني ولا تجعل
الدنيا اكبر همي ولا مبلغ علمي ولا تسلط علي من لا يرحمني اللهم اني اعوذ بك من الذنوب
التي تزيل النعم واعوذ بك من الذنوب التي يوجب النقم ثم يصلي ركعتين اخريين بنية
الاستخارة لكل عمل يعمله في يومه وليلته وهذه الاستخارة تكون بمعنى الدعا على
الاطلاق والا فالاستخارة التي وردت بها الاخبار هي التي يصليها امام كل امر
يريده ويقرا في هاتين الركعتين قل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد ويقرا دعا
الاستخارة كما سبق ذكره في غير هذا الباب ويقول فيه كل قول وعمل اريده في هذا
اليوم اجعل فيه الخيرة ثم يصلي ركعتين اخريين يقرا في الاولى سورة الواقعة وفي
الاخرى سورة الاعلى ويقول بعدها اللهم صل على محمد وعلى ال محمد واجعل حبك
احب الاشيا الي وخشيتك اخوف الاشيا عندي واقطع عني حاجات الدنيا بالشوق
الى لقايك واذا اقررت عين اهل الدنيا بدنياهم فاقرر عيني بعبادتك واجعل طاعتك
في كل شيء مني يا ارحم الراحمين ثم يصلي بعد ذلك ركعتين يقرا فيهما شيا من حزبه
من القران ثم بعد ذلك ان كان متفرغا ليس له شغل في الدنيا يتنفل في انواع العمل من
الصلوة والتلاوة والذكر الى وقت الضحى وان كان ممن له في الدنيا شغل اما لنفسه
او لعيال له فليمض لحاجته ومهامه بعد ان يصلي ركعتين لخروجه من المنزل وهكذا
ينبغي ان يفعل ابدا لا يخرج من البيت الى جهة الا بعد ان يصلي ركعتين ليقيه
الله المخرج السوء ولا يدخل البيت الا ويصلي ركعتين ليقيه الله المدخل السوء بعد
ان يسلم على من في المنزل من الزوجة وغيرها وان لم يكن في البيت احد يسلم ايضا ويقول
السلام على عباد الله المومنين وان كان متفرغا احسن اشغاله في هذا الوقت الى صلوة
الضحى الصلوة فان كان عليه قضا يصلي صلوة يوم او يومين او اكثر والا يصلي
ركعات يطولها ويقرا فيها القران فقد كان من الصالحين من يختم القران في
الصلوة بين اليوم والليلة والا فيصلي اعدادا من الركعات خفيفة بفاتحة الكتاب
وقل هو الله احد وبالايات التي في القران وفيها الدعا مثل قوله تعالى ربنا عليك توكلنا

والبك انبنا واليك المصير وامثال هذه الآية يقرا في كل ركعة آية منها اما مرة او يكررها
مهما شا ويقدر الطالب ان يصلي بين الصلوة التي ذكرناها بعد طلوع الشمس وبين صلوة
الضحى ماية ركعة خفيفة فقد كان من الصالحين من ورده بين اليوم والليلة ماية
ركعة الى مايتين الى خمساية الى الف ركعة ومن ليس له في الدنيا شغل وقد ترك الدنيا على
اهلها فما باله يبطل ولا يتنعم بخدمة الله تعالى قال سهل بن عبد الله التستري لا يكمل شغل
قلب العبد بالله الكريم وله في الدنيا حاجة فاذا ارتفعت الشمس وتنصف الوقت من صلوة
الضحى الى الظهر كما يتنصف العصر بين الظهر والمغرب يصلي الضحى فهذا الوقت افضل
الاوقات لصلوة الضحى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الضحى اذا رمضت الفصال وهو
ان ينام الفصيل في ظل امه عند حر الشمس وقيل الضحى اذا ضحيت الاقدام بحر الشمس واقل
صلوة الضحى ركعتان واكثره اثنا عشر ركعة ويجعل لنفسه دعا بعد كل ركعتين ويسبح
ويستغفر ثم بعد ذلك ان كان هناك حق يقضي مما ندب اليه من زيارة وعبادة يمضي فيه
والا فيديم العمل لله من غير فتور اما ظاهرا او باطنا وقلبا وقالبا والا فباطنا وترتيب
ذلك انه يصلي ما دام منشرحا ونفسه مجيبة فان سام ينزل من الصلوة الى التلاوة
فان مجرد التلاوة اخف على النفس من الصلوة فان سام التلاوة ايضا يذكر الله تعالى
بالقلب واللسان فهو اخف من القراة فان سام الذكر ايضا يدع ذكر اللسان ويلازم
المراقبة والمراقبة علم القلب بنظر الله اليه فما دام هذا العلم ملازما للقلب فهو مراقب
والمراقبة عين الذكر وافضله فان عجز عن ذلك ايضا وتملكته الوسواس وزاحم في باطنه
حديث النفس فلينم ففي النوم السلامة والا كثرة حديث النفس تقسي القلب ككثرة الكلام
لانه كلام من غير لسان فيحترز من ذلك قال سهل عن عبد الله اسوا المعاصي حديث النفس
والطالب يريد ان يعتبر باطنه كما يعتبر ظاهره فانه بحديث النفس وما يتخايل له من ذكر ما مضى
وراى وسمع لشخص آخر في باطنه فيقيد الباطن بالمراقبة والرعاية كما يقيد الظاهر بالعمل
وانواع الذكر ويمكن للطالب المجد ان يصلي من صلوة الضحى الى الاستوا ماية ركعة اخرى
واقل ذلك عشرون ركعة يصليها خفيفة او يقرا في كل ركعتين جزوا من القران او اقل او اكثر

والنوم

البطالی بیکار شدن

الرمض شدة وقع الشمس على الارض وغيره والارض رمضا وقد رمض يومنا بالكسر رمض رمضا اشتد حره وفي الحديث صلوة الاوابين اذا رمضت الفصال من الضحى اذا وجد الفصيل حر الشمس من الرمضا تقول فصلوه الضحى تلك الساعة

والنوم بعد الفراغ من صلوة الضحى وبعد الفراغ من اعداد اخر من الركعات
حسن قال سفين كان يعجبهم اذا فرغوا ان يناموا طلبا للسلامة وهذا النوم فيه
فوايد منها انه يعين على قيام الليل ومنها ان النفس تستريح ويصفو القلب لبقية
النهار والعمل فيه والنفس اذا استراحت عادت جديدة فبعد الانتباه من نوم النهار
يستجد الباطن نشاطا آخر وشعفا آخر كما كان في اول النهار فيكون للصادق في
النهار نهاران يغتنمها لخدمة الله تعالى والدوب في العمل وينبغي ان يكون انتباهه
من نوم النهار قبل الزوال بساعة حتى يتمكن من الوضو والطهارة قبل الاستوا بحيث
يكون وقت الاستوا مستقبل القبلة ذاكرا ومسبحا وتاليا قال الله سبحانه وتعالى
اقم الصلوة طرفي النهار وقال فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب
قيل قبل طلوع الشمس صلوة الصبح وقبل الغروب صلوة العصر ومن انا الليل
فسبح اراد العشا الآخرة واطراف النهار اراد الظهر والمغرب لان الظهر صلوة
في آخر الطرف الاول من النهار وآخر الطرف الآخر غروب الشمس وفيها صلوة المغرب
فصار الظهر اول الطرف الآخر فيستقبل الطرف الآخر باليقظة والذكر كما استقبل
الطرف الاول وقد عاد بنوم النهار جديدا كما كان بنوم الليل ويصلي في اول الزوال
قبل السنة والفرض اربع ركعات بتسليمة واحدة كان يصليها رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهذه صلوة الزوال قبل الظهر في اول اوقاته ويحتاج ان يراعي لهذه الصلوة
اول الوقت بحيث يفطن للوقت قبل المؤذنين حين يذهب وقت الكراهية بالاستوا
يشرع في صلوة الزوال ويسمع الاذان وقد توسط هذه الصلوة ثم يستعد لصلوة
الظهر فان وجد في باطنه كدرا من مخالطة او مجالسة اتفقت يستغفر الله تعالى
ويتضرع اليه ولا يشرع في صلوة الظهر الا بعد ان يجد الباطن عايدا الى حاله
من الصفا فالذا يفوت حلاوة المناجاة وصفو الانس في الصلوة يتكدر دون بسير من
الاسترسال في المباح ويصير على بواطنهم من ذلك عقد وكدر وقد يكون ذلك بمجرد
المخالطة والمجالسة مع الاهل والولد مع كون ذلك عبادة ولكن حسنات الابرار سيات

المقربين فلا يدخل الصلوة الا بعد حل العقد واذهاب الكدورة وحل العقد بصدق
الانابة والاستغفار والتضرع الى الله تعالى ودوا ما يحدث من الكدر بمجالسة
الاهل والاولاد ان يكون في مجالسته غير راكن اليهم كل الركون بل يسترق القلب
في ذلك نظرات الى الله تعالى فيكون تلك النظرات كفارة تلك المجالسة الا ان يكون
قوي الحال لا يحجبه الخلق عن الحق فلا ينعقد على باطنه عقدة فهو حين يدخل
في الصلوة يجدها ويجد باطنه وقلبه لانه حيث استروحت نفسه هذا الى المجالسة
كان استرواح نفسه منغمرا بروح قلبه لانه يجالس ويخالط معين ظاهره فعين طاهره
ناظرة الى الخلق وعين قلبه مطالعة للحضرة الالهية فلا ينعقد على باطنه
عقدة وصلوة الزوال التي ذكرناها تحل العقد ويهيئ الباطن لصلوة الظهر
فيقرا في صلوة الزوال مقدار سورة البقرة في النهار الطويل وفي القصير ما يتيسر
من ذلك قال الله تعالى وعشيا وحين تظهرون وهذا هو الاظهار فان انتظر بعد
السنة حضور الجماعة للفرض وقرا الدعا الذي بين الفرض والسنة من صلوة
الفجر فحسن وما ورد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا به الا في صلوة الفجر ثم
اذا فرغ من صلوة الظهر يقرا الفاتحة وآية الكرسي ويسبح ويحمد ويكبر ثلثة
وثلثين كما وصفنا ولو قدر على الآيات كلها التي ذكرناها بعد صلوة الصبح وعلى
الادعية ايضا كان ذلك خيرا كثيرا وفضلا عظيما ومن له همة ناهضة وعزيمة
صادقة لا يستكثر شيا لله تعالى ثم يحيي بين الظهر والعصر كما يحيي بين العشائين
على الترتيب الذي ذكرناه من الصلوة والتلاوة والذكر والمراقبة ومن دام سهره
ينام نومة خفيفة في النهار الطويل بين الظهر والعصر ولو احيى بين الظهر والعصر
بركعتين يقرا فيهما ربع القرآن او يقرا ذلك في اربع ركعات فهو خير كثير وان اراد
ان يحيي هذا الوقت بماية ركعة في النهار الطويل يمكن ذلك او بعشرين ركعة يقرا فيها
قل هو الله احد الف مرة في كل ركعة خمسين ويستاك قبل الزوال اذا كان صايما
وان لم يكن صايما فاي وقت تغير الفم في الحديث السواك مطهرة للفم مرضاة للرب

وعند القيام الى الفرايض يستحب قيل ان الصلوة بالسواك تفضل على الصلوة بغير
سواك سبعين ضعفا وقيل هو خبر وان اراد ان يقرا بين الصلوتين في صلوته في عشرين
ركعة في كل ركعة آية او بعض آية يقرا في الركعة الاولى ربنا آتنا في الدنيا حسنة
وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ثم في الثانية ربنا افرغ علينا صبرا وثبت
اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين ثم ربنا لا تواخذنا الى آخر السورة ثم
ربنا لا تزغ قلوبنا الآية ثم ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان الآية ثم ربنا
آمنا بما انزلت ثم انت ولينا فاغفر لنا ثم فاطر السموات والارض انت وليي
ثم ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن الآية ثم وقل رب زدني علما ثم لا اله الا انت سبحانك
ثم رب لا تذرني فردا ثم وقل رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين ثم ربنا هب لنا
من ازواجنا ثم رب اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي وان اعمل صالحا
ترضيه وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين ثم تعلم خاينة الاعين وما تخفي الصدور
ثم رب اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي الآية في سورة الاحقاف
ثم ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين الآية ثم ربنا عليك توكلنا ثم رب اغفر لي ولوالدي
ولمن دخل بيتي مومنا وللمومنين والمومنات ولا تزد الظالمين الا تبارا فمهما
يصلي بهذه الآيات والمحافظة على هذه الآيات في الصلوة مواطيا للقلب
واللسان يوشك ان يرقى الى مقام الاحسان ولو ردد فرد آية من هذا في ركعتين من
بين الظهر والعصر كان في جميع الوقت ملتجيا لمولاه وداعيا وتاليا ومصليا
والدووب في العمل واستيعاب الاجزا النهارية بلذاذة وحلاوة من غير سامة لا يصلح الا لعبد
تزكت نفسه بكمال التقوى واستقصى في الزهد في الدنيا وانتزع منه متابعة الهوى
ومتى بقي على الشخص من التقوى والزهد والهوى بقية لا يدوم روحه في العمل
بل ينشط وقتا ويسام وقتا وتناوب النشاط والكسل فيه لبقا متابعة شي من الهوى
بنقصان تقوى او محبة الدنيا واذا صح في الزهد والتقوى اذ ترك العمل بالجوارح
لا يفتر عن العمل بالقلب فمن رام دوام الروح واستحلا الدووب في العمل عليه بحسم مادة

الهوى والهوى روح النفس لا يزول لكن يزول متابعته والنبي عليه الصلوة والسلام
ما استعاذ من وجود الهوى ولكن استعاذ من متابعته فقال اعوذ بك من هوى متبع
ولم يستعذ من وجود الشح فانه طبيعة النفس ولكن استعاذ من طاعته فقال وشح
مطاع و دقايق متابعة الهوى يتبين على قدر صفا القلب وعلو الحال فقد يكون متبعا
للهوى باستحلا مجالسة الخلق ومكالمتهم او النظر اليهم وقد يتبع الهوى بتجاوز الاعتدال
في النوم والاكل الى غير ذلك من اقسام الهوى المتبع وهذا شغل من ليس له شغل في الدنيا
ثم يصلي العبد قبل العصر اربع ركعات فان امكنه تجديد الوضو لكل فريضة كان اكمل
واتم ولو اغتسل كان افضل فكان ذلك له اثر ظاهر في تنوير الباطن وتكميل الصلوة ويقرا
في الاربع قبل العصر اذا زلزلت والعاديات والقارعة والهاكم ويصلي العصر يجعل
من قراءته في بعض الايام والسما ذات البروج سمعت ان قراءة سورة البروج في صلوة العصر
امان من الدماميل ويقرا بعد العصر ما ذكرنا من الايات في الدعا وما يتيسر له من ذلك
فاذا صلى العصر ذهب وقت التنفل بالصلوة وبقي وقت الاذكار والتلاوة وافضل
من ذلك مجالسة من يزهده في الدنيا ويسدد كلامه عرى التقوى من العلماء الزاهدين
المتكلمين بما يقوى عزايم المريدين فاذا صحت نية القايل والمستمع فهذه المجالسة افضل
من الانفراد والمداومة على الاذكار وان عدم هذه المجالسة وتعذرت فليتروح بالتنقل
في انواع الاذكار وان كان خروجه لحوايجه وامر معاشه في هذا الوقت يكون افضل
واولى من خروجه في اول النهار ولا يخرج من المنزل الا وهو على الوضو وكره جمع من العلما
تحية الطهارة بعد صلوة العصر واجازه المشايخ والصالحون ويقول كلما خرج من منزله
بسم الله ما شا الله حسبي الله لا قوة الا بالله اللهم اليك خرجت وانت اخرجتني ويقرا
الفاتحة والمعوذتين فلا يدع ان يتصدق كل يوم بما يتيسر له ولو بتمرة او بلقمة
فان القليل بحسن النية كثير روي ان عايشة رضي الله عنها اعطت السايل عنبة واحدة
وقالت ان فيها لمثاقيل ذر كثير وجا في الخبر كل امرء يوم القيامة تحت ظل صدقته ويكون
من ذكره من العصر الى المغرب ماية مرة لا اله الا الله وحده لا شريك له الملك

وله الحمد

وله الحمد وهو على كل شي قدير وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من قال ذلك
في يومه ماية مرة لم يعمل احد في يومه افضل من عمله ويقول ماية مرة سبحن الله والحمد
لله الكلمات وماية مرة سبحان الله وبحمده سبحن الله العظيم وبحمده استغفر الله وماية
مرة لا اله الا الله الملك الحق المبين وماية مرة اللهم صل على محمد وعلى ال محمد
وماية مرة استغفر الله العظيم الذي لا اله الا هو الحي القيوم واساله التوبة وماية
مرة ما شا الله لا قوة الا بالله ورايت بعض الفقرا من المغرب بمكة وله سبحة
فيها الف حبة في كيس له ذكر ان ورده ان يديرها كل يوم اثنتي عشر مرة بانواع الذكر
ونقل عن بعض الصحابة ان ذلك كان ورده بين اليوم والليلة ونقل عن بعض التابعين انه كان
ورده من التسبيح ثلثين الفا بين اليوم والليلة وليقل ماية مرة بين اليوم والليلة هذا
التسبيح سبحان الله العلي الديان سبحان الله شديد الاركان سبحان من يذهب
بالليل وياتي بالنهار سبحان من لا يشغله شان عن شان سبحن الله الحنان المنان سبحن
الله المسبح في كل مكان روي ان بعض الابدال بات على شاطي البحر فسمع في هدو الليل
هذا التسبيح فقال من الذي اسمع صوته ولا ارى شخصه فقال انا ملك من الملايكة
موكل بهذا البحر اسبح الله تعالى بهذا التسبيح منذ خلقت فقلت ما اسمك فقال مهليائيل
مهليهيائيل قلت ما ثواب هذا التسبيح قال من قاله ماية مرة لم يمت حتى يرى مقعده
من الجنة او يرى له وروي ان عثمان سال رسول الله عن تفسير قوله تعالى له مقاليد
السموات والارض فقال سالتني عن شي عظيم ما سالني غيرك هو الله الذي لا اله
الا الله والله اكبر وسبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة الا بالله عز وجل واستغفر
الله الاول والاخر الظاهر الباطن له الملك وله الحمد بيده الخير وهو على كل شي قدير
من قالها عشرا حين يصبح وحين يمسي اعطي ست خصال فاول خصلة ان يحرس من ابليس
وجنوده الثانية يعطى قنطارا من الاجر الثالثة يرفع له درجة في الجنة الرابعة
يزوجه الله تعالى حور العين الخامسة اثنا عشر ملكا يستغفرون له السادسة يكون له
من الاجر لمن حج واعتمر ويقول ايضا في هذا الوقت وفي اول النهار اللهم انت خلقتني وانت

هديتني وانت تطعمني وانت تسقيني وانت تميتني وانت تحييني انت ربي لارب لي
سواك ولا اله الا انت وحدك لا شريك لك ويقول ما شا الله لا قوة الا بالله
ما شا الله كل نعمة من الله ما شا الله الخير كله بيد الله ما شا الله لا يصرف السو
الا الله ويقول حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم ثم يستعد
لاستقبال الليل بالوضو والطهارة ويقرا المسبعات قبل الغروب ويديم التسبيح
والاستغفار بحيث تغيب الشمس وهو في التسبيح والاستغفار ويقرا عند الغروب
ايضا والشمس والليل والمعوذتين ويستقبل الليل كما استقبل النهار قال الله تع
وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا فكما ان الليل
يعقب النهار والنهار يعقب الليل ينبغي ان يكون العبد بين الذكر والشكر يعقب احدهما
الاخر لا يتخللهما شي كما لا يتخلل بين الليل والنهار شي والذكر جميعه اعمال القلب والشكر
اعمال الجوارح قال الله تعالى اعملوا آل داود شكرا والله الموفق والمعين

الباب الحادي والخمسون في ادب المريد مع الشيخ

ادب المريدين مع الشيوخ عند الصوفية من مهام الاداب وللقوم في ذلك اقتدا
برسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه وقد قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تقدموا
بين يدي الله ورسوله واتقوا الله ان الله سميع عليم روى عن عبد الله بن الزبير انه قدم
وفد على رسول الله من بني تميم فقال ابو بكر امر القعقاع بن معبد وقال عمر امر
الاقرع بن حابس فقال ابو بكر ما اردت الا خلافي وقال عمر ما اردت الا خلافك فتماريا
حتى ارتفعت اصواتهما فانزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله
الآية قال ابن عباس لا تقدموا لا تتكلموا بين يدي كلامه وقال جابر كان ناس يضحون
قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فنهوا عن تقديم الاضحية على رسول الله وقيل كان قوم
يقولون لو انزل في كذا وكذا فكره ذلك وقالت عايشة لا تصوموا قبل ان يصوم نبيكم وقال
الكلبي لا تسبقوا رسول الله بقول ولا فعل حتى يكون هو الذي يامركم به وهذا ادب المريد مع
الشيخ ان يكون مسلوب الاختيار لا يتصرف في نفسه وماله الا بمراجعة الشيخ وامره

وقد استوفينا هذا المعنى في باب المشيخة وقيل لا تقدموا لا تمشوا بين يدي رسول الله
وروى ابو الدردا قال كنت امشي امام ابي بكر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اتمشي امام من هو خير منك في الدنيا والاخرة وقيل نزلت في اقوام كانوا يحضرون مجلس
رسول الله فاذا سيل الرسول عن شي خاضوا فيه وتقدموا بالقول والفتوى فنهوا عن
ذلك وهكذى ادب المريد في مجلس الشيخ ينبغي ان يلزم السكوت ولا يقول شيا بحضرته
من كلام حسن الا اذا استاذن الشيخ ووجد من الشيخ فسحة له في ذلك وشان المريد
في حضرة الشيخ كمن هو قاعد على ساحل بحر ينتظر رزقا يساق اليه فتطلعه الى الاستماع
وما يرزق من كلام الشيخ تحقق مقام ارادته وطلبه واستزادته من فضل الله وتطلعه
الى القول برده عن مقام الطلب والاستزادة الى مقام اثبات شي لنفسه وذلك
جناية المريد وينبغي ان يكون تطلعه الى مهم من حاله يستكشف عنه بالسوال من الشيخ
على ان الصادق لا يحتاج الى السوال باللسان في حضرة الشيخ بل يبادیه بما يريد
لان الشيخ يكون مستنطقا بالحق وهو عند حضور الصادقين يرفع قلبه الى الله
ويستمطر ويستسقي لهم فيكون لسانه وقلبه في القول والنطق ماخوذين الى مهم
الوقت من احوال الطالبين المحتاجين الى ما يفتح عليه لان الشيخ يعلم تطلع الطالب
الى قوله واعتداده بقوله فالقول كالبذر يقع في الارض فاذا كان البذر فاسدا
لا يريع وفساد الكلمة بدخول الهوى فيها فالشيخ ينقي بذر الكلام عن شوب
الهوى ويسلمه الى الله ويسال الله المعونة والسداد ثم يقول فيكون كلامه بالحق
من الحق للحق فالشيخ للمريدين امين الالهام كما ان جبريل امين الوحي فكما لا يخون
جبريل في الوحي لا يخون الشيخ في الالهام وكما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينطق
عن الهوى الشيخ مقتد برسول الله ظاهرا وباطنا لا يتكلم بهوى النفس وهوى النفس
في القول شيين احدهما طلب استجلاب القلوب وصرف الوجوه اليه وما هنا
من شان الشيوخ والثاني ظهور النفس باستحلاء الكلام والعجب وذلك خيانة عند المحققين
والشيخ فيما يجري على لسانه راقد النفس يشغله مطالعة نعم الحق في ذلك واخذ الحظ

من فوايده عن ظهور النفس بالاستحلا والعجب ويكون الشيخ فيما يجريه الحق سبحانه
مستمعا كاحد المستمعين وكان الشيخ ابو السعود رحمة الله عليه يتكلم مع الاصحاب
بما يلقى اليه وكان يقول انا في هذا الكلام مستمع كاحدكم فاشكل ذلك على بعض
الحاضرين وقال اذا كان القايل هو يعلم ما يقول كيف يكون كمستمع ما يعلم
حتى يسمع منه فرجع الى منزله فراى ليلته في المنام كان قايلا يقول له اليس الغواص
يغوص في البحر لطلب الدر ويجمع الصدف في مخلاته والدر قد حصل معه ولكن لا يراه
الا اذا خرج من البحر ويشاركه في روية الدر من هو على الساحل ففهم بالمنام
اشارة الشيخ في ذلك فاحسن اداب المريد مع الشيخ السكون والخمود والجمود
حتى يباديه الشيخ بما له فيه الصلاح قولا وفعلا وقيل ايضا في قوله تعالى لا تقدموا
بين يدي الله ورسوله لا تطلبوا منزلة وراء منزلته وهذا من محاسن الاداب
واعزها ينبغي للمريد ان لا يحدث نفسه بطلب منزلة فوق منزلة الشيخ بل يحب
للشيخ كل منزلة عالية ويتمنى للشيخ عزيز المنح وغرايب المواهب وبهذا يظهر جوامر
المريدين في حسن الارادة وهذا يعز في المريدين فارادته للشيخ يعطيه فوق
ما يتمنى لنفسه ويكون قايما بادب الارادة قال السري رحمه الله حسن الادب
ترجمان العقل وقال ابو عبد الله بن خفيف قال لي رويم يا بني اجعل عملك ملحا وادبك
دقيقا وقيل التصوف كله ادب لكل وقت ادب ولكل حال ادب ولكل مقام
ادب فمن لزم الادب يبلغ مبلغ الرجال ومن حرم الادب فهو بعيد من حيث
يظن القرب ومردود من حيث يرجوا القبول ومن تاديب الله اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم قوله سبحانه لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي كان ثابت بن
قيس بن شماس في اذنه وقر وكان جهوري الصوت وكان اذا كلم انسانا جهر بصوته
وربما كان يكلم النبي فيتاذى بصوته فانزل الله الاية تاديبا له ولغيره اخبرنا
ضيا الدين عبد الوهاب بن علي قال انا ابو الفتح الهروي قال انا ابو نصر الترياقي قال انا
ابو محمد الجراحي قال انا ابو العباس المحبوبي قال انا ابو عيسى الترمذي قال ثنا محمد بن المثنى

شماس

قال ثنا موسى بن اسمعيل قال ثنا نافع بن عمر بن جميل الجمحي قال حدثني ابن ابي مليكة قال حدثني
عبد الله بن الزبير ان الاقرع بن حابس قدم على النبي صلى الله عليه وسلم فقال ابو بكر استعمله
على قومه فقال عمر لا تستعمله يا رسول الله فتكلما عند النبي حتى علت اصواتهما فقال ابو بكر
لعمر ما اردت الا خلافي وقال عمر ما اردت الا خلافك فانزل الله الاية وكان عمر بعد
ذلك اذا تكلم عند النبي لا يسمع كلامه حتى يستفهم وقيل لما نزلت الاية الى ابو بكر ان لا يكلم
عند النبي الا كاخي السرار فهكذا ينبغي ان يكون المريد مع الشيخ لا ينبسط برفع
الصوت وكثرة الضحك وكثرة الكلام الا اذا بسطه الشيخ فرفع الصوت تنحية
جلباب الوقار والوقار اذا سكن القلب عقل اللسان وقد ينازل باطن بعض المريدين
من الحرمة والوقار من الشيخ ما لا يستطيع المريد ان لا يشبع النظر الى الشيخ فقد
كنت احم فيدخل علي عمي وشيخي ابو النجيب السهروردي رحمة الله عليه فيرشح جسدي
عرقا وكنت اتمنى العرق لتخف الحمى فكنت اجد ذلك عند دخول الشيخ علي وكان في قدمه
بركة وشفا وكنت ذات يوم في البيت خاليا وهناك منديل وهبه لي الشيخ وكان يتعمم
به فوقع قدمي على المنديل اتفاقا وتالم باطني من ذلك وهالني وطي بالقدم منديل الشيخ
وانبعث من باطني من الاحترام ما ارجو بركته قال ابن عطا في قوله تعالى لا ترفعوا اصواتكم
زجر عن الاذى ليلا يتخطى احد الى ما فوقه من ترك الحرمة وقال سهل في ذلك لا تخاطبوه
الا مستفهمين وقال ابو بكر بن طاهر لا تبدوه بالخطاب ولا تجيبوه الا على حدود الحرمة
ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض لا تغلظوا له في الخطاب ولا تنادوه باسمه
يا محمد يا احمد كما ينادي بعضكم لبعض ولكن فخموه واحترموه وقولوا يا نبي الله
ويا رسول الله ومن هذا القبيل يكون خطاب المريد مع الشيخ واذا سكن الوقار
القلب علم اللسان كيفية الخطاب ولما كلفت النفوس محبة الاولاد والازواج
وتمكنت اهوية النفوس والطباع استخرجت من اللسان عبارات غريبة هي تحبب
وتقربا صاغها كلف النفس وهواها واذا امتلا القلب حرمة ووقارا تعلم اللسان
العبارة فلما نزلت هذه الاية قعد ثابت بن قيس في الطريق يبكي فمر به عاصم بن عدي

ويكون

زجرًا

نحب

فقال ما يبكيك يا ثابت فقال هذه الآية اخاف ان تكون نزلت فيَّ ان تحبط اعمالكم وانتم لا تشعرون
وانا رفيع الصوت واخاف ان يحبط عملي واكون من اصحاب النار فمضى عاصم الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وغلب ثابت البكا فاتى ثابت امراته جميلة بنت عبد الله بن ابي بن سلول
فقال لها اذا دخلت بيت فرسي فشدي علي الضبة بمسمار فضربته بمسمار حتى اذا
خرجت عطفته وقال لا اخرج حتى يتوفاني الله او يرضى عني رسول الله عليه الصلوة والسلم
فاتى عاصم النبي فاخبره بخبره فقال اذهب فادعه فجا عاصم الى المكان الذي راه فلم يجده
فجا الى اهله فوجده في بيت الفرس فقال له ان رسول الله يدعوك فقال اكسر الضبة
فاتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله ما يبكيك يا ثابت فقال انا صيت واخاف
ان تكون هذه الاية نزلت في فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما ترضى ان تعيش سعيدا
وتقتل شهيدا وتدخل الجنة فقال قد رضيت ببشرى الله ورسوله ولا ارفع صوتي
ابدا على رسول الله فانزل الله تعالى ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله قال انس
كنا ننظر الى رجل من اهل الجنة تمشي بين ايدينا فلما كان يوم اليمامة في حرب مسيلمة
راى ثابت من المسلمين بعض الانكسار وانهزمت طايفة منهم فقال اف لهولاء وما يصنعون
ثم قال ثابت لسالم مولى حذيفة ما كنا نقاتل اعدا الله مع رسول الله مثل هذا ثم ثبتا
ولم يزالا يقاتلان حتى قتلا واستشهد ثابت كما وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعليه درع فراه رجل من الصحابة بعد موته في المنام انه قال له اعلم ان فلانا رجل
من المسلمين نزع درعي فذهب بها وهو في ناحية من العسكر وعنده فرس يستن في طوله
وعلى درعي برمة فات خالد بن الوليد واخبره حتى يسترد درعي وات ابا بكر خليفة
رسول الله فقل له ان علي دينا حتى يقضى عني وفلان من عبيدي عتيق فاخبر الرجل خالدا
فوجد درعه والفرس على وصفه واسترد الدرع واخبر خالد ابا بكر بتلك الرويا فاجاز
ابو بكر وصيته قال مالك بن انس لا اعلم وصية اجيزت بعد موت صاحبها الا هذه
فهذه كرامات ظهرت لثابت بحسن تقواه وادبه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فليعتبر
المريد الصادق ويعلم ان الشيخ عنده تذكرة من الله ورسوله وان الذي يعتمده مع الشيخ

عوض ما لو كان في زمن رسول الله واعتمده مع رسول الله فلما قام القوم بواجب الادب اخبر
الحق عز جاله وأثنى عليهم فقال اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى اي اختبر قلوبهم
واخلصها كما يمتحن الذهب بالنار فيخرج خالصة فكما ان اللسان ترجمان القلب وتهذيب
اللفظ لتادب القلب فهكذا ينبغي ان يكون المريد مع الشيخ قال ابو عثمن الادب عند
الاكابر وفي مجالسة السادات من الاولياء يبلغ بصاحبه الى الدرجات العلى والخير في
الاولى والعقبى الا ترى الى قول الله تعالى ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا
لهم ومما علمهم الله قوله سبحانه ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون
وكان هذا الحال من وفد بني تميم جاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنادوا يا محمد
اخرج فان مدحنا زين وذمنا شين قال فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم
وهو يقول انما ذلكم الله الذي ذمه شين ومدحه زين في قصة طويلة وكانوا اتوا
بشاعرهم وخطيبهم فغلبهم حسان بن ثابت وشبان المهاجرين والانصار بالخطبة
وفي هذا تاديب للمريد في الدخول على الشيخ والاقدام عليه وترك الاستعجال وصبره
الى ان يخرج الشيخ من موضع خلوته سمعت ان الشيخ عبد القادر رحمة الله عليه
كان اذا جاء اليه فقير زاير اخبر بالفقير فيخرج ويفتح جانب الباب ويصافح الفقير
ويسلم عليه ولا يجلس معه ويرجع الى خلوته واذا جاء احد ممن ليس من زمرة الفقراء
يخرج ويجلس معه فخطر لبعض الفقراء نوع انكار لتركه الخروج الى الفقير وخروجه
لغير الفقير فانتهى ما خطر للفقير الى الشيخ فقال الفقير رابطتنا معه رابطة قلبية
وهو اهل وليس عنده اجنبية فيكتفي معه بموافقة القلوب ويقنع من ملاقاة الظاهر
هذا القدر واما من هو من غير جنس الفقراء فهو واقف مع العادات والظاهر فمتى
لم نوف حقه من الظاهر استوحش فحق المريد عمارة الظاهر والباطن بالادب مع الشيخ
قيل لابي منصور المغربي كم صحبت ابا عثمن قال خدمته لا صحبته فالصحبة مع الاخوان
والاقران ومع المشايخ خدمة وينبغي للمريد انه كلما اشكل عليه شي من حال الشيخ يذكر
قصة موسى مع الخضر عليهما السلام كيف كان الخضر يفعل اشيا ينكرها موسى فاذا اخبره

الخضر بسرها يرجع موسى عن انكاره فما ينكره المريد لقلة علمه بحقيقة ما يوجد من الشيخ
فللشيخ في كل شيء عذر بلسان العلم والحكمة سأل بعض اصحاب الجنيد مسألة من الجنيد
فاجابه الجنيد فعارضه في ذلك فقال الجنيد فان لم تؤمنوا لي فاعتزلون وقال بعض
المشايخ من لم يعظم حرمة من تادب به حرم بركة ذلك الادب وقيل من قال لاستاذه
لا لا يفلح ابدا اخبرنا ضيا الدين عبد الوهاب بن علي قال انا ابو الفتح الهروي قال انا
ابو نصر الترياقي قال انا ابو محمد الجراحي قال انا ابو العباس المحبوبي قال انا ابو عيسى الترمذي
قال ثنا هناد عن ابي معوية عن الاعمش عن ابي صالح عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اتركوني ما تركتكم واذا حدثتكم فخذوا عني فانما هلك من كان قبلكم بكثرة
سوالهم واختلافهم على انبيائهم قال الجنيد رحمة الله عليه رايت مع ابي حفص النيسابوري
انسانا كثير الصمت لا يتكلم فقلت لاصحابه من هذا فقيل لي هذا انسان صحب ابا حفص
ويخدمنا وقد انفق عليه مائة الف درهم كانت له واستدان مائة الف اخرى انفقها عليه
ما يسوغ له ابو حفص ان يتكلم بكلمة واحدة وقال ابو يزيد البسطامي صحبت
ابا علي السندي فكنت القنه ما يقيم به فرضه وكان يعلمني التوحيد والحقائق
صرفا وقال ابو عثمن صحبت ابا حفص وانا غلام حدث فطردني وقال لا تجلس عندي
فلم اجعل مكافاتي له على كلامه ان اولي ظهري اليه فانصرفت امشي الى خلف ووجهي
مقابل له حتى غبت عنه واعتقدت ان احفر لنفسي بيرا على بابه وانزل واقعد فيه ولا اخرج
منه الا باذنه فلما راى ذلك مني قربني وقبلني وصيرني من خواص اصحابه الى ان مات
رحمة الله ومن ادابهم الظاهرة ان المريد لا يبسط سجادته مع وجود الشيخ الا وقت
الصلوة فان المريد من شانه التبتل للخدمة وفي السجادة ايماء الى الاستراحة والتعزز
ولا يتحرك في السماع مع وجود الشيخ الا ان يخرج عن حد التمييز وهيبة الشيخ
تملك المريد عن الاسترسال في السماع وتقيده واستغراقه في الشيخ بالنظر اليه ومطالعة
موارد فضل الحق عليه اجمع له من الاصغاء الى السماع ومن الادب ان لا يكتم عن الشيخ
شيئا من حاله ومواهب الحق عنده وما يظهر له من كرامة واجابة ويكشف للشيخ من حاله

ما يعلم الله تعالى منه وما يستحيي من كشفه يذكره ايما وتعريضا فان المريد متى انطوى
ضميره على شيء لا يكشفه للشيخ تصريحا او تعريضا يصير على باطنه منه عقدة
في الطريق وبالقول مع الشيخ تنحل العقدة وتزول ومن الادب ان لا يدخل صحبة الشيخ
الا بعد علمه بان الشيخ قيم بتاديبه وتهذيبه وانه اقوم بالتاديب من غيره ومتى كان
للمريد تطلع الى شيخ اخر لا يصفو صحبته ولا ينفذ القول فيه ولا يستعد باطنه لسراية
حال الشيخ اليه فان المريد كلما ايقن تفرد الشيخ بالمشيخة عرف فضله وقوي محبته
والمحبة والتالف هو الواسطة بين المريد والشيخ وعلى قدر قوة المحبة يكون سراية الحال
لان المحبة علامة التعارف والتعارف علامة الجنسية والجنسية جالبة للمريد حال
الشيخ او بعض حاله اخبرنا الشيخ الثقة ابو الفتح محمد بن سليمان قال انا ابو الفضل احمد بن الحسن
ابو نعيم قال ثنا سليمن بن احمد قال ثنا انس بن سالم قال ثنا عتبة بن رزين قال سمعت اسمعيل بن عياش
قال حدثني محمد بن زياد الالهاني عن ابي امامة الباهلي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من علم
عبدا اية من كتاب الله فهو مولاه لا ينبغي له ان يخذله ولا يستاثر عليه فمن فعل فقد فصم
عروة من عرى الاسلام ومن الادب ان يراعي خطرات الشيخ في جزويات الامور وكلياتها
ولا يستحقر كراهة الشيخ ليسير حركاته معتمدا على حسن خلق الشيخ وكمال حلمه ومداراته
قال ابرهيم بن شيبان كنا نصحب ابا عبد الله المغربي ونحن شبان ونسافر بنا في البراري
والفلوات وكان معه شيخ اسمه حسن وقد صحبه سبعين سنة وكان اذا جرى من احدنا
خطا ويتغير عليه الشيخ نستشفع اليه بهذا الشيخ حتى يرجع لنا الى ما كان ومن ادب
المريد مع الشيخ ان لا يستقل بواقعته وكشفه دون مراجعة الشيخ فان الشيخ علمه اوسع
وبابه المفتوح الى الله اكبر فان كان واقع المريد من الله يوافقه الشيخ ويمضيه له وما كان
من عند الله لا يختلف وان كان فيه شبهة تزول شبهة الواقعة بطريق الشيخ ويكتسب
المريد علما بصحة الوقايع والكشوف فالمريد لعله في واقعته يخامره كون ارادة في النفس
فيشتبك كون ارادة بالواقعة منا ما كان او يقظة ولهذا سر عجيب ولا يقوم المريد باستيصال
شافة الكامن في النفس واذا ذكره للشيخ فما في المريد من كون ارادة النفس مفقود في حق

الشيخ فان كان من الحق تبرهن بطريق الشيخ وان كان بنزع واقعه الى كون بهوى النفس تزول ويبرا ساحة المريد ويتحمل الشيخ ثقل ذلك لقوه حاله وصحة ايوائه الى جناب الحق وكمال معرفته ومن الادب مع الشيخ ان المريد اذا كان له كلام مع الشيخ في شي من امر دينه او امر دنياه لا يستعجل بالاقدام على مكالمة الشيخ والهجوم عليه حتى يتبين له من حال الشيخ انه مستعد له ولسماع كلامه وقوله متفرغ وكما ان للدعا اوقاتا وادابا وشروطا لانه مخاطبة الله تعالى فللقول ايضا مع الشيخ اداب وشروط لانه من معامله الله تعالى ويسئل الله تعالى قبل الكلام مع الشيخ التوفيق لما يجب من الادب وقد نبه الحق سبحانه على ذلك فيما امر اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في مخاطبته فقال يا ايها الذين امنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجويكم صدقة يعني امام مناجاتكم قال عبد الله بن عباس سال الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكثروا حتى شقوا عليه واحفوه بالمسله فادبهم الله وفطمهم عن ذلك وامرهم ان لا يناجوه حتى يقدموا صدقة وقيل كان الاغنيا ياتون النبي صلى الله عليه وسلم ويغلبون الفقرا على المجلس حتى كره النبي طول جلوسهم ومناجاتهم فامر الله بالصدقه عند المناجاة فلما راوا ذلك انتهوا عن مناجاته فاما اهل العسرة فلانهم لم يجدوا شيا واما اهل الميسرة فبخلوا ومنعوا فاشتد ذلك على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزلت الرخصة وقال الله تعالى اشفقتم ان تقدموا بين يدي نجويكم صدقات وقيل لما امر الله بالصدقه لم يناج رسول الله صلى الله عليه وسلم الا علي بن ابي طالب فقدم دينارا فتصدق به وقال علي في كتاب الله اية ما عمل بها احد قبلي ولا يعمل بها احد بعدي وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزلت الاية دعا عليا وقال ما ترى في الصدقه لم تكون دينارا قال علي لا يطيقونه قال كم قال علي لتكن حبة او شعيرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انك لزهيد ثم نزلت الرخصة ونسخت الاية وما نبه الحق عليه بالامر بالصدقة فيه من حسن الادب وتقييد اللفظ والاحترام ما نسخ والفايدة باقية اخبرنا الشيخ الثقة ابو الفتح محمد بن سليمان قال انا ابو الفضل احمد قال انا الحافظ ابو نعيم قال ثنا سليمان بن احمد قال ثنا مطلب بن شعيب قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنا ابن لهيعة عن ابي قبيل عن عبادة الصامت قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليس منا

منهم عز

بجل

من لم يجل كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعرف لعالمنا حقه فاحترام العلما توفيق وهداية واهمال ذلك خذلان وعقوق

الباب الثاني والخمسون في ادب الشيخ وما يعتمده مع الاصحاب

اتم الادب انه لا يتعرض الصادق للتقدم على قوم ولا يتعرض لاستجلاب بواطنهم بلطف الرفق وحسن الكلام محبة للاستتباع فاذا راى ان الله تعالى بعث اليه المريدين والمسترشدين بحسن الظن وصدق الارادة يحذر ان يكون ذلك ابتلاء واختبارا من الله تعالى والنفوس مجبولة على محبة قبول الخلق والشهرة وفي الخمول السلامة فاذا بلغ الكتاب اجله وتمكن العبد من حاله وعلم بتعريف الله تعالى اياه انه مراد بالارشاد والتعليم للمريدين فيتكلم حينيذ كلام الناصح المشفق الوالد لولده بما ينفعه في دينه ودنياه وكل مريد ومسترشد ساقه الله اليه يراجع الله تعالى في معناه ويكثر اللجا اليه ان يتولاه فيه وفي القول معه ولا يتكلم مع المريد بالكلمة الا وقلبه ناظر الى الله ومستعين به في الهداية للصواب من القول سمعت شيخنا ابا النجيب السهروردي رحمة الله عليه يوصي بعض اصحابه ويقول لا تكلم احدا من الفقرا الا في اصفى اوقاتك وهذه وصية نافعة لان الكلمة تقع في سمع المريد الصادق كالحبة تقع في الارض وقد ذكرنا ان الحبة الفاسدة تهلك وتضيع وفساد حبة الكلام بالهوى وقطرة من الهوى تكدر بحرا من العلم فعند الكلام مع اهل الصدق والارادة ينبغي ان يستمد القلب من الله كما يستمد اللسان من القلب وكما ان اللسان ترجمان القلب تكون قلبه ترجمان الحق عند العبد فيكون ناظرا الى الله مصغيا اليه متلقيا ما يرد عليه موديا للامانة فيه ثم ينبغي للشيخ ان يعتبر حال المريد ويتفرس فيه بنور الايمان وقوة العلم والمعرفة ما ياتي منه ومن صلاحيته واستعداده فمن المريدين من يصلح للتعبد المحض واعمال القوالب وطريق الابرار ومن المريدين من يكون مستعدا صالحا للقرب وسلوك طريق المقربين المرادين بمعاملة القلوب والمعاملات السنية ولكل من الابرار والمقربين مبادي ونهايات فيكون الشيخ صاحب الاشراف على البواطن يعرف كل شخص وما يصلح له كما ان الصحراوي يعلم الاراضي والغروس ويعلم كل غرس وارضه وكل صاحب صنعة يعلم منافع صنعته ومضارها حتى المراة تعلم قطنها وما ياتي منه من الغزل ودقته وغلظه ولا يعلم

الشيخ حال المريد وما يصلح له وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكلم الناس على قدر عقولهم
ويأمر كل شخص بما يصلح له فمنهم من يأمره بالانفاق ومنهم من امره بالامساك ومنهم من امره
بالكسب ومنهم من قرره على ترك الكسب كاصحاب الصفة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يعرف اوضاع الناس وما يصلح لكل احد فاما في رتبة الدعوة كان يعمم الدعوة لانه مبعوث
لاثبات الحجة وايضاح المحجة يدعو على الاطلاق لا يخصص بالدعوة من يتفرس فيه الهدى
دون غيره ومن ادب الشيخ ان يكون له خلوة خاصة ووقت خاص لا يسعه فيه مخالطة الخلق
حتى يفيض على خلوته فايدة خلوته ولا تدعي نفسه قوة ظنا منها ان استدامة المخالطة
مع الخلق والكلام معهم لا يضره ولا ياخذ منه وانه غير محتاج الى الخلوة فان رسول الله
صلى الله عليه وسلم مع كمال حاله كان له قيام الليل وصلوة يصليها ويداوم عليها واوقات يخلو
فيها فطبع البشر لا يستغني عن السياسة قل ذلك او كثر لطف ذلك او كثف وكم من مغرور قانع
باليسير من طيبة القلب اتخذ ذلك راس ماله واغتر بطيبة قلبه واسترسل في الممازجة
والمخالطة وجعل نفسه مناخا للبطالين يلقمه توكل عنده ورفق يوجد منه فيقصده
من ليس قصده الدين ولا بغيته سلوك طريق المتقين فافتتن وفتن وبقي في خطة القصور
ووقع في دايرة الفتور فما يستغني الشيخ عن الاستمداد من الله والتضرع بين يدي الله
بقلبه ان لم يكن بقالبه وقلبه فيكون له في كل كلمة الى الله رجوع وفي كل حركة بين يدي
الله خضوع وانما دخلت الفتنة على المغرورين المدعين للقوة والاسترسال في الكلام
والمخالطة لقلة معرفتهم بصفات النفس واغترارهم بيسير من الموهبة وقلة تادبهم
بالشيوخ وكان الجنيد رحمة الله عليه يقول لاصحابه لو علمت ان صلوة ركعتين لي افضل
من جلوسي معكم ما جلست عندكم فاذا راى الفضل في الخلوة يخلو واذا راى الفضل في
الجلوة يجلس مع الاصحاب فيكون جلوته في حماية خلوته وخلوته مزيد الجلوته وفي هذا
سر وذلك ان الادمي ذو تركيب مختلف فيه تضاد وتغاير على ما اسلفنا من كونه مترددا
بين السفلي والعلوي ولما فيه من التغاير له حظ من الفتور عن الصبر على صرف الحق ولهذا
كان لكل عامل فترة والفترة قد يكون تارة في صورة العمل وتارة في عدم الروح في العمل

وان لم يكن

وان لم يكن في صورة العمل ففي وقت الفترة للمريدين والسالكين تضييع واسترواح للنفس
وركون الى البطالة فمن بلغ رتبة المشيخة انصرف قسم فترته الى الخلق فافلح الخلق بقسم
فترته وما ضاع قسم فترته كضياعه في حق المريدين فالمريد يعود من الفترة بقوة الشره
وحدة الطلب الى الاقبال على الله والشيخ يكتسب الفضيلة من نفع الخلق بقسم فترته
ويعود الى اوطان خلوته وخاص حاله بنفس مشرابة اكثر من عود الفقير بحدة ارادته
من فترته فيعود من الخلق الى الخلوة منتزع الفتور بقلب متعطش وافر النور وروح
متخلصة عن مضيق مطالعة الاغيار قادمة بحدة شغفها الى ديار القرار ومن وظيفة
الشيخ وحسن خلقه مع اهل الارادة والطلب النزول من حقه فيما يجب من التبجيل
والتعظيم للمشايخ واستعماله التواضع حكى الدقي قال كنت بمصر وكنا في المسجد جماعة
من الفقراء جلوسا فدخل الزقاق فقام عند اسطوانة يركع فقلنا يفرغ الشيخ من صلوته
نقوم ونسلم عليه فلما فرغ جاء الينا وسلم علينا فقلنا نحن كنا بهذا اولى من الشيخ فقال
ما عذب الله قلبي بهذا قط يعني ما تقيدت بان احترم واقصد ومن ادب الشيوخ النزول
الى حال المريدين من الرفق بهم وبسطهم قال بعضهم اذا رايت الفقير الفه بالرفق ولا تلقه
بالعلم فان الرفق يونسه والعلم يوحشه فاذا فعل الشيخ هذا المعنى من الرفق يتدرج
المريد ببركة ذلك الى الانتفاع بالعلم فيعامل حينئذ بصريح العلم ومن ادب الشيوخ التعطف
على الاصحاب وقضاء حقوقهم في الصحة والمرض ولا يترك حقوقهم اعتمادا على ارادتهم
وصدقهم قال بعضهم لا تضيع حق اخيك بما بينك وبينه من المودة وحكي عن الجريري
قال وافيت من الحج فابتدات بالجنيد وسلمت عليه وقلت حتى لا يتعنى ثم اتيت منزلي فلما
صليت الغداة التفت واذا بالجنيد خلفي فقلت يا سيدي انما ابتدات بالسلام عليك
لكيلا تتعنا الى هنا فقال لي يا ابا محمد هذا حقك وذاك فضلك ومن ادب الشيوخ انهم
اذا علموا من بعض المسترشدين ضعفا في مراغمة النفوس وقهرها واعتماد صدق العزيمة
ان يرفق به ويوقف على حد الرخصة ففي ذلك خير كثير وما دام العبد لا يتخطى حريم الرخصة
فهو بخير ثم اذا ثبت وخالط الفقراء وتدرب في لزوم الرخصة تدرج بالرفق الى اوطان العزيمة

قال ابو سعيد بن الاعرابي كان شاب يعرف بابرهيم الصايغ وكان ابنه نعمة فانقطع الى
الصوفية وصحب ابا احمد القلانسي فربما كان يقع بيد ابي احمد القلانسي شي من الدراهم فكان
يشتري له الرقاق والشوا والحلوا ويوثره عليه ويقول هذا خرج من الدنيا وقد تعود
النعمة فيجب ان يرفق به ويوثر عليه ومن ادب الشيوخ التنزه من مال المريد وخدمته
والارتفاق من جانبه بوجه من الوجوه لانه جاء الله تعالى فيجعل نفعه وارشاده خالصا
لوجهه فما يسدي الشيخ الى المريدين من افضل الصدقات وقد ورد ما تصدق متصدق
بصدقة افضل من علم يبثه في الناس وقد قال الله تعالى تنبيها على خلوص ما لله وحراسته من
الشوايب انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا فلا ينبغي للشيخ ان يطلب على
صدقته جزاء الا ان يظهر له في شي من ذلك علم يرد عليه من الله في قبول الرفق منه
او صلاح يتراى للشيخ في حق المريد بذلك فيكون التلبس بماله والارتفاق بخدمته لمصلحة
تعود على المريد بما مونة الغايلة من جانب الشيخ قال الله تعالى يوتكم اجوركم ولا يسالكم
اموالكم ان يسالكموها فيحفكم تبخلوا ويخرج اضغانكم معنى يحفكم اى يجهدكم ويلح
عليكم قال قتادة علم الله تعالى ان في مسله المال اخراج الاضغان وهذا تاديب من الله
الكريم والادب لادب الله قال جعفر الخلدي جاء رجل الى الجنيد واراد ان يخرج من ماله
كله ويجلس معهم على الفقر قال له الجنيد لا تخرج كلما معك احبس منه بمقدار
ما يكفيك واخرج الفضل وتقوت مما حبست واجتهد في طلب الحلال ولا تخرج كلما عندك
فلست آمن عليك ان يطالبك نفسك وكان النبي عليه الصلوة والسلام اذا اراد ان يعمل
عملا اثبته وقد يكون الشيخ يعلم من حال المريد انه اذا خرج من الشي يكسبه من الحال
ما لا يتطلع الى المال فحينيذ يجوز له ان يفسح للمريد في الخروج من المال كما فسح رسول الله
صلى الله عليه وسلم لابي بكر وقبل منه جميع ماله ومن ادب الشيخ اذا راى من بعض المريدين
مكروها او علم من حاله اعوجاجا او احس منه بدعوى او راى ان داخله عجب ان لا يصرح
له بالمكروه بل يتكلم على الاصحاب ويشير الى المكروه الذي يعلم ويكشف عن وجه
المذمة مجملا فيحصل بذلك الفايدة للكل فهذا اقرب الى المداراة واكثر التاليف

القلوب

القلوب واذا راى من المريد تقصيرا في خدمة ندبه اليها يحتمل تقصيره ويعفو عنه ويحضه
على الخدمة بالرفق واللين والى ذلك ندب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما اخبرنا ضيا الدين
عبد الوهاب بن علي قال انا ابو الفتح الهروي قال انا ابو نصر الترياقي قال انا ابو محمد الجراحي
قال انا ابو العباس المحبوبي قال انا ابو عيسى الترمذي قال ثنا قتيبة ثنا رشيد بن سعد
عن ابي هاني الخولاني عن عباس بن خليد الحجري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال جاء
رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كم اعفو عن الخادم قال كل يوم سبعين مرة واخلاق
المشايخ مهذبة بحسن الاقتدا برسول الله صلى الله عليه وسلم وهم احق الناس باحيا سنته
في كل ما امر وندب وانكر واوجب ومن جملة مهام الاداب حفظ اسرار المريدين فيما كاشفوا
به يمنحون من انواع المنح فسر المريد لا يتعدى ربه وشيخه ثم يحقر الشيخ في نفس المريد
ما يجده في خلوته من كشف او سماع خطاب او شي من خوارق العادات ويعرفه ان الوقوف
مع شي من هذا يشغل عن الله ويسد باب المزيد بل يعرفه ان هذه نعمة تشكر ومن وراها
نعم لا تحصى ويعرفه ان شان المريد طلب المنعم لا النعمة حتى يبقى سره محفوظا عند نفسه
وعند شيخه ولا يذيع سره فاذاعه الاسرار من ضيق الصدر وضيق الصدر الموجب
لاذاعة السر يوصف به النسوان وضعفا العقول من الرجال وسبب اذاعة السر ان
للانسان قوتين اخذة ومعطية وكلتاهما يتشوقان الى الفعل المختص بها ولولا ان الله تعالى
وكل المعطية باظهار ما عندها ما ظهر من الاسرار وكامل العقل كلما طلبت الفعل قيدها
ووزنها بالعقل حتى يضعها في مواضعها فيجل حال الشيوخ عن اذاعة الاسرار لرزانة عقولهم
وينبغي للمريد ان يحفظ سره من زره ففي ذلك صحته وسلامته وتايد الله بتدارك المريدين الصادقين
في موردهم ومصدرهم

الباب الحادى والخمسون في حقيقة الصحبة وما فيها من الخير والشر

المتقاضي للصحبة وجود الجنسية وقد يدعوا اليها اعم الاوصاف وقد يدعوا اليها اخص
الاوصاف فالدعا باعم الاوصاف كميل جنس البشر بعضهم الى البعض والدعا باخص
الاوصاف كميل اهل كل ملة بعضهم الى البعض ثم اخص من ذلك كميل اهل الطاعة
بعضهم الى البعض وكميل اهل المعصية بعضهم الى البعض فاذا علم هذا الاصل ولن

الجاذب الى الصحبة وجود الجنسية بالاعم تارة وبالاخص اخرى فليتفقد الانسان
نفسه عند الميل الى صحبة شخص وينظر الى الذي يميل به الى صحبته ويزن احوال من يميل
اليه بميزان الشرع فان راى احواله مسددة فليبشر نفسه بحسن الحال فقد جعله الله تعالى
مرآته يلوح له في مرآة اخيه جمال حسن الحال وان راى افعاله غير مسددة فيرجع الى نفسه
باللايمة والاتهام فقد لاح له في مرآة اخيه سوء حاله فبالجدير ان يفر منه كفراره من
الاسد فانهما اذا اصطحبا ازدادا ظلمة واعوجاجا ثم اذا علم من صاحبه الذي مال
اليه حسن الحال وحكم لنفسه بحسن الحال وطالع ذلك في مرآة اخيه فليعلم ان الميل
بالوصف الاعم مركوز في جبلته والميل بطريقه واقع وله بحسبه احكام وللنفس
بسببه سكون وركون فيسلب الميل بالوصف الاعم جدوى الميل بالوصف الاخص
ويصير بين المصطحبين استرواحات طبيعية وتلذذات جبلية لا يفرق بينها وبين خلوص
الصحبة لله الا العلماء الزاهدون وقد ينفسد المريد الصادق باهل الصلاح اكثر
مما ينفسد باهل الفساد ووجه ذلك ان اهل الفساد علم فساد طريقهم فاخذ حذره
واهل الصلاح عزه صلاحهم فمال اليهم لجنسية الصلاحية ثم حصل بينهم استرواحات
طبيعية جبلية حالت بينهم وبين حقيقة الصحبة لله فاكتسب من طريقهم الفتور في الطلب
والتخلف عن بلوغ الارب فليتنبه الصادق لهذه الدقيقة ويأخذ من الصحبة اصفى
الاقسام ويذر منها ما يسد في وجه المرام قال بعضهم هل رايت شرا قط الا ممن تعرف
ولهذا المعنى انكر طايفة من السلف الصحبة وراوا فضيلة العزلة والوحدة كابرهيم بن
ادهم وداود الطائي وفضيل بن عياض وسليمان الخواص وحكي عنه انه قيل له جاء ابرهيم
بن ادهم ما تلقاه قال لان القى سبعا ضاريا احب الي من ان القى ابرهيم بن ادهم قال لاني اذا
رايته احسن له كلامي وتظهر نفسي باظهار احسن احوالها وفي ذلك الفتنة وهذا كلام عالم
بالنفس واخلاقها وهذا واقع بين المصطحبين الا من يعصمه الله تعالى اخبرنا الشيخ الثقة
ابو الفتح محمد بن عبد الباقي اجازة قال انا الحافظ ابو بكر محمد بن احمد قال انا ابو القاسم اسمعيل بن
مسعدة قال انا ابو عمرو محمد بن عبد الله بن احمد قال انا ابو سليمن حمد بن محمد الخطابي قال انا

محمد

محمد بن بكر بن عبد الرزاق قال ثنا سليمن بن الاشعث قال ثنا عبد الله بن مسلمة عن مالك عن عبد الرحمن
ابن ابي صعصعة عن ابيه عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوشك ان يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعاف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه عن الفتن
قال سبحانه اخبارا عن خليله ابرهيم عليه السلام واعتزلكم وما تدعون من دون الله وادعوا
ربي استظهر بالعزلة على قومه قيل العزلة نوعان فريضة وفضيلة فالفريضة العزلة عن الشر
واهله والفضيلة عزلة الفضول واهله ويجوز ان يقال الخلوة غير العزلة فالخلوة من الاغيار
والعزلة من النفس وما تدعو اليه وما يشغل عن الله فالخلوة كثيرة الوجود والعزلة قليلة
الوجود قال ابو بكر الوراق ما ظهرت الفتنة الا بالخلطة من لدن آدم الى يومنا هذا
وما سلم الا من جانب الخلطة وقيل السلامة عشرة اجزاء تسعة في الصمت وواحدة
في العزلة وقيل الخلوة اصل والخلطة عارض فليلزم الاصل ولا يخالط الا بقدر الحاجة
واذا خالط لا يخالط الا بحجة واذا خالط يلازم الصمت فانه اصل والكلام عارض
ولا يتكلم الا بحجة فخطر الصحبة كثير يحتاج العبد الى مزيد علم والاخبار والآثار في
التحذير عن الخلطة والصحبة كثيرة والكتب بها مشحونة واجمع الاخبار في ذلك ما اخبرنا
الشيخ الثقة ابو الفتح باسناده السابق الى ابي سليمن قال ثنا احمد بن سلمان النجاد قال ثنا
محمد بن يونس الكديمي قال ثنا محمد بن منصور الجشمي قال ثنا سلم بن سالم قال انا السري بن يحيى
عن الحسن عن ابي الاحوص عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لياتين على الناس زمان لا يسلم لذي دين دينه الا من فر بدينه من قرية الى قرية ومن
شاهق الى شاهق ومن جحر الى جحر كالثعلب الذي يروغ قالوا ومتى ذلك يا رسول الله
قال اذا لم تنل المعيشة الا بمعاصي الله فاذا كان ذلك الزمان حلت العزوبة قالوا وكيف
ذلك يا رسول الله وقد امرتنا بالتزويج قال انه اذا كان ذلك الزمان كان هلاك الرجل
على يدي ابويه فان لم يكن له ابوان فعلى يدي زوجته وولده فان لم يكن له زوجة ولا ولد
فعلى يدي قرابته قالوا وكيف ذلك يا رسول الله قال يعيرونه بضيق المعيشة فيتكلف ما لا يطيق
حتى يورده موارد الهلكة وقد رغب جمع من السلف في الصحبة والاخوة في الله وراوا

ان الله تعالى منّ على اهل الايمان حيث جعلهم اخوانا قال سبحانه فاصبحتم بنعمته اخوانا
وقال تعالى هو الذى ايدك بنصره وبالمومنين والف بين قلوبهم لو انفقت ما فى الارض
جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم وقد اختار الصحبة والاخوة فى الله
سعيد بن المسيب وعبد الله بن المبارك وغيرهم وفايدة الصحبة انها تفتح مسام الباطن
ويكتسب الانسان بها علم الحوادث والعوارض قبل العلم الناس بالافات اكثرهم آفات
ويتصلب الباطن برزين العلم ويتمكن الصدق بطريق هبوب الافات ثم التخلص منها بالايمان
وينفع بطريق الصحبة والاخوة التعاضد والتعاون ويتقوى جنود القلب وتستروح
الارواح بالتشام ويتفق فى التوجه الى الرفيق الاعلى ويصير مثالها فى الشاهد كالاصوات
اذا اجتمعت خرقت الاجرام واذا انفردت قصرت عن بلوغ المرام ورد فى الخبر عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم المومن كثير باخيه وقال الله مخبرا عمن لا صديق له فقال وما لنا من شافعين
ولا صديق حميم والاصل فى الحميم الهميم ابدلت الحاء بالهاء لقرب مخرجهما اذ هما من حروف
الحلق والهميم ماخوذ من الاهتمام اى يهتم بامر اخيه فالاهتمام بهم الصديق حقيقة
الصداقة وقال عمر رضى الله عنه اذا راى احدكم ودا من اخيه فليتمسك به فقل
ما يصيب ذلك وقد قال القايل واذا صفا لك من زمانك واحد فهو المراد واين ذاك الواحد
واوحى الله تعالى الى داود عليه السلم قال يا داود ما لى اراك منتبذا وحدانا قال الهى
قليت الخلق من اجلك فاوحى الله اليه يا داود كن يقظانا مرتادا لنفسك اخوانا وكل خدن
لا يوافقك على مسرتى فلا تصحبه فانه عدو يقسى قلبك ويباعدك منى وقد ورد فى الخبر
ان احبكم الى الله الذين يالفون ويولفون فالمومن الف مالوف فى هذا دقيقه ليس
من اختار الوحدة والعزلة لله يذهب عنه هذا الوصف فلا يكون الفا مالوفا فان هذه
الاشارة من رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الخلق الجبلى وهذا الخلق يحمد فى كل من كان
اتم معرفة ويقينا وارزن عقلا واتم اهلية واستعدادا وكان اوفر الناس حظا من هذا
الوصف الانبياء ثم الاولياء واتم الجميع فى هذا نبينا صلوات الله وسلامه عليه وكل
من كان من الانبياء اتم الفة كان اكثر تبعا ونبينا كان اكثرهم الفة واكثرهم تبعا

تناكحوا تكثروا فانى مكاثر بكم الامم يوم القيامة وقد نبه الله تعالى على هذا الوصف
من رسول الله فقال ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك وانما طلبوا العزلة
مع وجود هذا الوصف ومن كان هذا الوصف فيه اقوى واتم طلب العزلة اكثر ولهذا
المعنى حبب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخلوة فى اول امره وكان يخلو فى غار حرا
ويتحنث الليالى ذوات العدد وطلب العزلة لا يسلب وصف كونه الفا مالوفا
وقد غلط فى هذا قوم ظنوا ان العزلة تسلب هذا الوصف فتركوا العزلة طلبا لهذه
الفضيلة وهذا خطأ وسر طلب العزلة لمن هذا الوصف فيه اتم من الانبياء ثم الامثل
فالامثل انا اسلفنا فى اول الباب ان فى الانسان ميل الى الجنس بالوصف الاعم فلما علم
الحذاق ذلك الهمهم الله تعالى محبة الخلوة والعزلة لتصفية النفس عن الميل بالوصف
الاعم ليرتقى الهمم العالية عن ميل الطباع الى تالف الارواح فاذا وفوا التصفية
حقها اشرابت الارواح الى جنسها بالتالف الاصلى الاولى واعادهم الله الى الخلق
ومخالطتهم مصفاة واستنارت النفوس الطاهرة بانوار الارواح وظهرت صفة
الجبلة من الالفة المكملة الفة مالوفة فصارت العزلة من اهم الامور عند من يالف
ويولف وممن ادل الدليل على ان الذى اعتزل الف مالوف حتى يذهب الغلط عن الذى
غلط فى ذلك وذم العزلة على الاطلاق من غير علم بحقيقة الصحبة وحقيقة العزلة
فصارت العزلة مرغوبة فى وقتها والصحبة مرغوبة فى وقتها قال محمد بن الحنفية ليس بحكيم
من لم يعاشر بالمعروف من لا يجد من معاشرته بدا حتى يجعل الله له منه فرجا وكان
بشر بن الحارث يقول اذا قصر العبد فى طاعة الله سلبه الله تعالى من يونسه فالانيس
يهبه الله تعالى للصادقين رفقا من الله تعالى وثوابا للعبد معجلا والانيس قد يكون
مفيدا كالمشايخ وقد يكون مستفيدا كالمريدين فصحيح الخلوة والعزلة لا يترك من غير
انيس فان كان قاصرا يونسه الله بمن يتم حاله به وان كان غير قاصر يقيض الله تعالى له
من يونسه من المريدين وهذا الانس ليس فيه ميل بالوصف الاعم بل هو بالله ومن الله وفى الله
روى عبد الله بن مسعود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المتحابون فى الله على عمود

من ياقوتة حمراء في راس العمود سبعون الف غرفة مشرفون على اهل الجنة يضيء حسنهم
لاهل الجنة كما يضيء الشمس لاهل الدنيا فيقول اهل الجنة انطلقوا بنا ننظر الى المتحابين
في الله عز وجل فاذا اشرفوا عليهم اضاء حسنهم لاهل الجنة كما يضيء الشمس لاهل الدنيا
عليهم ثياب سندس خضر مكتوب على جباههم هولاء المتحابون في الله عز وجل وقال
ابو ادريس الخولاني لمعاذ اني احبك في الله فقال له ابشر ثم ابشر فاني سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول تنصب لطايفة من الناس كراسي حول العرش يوم القيامة
وجوههم كالقمر ليلة البدر يفزع الناس وهم لا يفزعون ويخاف الناس وهم لا يخافون
وهم اولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فقيل من هولاء يا رسول الله قال هم المتحابون
في الله عز وجل وروى عبادة بن الصامت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
يقول الله عز وجل حقت محبتي للمتحابين فيّ والمتزاورين فيّ والمتباذلين فيّ والمتصادقين فيّ
اخبرنا الشيخ ابو الفتح بن عبد الباقي اجازة قال انا احمد بن الحسن بن خيرون انا
ابو عبد الله احمد بن عبد الله المحاملي انا ابو القسم عمر بن جعفر بن محمد بن سلم انا
ابو اسحق ابرهيم بن اسحق الحربي قال ثنا حماد عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الا اخبركم بخير من كثير من الصلوة والصدقة قالوا
ما هو قال اصلاح ذات البين واياكم والبغضة فانها هي الحالقة وباسناد ابرهيم
الحربي عن عبيد الله بن عمر عن ابي اسامة عن عبد الله بن الوليد عن عمر بن
رباح قال سمعت ابا مسلم يقول سمعت ابا هريرة يقول الخبر وفي الخبر تحذير عن البغضة
وهو ان يجفوا المتخلي الناس مقتا لهم وسوء ظن بهم وهذا خطأ وانما يريد ان يخلو
مقتا لنفسه وعلما بما في نفسه من الافات وحذرا على نفسه من نفسه وعلى الخلق
ان يعود عليهم من شره فمن كانت خلوته بهذا الوصف لا يدخل تحت هذا الوعيد
والاشارة بالحالقة يعني ان البغضة حالقة للدين لانه ينظر الى المومنين والمسلمين
بعين المقت واخبرنا الشيخ ابو الفتح باسناده الى ابرهيم الحربي قال ثنا يعقوب بن
ابرهيم قال ثنا ابو عاصم عن ثور عن خالد بن معدان قال ان لله ملكا نصفه من نار ونصفه

من ثلج

من ثلج وان من دعايه اللهم فكما الفت بين هذا الثلج وهذا النار فلا الثلج يطفي
النار ولا النار يذيب الثلج الف بين قلوب عبادك الصالحين وكيف لا يتالف
قلوب الصالحين وقد وجدهم رسول الله في وقته العزيز بقاب قوسين في وقت لا يسعه فيه
شيء للطف حال الصالحين ووجدهم في ذلك المقام العزيز وقال السلام علينا
وعلى عباد الله الصالحين فهم مجتمعون وان كانوا متفرقين وصحبتهم لازمة وعزمتهم
في التواصل في الدنيا والاخرة جازمة وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لو ان رجلا
صام النهار وقام الليل وتصدق وجاهد ولم يحب في الله ولم يبغض في الله ما نفعه
ذلك اخبرنا رضي الدين احمد بن اسمعيل بن يوسف اجازة ان لم يكن سماعا قال انا ابو المظفر
عن والده ابي القاسم القشيري قال سمعت ابا عبد الرحمن السلمي يقول سمعت عبد الله
المعلم يقول سمعت ابا بكر الطمستاني يقول اصحبوا مع الله فان لم تطيقوا فاصحبوا
مع من يصحب مع الله ليوصلكم بركة صحبتهم الى صحبة الله عز وجل واخبرنا شيخنا
ابو النجيب السهروردي رحمه الله قال انا عمر بن احمد الصفار النيسابوري قال انا
ابو بكر احمد بن خلف قال انا ابو عبد الرحمن السلمي قال سمعت ابا نصر الاصبهاني يقول
سمعت ابا جعفر الحداد يقول سمعت علي بن سهل يقول الانس بالله ان تستوحش من
الخلق الا من اهل ولاية الله فان الانس باهل ولاية الله هو الانس بالله وقد نبه القايل
نظما على حقيقة جامعة لمعاني الصحبة والخلوة وفايدتهما والحذر فيهما بقوله

وحدة الانسان خير من جليس السوء عنده ... وجليس الخير خير من قعود المرء وحده

الباب الرابع والخمسون في اداء حقوق الصحبة والاخوة في الله تعالى

قال الله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى وقال تعالى وتواصوا بالحق وتواصوا
بالمرحمة وقال الله تعالى في وصف اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اشداء على
الكفار رحماء بينهم كل هذه الايات تنبيه من الله الكريم للعباد على اداء حقوق
الصحبة فمن اختار صحبة او اخوة فادبه في ذلك ان يسلم نفسه وصاحبه الى الله تعالى
بالمسالة والدعاء والتضرع ويسال البركة في الصحبة فانه يفتح على نفسه بذلك ابوابا

من ابواب الجنة واما بابًا من ابواب النار فان كان الله تعالى يفتح بينهما خيرًا فهو باب
من ابواب الجنه قال الله تعالى الاخلآء يومئذ بعضهم لبعض عدوٌ الا المتقين
وقيل ان احد الاخوين في الله تعالى يقال له ادخل الجنة فيسئل عن منزل اخيه فان كان
دونه لم يدخل الجنة حتى يعطى اخوه مثل منزلته فان قيل له لم يكن يعمل مثل عملك فيقول
اني كنت اعمل لي وله فيعطى جميع ما يسئل لاخيه ويرفع اخوه الى درجته وان
فتح الله تعالى عليهما بالصحبة شرًا فهو باب من ابواب النار قال الله تعالى ويوم يعض
الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا يا ويلتا ليتني لم اتخذ فلانا
خليلا وان كانت الاية وردت في قصة مشهورة ولكن لله تعالى تنبيه في ذلك لعباده وجنة
على الحذر من كل خليل يقطع عن الله واختيار الصحبة والاخوة اتفاقًا من غير نية
في ذلك وتثبت في اوله شان ارباب الغفلة الجاهلين بالنيات في المقاصد والمنافع
والمضار وقد قال عبد الله بن عباس في كلام له وهل يفسد الناس الا الناس فالفساد
بالصحبة متوقع والصلاح متوقع وما هذا سبيله كيف لا يحذر في اوله ويحلم الامر
فيه بكثرة الالتجا الى الله تعالى وصدق الافتقار وسوال البركة والخيرة في ذلك وتقديم
صلوة الاستخارة ثم ان اختيار الصحبة والاخوة عمل وكل عمل يحتاج الى النية والى
حسن الخاتمة وقال عليه الصلوة والسلام في الخبر الطويل سبعة يظلهم الله فمنهم اثنان تحابا
في الله فعاشا على ذلك وماتا عليه اشارة الى ان الاخوة والصحبة من شرطها حسن الخاتمة
حتى يكتب لهما ثواب المواخاة ومتى افسد المواخاة بتضييع الحقوق فيه فسد العمل من اوله
قيل ما حسد الشيطان متعاونين على بر حسده متواخيين في الله متحابين فيه فانه يجهد
نفسه ويحث قبيله على افساد ما بينهما وكان يقول الفضيل اذا وقعت الغيبة ارتفعت
الاخوة والاخوة في الله مواجهة قال الله تعالى اخوانا على سرر متقابلين ومتى اضمر احدهما
للآخر سوأ او كره منه شيا ولم ينبهه عليه حتى يزيله او يتسبب الى ازالته منه فما
واجهه بل استدبره قال الجنيد ما يواخا اثنان في الله واستوحش احدهما من صاحبه
الا لعلة في احدهما فالمواخاة في الله اصفى من الماء الزلال وما كان لله فالله مطالب بالصفا

فيه

فيه وكلما صفا دام والاصل في دوام صفائه عدم المخالفة قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا تمار اخاك ولا تمازحه ولا تعده موعدًا فتخلفه وقال ابو سعيد الخراز
صحبت الصوفية خمسين سنة ما وقع بيني وبينهم خلاف فقيل له وكيف ذاك قال اني
كنت معهم على نفسي اخبرنا شيخنا ابو النجيب السهروردي اجازة قال انا عمر بن احمد الصفار
قال انا ابو بكر احمد بن خلف قال انا ابو عبد الرحمن السلمي قال سمعت محمد بن عبد الله الرازي
قال سمعت ابا عمرو الدمشقي يقول سمعت ابا عبد الله بن الجلا يقول وقد ساله رجل على
اي شرط اصحب الخلق فقال ان لم تبرهم فلا تؤذهم وان لم تسرهم فلا تسوءهم وبهذا
الاسناد قال ابو عبد الله لا تضيع حق اخيك بما بينك وبينه من المودة والصداقة
فان الله تعالى فرض لكل مومن حقا لم يضيعها الا من لم يراع حقوق الله عليه ومن
حقوق الصحبة انه اذا وقع فرقة ومباينة لا يذكر اخاه الا بخير قيل كان لبعضهم زوجة
وكان يعلم منها ما يكره فكان يقال له استخبارًا عن حالها يقول لا ينبغي للرجل ان يقول في اهله
الا خيرًا ففارقها وطلقها فاستخبر عن ذلك فقال المراة بعدت عني وليست مني بشيء
كيف اذكرها وهذا من التخلق باخلاق الله انه سبحانه يظهر الجميل ويستر القبيح
واذا وجد من احدهما ما يوجب التقاطع فهل يبغضه اولا اختلف القول في ذلك كان ابو ذر
يقول اذا انقلب عما كان عليه ابغضه من حيث احببته وقال غيره لا يبغض الاخ بعد
الصحبة ولكن يبغض عمله قال الله تعالى لنبيه فان عصوك فقل اني بريء مما تعملون ولم يقل
اني بريء منكم وقيل كان شاب يلازم مجلس ابي الدردا وكان ابو الدردا يميزه على غيره
فابتلي الشاب بكبيرة من الكباير وانتهى الى ابي الدردا ما كان منه فقيل له لو ابعدته وهجرته
فقال سبحان الله لا يترك الصاحب لشيء كان منه قيل للصداقة لحمة كلحمة النسب وقيل لحكيم
مرة اي ما احب اليك اخوك او صديقك فقال انما احب اخي اذا كان صديقي وهذا الخلاف في المفارقة
ظاهرًا او باطنًا وبالملازمة باطنا اذا وقعت المباينة ظاهرًا يختلف ذلك باختلاف الاشخاص
ولا يطلق القول فيه اطلاقًا من غير تفصيل فمن الناس من كان تغيره رجوعًا عن الله وظهور
حكم سوء السابقة فيجب بغضه وموافقة الحق فيه ومن الناس من كان تغيره عثرة حدثت

بغضته

وفترة وقعت يرجى عوده فلا ينبغي ان يبغض ولكن يبغض عمله في الحالة الحاضرة ويلحظ
بعين الود منتظرا له الفرج والعود الى اوطان الصلح وقد ورد ان النبي صلى الله عليه وسلم
لما شتم القوم الرجل الذي اتى بفاحشة قال مه وزبرهم لا تكونوا عونا للشيطان على اخيكم
وقال ابرهيم النخعي لا تقطع اخاك ولا تهجره عند الذنب بذنبه فانه يركبه اليوم ويتركه
غدا وفي الخبر اتقوا زلة العالم ولا تقطعوه وانتظروا فيئته وروى ان عمر سال عن اخ له كان
آخاه فخرج الى الشام فسال عنه بعض من قدم عليه فقال ما فعل اخي فقال له ذاك اخو الشيطان
قال له مه قال انه فارق الكباير حتى وقع في الخمر فقال اذا اردت الخروج فآذني قال فكتب اليه
حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ثم عاتبه
تحت ذلك وعذله فلما قرا الكتاب بكا وقال صدق الله عز وجل ونصح عمر فتاب ورجع وروى
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم راى ابن عمر يلتفت يمينا وشمالا فساله فقال يا رسول الله احببت
رجلا فانا اطلبه ولا اراه فقال يا عبد الله اذا احببت احدا فسله عن اسمه واسم ابيه
وعن منزله فان كان مريضا عدته وان كان مشغولا اعنته وكان يقول ابن عباس ما اختلف رجل
الى مجلسي ثلثا من غير حاجة تكون له فعلمت ما مكافاته في الدنيا وكان يقول سعيد بن العاص
لجليسي على ثلث اذا دنا رحبت به واذا حدث اقبلت عليه واذا جلس اوسعت له ويعلم خلوص
المحبة لله ان لا يكون فيها شايبة حظ عاجل من رفق واحسان فان ما كان معلولا يزول بزوال
علته ومن لا يستند في خلته الى علة يحكم بدوام خلته ومن شرط الحب في الله ايثار الاخ
بكل ما يقدر عليه من امر الدين والدنيا قال الله تعالى يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون
في صدورهم حاجة مما اوتوا ويوثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة وقوله تعالى
لا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا اي لا يحسدون اخوانهم على ما لهم وهذان الوصفان
بهما يكمل صفو المحبة احدهما انتزاع الحسد على شي من امر الدين والدنيا والثاني الايثار
بالمقدور وروى في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم المرء على دين خليله ولا خير لك في صحبة
من لا يرى لك مثل ما يرى لنفسه وكان يقول ابو معوية الاسود اخواني كلهم خير مني قيل وكيف ذاك
ذلك قال كلهم يرى لي الفضل عليه ومن فضلني على نفسه فهو خير مني ولبعضهم نظما

تذلل لمن ان تذللت له يرى ذاك للفضل لا للبله وجانب صداقة من لم يزل على الاصدقاء يرى الفضل له

الباب الخامس والخمسون في آداب الصحبة والاخوة في الله تعالى

سئل ابو حفص عن ادب الفقرا في الصحبة فقال حفظ حرمات المشايخ وحسن العشرة مع
الاخوان والنصيحة للاصاغر وترك صحبة من ليس في طبقتهم وملازمة الايثار ومجانبة
الادخار والمعاونة في امر الدين والدنيا فمن ادبهم التغافل عن زلل الاخوان والنصح فيما
يجب فيه النصيحة وكتم عيب صاحبه واطلاعه على عيب يعلم منه قال عمر بن الخطاب رضي
رحم الله امرأ اهدى الي عيوبي وهذا فيه مصلحة كلية ان يكون للشخص من ينبهه
على عيوبه قال جعفر بن برقان قال لي ميمون بن مهران قل لي في وجهي ما اكره فان الرجل
لا ينصح اخاه حتى يقول له في وجهه ما يكرهه فان الصادق يحب من يصدقه والكاذب
لا يحب الناصح قال الله تعالى ولكن لا تحبون الناصحين والنصيحة ما كانت في السر لا النصح في الملا
ومن ادب الصوفية القيام بخدمة الاخوان واحتمال الاذى منهم فبذلك يظهر جوهر
الفقير روى ان عمر بن الخطاب امر بقلع ميزاب كان في دار العباس بن عبد المطلب الى
الطريق بين الصفا والمروة فقال له العباس قلعت ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
وضعه بيده فقال اذا لا يرده الى مكانه غير يدك ولا يكون لك سلم غير عاتق عمر فاقامه
على عاتقه ورده الى موضعه ومن ادبهم ان لا يرون لنفسهم ملكا يختصون به قال ابرهيم
ابن شيبان كنا لا نصحب من يقول نعلي اخبرنا بذلك ضيا الدين عن ابي المظفر عن والده
ابي القاسم القشيري قال سمعت اباحاتم الصوفي قال سمعت ابا نصر السراج يقول
ذلك وقال احمد بن القلانسي دخلت على قوم من الفقرا يوما بالبصرة فاكرموني
وبجلوني فقلت يوما لبعضهم اين ازاري فسقطت من اعينهم وكان ابرهيم بن ادهم
اذا صحبه انسان شارطه على ثلثة اشيا ان يكون الخدمة والاذان له وان يكون يده
في جميع ما يفتح الله عليهم من الدنيا كيدهم فقال رجل من اصحابه انا لا اقدر على هذا
فقال اعجبني صدقك وكان ابرهيم بن ادهم ينظر البساتين ويعمل في الحصاد وينفق
على اصحابه وكان من اخلاق السلف ان كل من احتاج الى شي من مال اخيه استعمله

من غير مؤامرة قال الله تعالى وامرهم شورى بينهم اى مشاع مشاورة هم فيه سواء ومن ادبهم انهم
اذا استثقلوا اصحابا يتهمون نفوسهم ويتسببون الى ازالة ذلك من بواطنهم لان
انطواء الضمير على مثل ذلك للمصاحب وليجة في الصحبة قال ابو بكر الكتاني صحبني
رجل وكان على قلبي ثقيلا فوهبت له شيئا بنية ان تزول ثقله من قلبي فلم يزل فخلوت به
يوما وقلت له ضع رجلك على خدي فابى فقلت له لابد من ذلك ففعل ذلك فزال ما كنت
اجده في باطني قال الدقي قصدت من الشام الى الحجاز حتى سالت الكتاني عن هذه
الحكاية ومن ادبهم تقديم من تعرفون فضله والتوسعة له في المجلس والايثار بالموضع روى
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا في صفة ضيقة فجاء قوم من البدريين فلم يجدوا
موضعا يجلسون فيه فاقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يكن من اهل بدر فجلسوا مكانهم
فاشتد ذلك عليهم فانزل الله تعالى واذا قيل انشزوا فانشزوا الآية وحكى ان علي بن بندار
الصوفي ورد على ابي عبد الله بن خفيف زائرا فمشيا فقال له ابو عبد الله تقدم فقال
باي عذر قال بانك لقيت الجنيد وما لقيته ومن ادبهم ترك صحبة من يهمه شيء من فضول
الدنيا قال الله تعالى فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحيوة الدنيا ومن ادبهم بذل
الانصاف للاخوان وترك المطالبة بالانصاف قال ابو عثمن الحيري حق الصحبة ان توسع
على اخيك مالك ولا تطمع في ماله وتنصفه من نفسك ولا تطلب منه الانصاف وتكون
تبعا له ولا تطمع ان يكون تبعا لك وتستكثر ما يصل اليك منه وتستقل ما يصل اليه منك
ومن ادبهم في الصحبة لين الجانب وترك ظهور النفس بالصولة قال ابو علي الروذباري
الصولة على من فوقك قحة وعلى من مثلك سوء ادب وعلى من دونك عجز ومن ادبهم
ان لا يجري في كلامهم لو كان كذى لم يكن كذا وليت كان كذا وعسى ان يكون كذا فانهم
يرون هذه التقاديرات عامية ومن ادبهم في الصحبة حذر المفارقة والحرص على
الملازمة قيل صحب رجل رجلا ثم اراد المفارقة فاستاذن صاحبه فقال بشرط ان
لا تصحب احدا الا اذا كان فوقنا وان كان فوقنا ايضا فلا تصحبه لانك صحبتنا اولا
فقال الرجل فزال عن قلبي نية المفارقة ومن ادبهم التعطف على الاصاغر قيل كان

نبشي الرجل اذا كان قاعدا فنهض قايما نشزوا اذا قيل انشزوا فانشزوا اى انهضوا للاحرب او الى امر من امور الله تعالى ١٢

ابرهيم

ابرهيم بن ادهم يعمل في الحصاد ويطعم الاصحاب وكانوا يجتمعون بالليل وهم صيام
وربما كان يتاخر في بعض الايام في العمل فقالوا ليلة تعالوا ناكل فطورنا دونه حتى
يعود بعد هذا اسرع فافطروا وناموا فرجع ابرهيم بن ادهم فوجدهم نياما فقال
مساكين لعلهم لم يكن لهم طعام فعمد الى شيء من الدقيق فعجنه فانتبهوا وهو ينفخ في النار
واضعا محاسنه على التراب فقالوا له في ذلك قال فقلت لعلكم لم تجدوا فطورا فنمتم
فقالوا انظروا باي شيء عاملناه وباي شيء يعاملنا ومن ادبهم ان لا يقولوا عند الدعاء
الى اين ولم وباي سبب قال بعض العلماء اذا قال الرجل لصاحبه قم بنا فقال الى اين فلا تصحبه
وقال آخر من قال لاخيه اعطني من مالك فقال كم تريد ما قام بحق الاخاء وقد قال الشاعر
لا يسالون اخاهم حين يندبهم في النايبات على ما قال برهانا ومن ادبهم ان
لا يتكلفوا للاخوان قيل لما ورد ابو حفص العراق تكلف له الجنيد انواعا من الاطعمة
فانكر ذلك ابو حفص وقال صير اصحابي مثل المخانيث يقدم لهم الالوان والفتوة
عندنا ترك التكلف واحضار ما حضر فان بالتكلف ربما يؤثر مفارقة الضيف وبترك
التكلف يستوي مقامه وذهابه ومن ادبهم في الصحبة المداراة وترك المداهنة وشبهة
المداراة بالمداهنة والفرق بينهما ان المداراة ما اردت به صلاح اخيك فداريته
لرجاء صلاحه واحتملت منه ما تكره والمداهنة ما قصدت به شيئا من اهوى من طلب
حظ او اقامة جاه ومن ادبهم في الصحبة رعاية الاعتدال بين الانقباض والانبساط
نقل عن الشافعي انه قال الانقباض عن الناس مكسبة لعداوتهم والانبساط اليهم مجلبة
لقرناء السوء فكن بين المنقبض والمنبسط ومن ادبهم ستر عورات الاخوان قال عيسى
عليه السلام لاصحابه كيف تصنعون اذا رايتم اخاكم نائما فكشفت الريح عنه ثوبه
قالوا نستره ونغطيه قال بل تكشفون عورته قالوا سبحان الله من يفعل هذا قال احدكم
يسمع في اخيه بالكلمة فيزيد عليها ويشيعها باعظم منها ومن ادبهم الاستغفار
للاخوان بظهر الغيب والاهتمام لهم مع الله تعالى في دفع المكاره عنهم حكى ان اخوين
ابتلى احدهما بهوى فاظهر عليه اخاه فقال اني ابتليت بهوى فان شئت لا تعقد

فكشف

تعقد



على محبتي لله فافعل فقال ما كنت لاحل عقدا عقده اخا لي لاجل خطيئتك وعقد بينه وبين الله عقدا
ان لا ياكل ولا يشرب حتى يعافيه الله تعالى من هواه فطوى اربعين يوما كلما يساله عن هواه
فيقول ما زال فلما كان بعد الاربعين اخبره ان الهوى قد زال فاكل وشرب ومن ادبهم
ان لا يحوجوا صاحبهم الى المداراة ولا يلجؤه الى الاعتذار ولا يتكلفوا للصاحب ما يشق
عليه بل يكونوا للصاحب من حيث هو مؤثرين مراد الصاحب على مراد انفسهم قال علي بن
ابي طالب رضوان الله عليه شر الاصدقاء من احوجك الى مداراة او الجاك الى اعتذار
او تكلفت له قال جعفر الصادق اثقل اخواني علي من يتكلف لي في الصحبة واتحفظ منه
واخفهم على قلبي من اكون معه كما اكون وحدي وآداب الصحبة وحقوق الاخوة كثيرة
والحكايات في ذلك تطول نقلها وقد رايت في كتاب الشيخ ابي طالب المكي من الحكايات
في هذا المعنى شيئا كثيرا واودع كتابه كل شيء حسن من ذلك وحاصل الجميع ان العبد
ينبغي ان يكون لمولاه ويريد كلما يريد لمولاه لا لنفسه واذا صاحب شخصا يكون
صحبته اياه لله تعالى واذا صحبه لله تعالى يجتهد له في كل شيء يريده عند الله زلفى
وكل من قام بحقوق الله تعالى يرزقه الله علما بمعرفة النفس وعيوبها ومحاسن الاخلاق ومعرفة
ويعرفه محاسن الآداب ويوقفه من اداء الحقوق على بصيرة ويفقهه في كل ذلك ولا يفوته
شيء مما يحتاج اليه فيما يرجع الى حقوق الحق وفيما يرجع الى حقوق الخلق فكل تقصير
يوجد من خبث النفس وعدم تزكيتها وبقاء صفاتها عليه فان صحبت ظلمت بالافراط
تارة وبالتفريط اخرى وتعدت الواجب فيما يرجع الى الحق والخلق والحكايات والمواعظ
والآداب وسماعها لا يعمل في النفس زيادة تاثير ويكون كبير يقلب فيه الماء من فوق
فلا يمكث فيه ولا ينتفع به واذا اخذت بالتقوى والزهد في الدنيا نبع منها ماء الحيوة
وتفقهت وعلمت وادت الحقوق وقامت بواجب الآداب بتوفيق الله تعالى

الباب الثالث والخمسون في معرفة الانسان نفسه ومكاشفات الصوفية من ذلك

حدثنا شيخنا ضياء الدين ابو النجيب السهروردي قال لنا الشريف نور الهدى ابو طالب
الزينبي قال اخبرتنا كريمة المروزية قالت لنا ابو الهيثم الكشميهني قال لنا ابو عبد الله
الفربري قال لنا ابو عبد الله البخاري قال ثنا عمر بن حفص قال ثنا ابي قال ثنا الاعمش قال ثنا زيد بن
وهب قال لنا عبد الله قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق قال
ان احدكم يجمع خلقه في بطن امه اربعين يوما نطفة ثم تكون علقة مثل ذلك ثم تكون
مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله اليه ملكا باربع كلمات فيكتب عمله واجله ورزقه
وشقي ام سعيد ثم ينفخ فيه الروح وان الرجل ليعمل بعمل اهل النار حتى ما يكون بينه وبينها
الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل الجنة فيدخل الجنة وان الرجل ليعمل بعمل
اهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل النار
فيدخل النار وقال الله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة
في قرار مكين اي حرز مكين لاستقرارها فيه الى بلوغ امدها ثم قال بعد ذكر تقلباته ثم
انشاناه خلقا آخر قيل هذا الانشاء نفخ الروح فيه الكلام في الروح صعب المرام
والامساك عن ذلك سبيل ذوي الاحلام وقد عظم الله شان الروح واسجل على الخلق
بقلة العلم حيث قال وما اوتيتم من العلم الا قليلا وقد اخبر الله تعالى في كلامه عن كرامة بني
آدم فقال ولقد كرمنا بني آدم قيل قالت الملائكة ربنا انك اعطيت بني آدم الدنيا ياكلون
فيها ويتنعمون ولم تعطنا ذلك فاعطناه في الآخرة فقال وعزتي وجلالي لا اجعل ذرية
من خلقت بيدي كمن قلت له كن فكان فكان من هذه الكرامة واختياره سبحانه اياهم
على الملائكة لما اخبر عن الروح اخبر عنهم بقلة العلم وقال ويسئلونك عن الروح قل الروح
من امر ربي قال ابن عباس قالت اليهود للنبي صلى الله عليه وسلم اخبرنا ما الروح وكيف
تعذب الروح التي في الجسد وانما الروح من امر الله ولم يكن نزل فيه شيء فلم يجبهم فاتاه
جبريل بهذه الآية وحيث امسك رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الاخبار عن الروح وماهيته
باذن الله تعالى ووحيه وهو صلوات الله عليه معدن العلم وينبوع الحكمة كيف يسوغ
لغيره الخوض فيه والاشارة اليه لا جرم لما تقاضت النفس الانسانية المتطلعة الى
الفضول المتشوفة الى المعقول المتحركة بوضعها الى كل ما امرت بالسكون فيه والمتسورة
بحرصها الى كل تحقيق وكل تمويه واطلقت عنان النظر في مسارح الفكر وخاضت غمرات معرفة



ماهية الروح تاهت في التيه وتنوعت آراؤها فيه ولم يوجد الاختلاف بين ارباب النقل
والعقل في شيء كالاختلاف في ماهية الروح ولو لزمت النفوس حدها معترفة بعجزها
كان ذلك اجدر بها واولى فاما اقاويل من ليس يتمسك بالشرايع فننزه الكتاب عن ذكرها
لانها اقوال ابرزتها العقول التي ضلت عن الرشاد وطبعت على الفساد ولم يصبها
نور الاهتداء ببركة متابعة الانبياء فهم كما قال الله تعالى كانت اعينهم في غطاء عن ذكري
وكانوا لا يستطيعون سمعا وقال تعالى وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا
وقر ومن بيننا وبينك حجاب فلما حجبوا عن الانبياء لم يسمعوا وحيث لم يسمعوا
لم يهتدوا فاصروا على الجهالات وحجبوا بالعقول عن المأمول والعقل حجة الله تعالى
يهدي به قوما ويضل به آخرين فلم ننقل اقوالهم في الروح واختلافهم فيه واما المتمسكون
بالشرايع تكلموا في الروح فقوم منهم بطريق الاستدلال والنظر وقوم منهم بلسان
الذوق والوجد لا باستعمال الفكر حتى تكلم في ذلك مشايخ الصوفية ايضا وكان الاولى
الامساك عن ذلك والتأدب بادب النبي عليه الصلوة والسلام وقد قال الجنيد الروح
شيء استأثر الله بعلمه ولا يجوز العبارة عنه باكثر من موجود ولكن نجعل للصادقين
محملا لاقوالهم وافعالهم ونجوز ان يكون كلامهم في ذلك بمثابة التأويل لكلام الله تعالى
والآيات المنزلة حيث حرم تفسيره وجوز تأويله اذ لا يسع القول في التفسير الا نقلا
واما التأويل فيمتد العقول اليه بالباع الطويل وهو ذكر ما يحتمل الآية من المعنى من غير
القطع بذلك واذا كان الامر كذلك فللقول فيه وجه ومحمل قال ابو عبد الله النباجي
الروح جسم يلطف عن الحس ويكبر عن اللمس ولا يعبر عنه باكثر من موجود وهو وان منع
عن العبارة فقد حكم بانه جسم فكأنه عبر عنه وقال ابن عطا خلق الله الارواح قبل الاجساد
لقوله تعالى ولقد خلقناكم يعني الارواح ثم صورناكم يعني الاجساد وقال بعضهم الروح
لطيف قايم في كثيف كالبصر جوهر لطيف قايم في كثيف وفي هذا القول نظر وقال
بعضهم الروح عبارة والقايم بالاشيا هو الحق وهذا فيه نظر ايضا الا ان يحمل على
معنى الاحيا فقد قال بعضهم الاحيا صفة المحيي كالتخليق صفة الخالق وقال قل الروح

من امر ربي وامره كلامه وكلامه ليس بمخلوق اي صار الحي حيا بقوله كن حيا وعلى
هذا لا يكون الروح معنى في الجسد فمن الاقوال ما يدل على ان قايله يعتقد قدم
الروح ومن الاقوال ما يدل على انه يعتقد حدوثه ثم ان الناس مختلفون في الروح
الذي سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه فقال قوم هو جبريل ونقل عن امير المومنين
علي بن ابي طالب رضوان الله عليه انه قال هو ملك من الملائكة له سبعون الف وجه
ولكل وجه منه سبعون الف لسان ولكل لسان منه سبعون الف لغة يسبح الله
بتلك اللغات كلها ويخلق من كل تسبيحة ملك يطير مع الملائكة الى يوم القيامة
وروى عن عبد الله بن عباس ان الروح خلق من خلق الله صورهم على بني آدم وما نزل
من السما ملك الا ومعه واحد من الروح وقال ابو صالح الروح كهيئة الانسان
وليسوا بناس وقال مجاهد الروح على صورة بني آدم لهم ايدي وارجل ورؤس ياكلون
الطعام وليسوا بملائكة وقال سعيد بن جبير لم يخلق الله خلقا اعظم من الروح
غير العرش ولو شاء ان يبلع السموات السبع والارضين السبع في لقمة لفعل صورة
خلقه على صورة الملائكة وصورة وجهه على صورة الآدميين يقوم يوم القيامة
عن يمين العرش والملائكة معه في صف واحد وهو ممن يشفع لاهل التوحيد ولولا
ان بينه وبين الملائكة سترا من نور احترق اهل السموات عن نوره فهذه الاقاويل
لا يكون الا نقلا وسماعا بلغهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك واذا كان الروح
المسئول عنه شيئا من هذا المنقول فهو غير الروح الذي في الجسد فعلى هذا يسوغ القول
في هذا الروح ولا يكون الكلام فيه ممنوعا قال بعضهم الروح لطيفة تسري من الله
الى اماكن معروفة لا يعبر عنه باكثر من موجود بايجاد غيره وقال بعضهم الروح لم يخرج
من كن لانه لو خرج من كن كان عليه الذل قيل فمن اي شيء خرج قال من بين جماله
وجلاله سبحانه وتعالى بملاحظة الاشارة خصها بسلامه وحياها بكلامه فهي معتقة
من ذل كن وسئل ابو سعيد الخراز عن الروح امخلوقة هي قال نعم ولولا ذلك ما اقرت
بالربوبية حيث قالت بلى والروح هي التي قام بها البدن واستحق بها اسم الحيوة والروح



يثبت العقل وبالروح قامت الحجة ولو لم يكن الروح كان العقل معطلا لا حجة عليه ولا له
وقيل انها جوهر مخلوق ولكنها الطف المخلوقات واصفا الجواهر وانورها وبها ترى
المغيبات وبها يكون الكشف لاهل الحقائق واذا حجبت الروح عن مراعات السر
اسات الجوارح الادب ولذلك صارت الروح بين تجلي واستتار وقابض وبازغ
وقيل الدنيا والاخرة عند الارواح سواء وقيل الارواح تجول في البرزخ وتبصر
احوال الدنيا والملائكة يتحدثون في السماء عن احوال الادميين وارواح تحت العرش
وارواح طيارة الى الجنان والى حيث شاءت على اقدارهم من السعي الى الله ايام
الحيوة وروى سعيد بن المسيب عن سلمان قال ارواح المؤمنين تذهب في برزخ
من الارض حيث شاءت بين السماء والارض حتى يردها الى اجسادها وقيل اذا
ورد على الارواح ميت من الاحياء التقوا وتحدثوا وتساءلوا ووكل الله بها
ملائكة تعرض عليها اعمال الاحياء حتى اذا عرض على الاموات ما يعاقب به الاحياء
في الدنيا من اجل الذنوب كان عذر الله ظاهرا عند الاموات فانه لا احد
احب اليه العذر من الله عز وجل وقد ورد في الخبر عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم تعرض الاعمال يوم الاثنين والخميس على الله وتعرض على الانبياء والاباء والامهات
يوم الجمعة فيفرحون بحسناتهم ويزداد وجوههم بياضا وتشرقة فاتقوا الله تعالى
ولا تؤذوا امواتكم وفي خبر اخر ان اعمالكم تعرض على عشائركم واقاربكم من الموتى
فان كان حسنا استبشروا وان كان غير ذلك قالوا اللهم لا تمتهم حتى تهديهم كما هديتنا
وهذه الاقوال والاخبار تدل على انها اعيان في الجسد وليست بمعاني ولا اعراض
سئل الواسطي لاي علة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم احلم الخلق قال لانه خلق
روحه اولا فوقع له صحبة التمكين والاستقرار الا تراه يقول كنت نبيا وادم بين
الروح والجسد اي لم يكن روحا ولا جسدا وقال بعضهم الروح خلق من نور العزة
وابليس خلق من نار العزة ولهذا قال خلقتني من نار ولم يدر ان النور خير من النار
وقال بعضهم قرن الله العلم بالروح فهي للطافتها تنمو بالعلم كما ان البدن تنمو بالغذاء

وهذا في علم الله لان علم الخلق قليل لا يبلغ ذلك والمختار عند اكثر متكلمي الاسلام ان الانسانية
والحيوانية عرضان خلقا في الانسان والموت يعدمهما وان الروح هي الحيوة بعينها صار
البدن بوجودها حيا وبالاعادة اليه في القيامة يصير حيا وذهب بعض متكلمي الاسلام
الى انه جسم لطيف اشتبك بالاجسام الكثيفة اشتباك الماء بالعود الاخضر وهو
اختيار ابي المعالي الجويني وكثير منهم مالوا الى انه عرض الا انه ردهم عن ذلك الاخبار
الدالة على انه جسم لما ورد فيه من العروج والهبوط والتردد في البرزخ فحيث
وصف باوصاف دل على انه جسم لان العرض لا يوصف باوصاف اذ الوصف
معنى والمعنى لا يقوم بالمعنى واصر بعضهم على انه عرض سئل ابن عباس قيل له اين
تذهب الارواح عند مفارقة الاشباح فقال اين يذهب ضوء المصباح عند فناء الادهان
قيل له فاين تذهب الجسوم اذا بليت قال فاين يذهب لحمها اذا مرضت وقال بعضهم
ممن تهم بالعلوم المذمومة المردودة وينسب الى الاسلام الروح ينفصل من البدن
في جسم لطيف وقال بعضهم انها اذا فارقت البدن تحل معها القوة الوهمية بتوسط
النطقية فيكون حينئذ مطالعة المحسوسات لان تجرده من هيات البدن عند
المفارقة غير ممكن وهي الموت شاعرة بالموت وبعد الموت متخيلة نفسها مقبورة وتتصور
جميع ما كانت يعتقده حال الحيوة وتحس بالثواب والعقاب في القبر وقال بعضهم اسلم المقال
ان يقال الروح شي مخلوق اجرى الله العادة بان يحي البدن ما دام متصلا به وانه اشرف
من الجسد يذوق الموت بمفارقة الجسد كما ان الجسد بمفارقته يذوق الموت فان
الكيفية والماهية يتغاشى العقل فيه كما يتغاشى البصر في شعاع الشمس ولما راى المتكلمون
انه يقال لهم الموجودات محصورة قديم وجسم وجوهر وعرض فالروح ايها من اي فاختار
قوم منهم انه عرض وقوم منهم انه جسم لطيف كما ذكرنا واختار قوم انه قديم لانه امر
والامر كلام والكلام قديم فما احسن الامساك عن القول فيما هذا سبيله وكلام الشيخ
ابي طالب المكي في كتابه يدل على انه يميل الى ان الارواح اعيان في الجسد وهكذا النفوس
لانه يذكر ان الروح يتحرك من حركتها يظهر نور في القلب يراه الملك فيلهم الخير عند ذلك



وان النفس تتحرك ومن حركتها تظهر ظلمة في القلب فيرى الشيطان الظلمة فيقبل بالاغواء
وحيث وجدت اقوال المشايخ تشير الى الروح اقول ما عندي في ذلك على معنى ما ذكر
من التاويل دون ان اقطع به اذ سبيلي في ذلك الى السكوت والامساك فاقول والله اعلم
الروح الانساني العلوي السماوي من عالم الامر والروح الحيواني البشري من عالم
الخلق والروح الحيواني البشري محل الروح العلوي ومورده والروح الحيواني
جسماني لطيف حامل لقوة الحس والحركة ينبعث من القلب اعني بالقلب هاهنا المضغة
اللحمية المعروفة الشكل المودعة في الجانب الايسر من الجسد وتنتشر في تجاويف
العروق الضوارب وهذه الروح لساير الحيوانات ومنه تفيض قوى الحواس
وهو الذي قوامه باجراء سنة الله تعالى بالغذاء غالبا ويتصرف بعلم الطب فيه باعتدال
مزاج الاخلاط ولورود الروح الانساني العلوي على هذا الروح تجنس الروح
الحيواني وباين ارواح الحيوانات واكتسب صفة اخرى فصار نفسا محلا للنطق
والالهام قال الله تعالى ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها فتسويتها بورود
الروح الانساني عليها واقتطاعها عن جنس ارواح الحيوانات فتكونت النفس بتكوين
الله من الروح العلوي وصار تكون النفس التي هي الروح الحيواني من الادمي من
الروح العلوي في عالم الامر لتكون حوا من ادم في عالم الخلق وصار بينهما من التالف
والتعاشق كما بين ادم وحوا وصار كل واحد منهما يذوق الموت بمفارقة صاحبه
قال الله تعالى وجعل منها زوجها ليسكن اليها فسكن ادم الى حوا وسكن الروح
الانساني العلوي الى الروح الحيواني وصيره نفسا وتكون من سكون الروح
الى النفس القلب واعني بهذا القلب اللطيفة التي محلها المضغة اللحمية فالمضغة
اللحمية من عالم الخلق وهذه اللطيفة من عالم الامر وكان تكون القلب من
الروح والنفس في عالم الامر كتكون الذرية من ادم وحوا في عالم الخلق ولولا
المساكنة بين الزوجين الذين احدهما النفس ما تكون القلب فمن القلوب متطلع
الى الاب الذي هو الروح العلوي ميال اليه وهو القلب المؤيد الذي ذكره رسول الله

ولذا ينكشف النفس في بعض الوقايع بصورة النعل الجنس

صلى

صلى الله عليه وسلم فيما رواه حذيفة قال القلوب اربعة قلب اجرد فيه سراج يزهر فذلك
قلب المومن وقلب اسود منكوس فذلك قلب الكافر وقلب مربوط على علاقة فذلك
قلب المنافق وقلب مصفح فيه ايمان ونفاق فمثل الايمان فيه مثل البقلة يمدها الماء الطيب
ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح والصديد فاي المدتين غلبت عليه حكم له
بها والقلب المنكوس ميال الى الام التي هي النفس الامارة بالسوء ومن القلوب قلب متردد في
ميله اليهما وبحسب غلبة ميل القلب يكون حكمه من السعادة والشقاوة والعقل جوهر
الروح العلوي ولسانه والدال عليه وتدبيره للقلب المؤيد والنفس الزكية المطمينة
تدبير الوالد للولد البار والزوجة الصالحة وتدبيره للقلب المنكوس والنفس الامارة
بالسوء تدبير الوالد للولد العاق والزوجة السيئة فمنكر من وجه ومنجذب الى تدبيرهما
من وجه اذ لا بد له منهما وقول القائلين واختلافهم في محل العقل فمن قائل ان محله الدماغ ومن قائل
ان محله القلب كلام الغايبين عن درك حقيقة ذلك واختلافهم في ذلك لعدم استقرار العقل
على نسق واحد وانجذابه الى البار تارة والى العاق اخرى وللقلب وللدماغ نسبة الى البار
والعاق فاذا رئي في تدبير العاق قيل مسكنه الدماغ واذا رئي في تدبير البار قيل مسكنه
القلب فالروح العلوي يهم بالارتقا الى مولاه شوقا وحنوا وتنزها عن الاكوان ومن
الاكوان القلب والنفس فاذا ارتقى الروح يحنو القلب اليه حنو الولد الحسن البار الى الوالد
ويحنو النفس الى القلب الذي هو الولد حنو الوالدة الحنينة الى ولدها واذا حنت النفس
ارتقت من الارض وانزوت عروقها الضاربة في العالم السفلي وانطوى هواها وانحسمت
مادته وزهدت في الدنيا وتجافت عن دار الغرور وانابت الى دار الخلود وقد تخلد
النفس التي هي الام الى الارض بوضعها الجبلي لتكونها من الروح الحيواني المجنس
ومستندها في كونها الى الطبايع التي هي اركان العالم السفلي قال الله تعالى ولو شينا
لرفعناه بها ولكنه اخلد الى الارض واتبع هواه فاذا سكنت النفس التي هي الام
الى الارض انجذب اليها القلب المنكوس انجذاب الولد الميال الى الوالدة المعوجة
الناقصة دون الوالد الكامل المستقيم وينجذب الروح الى الولد الذي هو القلب المجبل على الشفقة

انجذاب لوالدالى ولده فعند ذلك تخلف عن حقيقة القيام بحق مولاه وفى هذين الانجذابين يظهر حكم السعادة والشقاوة ذلك تقدير العزيز العليم وقد ورد فى اخبار داود عليه السلم انه سال ابنه سليمن اين موضع العقل منك قال القلب لانه قالب الروح والروح قالب الحيوة وقد قال ابو سعيد القرشى الروح روحان روح الحيوة وروح الممات فاذا اجتمعا عقل الجسم وروح الممات هى التى اذا خرجت من الجسد يصير الحى ميتا وروح الحيوة مابه مجارى الانفاس وقوة الاكل والشرب وغيرها وقال بعضهم الروح نسيم طيب تكون به الحيوة والنفس ريح حارة تكون منها الحركات والشهوات ويقال فلان حار الراس وفى الفصل الذى ذكرناه نفع التنبيه على ماهية النفس واشارة المشايخ فى ماهية النفس الى مايظهر من اثارها من الافعال المذمومة والاخلاق المذمومة وهى التى تعالج بحسن الرياضة والمجاهدة ازالتها وتبديلها فالافعال الردية تزال والاخلاق الردية تبدل اخبرنا الشيخ العالم رضى الدين احمد بن اسمعيل القزوينى اجازة قال انا ابو سعيد محمد بن ابى العباس الخليلى قال انا العالم القاضى محمد بن سعيد الفرخزادى قال انا ابو اسحق احمد بن محمد بن ابرهيم قال انا الحسين بن محمد بن عبد الله السفيانى قال نا محمد بن الحسن اليقطينى قال ثنا احمد بن عبد الله بن يزيد العقيلى قال ثنا صفوان بن صالح قال ثنا الوليد بن مسلم عن ابن لهيعة عن خالد بن يزيد عن سعيد بن ابى هلال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا قرا هذه الاية قد افلح من زكيها وقف ثم قال اللهم ات نفسى تقويها انت وليها ومولها وزكها انت خير من زكيها وقيل النفس لطيفة مودعة فى القالب منها الاخلاق والصفات المذمومة كما ان الروح لطيفة مودعة منها الاخلاق والصفات المحمودة وكما ان العين محل الروية والسمع محل الاذن والانف محل الشم والفم محل الذوق هكذى النفس محل الاوصاف المذمومة والروح محل الاوصاف المحمودة وجميع اخلاق النفس وصفاتها من اصلين احدهما الطيش والثانى الشره وطيشها من جهلها وشرهها من حرصها وشبهت النفس فى طيشها بكرة مستديرة على مكان املس مصوب لاتزال متحركة بجبلتها ووضعها وشبهت فى حرصها بالفراش الذى يلقى نفسه على ضوء المصباح ولا يقنع بالضوء اليسير دون

البجوم على جرم الضوء الذى فيه هلاكه فمن الطيش توجد العجلة وقلة الصبر والصبر جوهر العقل والطيش صفة النفس وهواها وروحها لا يغلبه الا الصبر اذ العقل يقمع الهوى ومن الشره يظهر الطمع والحرص وهما اللذان ظهرا فى آدم حيث طمع فى الخلود فحرص على اكل الشجرة وصفات النفس لها اصول من اصل تكونها لانها مخلوقة من تراب ولها بحسبه وصف وقيل وصف الضعف فى الادمى من التراب ووصف البخل فيه من الطين ووصف الشهوة فيه من الحما المسنون ووصف الجهل فيه من الصلصال وقيل قوله كالفخار فهذا الوصف فيه شى من الشيطنة لدخول النار فى الفخار فمن ذلك الخداع والحيل والحسد فمن عرف اصول النفس وجبلاتها عرف ان لا قدرة له عليها الا بالاستعانة ببارئها وفاطرها فلا يتحقق العبد بالانسانية الا بعد ان يدبر دواعى الحيوانية فيه بالعلم والعدل وهو رعاية طرفى الافراط والتفريط ثم بذلك تقوى انسانيته ومعناه ويدرك صفات الشيطنة فيه والاخلاق المذمومة وكمال انسانيته يتقاضاه ان لا يرضى لنفسه بذلك ثم ينكشف له الاخلاق التى ينازع بها الربوبية من الكبر والعز ورويه النفس والعجب وغير ذلك فيرى ان صرف العبودية فى ترك المنازعة للربوبية والله تعالى ذكر النفس فى كلامه القديم بثلثة اوصاف بالطمانينة فقال يا ايتها النفس المطمئنة وسماها لوامة قال لا اقسم بيوم القيامه ولا اقسم بالنفس اللوامة وسماها امارة فقال ان النفس لامارة بالسوء وهى نفس واحدة لها صفات متغايرة فاذا امتلا القلب سكينة خلع على النفس خلع الطمانينة لان السكينة مزيد الايمان وفيها ارتقاء القلب الى مقام الروح لما منح من حظ اليقين وعند توجه القلب الى محل الروح يتوجه النفس الى محل القلب وفى ذلك طمانينتها واذا انزعجت من مقار جبلتها ودواعى طبيعتها متطلعة الى مقام الطمانينة فهى لوامة لانها تعود باللائمة على نفسها لنظرها وعلمها بمحل الطمانينة ثم انجذابها الى محلها الذى كانت فيه امارة بالسوء واذا اقامت فى محلها لا يغشيها نور العلم والمعرفة فهى على ظلمتها امارة بالسوء فالنفس والروح يتطاردان فتارة تملك القلب دواعى الروح



وتارة تملك دواعي النفس واما السر فقد اشار القوم اليه ووجدت في كلام القوم
ان منهم من جعله بعد القلب وقبل الروح ومنهم من جعله بعد الروح واعلا منه والطف
وقالوا السر محل المشاهدة والروح محل المحبة والقلب محل المعرفة والسر الذي وقعت
اشارة القوم اليه غير مذكور في كلام الله تعالى وانما المذكور في كلام الله الروح والنفس
وتنوع صفاتها والقلب والفواد والعقل وحيث لم نجد في كلام الله تعالى ذكر السر
بالمعنى المشار اليه ورايتا الاختلاف في القول فيه واشار قوم الى انه دون الروح
وقوم الى انه الطف من الروح فنقول والله اعلم الذي سموه سرا ليس هو شيئا مستقلا
بنفسه له وجود وذات كالروح والنفس وانما لما صفت النفس وتزكت انطلق الروح
من وثاق ظلمة النفس فاخذ في العروج الى اوطان القرب وانتزح القلب عند ذلك عن
مستقره متطلعا الى الروح فاكتسب وصفا زائدا على وصفه فاستبهم على الواجدين
ذلك الوصف حيث راوه اصفى من القلب فسموه سرا ولما صار للقلب وصف زائد
على وصفه بتطلعه الى الروح اكتسب الروح وصفا زائدا في عروجه واستبهم على الواجدين
فسموه سرا والذي زعموا انه الطف من الروح روح متصفة بوصف اخص مما عهدوه
والذي سموه قبل الروح سرا هو قلب اتصف بوصف زائد غير ما عهدوه وفي مثل هذا
الترقي من الروح والقلب يترقى النفس الى محل القلب وتنخلع من وصفها فتصير نفسا
مطمئنة تريد كثيرا من مرادات القلب من قبل اذ القلب صار بريئا مما يريد ويتبريا
عن الحول والقوة والارادة والاختيار وعند ما ذاق طعم صرف العبودية حيث
صار حرا عن ارادته واختياراته واما العقل فهو لسان الروح وترجمان البصيرة
والبصيرة للروح بمثابة القلب والعقل بمثابة اللسان وقد ورد في الخبر عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال اول ما خلق الله العقل فقال له اقبل فاقبل ثم قال له ادبر فادبر
ثم قال له اقعد فقعد ثم قال له انطق فنطق ثم قال له اصمت فصمت فقال وعزتي وجلالي
وعظمتي وكبريائي وسلطاني وجبروتي ما خلقت خلقا احب الي منك ولا اكرم علي منك
بك اعرف وبك احمد وبك اطاع وبك اخذ وبك اعطي واياك اعاتب ولك الثواب وعليك العقاب

وما اكرمتك بشيء افضل من الصبر قال عليه الصلوة والسلام لا يعجبنكم اسلام رجل
حتى تعلموا ما عقدة عقله وسالت عائشة رضي الله عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم
قالت قلت يا رسول الله باي شيء يتفاضل الناس قال بالعقل في الدنيا والاخرة قالت
قلت اليس يجزى الناس باعمالهم قال يا عائشة وهل يعمل بطاعة الله الا من قد عقل
فبقدر عقولهم يعملون وعلى قدر ما يعملون يجزون وقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان الرجل لينطلق الى المسجد فيصلي وصلوته لا تعدل جناح بعوضة وان
الرجل لياتي المسجد فيصلي وصلوته تعدل جبل احد اذا كان احسنهما عقلا قيل وكيف
يكون احسنهما عقلا قال اورعهما عن محارم الله واحرصهما على اسباب الخير وان كان
دونه في العمل والتطوع وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قسم العقل بين
عباده اشتاتا وان الرجلين يستوي عملهما وبرهما وصومهما وصلوتهما ولكنهما يتفاوتان
في العقل كالذرة في جنب احد وروي عن وهب بن منبه انه قال اني اجد في سبعين كتابا
ان جميع ما اعطي الناس من بدو الدنيا الى حين انقطاعها من العقل في جنب عقل رسول
الله صلى الله عليه وسلم كهيئة رملة وقعت بين جميع رمال الدنيا واختلف الناس في ماهية
العقل والكلام في ذلك يكثر ولا يوثر نقل الاقاويل وليس ذلك من غرضنا فقال
قوم العقل من العلوم فان الخالي من جميع العلوم لا يوصف بالعقل وليس العقل جميع
العلوم فان الخالي عن معظم العلوم يوصف بالعقل وقالوا ليس من العلوم النظرية
فان من شرط ابتداء النظر تقدم كمال العقل فهو اذا من العلوم الضرورية وليس جميعها
فان صاحب الحواس المختلة عاقل وقد عدم بعض مدارك العلوم الضرورية وقال
بعضهم العقل ليس من اقسام العلوم لانه لو كان منها لوجب الحكم بان الذاهل عن ذكر الاستحالة
والجواز لا يتصف بكونه عاقلا ونحن نرى العاقل في كثير من اوقاته ذاهلا وقالوا على
هذا العقل صفة يتهيا بها درك العلوم ونقل عن حارث بن اسد المحاسبي وعن
اجلاء المشايخ انه قال العقل غريزة يتهيا بها درك العلوم وعلى هذا يتقرر ما ذكرناه
في اول ذكر العقل انه لسان الروح لان الروح من امر الله وهي المحتملة للامانة التي ابت
المتحملة

السموات والارضون ان يحملنها ومنها يفيض نور العقل وفي نور العقل تتشكل العلوم
فالعقل للعلوم بمثابة اللوح المكتوب وهو بصفته منكوس متطلع الى النفس تارة
ومنتصب مستقيم تارة فمن كان العقل فيه منكوسا الى النفس فرقه في اجزا الكون وعدم
حسن الاعتدال بذلك واخطا طريق الاهتدا ومن انتصب العقل فيه واستقام تايد العقل
بالبصيرة التي هي للروح بمثابة القلب واهتدى الى المكون ثم عرف الكون بالمكون
مستوفيا اقسام المعرفة بالمكون والكون فيكون هذا العقل عقل الهداية فكلما
احب الله اقباله على امر دله على الاقبال عليه وما كره الله دله على استدباره فلا يزال
يتتبع محاب الله تعالى ويجتنب مساخطه وكلما استقام العقل وتايد بالبصيرة
كان دله الله على الرشد ونهيه عن الغي قال بعضهم العقل على ضربين ضرب يبصر به
امر دنياه وضرب يبصر به امر آخرته وذكر ان العقل الاول من نور الروح والعقل
الثاني من نور الهداية والعقل الاول موجود في عامة ولد آدم والعقل الثاني موجود
في الموحدين مفقود في المشركين وقيل غاية العقل عقلا لان الجهل ظلمة فاذا غلب
النور بصره في تلك الظلمة زالت الظلمة وابصر فصار عقلا للجهل وقيل عقل الايمان
مسكنه في القلب ومعتمله في الصدر بين عيني الفواد والذي ذكرناه من كون العقل
لسان الروح وهو عقل واحد ليس هو على ضربين ولكنه اذا انتصب واستقام
تايد بالبصيرة واعتدل ووضع الاشيا مواضعها وهذا العقل هو العقل المستضي
بنور الشرع لان انتصابه واعتداله هداه الى الاستضاة بنور الشرع لكون الشرع
ورد على النبي المرسل وذلك لقرب روحه من الحضرة الالهية ومكاشفة بصيرته
التي هي للروح بمثابة القلب بقدرة الله وآياته واستقامة عقله بتايد البصيرة
فالبصيرة تحيط بالعلوم التي يستوعبها العقل والتي يضيق عنها نطاق العقل لانها
يستمد من كلمات الله التي ينفد البحر دون نفادها والعقل ترجمان تودي البصيرة اليه
من ذلك شطرا كما يودي القلب الى اللسان بعض ما فيه ويستاثر ببعضه دون اللسان
ولهذا المعنى من جمد على مجرد العقل من غير الاستضاة بنور الشرع حظي بعلوم الكاينات

التي هي من الملك الملك ظاهر الكاينات ومن استضا عقله بنور الشرع تايد بالبصيرة
فاطلع على الملكوت والملكوت باطن الكاينات اختص بمكاشفته ارباب البصاير
والعقول دون الجامدين على مجرد العقول دون البصاير وقد قال بعضهم ان العقل
عقل الهداية مسكنه في القلب ومتعمله في الصدر بين عيني الفواد والعقل
الآخر مسكنه في الدماغ ومتعمله في الصدر بين عيني الفواد فبالاول يدبر امر الآخرة
وبالثاني امر الدنيا والذي ذكرناه انه عقل واحد اذا تايد بالبصيرة دبر الامرين
واذا تفرد دبر امرا واحدا هو اوضح وابين وقد ذكرنا في اول الباب من تدبيره
للنفس المطمئنة والامارة ما ينتبه الانسان به على كونه عقلا واحدا مويدا بالبصيرة
تارة ومتفردا بوضعه تارة والله بكرمه الملهم للصواب

الباب التاسع والخمسون في معرفة الخواطر وتمييزها وتفصيلها

اخبرنا شيخنا ابو النجيب السهروردي قال انا ابو الفتح الهروي قال انا ابو نصر الترياقي
قال انا ابو محمد الجراحي قال انا ابو العباس المحبوبي قال انا ابو عيسى الترمذي قال ثنا
هناد قال ثنا ابو الاحوص عن عطا بن السايب عن مرة الهمداني عن عبد الله بن
مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان للشيطان لمة بابن آدم وللملك
لمة فاما لمة الشيطان فايعاد بالشر وتكذيب بالحق واما لمة الملك فايعاد بالخير
وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم انه من الله فليحمد الله ومن وجد الاخرى
فليتعوذ بالله من الشيطان ثم قرا الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشا انما
يتطلع الى معرفة اللمتين وتمييز الخواطر طالب مريد تشوف الى ذلك تشوف العطشان
الى الما لما يعلم وقع ذلك وخطره وصلاحه وفساده ويكون ذلك عبدا مرادا بالحظوة
بصفو اليقين ومنح الموقنين واكثر التشوف الى ذلك للمقربين ومن اخذ به في طريقهم
ومن اخذ في طريق الابرار قد يتشوف الى ذلك بعض التشوف لان التشوف اليه
يكون على قدر الهمة والطلب والارادة والحظ من الله الكريم ومن هو في مقام عامة
المومنين والمسلمين لا يتطلع الى معرفة اللمتين ولا يهتم بتمييز الخواطر ومن الخواطر ما هي

وسل الله تعالى الى العبد كما قال بعضهم لى قلب ان عصيته عصيت الله تعالى وهذا حال عبد
استقام قلبه واستقامة القلب لطمانينة النفس وفى طمانينة النفس يامن الشيطان
لان النفس كلما تحركت كدرت صفاء القلب واذا تكدر القلب طمع الشيطان وقرب منه
لان صفاء القلب محفوف بالتذكر والرعاية وللذكر نور ينفيه الشيطان كما تنفى احدنا
النار وقد ورد فى الخبر ان الشيطان جاثم على قلب ابن آدم فاذا ذكر الله تعالى تولى
وخنس واذا غفل التقم قلبه فحدثه ومناه وقال الله تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن
نقيض له شيطانا فهو له قرين وقال الله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طيف من الشيطان
تذكروا فبالتقوى وجود خالص الذكر وبها ينفتح بابه ولا يزال العبد يتقى حتى يحمى
الجوارح من المكاره ثم يحميها من الفضول وما لا يعنيه فيصير اقواله وافعاله ضرورة ثم
ينتقل تقواه الى باطنه ويطهر الباطن ويقيده عن المكاره ثم من الفضول حتى يتقى
حديث النفس قال سهل بن عبد الله اسوا المعاصى حديث النفس ويرى الاصغا الى ما تحدث
به النفس ذنبا فيتقيه ويتقد القلب عند هذا الاتقا بالذكر اتقاد الكوكب فى كبد السما
ويصير القلب سما محفوظا بزينة كواكب الذكر فاذا صار كذلك بعد الشيطان ومثل هذا
العبد يندر فى حقه الخواطر الشيطانية واللمات ويكون له خواطر النفس ويحتاج
الى تنقيتها وتمييزها بالعلم لان منها خواطر لا يضر امضاؤها كمطالبات النفس بحاجاتها
وحاجاتها ينقسم الى الحقوق والحظوظ فتعين التمييز عند ذلك واتهام النفس بمطالبات
الحظوظ قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا اى فتثبتوا وسبب
نزول الآية ان الوليد بن عقبة حيث بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بنى المصطلق
فكذب عليهم ونسبهم الى الكفر والعصيان حتى هم رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتالهم
ثم بعث خالدا اليهم فسمع اذان المغرب والعشاء ورای ما يدل على كذب الوليد بن
عقبة فانزل الله تعالى الآية فى ذلك فظاهر الآية وسببه نزوله ظاهر وصار ذلك
تنبيها من الله الكريم لعباده على التثبت فى الامور قال سهل فى هذه الآية الفاسق
الكذاب والكذب صفة النفس لانها تملى اشياء وتسول اشياء على غير حقائقها

فمعن

فتعين التثبت عند خاطرها والقائها فيجعل العبد خاطر النفس نبأ يوجب التثبت
ولا يستفزه الطبع ولا يستعجله الهوى فقد قال بعضهم ادنى الادب ان يقف عند
الجهل وآخر الادب ان يقف عند الشبهة ومن الادب عند الاشتباه اثر الخواطر
بحركة النفس وخالقها وباريها وفاطرها واظهار الفقر والفاقة اليه والاعتراف
بالجهل وطلب المعونة منه فانه اذا اتى بهذا الادب يغاث ويعان ويتبين له هل الخاطر
لطلب حظ او طلب حق فان كان للحق امضاه وان كان للحظ نفاه وهذا التوقف
اذا لم يتبين له الخاطر بظاهر العلم لان الافتقار الى باطن العلم عند فقد الدليل
فى ظاهر العلم ثم من الناس من لا يسعه فى صحته الا الوقوف على الحق دون الحظ
وان امضى خاطر الحظ يصير ذلك ذنبا حاله يستغفر منه كما يستغفر من الذنوب
ومن الناس من يدخل فى تناول الحظ ويمضى خاطره بمزيد علم لديه من عند الله وهو
علم السعة لعبد ماذون له فى السعة عالم بالاذن فيمضى خاطر الحظ والمراد بذلك
على بصيرة من امره يحسن به ذلك ويليق به عالم بزيادته ونقصانه عالم بحاله محكم
لعلم الحال وعلم القيام لا يقاس على حاله ولا يدخل فيه بالتقليد لانه امر خاص لعبد
خاص واذا كان شان العبد تمييز خواطر النفس فى مقام تخلصه من لمات الشيطان
يكثر لديه خواطر الحق وخواطر الملك ويصير الخواطر الاربعة فى حقه ثلثة ويسقط
خاطر الشيطان الا نادرا لضيق مكانه من النفس لان الشيطان يدخل بطريق اتساع
النفس واتساع النفس باتباع الهوى والاخلاد الى الارض ومن ضايق النفس
على التمييز بين الحق والحظ ضاقت نفسه وتسقط عنه محل الشيطان الا نادرا
لدخول الابتلاء عليه ثم من المرادين بمقام المقربين من اذا صار قلبه سماء مزينا بزينة
كواكب الذكر يصير قلبه سماويا فيرقى ويعرج بباطنه ومعناه وحقيقته فى طبقات
السموات وكلما ترقى تتضاءل النفس المطمئنة وتبعد عنه وتبعد خواطرها حتى
تجاوز السموات بعروج باطنه كما كان ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم بظاهره
وقالبه فاذا استكمل العروج ينقطع عنه خواطر النفس لتستره بانوار القرب

وبعدا النفس عنه وعند ذلك تنقطع عنه خواطر الحق ايضا لان الخاطر رسول والرسالة
لمن بعد وهذا قريب وهذا الذي وصفناه نازل ينزل به ولا يدوم بل يعود في هبوطه
الى منازل مطالبات النفس وخواطرها فيعود اليه خواطر الحق وخواطر الملك وذلك
ان الخواطر تستدعي وجودا وما اشرنا اليه حال الفنا فلا خاطر فيه وخاطر الحق انتفى
لمكان القرب وخاطر النفس بعد لبعد النفس وخاطر الملك تخلف عنه كتخلف
جبريل في ليلة المعراج عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال لو دنوت انملة لاحترقت
قال محمد بن علي الترمذي المحدث والمكلم اذا تحققا في درجتهما لم يخافا من حديث
النفس فكما ان النبوة محفوظة من القاء الشيطان كذلك محل المكالمة والمحادثة
محفوظ من القاء النفس وفتنتها ومحروس بالحق والسكينة لان السكينة حجاب المكلم
والمحدث مع نفسه وسمعت الشيخ ابا محمد بن عبد البصري بالبصرة يقول الخواطر
اربعة خاطر من النفس وخاطر من الحق وخاطر من الشيطان وخاطر من الملك فاما الذي
من النفس يحس به من ارض القلب والذي من الحق من فوق القلب والذي من الملك
عن يمين القلب والذي من الشيطان عن يسار القلب والذي ذكره انما يصح لعبد اذاب
نفسه بالتقوى والزهد وتصفى وجوده واستقام ظاهره وباطنه فيكون قلبه
كالمرآة المجلوة لا ياتيه الشيطان من ناحية الا ويبصره فاذا اسود القلب وعلاه
الرين لا يبصر الشيطان روى ابو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العبد
اذا اذنب نكتت في قلبه نكتة سوداء فان هو نزع واستغفر وتاب صقل وان عاد
زيد فيه حتى يعلو قلبه قال الله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون سمعت
بعض العارفين يقول كلاما دقيقا لو شفي به فقال الحديث في باطن الانسان والخيال
الذي تراءى بباطنه ويحول بين القلب وصفاء الذكر هو من القلب ليس هو من النفس
وهذا بخلاف ما تقرر فسالته عن ذلك فذكر ان بين القلب والنفس مناغاة ومحادثات
وتالفا وتوادا وكلما انطلقت النفس في شيء هواها من القول والفعل تاثر القلب
بذلك وتكدر فاذا عاد العبد من مواطن مطالبات النفس واقبل على ذكره ومحل مناجاته

وخدمته

وخدمته لله تعالى اقبل القلب بالمعاتبة مع النفس وذكر النفس شيئا شيئا من فعلها وقولها
كاللائم للنفس والمعاتب لها على ذلك فان كان الخاطر اول الفعل ومفتتحه فمعرفته من اهم
شان العبد لان الافعال لم تتنشا حتى ذهب بعض العلماء الى ان العلم المفترض طلبه بقول
رسول الله صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة هو علم الخواطر لانها اول الفعل وبفسادها
فساد الفعل وهذا لعمري لا يتوجه لان رسول الله صلى الله عليه وسلم اوجب ذلك على كل مسلم
وليس كل المسلمين عندهم من القريحة والمعرفة ما يعرفون ذلك ولكن يعلم الطالب
ان الخواطر بمثابة البذر فمنها ما هو بذر السعادة ومنها ما هو بذر الشقاوة وسبب
اشتباه الخواطر احد اربعة اشياء لا خامس لها اما ضعف اليقين او قلة العلم بمعرفة صفات
النفس واخلاقها او متابعة الهوى بخرم قواعد التقوى او محبة الدنيا جاهها ومالها
وطلب الرفعة والمنزلة عند الناس فمن عصم عن هذه الاربعة يفرق بين لمة الملك
ولمة الشيطان ومن ابتلي بها لا يعلمها ولا يتطلبها وانكشاف بعض الخواطر دون البعض
لوجود بعض هذه الاربعة دون البعض واقوم الناس بتمييز الخواطر اقومهم بمعرفة
النفس ومعرفة النفس عسر المنال لا يكاد يتيسر الا بعد الاستقصاء في الزهد والتقوى
واتفق المشايخ ان من كان اكله من الحرام لا يفرق بين الالهام والوسوسة وقال ابو علي
الدقاق من كان قوته معلوما لا يفرق بين الالهام والوسوسة وهذا لا يصح على
الاطلاق الا بتقييد وذلك ان من المعلوم ما يقيم الحق سبحانه وتعالى العبد باذن
يسبق اليه في الاخذ منه والتقوت ومثل هذا المعلوم لا يحجب عن تمييز الخواطر انما ذلك
يقال في حق من دخل في معلوم باختيار منه وايثار لانه يحجب بموضع اختياره والذي
اشرنا اليه منسلخ من ارادته فلا يحجبه المعلوم وفرقوا بين هواجس النفس ووسوسة
الشيطان وقالوا ان النفس تطالب وتلح فلا تزال كذلك حتى تصل الى مرادها
والشيطان اذا دعا الى زلة ولم يجب يوسوس باخرى اذ لا غرض له في تخصيص بل
مراده الاغواء كيف امكن وتكلم الشيوخ في الخاطرين اذا كانا من الحق ايهما يتبع قال
الجنيد الاول لانه اذا بقي رجع صاحبه الى التامل وهذا شرط العلم وقال ابن عطاء

الثاني اقوى لانه ازداد قوة بالاول وقال ابو عبد الله بن خفيف هما سوا لانهما من الحق
فلا مزية لاحدهما على الآخر وقالوا الواردات اعم من الخواطر لان الخواطر تختص بنوع
خطاب او مطالبة والواردات تكون تارة خواطر وتارة تكون وارد سرور ووارد
حزن ووارد قبض ووارد بسط وقيل بنور التوحيد يقبل الخاطر من الله وبنور المعرفة
يقبل من الملك وبنور الايمان ينهى النفس وبنور الاسلام يرد على العدو ومن قصر عن درك
حقايق الزهد وتطلع الى تمييز الخواطر بين الخاطرين فلا ميزان للشرع فما كان من ذلك
فضلا او فرضا يمضيه وما كان من ذلك محرما او مكروها ينفيه فان استوى الخاطران
في نظر العلم ينفذ اقربهما الى مخالفة هوى النفس فان النفس قد تكون لها هوى كامن
في احدهما والغالب من شان النفس الاعوجاج والركون الى الدون وقد يتهم الخاطر بشان
النفس والعبد انه بنهوض القلب وقد يكون من القلب نفاق بسكونه الى النفس يقول بعضهم
منذ عشرين سنة ما سكن قلبي الى نفسي ساعة فيظهر من سكون القلب الى النفس خواطر
يشتبه بخواطر الحق على من يكون ضعيف العلم ولا يدرك نفاق القلب والخواطر المتولدة
منه الا العلماء الراسخون واكثر ما يدخل الآفات على ارباب القلوب والآخذين من
اليقظة واليقين والحال بسهم من هذا القبيل وذلك لقلة العلم بالنفس والقلب وبقاء
نصيب الهوى فيهم وينبغي ان يعلم العبد قطعا انه مهما بقي عليه اثر من الهوى وان دق
وقل يبقى عليه بحسبه بقية من اشتباه الخواطر ثم قد يغلط في تمييز الخواطر محروم قليل
العلم لا يواخذ بذلك لم يكن عليه من الشرع مطالبة وقد لا يسامح بذلك بعض الغالطين
لما كوشف به من دقيق الخفا في التمييز ثم استعجالهم مع علمهم وقلة التثبت وذكر بعض
العلماء ان لمة الملك ولمة الشيطان وجدتا لحركة النفس والروح وان النفس اذا تحركت
انقدح من جوهرها ظلمة تنكت في القلب همة سو فينظر الشيطان الى القلب فيقبل بالاغواء
والوسوسة وذكر ان حركة النفس تكون اما هوى وهو عاجل حظ النفس او امنية وهي
عن الجهل الغريزي او دعوى حركة او سكون وموافقة العقل ومحبة القلب ولا يرد سلب
الثلاثة الا باخذ ثلاثة بجهل او غفلة او طلب فضول ثم يكون من هذه الثلاثة ما يجب نفيه

فانها

نفذ

يظن به

القدح آتش زدن

فانها ترد بخلاف مامور او على وفق منهي ومنها ما يكون نفيها فضيلة اذا وردت بمباحات
وذكر ان الروح اذا تحركت انقدح من جوهرها نور ساطع يظهر من ذلك النور في القلب
همة عالية باحد معاني ثلاثة اما بفرض امر به او بفضل ندب اليه او بمباح يعود صلاحه
اليه وهذا الكلام يدل على ان حركة الروح والنفس هما الموجبان للمتين وعندي
والله اعلم ان اللمتين تتقدمان على حركة الروح والنفس فحركة الروح من لمة الملك
والهمة العالية من حركة الروح وهذه الحركة من الروح بيركة لمة الملك وحركة
النفس من لمة الشيطان ومن حركة النفس الهمة الدنية وهي من شوم لمة الشيطان
فاذا وردت اللمتان ظهرت الحركتان وظهر سر العطا والابتلا من معطي كريم
ومبلي حكيم وقد يكون هاتان اللمتان متداركتين وتمحي اثر احدهما بالاخرى والمتفطن
المستيقظ ينفتح عليه بمطالعة وجود هذه الاثار في ذاته باب انس ويبقى ابدا
متفقدا احاله مطالعا آثار اللمات وذكر خاطر خامس وهو خاطر العقل متوسط
بين الخواطر الاربعة يكون مع النفس والعدو لوجود التمييز واثبات الحجة على العبد
ليدخل العبد في الشي بوجود عقل اذ لو فقد العقل سقط العقاب والعتاب وقد يكون
مع الملك والروح ليوقع الفعل مختارا او يستوجب به الثواب وذكر خاطر سادس
وهو خاطر اليقين وهو روح الايمان ومزيد العلم ولا يبعد ان يقال الخاطر السادس
هو خاطر حاصله راجع الى ما يرد من خاطر الحق وخاطر العقل اصله تارة من خاطر الملك
وتارة من خاطر النفس وليس من العقل خاطر على الاستقلال لان العقل كما ذكرنا غريزة
يتهيا بها ادراك العلوم ويتهيا بها الانجذاب الى دواعي النفس تارة والى دواعي الروح
تارة والى دواعي الملك تارة والى دواعي الشيطان تارة فعلى هذا لا تزيد الخواطر على
الاربعة ورسول الله صلى الله عليه وسلم لم يذكر غير اللمتين وهاتان اللمتان هما
الاصل والخاطران الآخران فرع عليهما لان لمة الملك اذا حركت الروح واهتز
الروح بالهمة الصالحة قرنت باهتزازها بالهمة الصالحة الحظا بالقرب
فورد عليه عند ذلك خواطر من الحق واذا تحققوا بالقرب يتحقق بالفنا فيثبت الخواطر

الربانية عند ذلك كما ذكرنا من قبل لموضع قربه فيكون اصل خواطر الحق لمة الملك
ولمة الشيطان اذا حركت النفس سوت بجبلتها الى مركزها من الغريزة والطبع فظهر
منها لحركتها خواطر ملايمة لغريزتها وطبيعتها وهواها فصارت خواطر النفس نتيجة
لمة الشيطان فاصلها لمتان تنتجان آخرين وخاطر اليقين والعقل مندرج فيهما

الباب الثامن والخمسون في شرح الحال والمقام والفرق بينهما

كثر الاشتباه بين الحال والمقام واختلف الشيوخ فيهما واشارات المشايخ في ذلك
ووجود الاشتباه لمكان تشابههما في نفسهما وتداخلهما فتراآيا للبعض الشيء حالا
وتراآيا للبعض مقاما وكلا الرويتين صحيح لوجود تداخلهما ولا بد من ذكر ضابط يفرق
بينهما على ان اللفظ والعبارة عنهما مشعر بالفرق فالحال سمي حالا لتحوله والمقام مقاما
لثبوته واستقراره وقد يكون الشيء بعينه حالا ثم يصير مقاما مثل ان ينبعث من باطن
العبد داعية المحاسبة ثم يزول الداعية بغلبة صفات النفس ثم تعود ثم تزول
فلا يزال العبد حال المحاسبة يتعاهده الحال ثم تحول الحال بظهور صفات النفس
الى ان يتداركه المعونة من الله الكريم ويغلب حال المحاسبة وتنقهر النفس وتنضبط
وتملكها المحاسبة فتصير المحاسبة وطنه ومستقره ومقامه ويصير في مقام المحاسبة
بعد ان كان له حال المحاسبة ثم ينازله حال المراقبة فمن كانت المحاسبة مقامه
يصير له من المراقبة حال ثم يحول حال المراقبة لتناوب السهو والغفلة في باطن
العبد الى ان تنقشع ضباب السهو والغفلة ويتدارك الله عبده بالمعونة فيصير المراقبة
مقاما بعد ان كانت حالا ولا يستقر مقام المحاسبة قراره الا بنازل حال المراقبة ولا يستقر
مقام المراقبة الا بنازل حال المشاهدة فاذا منح العبد بنازل حال المشاهدة استقرت
مراقبته وصارت مقامه ونازل المشاهدة ايضا يكون حالا يحول بالاستتار ويظهر
بالتجلي ثم يصير مقاما ويتخلص شمسه عن كسوف الاستتار ثم في مقام المشاهدة
احوال وزيادات وترقيات من حال الى حال اعلى منه كالتحقق بالفنا والتخلص الى
البقا والترقي من عين اليقين الى حق اليقين وحق اليقين ان تخرق شغاف القلب وذلك

الضباب سحابة تغشى الارض كالدخان والجمع الضباب

اعلم ان الاستتار والتجلي يتناوبان عند ظهور صفات النفس وخفائها قبل التحقق بالفنا فاستتار انوار المشاهدة بواسطة ظهور ظلمات صفات النفس وتجلي تلك الانوار بواسطة زوال تلك الظلمات فلا يزال يتناوبهما الا ان يغلب نور المشاهدة على الوجود فينتفي الوجود في نور الشهود في تحقق الفنا ويسمى التجلي الا [illegible] رحمه الله تعالى

الشغاف غلاف القلب وهو جلدة دونه كالحجاب يقال شغفه الحب اي بلغ شغافه

اعلى فروع المشاهدة وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اني اسئلك ايمانا
يباشر قلبي قال سهل بن عبد الله للقلب تجويفان احدهما باطن وفيه السمع والبصر وهو
قلب القلب وسويداه والتجويف الثاني ظاهر القلب وفيه العقل ومثل العقل في القلب
مثل النظر في العين هو وصقال الموضع مخصوص فيه بمنزلة الصقال الذي في سواد العين
ومنه تنبعث الاشعة المحيطة بالمرئيات فهكذا ينبعث من نظر العقل اشعة العلوم
المحيطة بالمعلومات وهذه الحالة التي خرقت شغاف القلب ووصلت الى سويدائه
وهو حق اليقين هي اسنا العطايا واعز الاحوال واشرفها ونسبة هذه الحالة من
المشاهدة كنسبة الآجر من التراب اذ يكون ترابا ثم طينا ثم لبنا ثم آجرا فالمشاهدة
هي الاول والاصل يكون منها الفنا كالطين ثم البقا كاللبن ثم هذه الحالة وهي
آخر الفروع ولما كان الاصل في الاحوال هذه الحالة وهي اشرف الاحوال وهي محض
موهبة لا يكتسب سميت كل المواهب من النوازل بالعبد احوالا لانها غير مقدورة
للعبد بكسبه فاطلقوا القول فيه وتداولت السنة الشيوخ ان المقامات مكاسب
والاحوال مواهب وعلى الترتيب الذي درجناه كلها مواهب اذ المكاسب محفوفة
بالموهبة والمواهب محفوفة بالكسب فالاحوال مواجيد والمقامات طرق المواجيد
ولكن في المقامات ظهر الكسب وبطنت الموهبة وفي الاحوال بطن الكسب وظهرت
الموهبة فالاحوال مواهب علوية سماوية والمقامات طرقها وقول امير المومنين علي بن
ابي طالب رضي الله عنه سلوني عن طرق السما فاني اعرف بها من طرق الارض اشار
الى المقامات والاحوال فطرق السما التوبة والزهد وغير ذلك من المقامات
فان السالك لهذه الطرق يصير قلبه سماويا في طرق السموات ومستنزلة للبركات وهي
الاحوال لا يتحقق بها الا ذو قلب سماوي قال بعضهم الحال هو الذكر الخفي وهذا اشارة
الى شيء مما ذكرناه وسمعت المشايخ بالعراق يقولون الحال ما من الله وكل ما كان من طريق
الاكتساب والاعمال يقولون هذا ما من العبد فاذا لاح للمريد شيء من المواهب
والمواجيد قالوا هذا ما من الله وسموه حالا اشارة منهم الى ان الحال موهبة وقال

ای فروع المشاهدة

ای سمع القلب وبصره

بعض مشايخ خراسان الاحوال مواريث الاعمال وقال بعضهم الاحوال كالبروق فان بقي فحديث النفس وهذا لا يكاد يستقيم على الاطلاق وانما يكون ذلك في بعض الاحوال فانها تطرق ثم تسلبها النفس فاما على الاطلاق فلا والاحوال لا يمتزج بالنفس كالدهن لا يمتزج بالماء وذهب بعضهم الى ان الاحوال لا يكون الا اذا دامت فاما اذا لم تدم فهي لوائح وطوالع وبوادة وهي مقدمات الاحوال وليست باحوال واختلف المشايخ في ان العبد هل يجوز له ان ينتقل الى مقام غير مقامه الذي هو فيه قبل احكام حكم مقامه قال بعضهم لا ينبغي له ان ينتقل عن الذي هو فيه الا بعد ترقيه الى مقام فوقه فينظر من مقامه العالي الى ما دونه من المقام فيحكم امر مقامه والاولى ان يقال والله اعلم الشخص في مقامه يعطي حالا من مقامه الاعلى الذي سوف يرتقي اليه فيوجد ان ذلك الحال يستقيم امر مقامه الذي هو فيه ويتصرف الحق فيه كذلك ولا يضاف الشيء الى العبد انه يرتقي او لا يرتقي فان العبد بالاحوال يرتقي الى المقامات والاحوال مواهب ترقى الى المقامات التي تمتزج فيها الكسب بالموهبة ولا يلوح للعبد حال من مقام اعلى مما هو فيه الا وقد قرب ترقيه اليه فلا يزال العبد يرقى الى المقامات بزايد الاحوال فعلى ما ذكرناه يتضح تداخل المقامات والاحوال حتى التوبة ولا نعرف مقاما لاحد الا فيها حال ومقام وفي الزهد حال ومقام وفي التوكل حال ومقام وفي الرضا حال ومقام قال ابو عثمن الحيري منذ اربعين سنة ما اقامني الله في حال فكرهته اشار الى الرضا ويكون منه حال ثم يصير مقاما والمحبة حال ومقام لا يزال العبد يتتوب بطروق حال التوبة حتى يتوب بطروق حال التوبة بلا مزاج اولا قال بعضهم الزجر سبحان في القلب لا يسكنه الا الانتباه من الغفلة فيرده الى التيقظة فاذا تيقظ ابصر الصواب من الخطا وقال بعضهم الزجر ضياء في القلب يبصر به خطا قصده والزجر في مقدمة التوبة على ثلثة اوجه زجر من طريق العلم وزجر من طريق العقل وزجر من طريق الايمان فينازل التايب حال الزجر وهي موهبة من الله يقوده الى التوبة ولا يزال العبد ظهور هوى النفس يمحوا اثار حال التوبة والزجر حتى يستقر التوبة ويصير مقاما وهكذا في الزهد لا يزال يتزهد بنازلة حال تريه لذة ترك الاشتغال بالدنيا

ويتيح

ويتيح له الاقبال عليها ثم يمحو اثر حاله بدلالة شره النفس وحرصها على الدنيا ورؤية العاجلة حتى يتداركه المعونة من الله الكريم فيزهد ويستقر زهده ويصير الزهد مقامه ولا يزال نازلة حال التوكل يقرع باب قلبه حتى يتوكل وهكذا حال الرضا حتى يطمئن على الرضا ويصير ذلك مقامه وهاهنا لطيفة وذلك ان مقام الرضا والتوكل يثبت ويحكم ببقائه مع وجود داعية الطبع وذلك مثل كراهة يجدها الراضي بحكم الطبع ولكن علمه بمقام الرضا يتمم حكم الطبع فظهور حكم الطبع في وجود الكراهة المغمورة بالعلم لا يخرجه عن مقام الرضا ولكن يفقد حال الرضا لان الحال لما تجردت موهبة احرقت داعية الطبع فيقال كيف يكون صاحب مقام في الرضا ولا يكون صاحب حال فيه والحال مقدمة المقام والمقام اثبت نقول لان المقام لما كان مشوبا بكسب العبد احتمل وجود الطبع فيه والحال لما كان موهبة من الله تنزهت من مزج الطبع فحال الرضا اصلف ومقام الرضا امكن ولا بد للمقامات من زايد الاحوال فلا مقام الا بعد سابقة حال ولا تفرد للمقامات دون سابقة الاحوال واما الاحوال فمنها ما يصير مقاما ومنها ما لا يصير مقاما والسر فيه ما ذكرناه ان الكسب في المقام ظهر والموهبة بطنت وفي الحال ظهرت الموهبة والكسب بطن فلما كان في الاحوال الموهبة غالبة لم يتقيد وصارت الاحوال الى ما لا نهاية لها ولطفت سنى الاحوال ان تصير مقاما ومقدورات الحق غير متناهية ومواهبه غير متناهية ولهذا قال بعضهم لو اعطيت روحانية عيسى ومكالمة موسى وخلة ابرهيم اطلبت ما وراء ذلك لان مواهب الحق لا تنحصر وهذه احوال الانبياء لا تعطى الاولياء ولكن هذه اشارة من القائل الى دوام تطلع العبد وتطلبه وعدم قناعته بما هو فيه من امر الحق سبحانه لان سيد الرسل صلوات الله عليه وسلامه بنبه على عدم القناعة وقرع باب الطلب واستنزال بركة المزيد بقوله عليه الصلوة والسلام كل يوم لم ازدد فيه علما فلا بورك لي في صبيحة ذلك اليوم وفي دعائه عليه الصلوة والسلام اللهم ما قصر عنه راى وضعف فيه عملي ولم تبلغه نيتي وامنيتي من خير

اعطيتني

ولا يحكم حال الرضا مع وجود داعية الطبع صح

وعدته احدا من عبادك او خيرا انت معطيه احدا من خلقك فانا ارغب اليك فيه واسئلكه
حتى تعلم ان مواهب الحق لا تنحصر والاحوال مواهب وهي متصلة بكلمات الله تعالى التي ينفد
البحر دون نفادها وتنفد اعداد الرمال دون اعدادها والله المنعم المعطي

الباب التاسع والخمسون في الاشارة الى المقامات على الاختصار والايجاز

اخبرنا شيخنا ابو النجيب السهروردي قال انا ابو منصور بن خيرون اجازة قال انا ابو محمد
الحسن بن علي بن محمد الجوهري اجازة قال انا ابو عمرو محمد بن العباس بن محمد قال انا ابو محمد
يحيى بن صاعد قال انا الحسين بن الحسن المروزي قال ثنا عبد الله بن المبارك قال ثنا الهيثم
بن جميل قال ثنا كثير بن سليم المدايني قال سمعت انس بن مالك قال اتى النبي صلى الله عليه وسلم
رجل فقال يا رسول الله اني رجل ذرب اللسان واكثر ذلك على اهلي فقال له رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاين انت من الاستغفار فاني استغفر الله في اليوم والليلة مائة مرة
وروى ابو هريرة في حديث آخر فاني لاستغفر الله واتوب اليه في كل يوم مائة مرة
وروى ابو بردة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبي فاستغفر الله
في اليوم مائة مرة وقال الله تعالى وتوبوا الى الله جميعا ايها المومنون لعلكم تفلحون
وقال الله تعالى ان الله يحب التوابين قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة
نصوحا التوبة اصل كل مقام وقوام كل مقام ومفتاح كل حال وهي اول المقامات وهي
بمثابة الارض للبناء فمن لا ارض له لا بناء له ومن لا توبة له لا حال له ولا مقام واني بمبلغ
علمي وقدر وسعي وجهدي اعتبرت المقامات والاحوال وثمراتها فرايتها يجمعها ثلاثة
اشيا بعد صحة الايمان وعقوده وشروطه فصارت مع الايمان اربعة ثم رايتها
في افادة الولادة المعنوية الحقيقية بمثابة الطبايع الاربع التي جعلها الله تعالى
باجراء سنته مفيدة للولادة الطبيعية ومن تحقق بحقايق هذه الاربعة يلج ملكوت
السموات ويكاشف بالقدر والآيات ويصير له ذوق وفهم لكلمات الله المنزلات
ويحظى بجميع الاحوال والمقامات فكلها من هذه الاربعة ظهرت وبها تهيات وتاكدت
احدا لثلث بعد الايمان التوبة النصوح والثاني الزهد في الدنيا والثالث تحقيق مقام

العبودية اما بدوام العمل لله ظاهرا وباطنا واما باطنا من الاعمال القلبية والقالبية
من غير فتور وقصور ثم يستعان على تمام هذه الاربعة باربعة اخرى بها تمامها وقوامها
وهي قلة الكلام وقلة المنام وقلة الطعام والاعتزال عن الناس واتفق المشايخ والعلما
الزاهدون على ان هذه الاربعة بها يستقر المقامات ويستقيم الاحوال وبها صار
الابدال ابدالا بتاييد الله وحسن توفيقه ونبين بالبيان الواضح ان ساير المقامات
يندرج في صحة هذه ومن ظفر بها ظفر بالمقامات كلها اولها بعد الايمان التوبة
وهي في مبدا صحتها يفتقر الى احوال واذا صحت يشتمل على مقامات واحوال ولابد
في ابتدايها من وجود زاجر ووجدان الزاجر حال لانه موهبة من الله تعالى على ما تقرر
ان الاحوال مواهب وحال الزجر مفتاح التوبة ومبتداها قال رجل لبشر الحافي
ما لي اراك مهموما قال لاني ضال ومطلوب ضللت الطريق والمقصد وانا مطلوب
به ولو تبينت كيف الطريق الى المقصد لطلبت ولكن سنة الغفلة ادركتني وليس
منها خلاص الا ان زجر فانزجر قال الاصمعي رايت اعرابيا بالبصرة يشتكي عينه
وهي يسيل منها الما فقلت له لم لا تمسح عينك فقال لان الطبيب قد زجرني ولا خير فيمن
لا ينزجر فالزاجر في الباطن حال يهبها الله تعالى ولا بد من وجودها للتايب ثم بعد
الانزجار يجد العبد حال الانتباه قال بعضهم من لزم مطالعة الطوارق انتبه وقال
وقال ابو يزيد علامة الانتباه خمس اذا ذكر نفسه افتقر واذا ذكر ذنبه استغفر واذا
ذكر الدنيا اعتبر واذا ذكر الآخرة استبشر واذا ذكر المولى افتخر وقال بعضهم الانتباه
اوايل دلالات الخير اذا انتبه العبد من رقدة غفلته اداه ذلك الانتباه الى التيقظ
فاذا تيقظ الزمه تيقظه الطلب لطريق الرشد فيطلب واذا طلب عرف انه على
غير سبيل الحق فيطلب الحق ويرجع الى باب توبته ثم يوطا بانتباهه حال التيقظ
قال فارس وفي الاحوال التيقظ والاعتبار وقيل التيقظ تبيان خطا المسلك بعد
مشاهدة سبيل النجاة وقيل اذا صحت اليقظة كان صاحبها في اوايل طريق التوبة
وقيل اليقظة حرقة من جهة المولى لقلوب الخايفين تدلهم على طلب التوبة فاذا تم يقظة

اي غضبه

نتل بذلك الى مقام التوبة فهذه احوال ثلثة يتقدم التوبة ثم التوبة فى استقامتها
يحتاج الى المحاسبة ولا يستقيم التوبة الا بالمحاسبة نقل عن امير المومنين عمر رضى الله
انه قال حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا وزنوها قبل ان توزنوا وتزينوا للعرض
الاكبر على الله يوميذ تعرضون لا تخفى منكم خافيه فالمحاسبة بحفظ الانفاس
وضبط الحواس ورعاية الاوقات وايثار المهمات ويعلم العبد ان الله اوجب
عليه هذه الصلوات الخمس فى اليوم والليلة رحمة منه سبحانه وتعالى لعلمه بعبده
واستيلا الغفلة عليه كيلا تستعبده الهوى وتسترقه الدنيا فالصلوات الخمس
سلسلة تجذب النفوس الى مواطن العبودية لاداء حق الربوبية ويراقب العبد نفسه
بحسن المحاسبة من كل صلوة الى صلوة اخرى ويسد مداخل الشيطان بحسن
المحاسبة والرعاية ولا يدخل فى الصلوة الا بعد حل عقد القلب بحسن التوبة والاستغفار
لان كل كلمة وحركة على خلاف الشرع تنكت فى القلب نكتة سودا ويعقد عليه عقدة
والمتفقد المحاسب يهيئ الباطن للصلوة بضبط الجوارح وتحقق مقام المحاسبة
فيكون عند صلوته نور تشرق على اجزا وقته الى الصلوة الاخرى فلا يزال صلوة
منورة تامة بنور وقته ووقته منورا معمورا بنور صلوته وكان بعض المحاسبين
يكتب الصلوات فى قرطاس ويدع بين كل صلوتين بياضا وكلما ارتكب خطيئة من كلمة
غيبة او امر اخر خط خطا وكلما تكلم او تحرك فيما لا يعنيه نقط نقطة ليعتبر ذنوبه
وحركاته فيما لا يعنيه ليضيق بالمحاسبة مجارى الشيطان والنفس الامارة بالسوء
لموضع صدقه فى حسن التفقد وحرصه على تحقيق مقام العبادة وهذا مقام المحاسبة
والرعاية يقع من ضرورة صحة التوبة قال الجنيد من حسنت رعايته دامت ولايته
وسيل الواسطى اى الاعمال افضل قال مراعاة السر والمحاسبة فى الظاهر والمراقبة
فى الباطن ويكمل احدهما بالاخر وبهما تستقيم التوبة والمراقبة والرعاية حالان شريفان
ويصيران مقامين شريفين يصحان بصحة مقام التوبة وتستقيم التوبة على الكمال بهما
فصارت المراقبة والمحاسبة والرعاية من ضرورة مقام التوبة اخبرنا ابو زرعة اجازة

عن ابن خلف ابى بكر الشيرازى قال سمعت ابا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت الحسن الفهرى يقول
سمعت الجريرى يقول امرنا هذا مبنى على فصلين وهو ان تلزم نفسك المراقبة لله تعالى
ويكون العلم على ظاهرك قايما وقال المرتعش المراقبة مراعاة السر لملاحظة الحق فى كل
لحظة ولفظة قال الله تعالى افمن هو قايم على كل نفس بما كسبت وهذا هو علم القيام وبذلك
يتم علم الحال ومعرفة الزيادة والنقصان وهو ان يعلم معيار حاله فيما بينه وبين الله تعالى
وكل هذا ملازم لصحة التوبة وصحة التوبة ملازم لها لان الخواطر مقدمات العزايم
والعزايم مقدمات الافعال لان الخواطر تحقق ارادة القلب والقلب امير الجوارح
ولا يتحرك الا بحركة القلب بالارادة والمراقبة حسم مواد الخواطر الردية فصار
من تمام المراقبة تمام التوبة لان من حصر الخواطر كفى مونة الجوارح لان المراقبة
استيصال عروق ارادة المكاره من القلب وبالمحاسبة استدراك ما انفلت من
المراقبة اخبرنا ابو زرعة عن ابن خلف عن السلمى قال سمعت ابا عثمن المغربى يقول
افضل ما يلزم الانسان فى هذا الطريق المحاسبة والمراقبة وسياسة العمل بالعلم
واذا صحت التوبة صحت الانابة قال ابرهيم بن ادهم اذا صدق العبد فى توبته صار
منيبا لان الانابة ثانى درجة التوبة وقال ابو سعيد القرشى المنيب الراجع عن كل
شى يشغله عن الله الى الله وقال بعضهم الانابة الرجوع منه اليه لا من شى غيره
فمن رجع من غيره اليه ضيع احد طرفى الانابة والمنيب على الحقيقة من لم يكن له
مرجع سواه فيرجع اليه من رجوعه ثم يرجع من رجوع رجوعه فيبقى شبحا لا وصف
له قايما بين يدى الحق مستغرقا فى عين الجمع ومخالفة النفس ورؤية عيوب الافعال
والمجاهدة يتحقق بتحقيق الرعاية والمراقبة قال ابو سليمن ما استحسنت من نفسى عملا
فاحتسبته وقال ابو عبد الله السجزى من استحسن شيا من احواله فى حال ارادته
فسدت عليه ارادته الا ان يرجع الى ابتدايه فيروض نفسه ثانيا ومن لم يزن
نفسه بميزان الصدق فيما له وعليه لا يبلغ مبلغ الرجال ورؤية عيوب الافعال
من ضرورة صحة الانابة وهو فى تحقيق مقام التوبة ولا يستقيم التوبة الا بصدق المجاهدة

ولا يصدق العبد في المجاهدة الا بوجود الصبر روى فضالة بن عبيد قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول المجاهد من جاهد نفسه ولا يتم ذلك الا بالصبر
وافضل الصبر الصبر على الله تعالى بعكوف الهم عليه وصدق المراقبة له بالقلب وحسم
مواد الخواطر والصبر ينقسم الى فرض وفضل فالفرض الصبر على اداء المفترضات
والصبر عن المحرمات ومن الصبر الذي هو فضل الصبر على الفقر والصبر عند الصدمة
الاولى وكتمان المصايب والاوجاع وترك الشكوى والصبر على اخفاء الفقر والصبر
على كتم المنح والكرامات ورؤية القدر والايات ووجوه الصبر فرضا وفضلا
كثيرة وكثير من الناس يقوم بهذه الاقسام من الصبر ويضيق عن الصبر على الله بلزوم
صحة المراقبة والرعاية ونفي الخواطر فاذا حقيقة الصبر كاين في التوبة لكينونة المراقبة
في التوبة والصبر من اعز مقامات الموقنين وهو داخل في حقيقة التوبة قال بعض
العلماء اي شيء افضل من الصبر وقد ذكره الله تعالى في كلامه في نيف وتسعين موضعا
وما ذكر شيا بهذا العدد وصحة التوبة تحتوي على مقام الصبر مع شرفه ومن الصبر
الصبر على النعمة وهو ان لا يصرفها في معصية الله تعالى وهذا ايضا داخل في صحة
التوبة وكان سهل يقول الصبر على العافية اشد من الصبر على البلاء وروى عن بعض
الصحابة بلينا بالضراء فصبرنا وبلينا بالسراء فلم نصبر ومن الصبر رعاية الاقتصاد
في الرضا والغضب والصبر عن محمدة الناس والصبر على الخمول والتواضع والذلة
داخل في الزهد وان لم يكن داخلا في التوبة وكل ما فات في مقام التوبة من المقامات
السنية والاحوال يوجد في الزهد وهو ثالث الاربعة التي ذكرنا وحقيقة الصبر
يظهر من طمانينة وطمانينتها من تزكيتها وتزكيتها بالتوبة فالنفس اذا تزكت بالتوبة
النصوح ذهب عنها الشراسة الطبيعية وقلة الصبر وجود شراسة النفس وابايها
واستعصايها والتوبة النصوح تلين النفس وتخرجها من طبيعتها وشراستها الى اللين
لان النفس بالمحاسبة والمراقبة يصفو ويطفى نيرانها المتاججة بمتابعة الهوى
وتبلغ بطمانينتها محل الرضا ومقامه وتطمين في مجاري الاقدار قال ابو عبد الله النباجي

ان الله تعالى عبادا يستحيون من الصبر يتلقفون مواقع اقداره بالرضا تلقفا وكان عمر بن
عبد العزيز يقول اصبحت وما لي سرور الا مواقع القضاء وقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لابن عباس حين وصاه اعمل لله باليقين في الرضا فان لم يكن فان في الصبر خيرا
كثيرا وفي الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من خير ما اعطي الرجل الرضا بما قسم
الله تعالى له فالاخبار والاثار والحكايات في فضيلة الرضا وشرفه اكثر من ان
تحصى والرضا ثمرة التوبة النصوح وما تخلف عبد عن الرضا الا لتخلفه عن التوبة
النصوح فاذا تجمع التوبة النصوح حال الصبر ومقام الصبر وحال الرضا ومقام
الرضا والخوف والرجا مقامان من مقامات اهل اليقين وهما كاينان في صلب
التوبة النصوح لان خوفه حمله على التوبة ولولا خوفه ما تاب ولولا رجاه ما خاف
فالرجا والخوف يتلازمان في قلب المومن ويعتدل الخوف والرجا للتايب المستقيم
في التوبة دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على رجل وهو في سياق الموت فقال كيف تجدك
قال اجدني اخاف ذنوبي وارجو رحمة ربي قال ما اجتمعا في قلب عبد في هذا الموطن الا
اعطاه الله ما رجا وامنه مما يخاف وجا في تفسير قوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة
هو العبد يذنب الكباير ثم يقول قد هلكت ما ينفعني عمل فالتايب خاف فتاب ورجا
المغفرة ولا يكون التايب تايبا الا وهو راج خايف ثم ان الخايف التايب حيث قيد الجوارح
عن المكاره واستعان بنعم الله على طاعة الله فقد شكر النعم لان كل جارحة من الجوارح
نعمة وشكرها قيدها عن المعصية واستعمالها في الطاعة واي شاكر للنعمة اكبر من التايب
المستقيم فاذا جمع مقام التوبة هذه المقامات كلها فجمع مقام التوبة حال الزجر
وحال الانتباه وحال التيقظ ومخالفة النفس والتقوى والمجاهدة ورؤية عيوب
الافعال والانابة والصبر والرضا والمحاسبة والمراقبة والشكر والخوف والرجا
والزهد واذا صحت التوبة النصوح وتزكت النفس انجلت مراة القلب وبان قبح
الدنيا فيها فحصل الزهد والزاهد يتحقق فيه التوكل لانه لا يزهد في الموجود الا
لاعتماده على الموعود والسكون الى وعد الله سبحانه وتعالى وهو عين التوكل وكلما تقى



على العبد من بقية في تحقيق المقامات كلها بعد توبته يستدركه بزهده في الدنيا
وهو ثالث الاربعة اخبرنا شيخنا قال انا ابو منصور محمد بن عبد الملك بن خيرون قال انا
ابو محمد الحسن بن علي الجوهري اجازة قال انا ابو عمر محمد بن العباس قال ثنا ابو محمد يحيى بن
صاعد قال انا الحسين بن الحسن المروزي قال ثنا عبد الله بن المبارك قال انا الهيثم بن جميل
قال انا محمد بن سليمن عن عبد الله بن بريدة قال قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفر
فبدا بفاطمة فراها قد احدثت في البيت سترا وزوايد في يدها فلما راى ذلك رجع ولم يدخل
ثم جلس وجعل ينكت في الارض ويقول ما لي وللدنيا ما لي وللدنيا فرات فاطمة انه انما رجع
من اجل ذلك الستر والزوايد فاخذت الستر والزوايد فارسلت بهما مع بلال وقالت له
اذهب الى النبي وقل له قد تصدقت به فضعه حيث شيت فاتى به بلال النبي صلى الله
عليه وسلم فقال قالت فاطمة قد تصدقت به فضعه حيث شيت فقال النبي صلى الله
عليه وسلم قد فعلت بابي وامي قد فعلت بابي وامي اذهب فبعه وقيل في قوله تعالى انا جعلنا
ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا قيل ايهم ازهد في الدنيا سيل امير
المومنين علي بن ابي طالب عن الزهد فقال سوا لا ابالي من اكل الدنيا مومن او كافر
وسيل الشبلي عن الزهد فقال ويلكم اي مقدار لجناح بعوضة ان يزهد فيها وقال
ابو بكر الواسطي الى متى تصول بترك كنيف والى متى تصول باعراضك عما لا يزن
عند الله جناح بعوضة واذا صح زهد العبد صح توكله ايضا لان صدق توكله
مكنه من زهده في الموجود فمن استقام في التوبة وزهد في الدنيا وحقق هذين
المقامين استوى في ساير المقامات وتمكن فيها وتحقق بها وترتيب التوبة مع المراقبة
وارتباط احدهما بالاخر ان يتوب العبد ثم يستقيم في التوبة حتى لا يكتب عليه صاحب
الشمال شيا ثم يرتقي من تطهير الجوارح عن المعاصي الى تطهير الجوارح عما لا يعني
فلا يسمح بكلمة فضول ولا حركة فضول ثم ينتقل الى الرعاية والمحاسبة من الظاهر الى
الباطن ويستولي المراقبة على الباطن وهو التحقق بعلم القيام بمحو خواطر المعصية
عن باطنه ثم خواطر الفضول فاذا تمكن من رعاية الخطرات عصم عن مخالفة الاركان والجوارح

ويستقيم

ويستقيم توبته قال الله تعالى لنبيه فاستقم كما امرت ومن تاب معك امره الله تعالى بالاستقامة
في التوبة امرا له ولاتباعه وامته وقيل لا يكون المريد مريدا حتى لا يكتب صاحب الشمال
عليه شيا عشرين سنة ولا يلزم من هذا وجود العصمة ولكن الصادق التايب النادر
اذا ابتلي بذنب يمحي آثار الذنب عن باطنه في الطف ساعة لوجود الندم في باطنه
على ذلك والندم توبة فلا يكتب عليه صاحب الشمال شيا واذا تاب توبة نصوحا ثم زهد
في الدنيا حتى لا يهتم في غدايه لعشايه ولا في عشايه لغدايه ولا يرى الادخار ولا يكون له
تعلق همه بغد فقد جمع في هذا الزهد والفقر والزهد افضل من الفقر وهو فقير
وزيادة لان الفقير عادم للشي اضطرارا والزاهد تارك للشي اختيارا او زهده تحقق
توكله وتوكله تحقق رضاه ورضاه تحقق الصبر والصبر تحقق حبس النفس وصدق المجاهدة
وحبس النفس لله تحقق خوفه وخوفه يحقق رجاه وتحظى بالتوبة والزهد بكل
المقامات والزهد والتوبة اذا اجتمعا مع صحة الايمان وعقوده وشروطه يعوز
هذه الثلثة رابع به تمامها وهو دوام العمل لله لان الاحوال السنية تنكشف بعضها بهذه
الثلثة ويستتر بعضها متوقفا على وجود الرابع وهو دوام العمل وكثير من الزهاد المتحققين
بالزهد المستقيمين في التوبة تخلفوا عن كثير من سني الاحوال لتخلفهم عن هذا الرابع
ولا يراد الزهد في الدنيا الا لكمال الفراغ المستعان به على ادامة العمل لله والعمل لله
ان يكون العبد لا يزال ذاكرا او تاليا او مصليا او مراقبا لا يشغله عن هذه الا واجب
شرعي او مهم لا بد منه طبعي واذا استولى العمل القلبي على القلب مع وجود الشغل الذي
اداه اليه حكم الشرع لا يفتر باطنه عن العمل فاذا كان مع الزهد والتقوى متمسكا
بدوام العمل فقد كمل الفضل ومال الى جهد في العبودية قال ابو بكر الوراق من خرج
من قالب العبودية صنع به ما يصنع للآبق وسيل سهل بن عبد الله التستري اي منزلة اذا
قام العبد بها قام مقام العبودية قال اذا ترك التدبير والاختيار فاذا تحقق العبد بالتوبة
والزهد ودوام العمل لله يشغله وقته الحاضر عن وقته الآتي ويصل الى مقام ترك التدبير
والاختيار ثم يصل الى ان يملك الاختيار فيكون اختياره من اختيار الله لزوال هواه ووقفه

علمه

وانقطاع مادة الجهل عن باطنه قال يحيى بن معاذ الرازي ما دام العبد يتعرف يقال له لا تختر
ولا تكن مع اختيارك حتى تعرف فاذا عرف وصار عارفا يقال له ان شئت اختر وان شئت
لا تختر لانك ان اخترت فباختيارنا اخترت وان تركت الاختيار فباختيارنا تركت فانك بنا
في الاختيار وفي ترك الاختيار والعبد لا يتحقق بهذا المقام العالي والحال العزيز الذي
هو الغاية والنهاية وهو ان يملك الاختيار بعد ترك التدبير والخروج من الاختيار الا
باحكامه هذه الاربعة التي ذكرناها لان ترك التدبير فناؤه وتمليك التدبير والاختيار
من الله تعالى عبده ورده الى الاختيار تصرف بالحق وهو مقام البقاء وهو الانسلاخ
عن وجود كان للعبد الى وجود يصير بالحق وهذا العبد ما بقي عليه من الاعوجاج ذرة
بل استقام ظاهره وباطنه وتوطن حظيرة القرب بنفس بين يدي الله تعالى متمسكة
بالاستكانة والافتقار متحققة بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تكلني الى نفسي
طرفة عين فاهلك ولا الى احد من خلقك فاضيع اكلأني كلاية الوليد ولا تخل عني

الباب الستون في ذكر اشارات المشايخ في المقامات على الترتيب

قولهم في التوبة قال رويم معنى التوبة ان تتوب من التوبة قيل معناه قول رابعة استغفر الله
من قلة صدقي في قولي استغفر الله وسيل الحسن المغازلي عن التوبة فقال تسئلني عن توبة
الانابة او توبة الاستجابة فقال السايل ما توبة الانابة فقال ان تخاف من الله عز وجل من اجل
قدرته عليك قال فما توبة الاستجابة فقال ان تستحيي من الله لقربه منك وهذا الذي ذكره
من توبة الاستجابة اذا تحقق العبد بها ربما تاب في صلوته من كل خاطر يلم به سوى الله ويستغفر
الله منه وهذه توبة لازمة لبواطن اهل القرب كما قيل وجودك ذنب لا يقاس به ذنب قال
ذو النون توبة العوام من الذنوب وتوبة الخواص من الغفلة وتوبة الانبياء من رؤية عجزهم
عن بلوغ ما ناله غيرهم سيل ابو محمد سهل عن الرجل يتوب من الشيء ويتركه ثم يخطر ذلك الشيء
بقلبه او يراه او يسمع به فيجد حلاوته فقال الحلاوة طبع البشرية ولا بد من الطبع وليس له
حيلة الا ان يرفع قلبه الى مولاه بالشكوى وينكره بقلبه ويلزم نفسه الانكار ولا يفارقه
ويدعو الله تعالى ان ينسيه ذلك ويشغله بغيره من ذكره وطاعته قال وان غفل عن الانكار

طرفة عين اخاف عليه ان لا يسلم وتعمل الحلاوة في قلبه لكن مع وجدان الحلاوة يلزم قلبه
الانكار ويحزن فانه لا يضره وهذا الذي قاله سهل كاف بالغ لكل طالب صادق يريد
صحة توبته والعارف القوي الحال تمكن من ازالة الحلاوة عن باطنه ويسهل عليه
ذلك واسباب سهولة ذلك متنوعة للعارف ومن تمكن من قلبه حلاوة حب الله الخالص
عن صفاء مشاهدة وصرف يقين اي حلاوة تبقى في قلبه وانما حلاوة الهوى لعدم حلاوة
حب الله وسيل السوسي عن التوبة فقال التوبة من كل شيء ذمه العلم الى ما مدحه العلم
وهذا وصف يعم الظاهر والباطن لمن كوشف بصريح العلم لانه لا بقاء للجهل مع العلم
كما لا بقاء لليل مع طلوع الشمس وهذا يستوعب جميع اقسام التوبة بالوصف الخاص
والعام وهذا العلم يكون علم الظاهر والباطن لتطهير الظاهر والباطن باخص اوصاف
التوبة واعم اوصافها وقال ابو الحسين النوري رحمة الله عليه التوبة ان تتوب عن
كل شيء سوى الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ملاك دينكم الورع اخبرنا ابو زرعة
اجازة عن ابي بكر بن خلف اجازة عن ابي عبد الرحمن السلمي اجازة قال انا ابو سعيد الخلال
قال ثنا ابن قتيبة قال ثنا عمر بن عثمان قال ثنا بقية عن ابي بكر بن ابي مريم عن حبيب بن عبيد
عن ابي الدرداء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ على نهر فلما فرغ من وضوءه افرغ
فضله في النهر وقال يبلغه الله عز وجل قوما ينفعهم قال عمر بن الخطاب لا ينبغي لمن اخذ
بالتقوى ووزن بالورع ان يذل لصاحب دنيا قال معروف الكرخي احفظ لسانك من
المدح كما تحفظه من الذم نقل عن الحارث بن اسد المحاسبي انه كان على طرف صبعه
الوسطى عرق اذا مد يده الى الطعام وفيه شبهة ضرب عليه ذلك العرق سيل
الشبلي عن الورع فقال الورع ان تتورع ان تتشتت قلبك عن الله طرفة عين وقال
ابو سليمن الداراني الورع اول الزهد كما ان القناعة طرف من الرضا وقال يحيى بن معاذ
الورع الوقوف على حد العلم من غير تاويل سيل الخواص عن الورع فقال ان لا يتكلم العبد
الا بالحق غضب او رضي وان يكون اهتمامه بما يرضي الله اخبرنا ابو زرعة اجازة عن
ابي بكر بن خلف عن السلمي قال سمعت الحسن بن احمد بن جعفر يقول سمعت محمد بن داود الدينوري

يقول سمعت بن الجلا يقول اعرف من اقام بمكة ثلثين سنة لم يشرب من ماء زمزم الا من استقاه بركوته ورشايه ولم يتناول من طعام جلب من مصر شيا وقال الخواص الورع دليل الخوف والخوف دليل المعرفة والمعرفة دليل القربة قولهم في الزهد قال الجنيد الزهد خلو الايدي من الاملاك والقلوب من التتبع وسيل الشبلي عن الزهد فقال لا زهد في الحقيقة لانه اما ان يزهد فيما ليس له فليس ذلك بزهد او يزهد فيما هو له فكيف يزهد فيه وهو معه وعنده فليس الا ظلف النفس وبذل ومواساة يشير الى الاقسام التي سبق بها الاقلام وهذا لو اطرد هدم قاعدة الاجتهاد والكسب ولكن مقصود الشبلي ان يقلل الزهد في عين المعتد بالزهد ليلا يغتر بالزهد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رايتم الرجل قد اوتي زهدا في الدنيا ومنطقا فاقربوا منه فانه يلقي الحكمة وقد سمى الله عز وجل الزاهدين علما في قصة قارون فقال وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير قيل هم الزاهدون وقال سهل بن عبد الله للعقل الف اسم ولكل اسم منه الف اسم واول كل اسم منه ترك الدنيا وقيل في تفسير قوله تعالى وجعلناهم ايمة يهدون بامرنا لما صبروا قيل عن الدنيا وفي الخبر العلما امنا الرسل ما لم يدخلوا في الدنيا فاذا دخلوا في الدنيا فاحذروهم على دينكم وجا في الاثر لا يزال لا اله الا الله يدفع عن العباد سخط الله ما لم يبالوا ما نقص من دنياهم فاذا فعلوا ذلك وقالوا لا اله الا الله قال الله تعالى كذبتم لستم بها صادقين وقال سهل اعمال البر كلها في موازين الزهاد وثواب زهدهم زيادة لهم وقيل من سمي باسم الزهد في الدنيا فقد سمي بالف اسم محمود ومن سمي باسم الرغبة في الدنيا فقد سمي بالف اسم مذموم وقال السري الزهد ترك حظوظ النفس من جميع ما في الدنيا ويجمع هذه الحظوظ المالية والجاهية وحب المنزلة عند الناس وحب المحمدة والثنا من الخلق وسيل الشبلي عن الزهد وعن حقيقته فقال الزهد غفلة لان الدنيا لا شي والزهد في لا شي غفلة وقال بعضهم لما راوا حقارة الدنيا زهدوا في زهدهم في الدنيا لهوانها عندهم وعندي ان الزهد في الزهد غير هذا وانما الزهد في الزهد بالخروج من الاختيار في الزهد لان الزاهد اختار الزهد واراد واراداته يستند الى علمه وعلمه قاصر فاذا اقيم في مقام

ترك الارادة وانسلخ من اختياره كاشفه الله تعالى بمراده فيترك الدنيا بمراد الحق لا بمراد نفسه فيكون زهده بالله حينئذ او يعلم ان مراد الله منه التلبس بشي من الدنيا فما يدخل بالله في شي من الدنيا لا ينقض عليه زهده فيكون دخوله في الشي من امر الدنيا بالله وباذن منه زهدا في الزهد والزاهد في الزهد استوى عنده وجود الدنيا وعدمها ان تركها تركها بالله وان اخذها اخذها بالله وهذا هو الزهد في الزهد وقد راينا من العارفين من اقيم في هذا المقام وفوق هذا مقام آخر في الزهد وهو لمن يرد الحق اليه اختياره لسعة علمه وطهارة نفسه في مقام البقا فيزهد زهدا ثالثا ويترك الدنيا بعد ان مكن من ناصيتها واعيدت عليه موهبة ويكون تركه الدنيا في هذا المقام باختياره واختياره من اختيار الحق فقد يختار تركها حينا تاسيا بالانبيا والصالحين ويرى ان اخذها في مقام الزهد في الزهد رفق ادخل عليه لموضع ضعفه عن درك شاو الاقويا من الانبيا والصديقين فيترك الرفق من الحق بالحق للحق وقد يتناوله باختياره رفقا بالنفس بتدبير يسوسه فيه صريح العلم وهذا مقام التصرف لاقويا العارفين زهدوا اولا بالله كما رغبوا ثانيا بالله كما زهدوا اولا لله قولهم في الصبر قال سهل الصبر انتظار الفرج من الله وهو افضل الخدمة واعلاها وقال بعضهم الصبر ان تصبر في الصبر لا يطالع فيه الفرج قال الله تعالى والصابرين في الباسا والضرا وحين الباس اوليك الذين صدقوا واوليك هم المتقون وقيل لكل شي جوهر وجوهر الانسان العقل وجوهر العقل الصبر فالصبر عز كل النفس وبالعز كتابين والصبر جاري في الصابر مجرى الانفاس لانه يحتاج الى الصبر عن كل منهي ومكروه ومذموم ظاهرا وباطنا والعلم يدل والصبر يقبل ولا ينفع دلالة العلم بغير قبول الصبر ومن كان العلم سايسه في الظاهر والباطن لا يتم له ذلك الا اذا كان الصبر مستقره ومسكنه والعلم والصبر مثلا زمان كالروح والجسد لا يستقل احدهما بدون الاخر ومصدرهما الغريزة العقلية ومما متقاربان لاتحاد مصدرهما وبالصبر يحامل على النفس وبالعلم يرقى الى الروح ومما البرزخ والفرقان بين الروح



ما النفس ليستقر كل واحد منهما في مستقره وفي ذلك صريح العدل وصحة الاعتدال وبانفصال
احدهما عن الآخر اعني العلم والصبر ميل احدهما على الآخر اعني النفس والروح وبيان
ذلك يدق وناهيك بشرف الصبر قوله تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب
كل اجير اجره بحساب واجر الصابرين بغير حساب وقال الله تعالى لنبيه واصبر
وما صبرك الا بالله اضاف الصبر الى نفسه لشرف مكانه وتكمل النعمة به قيل وقف
رجل على الشبلي وقال اي الصبر اشد على الصابرين فقال الصبر في الله فقال لا فقال
الصبر لله فقال لا فقال الصبر مع الله فقال لا فغضب الشبلي فقال ويحك ايش فقال
الرجل الصبر عن الله فصرخ الشبلي صرخة كادت تتلف روحه وعندي في معنى
الصبر عن الله وجه ولكونه من اشد الصبر على الصابرين وجه وذلك ان الصبر عن
الله يكون في اخص مقامات المشاهدة يرجع العبد عن مولاه استحياء واجلالا وينطوي
بصيرته خجلا وذوبانا ويتغيب في مغاور استكانته وتخفيه لاحساسه بعظيم
امر التجلي وهذا من اشد الصبر لانه يود استدامة هذا الحال تادية لحق الجلال
والروح تود ان يكتحل عين بصيرتها باستطلاع نور الجمال وكما ان النفس منازعة
في عموم حال الصبر فالروح في هذا الصبر منازعة فاشتد الصبر عن الله لذلك وقال
ابو الحسن بن سالم هم ثلثة متصبر وصابر وصبار فالمتصبر من صبر في الله فمرة يصبر
ومرة يجزع والصابر من يصبر في الله ولله ولا يجزع ولكن يتوقع منه الشكوى
وقد يمكن منه الجزع واما الصبار فذلك الذي صبره في الله ولله وبالله فهذا لو وقع
عليه جميع البلايا لا يعجز ولا يتغير من جهة الوجوب والحقيقة لا من جهة الرسم والخلقة
واشارته في هذا الى ظهور حكم العلم فيه مع ظهور بقية صفة الطبيعة وكان الشبلي
يتمثل بهذين البيتين ان صوت المحب من الم الشوق وخوف الفراق يورث ضرا
صابر الصبر فاستغاث به الصبر فصاح المحب للصبر صبرا قال جعفر الصادق
رضي الله عنه امر الله تعالى انبياءه بالصبر وجعل الحظ الاعلى للرسول حيث جعل صبره
بالله لا بنفسه فقال واصبر وما صبرك الا بالله وسئل مري عن الصبر فتكلم فيه فدب

على رجله عقرب فجعلت تضربه بابرتها فقيل له لم لا تدفعها قال استحيي من الله ان اتكلم في حال
ثم اخالف ما اتكلم فيه اخبرنا ابو زرعة طاهر اجازة عن ابي بكر بن خلف اجازة عن ابي عبد الرحمن
السلمي قال سمعت محمد بن خالد يقول سمعت الفرغاني يقول سمعت الجنيد يقول ان الله تعالى
اكرم المومنين بالايمان واكرم الايمان بالعقل واكرم العقل بالصبر فالايمان زين المومن
والعقل زين الايمان والصبر زين العقل وانشد عن ابرهيم الخواص
صبرت على بعض الاذى خوف كله ودافعت عن نفسي لنفسي فعزت
وجرعتها المكروه حتى تدربت ولو لم اجرعها اذا لاشمازت
الا رب ذل ساق للنفس عزة ويا رب نفس بالتذلل عزت
اذا ما مددت الكف التمس الغنى الى غير من قال اسئلوني فشلت
ساصبر جهدي ان في الصبر عزة وارضى بدنياي وان هي قلت
قال عمر بن عبد العزيز ما انعم الله على عبد من نعمة ثم انتزعها فعاضه مما انتزع منه
الصبر الا ما عاضه خير مما انتزع منه وانشد لسمنون
تجرعت من حالية نعمى وابؤسا زمانا اذا اجرى على ايه احتسابيا
فكم غمرة قد جرعتني كؤوسها فجرعتها من بحر صبري اكؤسا
تدرعت صبري والتحفت صروفه وقلت لنفسي الصبر او فاهلكي اسا
خطوب لو ان الشم زاحمن خطبها لساخت ولم يدرك لها الكف ملمسا
قولهم في الفقر قال ابن الجلا الفقر ان لا يكون لك فاذا كان لا يكون لك يعني توثر وقال
الكتاني اذا صح الافتقار الى الله صح الغنى بالله لانهما حالان لا يتم احدهما الا بالآخر
وقال النوري نعت الفقير السكون عند العدم والبذل عند الوجود وقال غيره
الاضطراب عند الوجود وقال الدراج فتشت كيف استاذي اريد مكحلة فوجدت
فيها قطعة فتحيرت فلما جاء قلت له اني وجدت في كيفك قطعة قال قد رايتها ردها قال
ثم قال خذها واشتر بها شيا فقلت ما كان امر هذه القطعة بحق معبودك فقال ما رزقني
الله من الدنيا صفرا ولا بيضا غيرها فاردت ان اوصي ان تشد في كفني فاردها الى الله

قال ابرهيم الخواص الفقر رداء الشرف ولباس المرسلين وجلباب الصالحين وسئل
سهل بن عبد الله عن الفقير الصادق فقال لا يسئل ولا يرد ولا يحبس وقال ابو علي الروذباري
سالني الزقاق فقال يا ابا علي لم ترك الفقراء اخذ البلغة في وقت الحاجة قال قلت لانهم مستغنون
بالمعطي عن العطايا قال نعم ولكن وقع لي شيء آخر فقلت هات افدني ما وقع لك قال لانهم قوم
لا ينفعهم الوجود اذ الله فاقتهم ولا يضرهم الفاقة اذ الله وجودهم قال بعضهم الفقر
وقوف الحاجة على القلب ومحوها عما سوى الرب وقال المسوحي الفقير الذي لا يغنيه
النعم ولا يغيره المحن وقال يحيى بن معاذ حقيقة الفقر ان لا يستغني الا بالله ورسمه عدم
الاسباب كلها وقال ابو بكر الطوسي بقيت مدة اسئل عن معنى اختيار اصحابنا لهذا الفقر
على ساير الاشياء فلم يجبني احد بجواب يقنعني حتى سالت نصر بن الحمامي فقال لي لانه اول منزل
من منازل التوحيد فقنعت بذلك وسئل ابن الجلاء عن الفقر فسكت حتى صلى ثم ذهب ورجع
ثم قال انني لم اسكت الا لدرهم كان عندي فذهبت واخرجته واستحييت من الله ان
اتكلم في الفقر وعندي ذلك ثم جلس وتكلم قال ابو بكر بن طاهر من حكم الفقير ان لا يكون له
رغبة فان كان ولا بد لا يجاوز رغبته كفايته قال ابن فارس قلت لبعض الفقراء مرة ورايت
عليه اثر الجوع والضر لم لا تسئل فيطعموك فقال اخاف ان اسالهم فيمنعوني فلا يفلحون
وانشد بعضهم

قالوا غدا العيد ماذا انت لابسه ... فقلت خلعة ساق عبده جرعا
فقر وصبر هما ثوبان تحتهما ... قلب يرى ربه الاعياد والجمعا
احرى الملابس ان تلقى الحبيب به ... يوم التزاور في الثوب الذي خلعا
الدهر لي مأتم ان غبت يا املي ... والعيد ما دمت لي مرأى ومستمعا

قولهم في الشكر

قال بعضهم الشكر هو الغيبة عن الشكر برؤية المنعم وقال يحيى بن معاذ الرازي لست بشاكر
ما دمت تشكر وغاية الشكر التحير وذلك لان الشكر نعمة من الله يجب الشكر عليها وفي
اخبار داود الهي كيف اشكرك وانا لا استطيع ان اشكرك الا بنعمة ثانية من نعمك فاوحى
الله اليه اذا عرفت هذا فقد شكرتني ومعنى الشكر في اللغة هو الكشف والاظهار
يقال شكر وكشر اذا كشف عن ثغره واظهره فنشر النعم وذكرها وتعدادها باللسان ظاهر

وباطن الشكر ان يستعين بالنعم على الطاعة ولا يستعين بها على المعصية فهو شكر النعمة وسمعت
شيخنا ينشد عن بعضهم

اوليتني نعما ابوح بشكرها ... وكفيتني كل الامور باسرها
فلاشكرنك ما حييت وان امت ... فلتشكرنك اعظمي في قبرها

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اول من يدعا الى الجنة يوم القيامة الحمادون الذين
يحمدون الله في السراء والضراء وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ابتلي فصبر واعطي
فشكر وظلم فغفر وظلم فاستغفر قيل فما باله قال اولئك لهم الامن وهم مهتدون
قال الجنيد فرض الشكر الاعتراف له بالنعم بالقلب واللسان وفي الحديث افضل الذكر
لا اله الا الله وافضل الدعاء الحمد لله وقال بعض العلماء في قوله تعالى واسبغ عليكم
نعمه ظاهرة وباطنة قال الظاهرة العوافي والغنى والباطنة البلاوي والفقر
فان هذه نعم اخروية لما يستوجب بها من الجزاء وحقيقة الشكر ان يرى جميع المقضي له
به نعما غير ما يضره في دينه لان الله لا يقضي للعبد المؤمن شيئا الا وهو نعمة في حقه
فاما عاجلة يعرفها ويفهمها واما آجلة بما يقضي له من المكاره فاما ان يكون درجة له
او تمحيصا وتكفيرا فاذا علم ان مولاه انصح له من نفسه واعلم بمصالحه وان كلما منه نعم
فقد شكر

قولهم في الخوف

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم راس الحكمة مخافة الله
وروي عنه عليه الصلوة والسلام انه قال كان داود النبي يعوده الناس يظنون
ان به مرضا وما به مرض الا خوف الله والحياء منه قال ابو عمرو الدمشقي الخايف من يخاف
من نفسه اكثر مما يخاف من الشيطان وقال بعضهم ليس الخايف من يبكي ويمسح عينيه
ولكن الخايف التارك لما يخاف ان يعذب عليه وقيل الخايف الذي لا يخاف غير الله قيل
لا يخاف لنفسه انما يخاف اجلالا له والخوف للنفس خوف العقوبة وقال سهل الخوف ذكر
والرجاء انثى منهما يتولد حقايق الايمان قال الله تعالى ولقد وصينا الذين اوتوا
الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله قيل هذه الاية قطب القرآن لان مدار الامر كله
على هذا وقيل ان الله تعالى جمع للخايفين ما فرقه على المؤمنين وهو الهدى والرحمة
والعلم والرضوان فقال تعالى هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون وقال انما يخشى الله

من عباده العلماء وقال رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشى ربه وقال كمال الايمان
بالعلم وكمال العلم بالخوف وقال ايضا العلم كسب الايمان والخوف كسب المعرفة وقال ذو النون
لا يسقى المحب كاس المحبة الا بعد ان ينضج الخوف قلبه وقال فضيل بن عياض اذا قيل لك
تخاف الله اسكت فانك ان قلت لا كفرت وان قلت نعم فليس وصفك وصف من يخاف
قولهم في الرجا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى اخرجوا من النار من كان في قلبه
مثقال حبة من خردل من ايمان ثم يقول وعزتى وجلالى لا اجعل من آمن بى فى ساعة من ليل او نهار
كمن لم يومن بى وقيل جاء اعرابى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من يلى حساب الخلق
فقال الله تعالى قال هو بنفسه قال نعم فتبسم الاعرابى فقال النبى عليه الصلوة والسلام مم
ضحكت يا اعرابى فقال ان الكريم اذا قدر عفا واذا حاسب سامح قال شاه الكرمانى
علامة الرجا حسن الطاعة وقيل الرجا روية الجلال بعين الجمال وقيل قرب القلب من ملاطفة
الرب قال ابو على الروذبارى الخوف والرجا كجناحى الطاير اذا استويا استوى
الطير وتم فى طيرانه قال ابو عبد الله بن خفيف الرجا ارتياح القلوب لروية كرم المرجو
قال مطرف لو وزن خوف المومن ورجاوه لاعتدلا والخوف والرجا للايمان كالجناحين
ولا يكون خايفا الا وهو راجى ولا راجيا الا وهو خايف لان موجب الخوف الايمان
وبالايمان رجا وموجب الرجا الايمان ومن الايمان خوف ولهذا المعنى روى عن لقمان انه
قال لابنه خف الله تعالى خوفا لا يامن فيه مكره وارجه اشد من خوفك قال فكيف استطيع
ذلك وانما لى قلب واحد قال اما علمت ان المومن لذو قلبين يخاف باحدهما ويرجو بالاخر وهذا
لانهما من حكم الايمان قولهم فى التوكل قال السرى التوكل الانخلاع من الحول والقوة
وقال الجنيد التوكل ان تكون لله كما لم تكن فيكون الله لك كما لم يزل وقال سهل كل المقامات
لها وجه وقفا غير التوكل فانه وجه بلا قفا قال بعضهم يريد توكل العناية لا توكل الكفاية
والله تعالى جعل التوكل مقرونا بالايمان فقال وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مومنين وقال
وعلى الله فليتوكل المومنون وقال لنبيه وتوكل على الحى الذى لا يموت وقال ذو النون
التوكل ترك تدبير النفس والانخلاع من الحول والقوة وقال ابو بكر الزقاق التوكل رد العيش

اليوم

لان الايمان بالله الذي هو موصوف دائما بصفتي القهر واللطف فمن ملاحظة الصفتين نشأ الخوف والرجاء

كتبت جو

الى يوم واحد واسقاط هم غد وقال ابو بكر الواسطى اصل التوكل صدق الفاقة والافتقار
وان لا يفارق التوكل فى امانيه ولا يلتفت بسره الى توكله لحظة فى عمره وقال بعضهم من
اراد ان يقوم بحق التوكل فليحفر لنفسه قبرا يدفنها فيه وينسى الدنيا واهلها لان حقيقة
التوكل لا يقوم له احد من الخلق على كماله وقال سهل اول مقامات التوكل ان يكون
العبد بين يدى الله كالميت بين يدى الغاسل يقلبه كيف اراد ولا يكون له حركة ولا تدبير
وقال حمدون القصار التوكل هو الاعتصام بالله وقال سهل ايضا العلم كله باب من
التعبد والتعبد كله باب من الورع والورع كله باب من الزهد والزهد باب من
التوكل وقيل التقوى واليقين مثل كفتى الميزان والتوكل لسانه به يعرف الزيادة
والنقصان ويقع فى ان التوكل على قدر العلم بالوكيل فكل من كان اتم معرفة كان
اتم توكلا ومن كمل توكله غاب فى روية الوكيل عن روية توكله ثم ان قوة المعرفة يفيده
صرف العلم بالعدل فى القسمة وان الاقسام نصبت بازاء المقسوم لهم عدلا وموازنة
وان النظر الى غير الله لوجود الجهل فى النفس وكلما احس بشى يقدح فى توكله يراه
من نبع النفس فنقصان التوكل يظهر بظهور النفس وكماله يثبت بغيبة النفس وليس
للاقويا اعتداد بتصحيح توكلهم وانما شغلهم فى تغييب النفس بتقوية مراد القلب
فاذا غابت النفس انحسمت مادة الجهل فيصح التوكل والعبد غير ناظر اليه وكلما تحرك
من النفس بقية يرد على ضمايرهم سر ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شى فيغلب
وجود الحق الاعيان والاكوان ويرى الكون بالله من غير استقلال الكون بنفسه
ويصير التوكل حينئذ اضطرارا ولا يقدح فى توكل مثل هذا المتوكل ما يقدح فى توكل
الضعفاء فى التوكل من وجود الاسباب والوسايط لانه يرى مواتا لا حيوة لها الا بالوكيل
بالتوكل وهذا توكل خواص اهل المعرفة قولهم فى الرضا قال الحرث الرضا سكون
القلب تحت جريان الحكم وقال ذو النون الرضا سرور القلب بمر القضا وقال
سفين عند رابعة اللهم ارض عنا فقالت له اما تستحيى ان تطلب رضا من لست عنه
براض وقال سهل اذا اتصل الرضا بالرضوان اتصلت الطمانينة فطوبى لهم وحسن ماب

سواد

المراد من الاعيان ومن الاكوان الموجودات

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاق طعم الايمان من رضي بالله ربًا وقال عليه الصلوة
والسلام ان الله تعالى بحكمته جعل الروح والفرح في الرضا واليقين وجعل الهم
والحزن في الشك والسخط وقال الجنيد الرضا هو صحة العلم الواصل الى القلوب
فاذا باشر القلب حقيقة العلم اداه الى الرضا وليس الرضا والمحبة كالخوف والرجا
فانهما حالان لا يفارقان العبد في الدنيا والاخرة لانه في الجنة لا يستغني عن الرضا والمحبة
وقال بن عطا الرضا سكون القلب الى قديم اختيار الله للعبد لانه اختار له الافضل فيرضى
له وهو ترك السخط وقال ابو تراب ليس ينال الرضا من الله من للدنيا في قلبه مقدار وقال
سري خمس من اخلاق المقربين الرضا عن الله فيما يحب النفس وتكره والحب له بالتحبب اليه
والحيا من الله والانس به والوحشة مما سواه وقال الفضيل الراضي لا يتمنى فوق منزلته
شيًا وقال بن سمعون الرضا بالحق والرضا له والرضا عنه الرضى به مدبرًا ومختارًا والرضا
عنه قاسمًا ومعطيًا والرضا له الهًا وربًا سئل ابو سعيد هل يجوز ان يكون العبد
راضيا ساخطا قال نعم يجوز ان يكون راضيا عن ربه ساخطا على نفسه وعلى كل
قاطع يقطعه عن الله وقيل للحسن بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهما ان ابا ذر يقول
الفقر احب الي من الغنا والسقم الي من الصحة قال رحم الله ابا ذر اما انا اقول من اتكل
على حسن اختيار الله له لم يتمن انه في غير الحالة التي اختار الله له وقال علي رضي الله عنه
من جلس على بساط الرضا لم ينله من الله مكروه ابدًا ومن جلس على بساط السؤال
لم يرض عن الله في كل حال وقال يحيى يرجع الامر كله الى هذين الاصلين فعل منه بك
وفعل منك له فترضى فيما عمل وتخلص فيما تعمل وقال بعضهم الراضي من لم يندم على
فايت من الدنيا ولم يتاسف عليها وقيل ليحيى بن معاذ متى يبلغ العبد الى مقام الرضا
قال اذا اقام نفسه على اربعة اصول فيما يعامل به يقول ان اعطيتني قبلت وان منعتني
رضيت وان تركتني عبدت وان دعوتني اجبت وقال الشبلي بين يدي الجنيد لا حول
ولا قوة الا بالله فقال الجنيد قولك ذا ضيق صدر فقال صدقت قال فضيق الصدر
ترك الرضا بالقضا وهذا قاله الجنيد رحمه الله تنبيها منه على اصل الرضا وذلك

ان الرضا

ان الرضا يحصل لانشراح القلب وانفساحه وانشراح القلب من نور اليقين قال الله سبحانه
وتعالى افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه فاذا تمكن النور من الباطن اتسع
الصدر وانفتح عين البصيرة وعاين حسن تدبير الله تعالى فينتزع التسخط والتضجر
لان انشراح الصدر يتضمن حلاوة الحب وفعل المحبوب يوقع الرضى عند المحب
الصادق لان المحب يرى ان الفعل من المحبوب مراده واختياره فيفنى في لذة
روية اختيار المحبوب عن اختيار نفسه كما قيل وكلما يفعل المحبوب محبوب

الباب الحادي والستون في ذكر الاحوال وشرحها

حدثنا شيخنا ابو النجيب السهروردي قال انا ابو طالب الزينبي قال اخبرتنا كريمة المروزية
قالت انا ابو الهيثم الكشميهني قال انا ابو عبد الله الفربري قال انا ابو عبد الله
البخاري قال ثنا سليمن بن حرب قال ثنا شعبة عن قتادة عن انس عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال ثلث من كن فيه وجد حلاوة الايمان من كان الله ورسوله احب اليه
مما سواهما ومن احب عبدا لا يحبه الا لله ومن يكره ان يعود في الكفر بعد اذ انقذه الله
منه كما يكره ان يلقى في النار واخبرنا الشيخ ابو زرعة طاهر بن ابي الفضل اجازة
قال انا ابو بكر بن خلف اجازة قال انا ابو عبد الرحمن قال انا ابو عمرو بن حيوة قال حدثني
ابو عبيد بن صوتل عن ابيه قال ثنا بشر بن محمد قال حدثنا عبد الملك بن وهب عن ابي صيم بن
ابي عيلة عن العرباض بن سارية قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو اللهم
اجعل حبك احب الي من نفسي وسمعي وبصري واهلي ومالي ومن الما البارد فكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم طلب خالص الحب وخالص الحب هو ان يحب الله بكليته
وذلك لان العبد قد يكون في حال قايم بشروط حاله بحكم العلم والجبلة يتقاضاه
بضد العلم مثل ان يكون راضيا والجبلة قد تكره ويكون النظر الى الانقياد بالعلم
لا الى الاستعصا بالجبلة فقد يحب الله ورسوله بحكم الايمان ويحب الاهل والولد
بحكم الطبع وللمحبة وجوه وبواعث المحبة في الانسان متنوعة فمنها محبة
الروح ومحبة القلب ومحبة النفس ومحبة العقل فقول رسول الله صلى الله عليه وسلم

وذكره ذكر الاسل والمال والماء البارد استيصال عروق المحبة بمحبة الله تعالى حتى
يكون حب الله تعالى غالبا فيحب الله تعالى بقلبه وروحه وكليته حتى يكون حب الله
اغلب في الطبع ايضا والجبلة من حب الماء البارد وهذا يكون حبا خالصا ينغمر به ونور
نار الطبع والجبلة وهذا يكون حب الذات عن مشاهدة بعكوف الروح وخلوص
الى مواطن القرب قال الواسطي في قوله يحبهم ويحبونه كما انه بذاته يحبهم كذلك
يحبون ذاته فالهاء راجعة الى الذات دون النعوت والصفات وقال بعضهم
الحب شرطه ان يلحقه سكرات المحبة فاذا لم يكن ذلك لم يكن فيه حقيقة فاذن الحب
حبان حب خاص وحب عام فالحب العام مفسر بامتثال الامر وربما كان حبا من معدن
العلم بالالاء والنعماء وهذا الحب مخرجه من الصفات وقد ذكر جمع من المشايخ الحب
في المقامات فيكون النظر الى هذا الحب العام الذي يكون لكسب العبد فيه مدخل
واما الحب الخاص فهو حب الذات عن مطالعة الروح وهو الحب الذي فيه السكرات
وهو الاصطناع من الله الكريم لعبده واصطفاؤه اياه وهذا الحب يكون من الاحوال
لانه محض موهبة ليس للكسب فيه مدخل وهو مفهوم من قول الرسول الحب الي من الماء
البارد لانه كلام عن وجدان روح تلتذ بحب الذات وهذا الحب روح والحب
الذي يظهر من مطالعات الصفات ويطلع من مطالع الايمان قالب هذا الروح
ولما صحت محبتهم هذه اخبر الله عنهم بقوله اذلة على المومنين لان المحب بذل المحبوبه
والمحبوب محبوبه وينشد لعين تفدى الف عين وتتقى ويكرم الف للحبيب المكرم
وهذا الحب الخاص يواصل الاحوال السنية وموجبها وهو في الاحوال كالتوبة
في المقامات فمن صحت توبته على الكمال تحقق بساير المقامات من الزهد والرضا
والتوكل على ما شرحناه اولا ومن صحت محبته هذه تحقق بساير الاحوال من الفنا والبقا
والصحو والمحو وغير ذلك والتوبة لهذا الحب ايضا بمثابة الجثمان لانها مشتملة على
الحب العام الذي هو لهذا الحب كالجسد ومن اخذ في طريق المحبوبين وهو طريق خاص
من طرق المحبة يتكمل فيه ويجتمع له روح الحب الخاص مع قالب الحب العام الذي يشتمل

على

عليه التوبة النصوح وعند ذلك لا يتقلب في اطوار المقامات لان التقلب في اطوار
المقامات والترقي من شيء منها الى شيء طريق المحبين ومن اخذ في طريق المجاهدة
من قي له تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ومن قي له ويهدي اليه من ينيب
اثبت كسب الانابة سببا للهداية وفي حال المحبوب صرح بالاجتبا غير معلل بالكسب
فقال الله يجتبي اليه من يشا فمن اخذ في طريق المحبوبين يطوي بساط اطوار المقامات
ويندرج فيه صفوها وخالصها باتم وصفها والمقامات لا تقيده ولا تحبسه وهو يتقيد
ويحبسها بترقيه منها واستنزاعه صفوها وخالصها لانه حيث اشرقت عليه انوار الحب
الخاص خلع عليه ملابس صفات النفس ونعوتها والمقامات كلها مصفية للنعوت
والصفات النفسانية الزهد يصفيه عن الرغبة والتوكل يصفيه عن قلة الاعتماد
المتولد من جهل النفس والرضا يصفيه عن ضربان عرق المنازعة والمنازعة لبقاء
جمود في النفس ما اشرق عليها شموس المحبة الخاصة فبقي ظلمتها وجمودها فمن تحقق
بالحب الخاص لانت نفسه وذهب جموده فماذا ينزع الزهد عنه من الرغبة ورغبته
الحب احرقت رغبته وماذا يصفي منه التوكل ومطالعة الوكيل حشا بصيرته وماذا
يسكن فيه الرضا من عروق المنازعة والمنازعة ممن لم يسلم كليته قال الروذباري
ما لم تخرج من كليتك لا تدخل في حد المحبة وقال ابو يزيد من قتلته محبته فديته
رويته ومن قتله عشقه فديته منادمته اخبرنا بذلك ابو زرعة اجازة عن ابن خلف
اجازة عن ابي عبد الرحمن قال سمعت احمد بن علي بن جعفر يقول سمعت الحسن بن علويه يقول
قال ابو يزيد ذلك فاذا التقلب في اطوار المقامات لعوام المحبين وطي بساط الاطوار
لخواص المحبين وهم المحبوبون تخلفت عن هممهم المقامات وربما كانت المقامات
على مدارج طبقات السموات وهي مواطن من يتعثر في اذيال بقاياه قال بعض
الكبار لابرهيم الخواص الى ماذا ادى بك التصوف فقال الى التوكل فقال تسعى
في عمران باطنك اين انت من الفنا في التوكل برؤية الوكيل فالنفس اذا تحركت تصفها
منقلبة من دايرة الزهد يردها الزاهد الى الدايرة بزهده والمتوكل اذا تحركت

متقلبة

يردّها بتوكله والراضى يردّها برضاه وهذه الحركات من النفس بقايا وجودية
يفتقر الى سياسة العلم وفى ذلك تنسم روح القرب من بعيد وسوادا حق العبودية
مبلغ العلم وبحسبه الاجتهاد والكسب ومن اخذ فى طريق الخاص عرف طريق التخلص
من البقايا بالتستر بانوار فضل الحق ومن اكتفى بملابس نور القرب بروح دائمة
العكوف محمية عن الطوارق والصروف لا يزعجه طلب ولا يوحشه سلب فالزاهد
والتوكل والرضا كاين فيه وهو غير كاين فيها على معنى انه كيف تقلب كان زاهدا
وان رغب لانه بالحق لا بنفسه وان زوى منه الالتفات الى الاسباب هو متوكل
وان وجد منه الكراهة فهو راض لان كراهته لنفسه ونفسه للحق وكراهته
بالحق اعيد اليه نفسه بدواعيها وصفاتها مطهرة موهوبة محمولة ملطوفا بها
صار عين الداء دواءه وصور الاعلال شفاءه ناب طلب الله له مناب كل طلب من زهد
وتوكل ورضا وصار مطلوبه من الله ينوب عن كل مطلوب من زهد وتوكل
ورضا قالت رابعة محب الله لا يسكن حنينه وانينه حتى يسكن مع محبوبه وقال
ابو عبد الله القرشى حقيقة المحبة ان تهب كلك لمن احببته ولا تبقى لك منك شى
وقال ابو الحسين الوراق السرور بالله من شدة المحبة له والمحبة فى القلب نار تحرق
كل دنس وقال يحيى بن معاذ صبر المحبين اشد من صبر الزاهدين واعجبا كيف يصبر الانسان
عن حبيبه وقال بعضهم من ادعى محبة الله من غير تورع عن محارمه فهو كذاب
ومن ادعى محبة الجنة من غير انفاق ملكه فهو كذاب ومن ادعى حب رسوله من غير حب
الفقرا فهو كذاب وكانت رابعة تنشد

تعصى الاله وانت تظهر حبه ... هذا لعمرى فى الفعال بديع
لو كان حبك صادقا لاطعته ... ان المحب لمن يحب مطيع

واذا كان الحب للاحوال كالتوبة للمقامات من ادعى حالا يعتبر حبه ومن محبة يعتبر
توبته فان التوبة قالب روح الحب وهذا الروح قيامه بهذا القالب والاحوال اعراض
قوامها بجوهر الروح وقال سمنون ذهب المحبون لله بشرف الدنيا والاخرة لان النبى

عليه الصلوة والسلام قال المرء مع من احب فهم مع الله تعالى وقال ابو يعقوب
السوسى لا تصح المحبة حتى تخرج من روية المحبة الى روية المحبوب بفنا علم
المحبة من حيث كان له المحبوب فى الغيب لم يكن هو بالمحبة فاذا خرج المحب الى
هذه النسبة كان محبا من غير محبة وسيل الجنيد عن المحبة قال دخول صفات
المحبوب على البدل من صفات المحب قيل هذا معنى قوله تعالى فاذا احببته كنت له
سمعا وبصرا وذلك ان المحبة اذا صفت وكملت لا يزال تجذب بوصفها الى محبوبها
فاذا انتهت الى غاية جهدها وقفت والرابطة متاصلة متاكدة وكمال وصف
المحبة ازالة الموانع من المحب وبكمال وصف المحبة تجذب صفات المحبوب
تعطفا على المحب المخلص من موانع قادحة فى صدق الحب ونظرا الى قصوره بعد
استنفاد جهده فيعود المحب بفوايد اكتساب الصفات من المحبوب فيقول عند ذلك

انا من اهوى ومن اهوى انا ... نحن روحان حللنا بدنا
فاذا ابصرته ابصرتنى ... واذا ابصرتنى ابصرتنا

وهذا الذى عبرنا عنه حقيقة قول رسول الله صلى الله عليه وسلم تخلقوا باخلاق
الله لانه بنزاهة النفس وكمال التزكية يستعد للمحبة والمحبة موهبة غير معللة
بالتزكية ولكن سنة الله جارية ان تزكى نفوس احبابه بحسن توفيقه وتاييده
واذا منح نزاهة النفس وطهارتها ثم جذب روحه بجاذب المحبة خلع عليه
خلع الصفات والاخلاق ويكون ذلك عنده رتبة فى الوصول فتارة ينبعث
الشوق من باطنه الى ما ورا ذلك لكون عظيم امر الله غير متناهى وتارة يتسلى
بما منح فيكون ذلك وصوله الذى يسكن نيران شوقه ويبلغ الشوق يستقر الصفات
الموهوبة المحققة رتبة الوصول عند المحب ولولا انبعاث الشوق ورجع القهقرى
وظهرت صفات نفسه المحيلة بين المرء وقلبه ومن ظن ان الوصول غير ما ذكرناه
او تخايل له غير هذا القدر فهو متعرض لمذهب النصارى فى اللاهوت والناسوت
واشارات المشايخ فى الاستغراق والفنا كلها عايدة الى تحقيق مقام المحبة

باستيلاء نور اليقين وخلاصة الذكر على القلب وتحقيق حق اليقين بزوال اعوجاج البقايا
وانمحاء التلوث الوجودي من بقايا صفات النفس واذا صحت المحبة ترتبت عليها الاحوال
وتبعتها سئل الشبلي عن المحبة قال كاس لها وهج اذا استقر في الحواس وسكن في
النفوس تلاشت وقيل للمحبة ظاهر وباطن فظاهرها اتباع رضا المحبوب وباطنها
ان يكون مفتونا بالحبيب عن كل شيء فلا يبقي فيه بقية لغيره ولا لنفسه فمن الاحوال
السنية في المحبة الشوق ولا يكون المحب الا مشتاقا ابدا لان امر الحق سبحانه وتعالى
لا نهاية له فما من حال يبلغها المحب الا ويعلم ان وراء ذلك اوفى منها واتم ثم هذا الشوق
الحادث عنده ليس كسبه وانما موهبة خص الله تعالى بها المحبين قال احمد بن ابي الحواري
دخلت على ابي سليمان الداراني فرايته يبكي فقلت ما يبكيك رحمك الله قال ويحك يا احمد اذا
جن هذا الليل افترش اهل المحبة اقدامهم وجرت دموعهم على خدودهم اشرف
الجليل جل جلاله عليهم وقال بعيني من تلذذ بكلامي واستراح الى مناجاتي واني مطلع
عليهم في خلواتهم اسمع انينهم وارى بكاءهم يا جبرئيل ناد فيهم ما هذا البكاء الذي اراه
فيكم هل خبركم مخبر ان حبيبا يعذب احبائه بالنار بل كيف يجمل بي ان اعذب قوما اذا
جنهم الليل تملقوا الي فبي حلفت اذا وردوا القيامة على ان اسفر لهم عن وجهي
وابيحهم رياض قدسي وهذه احوال قوم من المحبين اقيموا مقام الشوق والشوق
من المحبة كالزهد من التوبة اذا استقرت التوبة ظهر الزهد واذا استقرت المحبة
ظهر الشوق قال الواسطي في قوله وعجلت اليك رب لترضى قال شوقا واستهانة بمن
وراه فقال هم اولاء على اثري من شوقه الى مكالمة الله ورمى بالالواح لما فاته من
وقته قال ابو عثمان الشوق ثمرة المحبة من احب الله اشتاق الى لقائه وقال ايضا قوله تعالى
فان اجل الله لآت تعزية للمشتاقين معناه اني اعلم ان شوقكم الي غالب انا اجلت
للقاءكم اجلا وعن قريب يكون وصولكم الى من تشتاقون اليه وقال ذو النون الشوق
اعلا الدرجات واعلا المقامات واذا بلغها الانسان استبطاء الموت شوقا الى
ربه ورجاء للقائه والنظر اليه وعندي ان الشوق الكائن في المحبين الى رتب يتوقعونها

في الدنيا غير الشوق الذي يكون يتوقع ما بعد الموت وان الله تعالى يكاشف اهل وده بعطايا
يجدونها علما ويطلبونها ذوقا فلذلك يكون شوقهم ليصير العلم ذوقا وليس من
ضرورة مقام الشوق استبطاء الموت وربما الاصحا من المحبين يستلذون الحيوة
لله كما قال الجليل عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم قل ان صلوتي ونسكي ومحياي
ومماتي لله فمن كانت حيوته لله منحه الكريم لذة المناجاة والمحبة فتمتلي عينه
من التفقد ثم يكاشفه من المنح والعطايا في الدنيا ما يتحقق بمقام الشوق من
غير الشوق الى ما بعد الموت وانكر بعضهم مقام الشوق وقال انما يكون الشوق
الى الغايب ومتى يغيب الحبيب عن الحبيب حتى يشتاق ولهذا سئل الانطاكي عن الشوق
فقال انما يشتاق الى الغايب وما غبت عنه منذ وجدته وانكار الشوق على الاطلاق
لا ارى له وجها لان رتب العطايا والمنح من انصبة القرب اذا كانت غير متناهية كيف
ينكر الشوق من المحب فهو غير غايب وغير مشتاق بالنسبة الى ما وجد ولكن يكون
مشتاقا الى ما لم يجد من انصبة القرب وكيف يمنع حال الشوق والامر هكذا ووجه
آخر ان الانسان لا بد له من امور يردها حكم الحال لموضع بشريته وطبيعته وعدم
وقوفه على حد العلم الذي يقتضيه حكم الحال ووجود هذه الامور مثير لنار الشوق
ولا نعني بالشوق الا مطالبة تنبعث من الباطن الى الاولى والاعلى من انصبة القرب
وهذه المطالبة كاينة في المحبين فالشوق اذا كاين لا وجه لانكاره وقد قال قوم شوق
المشاهدة واللقاء اشد من شوق البعد والغيبوبة فيكون في حال الغيبوبة مشتاقا
الى اللقاء ويكون في حال اللقاء والمشاهدة مشتاقا الى زوايد ومبار من الحبيب وافضاله
وهذا هو الذي اراه واختاره وقال فارس قلوب المشتاقين منورة بنور الله فاذا
تحركت اشتياقا اضاء النور ما بين المشرق والمغرب فيعرضهم الله على الملايكة ويقول
هؤلاء المشتاقون الي اشهدكم اني اليهم اشوق وقال ابو يزيد لو ان الله حجب اهل الجنة عن
رؤيته لاستغاثوا من الجنة كما يستغيث اهل النار من النار وسئل ابن عطاء عن الشوق فقال
احتراق الحشا وتلهب القلوب وتقطع الاكباد من البعد بعد القرب وسئل بعضهم ايما اعلى

الشوق ام المحبة فقال المحبة لان الشوق يتولد منه فلا اشتاق الا من غلبه الحب فالحب
اصل والشوق فرع وقال النصراباذي للخلق كلهم مقام الشوق لا مقام الاشتياق ومن دخل
في حال الاشتياق هام فيه حتى لا يرى له اثر ولا قرار ومنها الانس وقد سئل الجنيد عن
الانس فقال ارتفاع الحشمة مع وجود الهيبة وسئل ذو النون عن الانس فقال هو انبساط
المحب الى المحبوب قيل معناه قول الخليل ارني كيف تحيي الموتى وقول موسى ارني انظر اليك
وانشد لرويم شغلت قلبي بما لديك فلا ينفك طول الحيوة من فكر
آنستني منك بالوداد فقد اوحشتني من جميع ذا البشر
ذكرك لي مونس يعارضني يوعدني عنك منك بالظفر
وحيث ما كنت يا مدى همي فانت مني بموضع النظر
وروي ان مطرف بن الشخير كتب الى عمر بن عبد العزيز ليكن انسك بالله وانقطاعك
اليه فان لله عبادا استانسوا بالله وكانوا في وحدتهم اشد استيناسا من الناس
في كثرتهم واوحش ما يكون الناس آنس ما يكونون وآنس ما يكون الناس اوحش ما يكونون
قال الواسطي لا يصل الى محل الانس من لم يستوحش من الاكوان كلها وقال
ابو الحسين الوراق لا يكون الانس بالله الا ومعه التعظيم لان كل من استانست به
سقط عن قلبك تعظيمه الا الله تعالى فانك لن تزيد انسا الا ازددت منه هيبة وتعظيما
قالت رابعة كل مطيع مستانس وانشدت
ولقد جعلتك في الفواد محدثي وابحت جسمي من اراد جلوسي
فالجسم مني للجليس موانس وحبيب قلبي في الفواد انيسي
وقال مالك بن دينار من لم يانس بمحادثة الله عن محادثة المخلوقين فقد قل علمه وعمي
قلبه وضيع عمره قيل لبعضهم من معك في الدار قال الله معي ولا يستوحش من انس بربه
وقال الخراز الانس محادثة الارواح مع المحبوب في مجالس القرب ووصف بعض
العارفين صفة اهل المحبة الواصلين فقال جدد لهم الود في كل طرفة بدوام الاتصال
واواهم في كنفه بحقايق السكون اليه حتى انست قلوبهم وحنت ارواحهم شوقا فكان

الحب

الحب والشوق منهم اشارة من الحق اليهم عن حقيقة التوحيد لهم وهو الوجود بالله فلذ
مناهم وانقطعت آمالهم عنده لما بان منه لهم ولو ان الحق اخر جميع الانبياء يسيلون
ما سالوه بعض ما اعد لهم في قديم وحدانيته ودوام ازليته وسابق علمه وكان نصيبهم
معرفتهم به وفراغ همتهم عليه واجتماع اهوائهم فيه فصار يحسدهم من عبيده العموم
وان رفع عن قلوبهم جميع الهموم وانشد في معناه
كانت لقلبي اهواء مفرقة فاستجمعت اذ راتك العين اهوائي
فصار يحسدني من كنت احسده وصرت مولى الورى مذ صرت مولائي
تركت للناس دنياهم ودينهم شغلا بذكرك يا ديني ودنياي
وقد يكون من الانس الانس بطاعة الله وذكره وتلاوة كلامه وساير ابواب
القربات وهذا القدر من الانس نعمة من الله ومنحة منه ولكن ليس هو حال الانس
الذي يكون للمحبين والانس حال شريف يكون عند طهارة الباطن وكنسه
بصدق الزهد وكمال التقوى وقطع الاسباب والعلايق ومحو الخواطر والنواجز
وحقيقته عندي كبس الوجود بثقل انوار العظمة وانتشار الروح في ميادين
الفتوح وله استقلال بنفسه يشتمل على القلب فيجمعه به عن الهيبة وفي
الهيبة اجتماع الروح ورسوبه الى محل النفس وهذا الذي وصفناه انس
الذات وهيبة الذات يكون في مقام البقا بعد العبور على ممر الفنا ومما
غير الانس والهيبة اللذان يذهبان بوجود الفنا لان الهيبة والانس قبل الفنا
ظهرا من مطالعة الصفات من الجلال والجمال وذاك مقام التلوين وما ذكرناه
بعد الفنا في مقام التمكين والبقا من مطالعة الذات ومن الانس خضوع النفس
المطمينة ومن الهيبة خشوعها والخضوع والخشوع يتقاربان ويفترقان بفرق
لطيف مدرك بايما الروح ومنها القرب قال الله تعالى لنبيه عليه الصلوة والسلم
واسجد واقترب وقد ورد اقرب ما يكون العبد من ربه في سجوده فالساجد
اذا ذاق طعم السجود يقرب لانه يسجد ويطوى بسجوده بساط الكون ما كان

اذيق

ومايكون ويسجد على طرف رداء العظمة فيقرب قال بعضهم انى لاجد الحضور فاقول
يا الله او يارب فاجد ذلك اثقل علىّ من الجبال قيل ولم قال لان النداء يكون من وراء حجاب وهل
رايت جليسا ينادى جليسه وانما هى اشارات وملاحظات ومناغاة وملاطفات
وهذا الذى وصفه مقام عزيز متحقق فيه القرب لكنه مشعر بمحو وموذن بسكر
يكون ذلك لمن غاب نفسه فى نور روحه لغلبة سكره وقوة محوه فاذا صحا وافاق
يتخلص الروح من النفس والنفس من الروح ويعود كل من العبد الى محله ومقامه
فيقول يا الله ويارب بلسان النفس المطمئنة العائدة الى مقام حاجتها ومحل
عبوديتها والروح يستقل بفتوحه وكمال الحال عن الاقوال وهنا اتم واقرب من الاول
لانه وفى حق القرب باستقلال الروح بالفتوح واقام رسوم العبودية بعود حكم
النفس الى محل الافتقار وحظ القرب لا يزال يتوفر للروح باقامة رسم العبودية
من النفس وقال الجنيد ان الله تعالى يقرب من قلوب عباده على حسب ما يرى من قرب
قلوب عباده منه فانظر ماذا يقرب من قلبك وقال ابو يعقوب السوسى مادام العبد
يكون بالقرب لم يكن قريبا حتى يغيب عن القرب بالقرب فاذا ذهب عن روية القرب
بالقرب فذاك قرب وقد قال قائلهم
قد تحققتك فى السر فناجاك لسانى ... فاجتمعنا لمعان وافترقنا لمعانى
ان يكن غيبك التعظيم عن لحظ عيانى ... فلقد صيرك الوجد من الاحشاء دانى
قال ذو النون ما ازداد احد من الله قربة الا ازداد هيبة وقال سهل ادنى مقام
من مقامات القرب الحيا وقال النصراباذى باتباع السنة تنال المعرفة وباداء
الفرايض تنال القربة وبالمواظبة على النوافل تنال المحبة ومنها الحيا والحيا على
الوصف العام والوصف الخاص فاما الوصف العام فما امر به رسول الله صلى الله
عليه وسلم فى قوله استحيوا من الله حق الحيا قالوا انا نستحيى يا رسول الله قال ليس ذلك
ولكن من استحيا من الله حق الحيا فليحفظ الراس وما وعى والبطن وما حوى وليذكر
الموت والبلى ومن اراد الآخرة ترك زينة الدنيا فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله

حق الحيا

حق الحيا وهذا الحيا من المقامات واما الحيا الخاص فمن الاحوال وهو ما نقل عن عثمان رضى الله
انه قال انى لاغتسل فى البيت المظلم فانطوى حيا من الله اخبرنا ابو زرعة اجازة عن خلف
اجازة عن ابى عبد الرحمن قال سمعت ابا العباس البغدادى يقول سمعت احمد بن صالح يقول
سمعت محمد بن عبدون يقول سمعت ابا العباس المودب يقول قال لى سرى احفظ
عنى ما اقول لك ان الحيا والانس يطوفان بالقلوب فاذا وجدا فيها الزهد والورع حطا
والا رحلا والحيا اطراق الروح اجلالا لتعظيم الجلال والانس التذاذ الروح
بكمال الجمال فاذا اجتمعا فهو الغاية فى المنى والنهاية فى العطا قال بعض الحكما من
تكلم فى الحيا ولا يستحيى من الله فيما يتكلم به فهو مستدرج وقال ذو النون الحيا
وجود الهيبة فى القلب مع حشمة ما سبق منك الى ربك وقال ابن عطا العلم الاكبر
الهيبة والحيا فاذا ذهب عنه الهيبة والحيا لا خير فيه وقال ابو سليمن ان العباد
عملوا على اربع درجات على الخوف والرجا والتعظيم والحيا واشرفهم منزلة من
عمل على الحيا لما ايقن ان الله تعالى يراه على كل حال استحيا من حسناته اكثر مما استحيا
العاصون من سياتهم وقال بعضهم الغالب على قلوب المستحيين الاجلال والتعظيم
دايما عند نظر الله اليهم ومنها الاتصال قال النورى الاتصال مكاشفات القلوب
ومشاهدات الاسرار وقال بعضهم الاتصال وصول السر الى مقام الذهول
وقال بعضهم الاتصال ان لا يشهد العبد غير خالقه ولا يتصل بسره خاطر غير صانعه
وقال سهل بن عبد الله حركوا بالبلا فتحركوا ولو سكنوا اتصلوا وقال يحيى بن معاذ
الرازى العمال اربعة تايب وزاهد ومشتاق وواصل فالتايب محجوب بتوبته
والزاهد محجوب بزهده والمشتاق محجوب بحاله والواصل لا يحجبه عن الحق شى وقال
ابو سعيد القرشى الواصل الذى يوصله الله فلا يخشى عليه القطع ابدا والمجتهد
الذى يجهده يتصل وكلما دنا انقطع وكان هذا الذى ذكره حال المريد والمراد
لكون احدهما منادا بالكشوف وكون الآخر مردودا الى الاجتهاد وقال ابو يزيد
الواصلون فى ثلثة احرف همهم الله وشغلهم فى الله ورجوعهم الى الله وقال السيارى

الوصول مقام جليل وذاك ان الله تعالى اذا احب عبدا ان يوصله اختصر عليه الطريق
وقرب اليه البعيد وقال الجنيد الواصل هو الحاصل عند ربه وقال رويم اهل الوصول
اوصل الله اليهم قلوبهم فهم محفوظوا القوى ممنوعون من الخلق ابدا وقال ذو النون
ما رجع من رجع الا من الطريق ما وصل اليه احد فرجع عنه واعلم ان الاتصال والمواصلة
اشار اليه الشيوخ وكل من وصل الى صفو اليقين بطريق الذوق والوجدان فهو في رتبة
من الوصول ثم يتفاوتون فمنهم من يجد الله عز وجل بطريق الافعال وهو رتبة في التجلي
فيفنى فعله وفعل غيره لوقوفه مع فعل الله ويخرج في هذه الحالة من التدبير والاختيار
وهذه رتبة في الوصول ومنهم من يوقف في مقام الهيبة والانس بما يكاشف قلبه به
من مطالعة الجلال والجمال وهذا تجلي بطريق الصفات وهو رتبة في الوصول ومنهم
من يرقى الى مقام الفنا مشتملا على باطنه انوار اليقين والمشاهدة مغيبا في شهوده
عن وجوده وهذا ضرب من تجلي الذات لخواص المقربين وهذا المقام رتبة في الوصول
وفوق هذا حق اليقين ويكون من ذلك في الدنيا للخواص لمح وهو سريان نور المشاهدة
في كلية العبد حتى يحظى به روحه وقلبه ونفسه حتى قالبه وهذا من اعلا رتب الوصول
واذا تحققت الحقائق يعلم العبد انه مع هذه الاحوال الشريفة انه بعد في اول المنازل
فاين الوصول هيهات منازل طريق الوصول لا تنقطع ابد الاباد في عمر الاخرة الابدي
فكيف في العمر القصير الدنياوي ومنها القبض والبسط وهما حالان شريفان قال الله
تعالى والله يقبض ويبسط وقد تكلم فيهما الشيوخ واشاروا باشارات هي علامات
القبض والبسط ولم اجد كشفا عن حقيقتهما لانهم اكتفوا بالاشارات والاشارة
تقنع للاهل واحببت ان اشبع الكلام فيهما لعله يتشوف الى ذلك طالب ويحب بسط
القول فيه واعلم ان القبض والبسط لهما موسم معلوم ووقت مختوم لا يكونان قبله
ولا يكونان بعده ووقتهما وموسمهما في اوايل حال المحبة الخاصة فمن هو في مقام المحبة
العامة الثابتة بحكم الايمان لا يكون له قبض ولا بسط وانما يكون له خوف ورجاء
وقد يجد شبه حال القبض وشبه حال البسط ويظن ذلك قبضا وبسطا وليس هو ذلك

وانما

وانما هو هم يعتريه فيظنه قبضا واهتزاز نفساني ونشاط طبعي يظنه بسطا والهم
والنشاط يصدران من محل النفس ومن جوهرها لبقا صفاتها وما دامت صفة
الامارية منها بقية على النفس يكون منها الاهتزاز والنشاط والهم والهم ونحوه
بخار النفس والنشاط ارتفاع موج النفس عند تلاطم بحر الطبع فاذا ارتقى
من حال المحبة العامة الى اوايل المحبة الخاصة يصير ذا حال وذا قلب وذا نفس لوامة
ويتناوب القبض والبسط فيه عند ذلك لانه ارتقى من رتبة الايمان الى رتبة الايقان
وحال المحبة الخاصة فيقبضه الحق تارة ويبسطه اخرى قال الواسطي يقبضك عما لك
ويبسطك فيما له وقال النوري يقبضك لاياه ويبسطك لاياه واعلم ان وجود
القبض لظهور صفة النفس وغلبتها وظهور البسط لظهور صفة القلب وغلبته
والنفس ما دامت لوامة فتارة مغلوبة وتارة غالبة والقبض والبسط باعتبار
ذلك منهما وصاحب القلب تحت حجاب نوراني بوجود قلبه كما ان صاحب النفس
تحت حجاب ظلماني لوجود نفسه فاذا ارتقى من القلب وخرج من حجابه لا تقيده الحال
ولا يتصرف فيه فيخرج من تصرف القبض والبسط حينئذ فلا يقبض ولا يبسط
ما دام متخلصا من الوجود النوراني الذي هو القلب ومتحققا بالقرب من غير حجاب
النفس والقلب فاذا عاد الى الوجود من الفنا والبقا يعود الى الوجود النوراني
الذي هو القلب فيعود القبض والبسط اليه عند ذلك ومهما تخلص الى الفنا
والبقا فلا قبض ولا بسط قال فارس اولا القبض ثم البسط ثم لا قبض ولا بسط
لان القبض والبسط يقعان في الوجود فاما مع الفنا والبقا فلا ثم ان القبض قد يكون
عقوبة الافراط في البسط وذلك ان الوارد من الله يرد على القلب فيمتلي القلب
منه روحا وفرحا واستبشارا فتسترق النفس السمع عند ذلك وتاخذ نصيبها فاذا
وصل اثر الوارد الى النفس طغت بطبعها وافرطت في البسط حتى يشاكل البسط نشاطا
فيقابل بالقبض عقوبة وكل القبض اذا فتش لا يكون الا من حركة النفس وظهورها بصفتها
ولو تادبت النفس وعدلت ولم تجر بالطغيان تارة وبالعصيان اخرى ما وجد صاحب القلب

القبض ودام روحه وانسه ورعاية الاعتدال الذي يسد باب القبض يتلقى من قوله تعالى
لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتيكم فوارد الفرح مادام موقوفا على الروح
والقلب لا يكثف ولا يستوجب صاحبه القبض سيما اذا لطف الفرح بالوارد بلا ايواء
الى الله واذا لم يلتج بالايواء الى الله تطلعت النفس واخذت حقها من الفرح وهو الفرح
بما اوتي المنوع منه فمن ذلك القبض في بعض الاحايين وهذا من لطف الذنوب الموجبة
للقبض في النفس من حركتها وصفاتها ونيات متعددة موجبة للقبض ثم الخوف
والرجا لا يعدمهما صاحب القبض والبسط ولا صاحب الانس والهيبة لانهما من ضرورة
الايمان فلا ينعدمان واما القبض والبسط فينعدمان عند صاحب الايمان لنقصان
الحظ من القلب وعند صاحب الفنا والبقا والقرب لتخلصه من القلب وقد يرد على
الباطن قبض وبسط ولا يعلم سببهما ولا يخفى سبب القبض والبسط الا على قليل الحظ
من العلم الذي لم يحكم علم الحال وعلم المقام ومن احكم علم الحال والمقام لا يخفى عليه
سبب القبض والبسط وربما كان يشتبه عليه سبب القبض والبسط كما يشتبه
عليه الهم بالقبض والنشاط بالبسط وانما على ذلك لمن استقام قلبه ومن عدم
القبض والبسط وارتقا منهما فنفسه مطمينة لا ينقدح من جوهرها نار توجب
القبض ولا يتلاطم بحر طبعها من اهوية الهوى حتى يظهر منه البسط وربما
لمثل هذا القبض والبسط في نفسه لا من نفسه تكون نفسه المطمينة بطبع
القلب فيجري القبض والبسط في نفسه المطمينة وما لقلبه قبض ولا بسط
لان القلب متحصن بشعاع نور الروح مستقر في دعة القرب فلا قبض ولا بسط
ومنها الفنا والبقا فقد قيل الفنا ان تفنى عنه الحظوظ فلا يكون له في شي حظ
بل يفنى عن الاشيا كلها شغلا بمن فني به وقد قال عامر بن عبد الله لا ابالي امراة
رايت ام حايطا ويكون محفوظا فيما لله عليه مصروفا عن جميع المخالفات والبقا
يعقبه وهو ان يفنى عما له ويبقى بما لله وقيل الباقي ان يصير الاشيا كلها له شيا واحدا
فيكون كل حركاته في موافقة الحق دون مخالفته فيكون فانيا عن المخالفات باقيا

في الموافقات وعندي ان هذا الذي ذكره هذا القايل هو مقام صحة التوبة النصوح
وليس من الفنا والبقا في شي ومن الاشارة الى الفنا ما روي ان عبد الله بن عمر سلم عليه
انسان وهو في الطواف فلم يرد عليه فشكاه الى بعض اصحابه فقال له كنا نتراءى الله
في ذلك المكان وقيل الفنا هو الغيبة عن الاشيا كما كان فني موسى حين تجلى ربه للجبل
وقال الخراز الفنا هو التلاشي بالحق والبقا هو الحضور مع الحق وقال الجنيد
الفنا استعجام الكل عن اوصافك واشتغال الكل منك بكليته وقال ابرهيم بن شيبان
علم الفنا والبقا يدور على اخلاص الوحدانية وصحة العبودية وما كان غير هذا
فهو المغاليط والزندقة وسيل الخراز ما علامة الفاني قال علامة من ادعى الفنا
ذهاب حظه من الدنيا والاخرة الا من الله تعالى وقال ابو سعيد الخراز اهل الفنا
في الفنا صحتهم ان يصحبهم علم البقا واهل البقا في البقا صحتهم ان يصحبهم علم الفنا
واعلم ان اقاويل الشيوخ في الفنا والبقا كثيرة فبعضها اشارة الى فنا المخالفات وبقا
الموافقات فهذا تقتضيه التوبة النصوح فهو ثابت بوصف التوبة وبعضها يشير الى
زوال الرغبة والحرص والامل وهذا يقتضيه الزهد وبعضها اشارة الى فنا الاوصاف
المذمومة وبقا الاوصاف المحمودة وهذا يقتضيه تزكية النفس وبعضها اشارة
الى حقيقة الفنا المطلق وكل هذه الاشارات فيها معنى الفنا من وجه ولكن الفنا
المطلق هو ما يستولي من امر الحق سبحانه وتعالى على العبد فيغلب كون الحق سبحانه
على كون العبد وهو ينقسم الى فنا ظاهر وفنا باطن فاما الفنا الظاهر هو ان يتجلى
الحق سبحانه وتعالى بطريق الافعال ويسلب عن العبد اختياره وارادته فلا يرى
لنفسه ولغيره فعلا الا بالحق ثم ياخذ في المعاملة مع الله تعالى بحسبه حتى سمعت
ان بعض من اقيم في هذا المقام من الفنا كان يبقى اياما لا يتناول الطعام والشراب
حتى يتجرد له فعل الله تعالى فيه ويقيض الله له من يطعمه ويسقيه كيف شا واحب
وهذا العبد فنا لانه فني عن نفسه وعن الغير نظرا الى فعل الله تعالى بفنا فعل غير الله
والفنا الباطن ان يكاشف تارة بالصفات وتارة بمشاهدة آثار عظمة الذات



فيستولى على باطنه امر الحق حتى لا يبقى له هاجس ولا وسواس وليس من ضرورة الفناء
ان يغيب احساسه وقد يتفق غيبة الاحساس لبعض الاشخاص وليس ذلك من ضرورة
الفنا على الاطلاق وقد سئلت الشيخ ابا محمد بن عبد البصرى وقلت له هل يكون بقاء
المتخيلات فى السر ووجود الوسواس من الشرك الخفى وكان عندى ان ذلك من الشرك
الخفى فقال لى هذا يكون فى مقام الفنا ولم يذكر انه هل هو من الشرك الخفى ام لا ثم ذكر
حكاية مسلم بن يسار انه كان فى الصلوة فوقعت اسطوانة فى الجامع انزعج لهدتها اهل
السوق فدخلوا المسجد فراوه فى الصلوة ولم يحس بالاسطوانة ووقوعها فهذا هو
الاستغراق والفنا باطنا ثم قد يتسع وعاؤه حتى لعله يكون متحققا بالفنا ومعناه روحا
وقلبا ولا يغيب عن كل ما يجرى من قول وفعل ويكون من اقسام الفنا ان يكون فى كل قول
وفعل مرجعه الى الله وينتظر الاذن فى كليات اموره ليكون فى الاشيا بالله لا بنفسه فتارك
الاختيار منتظرا لفعل الحق فانى وصاحب الانتظار لاذن الحق فى كليات اموره راجعا
الى الله باطنه فى جزوياتها فانى ومن ملكه الله اختياره فاطلقه فى التصرف يختار
كيف شا واراد لا منتظرا للفعل ولا منتظرا للاذن هو باقى والباقى فى مقام لا يحجبه
الحق عن الخلق ولا الخلق عن الحق والفانى محجوب بالحق عن الخلق والفنا الظاهر لارباب
القلوب والاحوال والفنا الباطن لمن اطلق عن وثاق الاحوال وصار بالله لا بالاحوال
وخرج من القلب فصار مع مقلبه لا مع قلبه والله اعلم

الباب الثانى والستون فى شرح كلمات مشيرة الى بعض الاحوال من اصطلاح الصوفية

اخبرنا الشيخ الثقة ابو الفتح محمد عبد الباقى بن سلمان قال انا ابو الفضل حمد قال انا
الحافظ ابو نعيم الاصفهانى قال ثنا محمد بن ابرهيم قال انا ابو مسلم الكشى قال ثنا مسعود بن عيسى
قال انا القاسم بن يحيى قال ثنا ياسين الزيات عن ابى الزبير عن جابر عن النبى عليه الصلوة
والسلام قال ان من يعاد ان التقوى تعلمك الى ما قد علمت علم ما لم يعلم والنقص فيما علمت
قلة الزيادة فيه وانما يزهد الرجل فى علم ما لم يعلم قلة الانتفاع بما قد علم فمشايخ الصوفية
احكموا اساس التقوى وتعلموا العلم لله وعملوا بما علموا لموضع تقويهم فعلمهم الله تعالى
مالم يعلموا من غرائب العلوم ودقيق الاشارات واستنبطوا من كلام الله تعالى غرائب العلوم
وعجائب الاسرار وترسخ قدمهم فى العلم قال ابو سعيد الخراز اول الفهم لكلام الله
العمل به لان فيه العلم والفهم والاستنباط واول الفهم القا السمع والمشاهدة
لقوله تعالى ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد وقال ابو بكر
الواسطى الراسخون فى العلم هم الذين رسخوا بارواحهم فى غيب الغيب فى سر السر
فعرفهم ما عرفهم واراد منهم من مقتضى الآيات ما لم يرد من غيرهم وخاضوا بحر العلم
بالفهم لطلب الزيادات فانكشف لهم من مذخور الخزاين والمخزون تحت كل حرف
واية من الفهم وعجائب النص فاستخرجوا الدرر والجواهر ونطقوا بالحكمة وقد ورد
فى الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه سفين بن عيينة عن ابن جريج عن
عطا عن ابى هريرة انه قال ان من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه الا العلما بالله فاذا
نطقوا به لا ينكره الا اهل الغرة بالله اخبرنا ابو زرعة اجازة قال انا ابو بكر بن خلف
اجازة قال انا ابو عبد الرحمن قال سمعت النصراباذى يقول سمعت ابن عايشة يقول
سمعت القرشى يقول هى اسرار الله تعالى يبديها الى امنا اوليائه وسادات النبلاء
من غير سماع ولا دراسة وهى من الاسرار التى لم يطلع عليها الا الخواص وقال ابو سعيد
الخراز للعارفين خزاين اودعوها علوما غريبة وانباء عجيبة يتكلمون فيها
بلسان الابدية ويخبرون عنها بعبارة الازلية وهو من العلم المجهول وقوله بلسان الابدية
وعبارة الازلية اشارة الى انهم بالله ينطقون وقد قال الله تعالى على لسان نبيه
عليه الصلوة والسلام بى ينطق وهو العلم اللدنى قال الله تعالى فى حق الخضر عليه السلام
وعلمناه من لدنا علما فمما تداولته السنتهم من الكلمات تفهيما من بعضهم للبعض واشارة
منهم الى احوال يجدونها ومعلومات قلبية يعرفونها قولهم الجمع والتفرقة قيل اصل الجمع
والتفرقة قوله تعالى شهد الله انه لا اله الا هو فهذا جمع ثم فرق فقال والملائكة
واولوا العلم وقوله تعالى قولوا امنا بالله جمع ثم فرق بقوله وما انزل الينا والجمع اصل والتفرقة
فرع وكل جمع بلا تفرقة زندقة وكل تفرقة بلا جمع تعطيل وقال الجنيد القرب بالوجد جمع

وغيبته في البشرية تفرقة وقيل جمعهم في المعرفة فرقهم في الاحوال والجمع اتصال لا يشاهد صاحبه الا الحق فمتى شاهد غيره فما جمع والتفرقة شهود لمن شاء بالمباينة وعباراتهم في ذلك كثيرة والمقصود انهم اشاروا بالجمع الى تجريد التوحيد واشاروا بالتفرقة الى الاكتساب فعلى هذا لا جمع الا بتفرقة ويقولون فلان في عين الجمع يعنون استيلاء مراقبة الحق على باطنه فاذا عاد الى شيء من اعماله عاد الى التفرقة فصحة الجمع بالتفرقة وصحة التفرقة بالجمع وهذا يرجع حاصله الى ان الجمع من العلم بالله والتفرقة من العلم بامر الله ولابد منهما جميعا قال المزين الجمع عين الفنا بالله والتفرقة العبودية متصل بعضها بالبعض وقد غلط قوم وادعوا انهم في عين الجمع واشاروا الى صرف التوحيد وعطلوا الاكتساب فتزندقوا وانما الجمع حكم الروح والتفرقة حكم القالب وما دام هذا التركيب باقيا فلابد من الجمع والتفرقة وقال الواسطي اذا نظرت الى نفسك فرقت واذا نظرت الى ربك جمعت واذا كنت قائما بغيرك فانت فاني بلا جمع ولا تفرقة وقيل جمعهم بذاته وفرقهم في صفاته وقد يريدون بالجمع والتفرقة انه اذا اثبت لنفسه كسبا ونظر الى اعماله هو في التفرقة واذا اثبت الاشيا بالحق فهو في الجمع ومجموع الاشارات تنبئ ان الكون يفرق والمكون يجمع فمن افرد المكون جمع ومن نظر الى الكون فرق فالتفرقة عبودية والجمع توحيد فاذا اثبت طاعته نظرا الى كسبه فرق واذا اثبتها بالله جمع واذا تحقق بالفناء فهو جمع الجمع ويمكن ان يقال روية الافعال تفرقة وروية الصفات جمع وروية الذات جمع الجمع سئل بعضهم عن حال موسى عليه السلام في وقت الكلام فقال افنى موسى عن موسى فلم يكن لموسى خبر من موسى ثم كلم فكان المكلم والمكلم هو وكيف كان يطيق موسى حمل الخطاب ورد الجواب لولا اياه سمع ومعنى هذا ان الله تعالى منحه قوة بتلك القوة سمع ولولا تلك القوة ما قدر على السمع ثم انشد القائل متمثلا

وبدا له من بعد ما اندمل الهوى ... برق تالق موهنا لمعانه

يبدوا كحاشية الردا ودونه ... صعب الذرى متمنع اركانه

فبدا لينظر كيف لاح فلم يطق ... نظرا اليه ورده اشجانه

فالنار ما اشتملت عليه ضلوعه ... والماء ما سمحت به اجفانه

قولهم في التجلي والاستتار قال الجنيد انما هو تاديب وتهذيب وتذويب فالتاديب محل الاستتار وهو للعوام والتهذيب للخواص وهو التجلي والتذويب للاوليا وهو المشاهدة وحاصل الاشارات في الاستتار والتجلي راجع الى ظهور صفات النفس ومنها الاستتار وهو اشارة الى غيبة صفات النفس بكمال قوة صفات القلب ومنها التجلي ثم التجلي قد يكون بطريق الافعال وقد يكون بطريق الصفات وقد يكون بطريق الذات والحق ابقى على الخواص مع الاستتار رحمة منه لهم ولغيرهم فاما لهم فانهم به يرجعون الى مصالح النفوس واما لغيرهم فلانه لولا مواضع الاستتار لم ينتفع بهم لاستغراقهم في جمع الجمع وبروزهم لله الواحد القهار قال بعضهم علامة تجلي الحق للاسرار هو ان لا يشهد السر ما يتسلط عليه التعبير ويحويه الفهم فمن عبر او فهم فهو صاحب خاطر استدلال لا ناظر اجلال وقال بعضهم التجلي رفع حجبة البشرية لا ان يتلون ذات الحق عز وجل والاستتار ان تكون البشرية حائلة بينك وبين شهود الغيب ومنها التجريد والتفريد اشارتهم في التجريد والتفريد الى ان العبد يتجرد عن الاعواض فيما يفعله لا ياتي بما ياتي به نظرا الى الاعواض في الدنيا والاخرة بل ما كوشف به من حق العظمة يوديه حسب جهده عبودية وانقيادا والتفريد ان لا يرى نفسه فيما ياتي به بل يرى منة الله عليه فالتجريد ينفي الاغيار والتفريد ينفي نفسه واستغراقه في روية نعمة الله عليه وغيبته عن كسبه ومنها الوجد والتواجد والوجود والوجد ما يرد على الباطن من الله تعالى يكسبه فرحا او حزنا ويغيره عن هيئته ويتطلع الى الله تعالى وهو فرحة يجدها المغلوب عليه بصفات نفسه ينظر منها الى الله والتواجد استجلاب الوجد بالتذكر والتفكر والوجود اتساع فرجة الوجد بالخروج الى فضا الوجدان فلا وجد مع الوجدان ولا خبر مع العيان فالوجد بعرضية الزوال والوجود ثابت ثبوت الجبال وقد قيل

قد كان يطربني وجدي فافقدني ... عن روية الوجد من في الوجد موجود

والوجد يطرب من في الوجد راحته ... والوجد عند حضور الحق مفقود

وعرفوا قدر تلك الكرامة وتاسفوا على فواتها يمكن ان يتداركهم الطاف الحق سبحانه وتعبدهم لا شبه ما كانوا عليه من امر التجلي واذا اصبروا ولن يندموا ولم يتداركوا والعياذ بالله تعالى يقع اللحوق باصحاب الحرمان واما التهذيب فللخواص الذين تعلقت همتهم بتطهير النفس وتزكيتها وازالة صفاتها بالكلية فربما يقع الاستتار ويظهر بعض صفات نفوسهم لزوال ظلمة تلك الصفة بنور التجلي اذا وقع وهو المراد بقوله وهو التجلي واما التذويب فهو للاوليا الذين تزكت نفوسهم وتبدلت اخلاقهم لكن يقع لهم الاستتار لبقايا وجودهم المزاحم في شهودهم فتذوب تلك البقايا بنار الشهود

ومنها الغلبة والغلبة وجد متلاحق فالوجد كالبرق يبدو والغلبة كتلاحق البرق وتواتره يغيب عن التمييز فالوجد ينطفي سريعا والغلبة تبقى للاسرار مزيغة ومنها المسامرة وهي تفرد الارواح بخفي مناجاتها ولطيف مناغاتها في سر السر بلطف ادراكها للقلب لتفرد الروح بها وتلزمه بها دون القلب ومنها السكر والصحو فالسكر استيلا سلطان الحال والصحو العود الى ترتيب الافعال وتهذيب الاقوال قال محمد بن خفيف السكر غليان القلب عند معارضات ذكر المحبوب وقال الواسطي مقامات الواجدين اربعة الذهول ثم الحيرة ثم السكر ثم الصحو كمن سمع بالبحر ثم دنا منه ثم دخل فيه ثم اخذته الامواج فعلى هذا من بقي عليه اثر من سريان الحال فيه فعليه اثر من السكر ومن عاد كل شي منه الى مستقره فهو صاحي فالسكر لارباب القلوب والصحو للمكاشفين بحقايق الغيوب ومنها المحو والاثبات فالمحو ازالة اوصاف النفوس والاثبات بما ادير عليه من آثار الحب كووس والمحو محو رسوم الاعمال بنظر الفنا الى نفسه وما منه والاثبات اثباتها بما انشا الحق له من الوجود به فهو بالحق لا بنفسه باثبات الحق اياه مستانفا بعد ان محاه عن اوصافه قال ابن عطا يمحو اوصافهم ويثبت اسرارهم ومنها علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين فعلم اليقين ما كان من طريق النظر والاستدلال وعين اليقين ما كان من طريق الكشوف والنوال وحق اليقين ما كان بتحقيق الانفصال عن لوث الصلصال بورود رايد الوصال قال فارس علم اليقين لا اضطراب فيه وعين اليقين هو العلم الذي اودعه الله الاسرار والعلم اذا انفرد من نعت اليقين كان علما بشبهة فاذا انضم اليه اليقين كان علما بلا شبهة وحق اليقين هو حقيقة ما يشير اليه علم اليقين وعين اليقين وقال الجنيد حق اليقين ما تحقق العبد بذلك وهو ان يشاهد الغيوب كما يشاهد المرئيات مشاهدة عيان ويحكم على الغيب فيخبر عنه بالصدق كما اخبر الصديق حين قال لما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ماذا ابقيت لعيالك قال الله ورسوله وقال بعضهم علم اليقين حال المعرفة وعين اليقين حال الجمع وحق اليقين جمع الجمع بلسان التوحيد وقيل اليقين اسم ورسم وعلم وعين وحق فالاسم والرسم للعوام

والعلم

والعلم علم اليقين للاوليا وعين اليقين لخواص الاوليا وحق اليقين للانبيا وحقيقة حق اليقين اختص به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ومنها الوقت والمراد بالوقت ما هو غالب على العبد واغلب ما على العبد وقته فانه كالسيف يمضي الوقت بحكمه وينقطع وقد يراد بالوقت ما يهجم على العبد لا بكسبه فيتصرف فيه فيكون بحكمه يقال فلان بحكم الوقت يعني ماخوذ عما منه بما للحق ومنها الغيبة والشهود فالشهود هو الحضور وقتا بنعت المراقبة ووقتا بوصف المشاهدة فما دام العبد موصوفا بالشهود او الرعاية فهو حاضر فاذا فقد حال المشاهدة والمراقبة خرج من دايرة الحضور فهو غايب وقد يعنون بالغيبة الغيبة عن الاشيا بالحق فيكون على هذا المعنى حاصل ذلك راجعا الى مقام الفنا ومنها الذوق والشرب والري فالذوق ايمان والشرب علم والري حال فالذوق لارباب البواده والبوادي والشرب لارباب الطوالع واللوامح واللوامع والري لارباب الاحوال ومعنى ان الاحوال هي التي تستقر فما لم تستقر فليس بحال وانما هي لوامع وطوالع وقيل الحال لا يستقر لانها تحول فاذا استقرت صارت مقاما ومنها المحاضرة والمكاشفة والمشاهدة فالمحاضرة لارباب التلوين والمشاهدة لارباب التمكين والمكاشفة بينهما الى ان تستقر المشاهدة والمحاضرة لاهل العلم والمكاشفة لاهل العين والمشاهدة لاهل الحق اي حق اليقين ومنها الطوارق والبادي والباده والواقع والقادح والطوالع واللوامع واللوايح وهذه كلها الفاظ متقاربة المعنى ويمكن بسط القول فيها ويكون حاصل ذلك راجعا الى معنى واحد يكثر بالعبارة ولا فايدة فيه والمقصود ان هذه الاسما كلها مبادي الحال ومقدماته واذا صح استوعب هذه الاسما كلها ومعانيها ومنها التلوين والتمكين فالتلوين لارباب القلوب لانهم تحت حجب القلوب وللقلوب تخلص الى الصفات والصفات تتعدد بتعدد جهاتها فظهر لارباب القلوب بحسب تعدد الصفات تلوينات ولا تجاوز للقلوب وارباها عن عالم الصفات واما ارباب التمكين خرجوا عن مشايم الاحوال وخرقوا حجب القلوب وباشر ارواحهم سطوع نور الذات فارتفع التلوين

اعدم التغير في الذات ذجل ذاته عن حلول الحوادث والتغيرات فلما خلصوا الى
مواطن القرب من نصبة تجلى الذات رتفع عنهم التلوين فالتلوين حينئذ يكون
في نفوسهم لانها في محل القلوب لموضع طهارتها وقدسها والتلوين الواقع في النفوس
لا يخرج صاحبه عن حال التمكين لان جريان التلوين في النفس لبقاء رسم الانسانية
وثبوت القدم في التمكين كشف حق الحقيقة وليس المعنى بالتمكين ان لا يكون للعبد
تغير فانه بشر وانما نعني به ان ما كوشف به من الحقيقة لا يتوارى عنه ابدا ولا يتناقص
بل يزيد وصاحب التلوين قد يتناقص الشيء في حقه عند ظهور صفات نفسه
وتغيب عنه الحقيقة في بعض الاحوال وتكون ثبوته على مستقر الايمان وتلوينه
في زوايد الاحوال ومنها النفس ويقال النفس للمنتهي والوقت للمبتدي والحال
للمتوسط وكانه اشارة منهم الى ان المبتدي يطرقه من الله طارق ولا يستقر والمتوسط
صاحب حال غالب حاله عليه والمنتهي صاحب نفس متمكن من الحال لا يتناوب عليه الحال
بالغيبة والحضور بل يكون المواجيد مقرونة بانفاسه حقيقة لا يتناوب عليه
وهذه كلها احوال لاربابها ولهم منها ذوق وشرب والله ينفع ببركتهم

الباب الثالث والستون في ذكر شيء من البدايات والنهايات وصحتها

حدثنا شيخنا شيخ الاسلام ابو النجيب السهروردي قال انا الشريف ابو طالب الحسين بن محمد
الزينبي قال اخبرتنا كريمة المروزية قال انا ابو الهيثم محمد بن المكي الكشميهني قال انا ابو عبد الله
محمد بن يوسف الفربري قال انا ابو عبد الله محمد بن اسمعيل بن ابرهيم البخاري قال انا الحميدي
قال ثنا سفين بن عيينة قال ثنا يحيى بن سعيد الانصاري قال اخبرني محمد بن ابرهيم
التيمي انه سمع علقمة بن وقاص قال سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول على
المنبر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انما الاعمال بالنيات وانما لكل
امرئ ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن
كانت هجرته الى دنيا يصيبها او الى امراة ينكحها فهجرته الى ما هاجر اليه النية اول
العمل وبحسبها يكون العمل فاتم ما للمريد في ابتدا امره في طريق القوم ان يدخل طريق الصوفية

والمراد كون افعال العبد واقواله متمحضة لارادة التقرب الى الله تعالى

ويتزيا بزيهم ويجالس طايفتهم لله تعالى فان دخوله في طريقهم هجرة حاله ووقته وقد ورد
المهاجر من هاجر ما نهاه الله عنه وقد قال الله تعالى ومن يخرج من بيته مهاجرا الى
الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله فالمريد ينبغي ان يخرج الى
طريق القوم لله فان وصل الى نهايات القوم فقد لحق بالمنزل وان ادركه الموت قبل الوصول
الى نهايات القوم فاجره على الله وكل من كانت بدايته احكم كانت نهايته اتم اخبرنا ابو زرعة
اجازة عن ابن خلف اجازة عن ابي عبد الرحمن عن ابي العباس البغدادي عن جعفر الخلدي
قال سمعت الجنيد يقول اكثر العوايق والحوايل والموانع من فساد الابتدا فالمريد في اول
سلوك هذا الطريق يحتاج الى احكام النية واحكام النية تنزيهها من دواعي الهوى
وكل ما كان للنفس فيه حظ عاجل حتى يكون خروجه خالصا لله تعالى وكتب سالم بن
عبد الله الى عمر بن عبد العزيز اعلم يا عمر ان عون الله للعبد بقدر النية فمن تمت نيته
تم عون الله له ومن قصرت عنه نيته قصر عنه عون الله بقدر ذلك وكتب بعض
الصالحين الى اخيه اخلص النية في اعمالك يكفك قليل من العمل ومن لم يهتد الى النية
بنفسه يصحب من يعلمه حسن النية قال سهل بن عبد الله التستري اول ما يومر به المريد
المبتدي التبري من الحركات المذمومة ثم التنقل الى الحركات المحمودة ثم التفرد
لامر الله ثم التوقف في الرشاد ثم الثبات ثم البيان ثم القرب ثم المناجاة ثم المصافاة
ثم الموالاة ويكون الرضا والتسليم مراده والتفويض والتوكل حاله ثم يمن الله تعالى
بعد هذا بالمعرفة فيكون مقامه عند الله مقام المتبرين من الحول والقوة وهذا مقام
حملة العرش وليس بعده مقام هذا من كلام سهل جمع فيه ما في البداية والنهاية ومتى
تمسك المريد بالصدق والاخلاص بلغ مبلغ الرجال وانما يتحقق صدقه واخلاصه
بشيئين متابعة امر الشرع وقطع النظر عن الخلق فكل الآفات التي دخلت على اهل
البدايات لموضع نظرهم الى الخلق وبلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث
انه قال لا يكمل ايمان المرء حتى يكون الناس عنده كالاباعر اشارة الى قطع النظر عن
الخلق والخروج منهم وترك التقيد بعاداتهم قال احمد بن خضرويه من احب ان يكون الله تعالى معه

على كل حال فليلزم الصدق فان الله مع الصادقين وقد ورد في الخبر عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم الصدق يهدي الى البر ولابد للمريد من الخروج من المال والجاه والخروج
من الخلق بقطع النظر اليهم الى ان يحكم اساسه فيعلم دقايق الهوى وخفايا شهوات النفس
فانفع شيء للمريد معرفة النفس ولا يقوم بسواجب معرفة النفس من له في الدنيا حاجة
من طلب الفضول والزيادات وعليه من الهوى بقية قال زيد بن اسلم خصلتان هما كمال
امرك تصبح لا تهتم لله بمعصية وتمسي لا تهتم لله بمعصية فاذا احكم الزهد والتقوى
انكشفت له النفس وخرجت عن حجبها وعلم طريق حركتها وخفي شهواتها ودسايسها وتلبيساتها
ومن تمسك بالصدق فقد تمسك بالعروة الوثقى قال ذو النون لله تعالى في ارضه سيف
ما وضع على شيء الا قطع وهو الصدق ونقل في معنى الصدق ان عابدا من بني اسرايل
راودته ملكة عن نفسه فقال اجعلوا لي ماء في الخلاء اتنظف ثم صعد على موضع في
القصر فرمى بنفسه فاوحى الله تعالى الى ملك الهوا الزم عبدي قال فلزمه ووضعه
على الارض وضعا رفيقا فقيل لابليس الا اغويته فقال ليس لي سلطان على من خالف
هواه وبذل نفسه لله عز وجل وينبغي للمريد ان يكون له في كل شيء نية لله تعالى حتى في اكله
وشربه وملبوسه فلا يلبس الا لله ولا ياكل الا لله ولا يشرب الا لله ولا ينام الا لله لان
هذه كلها ارفاق دخلها على النفس فاذا كانت لله لا يستعصي النفس وتجيب الى ما يراد
منها من المعاملة لله والاخلاص واذا دخل في شيء من رفق النفس لا لله لا بنية صالحة
صار ذلك وبالا عليه وقد ورد في الخبر من تطيب لله عز وجل جاء يوم القيامة وريحه
اطيب من المسك الاذفر ومن تطيب لغير الله عز وجل جاء يوم القيامة وريحه انتن
من الجيفة وقيل كان انس يقول طيبوا كفي بمسك فان ثابتا يصافحني ويقبل يدي وقد كانوا
يحسنون للباس للصلوة متقربين بذلك الى الله بنيتهم فالمريد ينبغي ان يتفقد جميع
اقواله وافعاله ولا يسامح نفسه ان يتحرك بحركة او يتكلم بكلمة الا لله تعالى وقد راينا
في اصحاب شيخنا من كان ينوي عند كل لقمة ويقول بلسانه ايضا آكل هذه اللقمة لله تعالى
ولا ينفع القول اذا لم يكن النية في القلب لان النية عمل القلب وانما اللسان ترجمان فما لم تشتمل

عليها

التقوى

واصل الصدق استواء السر والعلانية

عليها عزيمة القلب لله لا يكون نية ونادى رجل امراته وكان يسرح شعره فقال هات المدرا
اراد الميل ليفرق شعره فقالت له امراته اجي بالمراة فسكت ثم قال نعم فقال له من معه
وسكت وتوقفت عن المراة ثم قلت نعم فقال اني قلت لها هات المدرى بنية فلما قالت
والمراة لم يكن لي في المراة نية فوقفت حتى هيا الله عز وجل لي نية فقلت نعم وكل مبتدي لا يحكم
اساس بدايته بمهاجرة الالاف والاصدقاء والمعارف ولا يتمسك بالوحدة لا يستقر بدايته
قد قيل من قلة الصدق كثرة الخلطاء وانفع ما له لزوم الصمت وان لا يطرق سمعه كلام
الناس فان باطنه يتغير ويتاثر بالاقوال المختلفة وكل من لا يعلم كمال زهده في الدنيا
وتمسكه بحقايق التقوى لا يعرفه ابدا فان معرفته لا ينتج عليه خيرا وبواطن اهل الابتداء
كالشمع يقبل كل نقش وربما استضر المبتدي بمجرد النظر الى الناس ويستضر بفضول
النظر ايضا وفضول المشي فيقف من الاشيا كلها على الضرورة فينظر ضرورة حتى لو مشى
في بعض الطرق يجتهد ان يكون نظره الى الطريق الذي يسلكه لا يلتفت يمنة ولا يسرة
ثم يتقي موضع نظر الناس اليه واحساسهم منه بالرعاية والاحتراز فان علم الناس منه بذلك
اضر عليه من فعله ولا يستحقر فضول المشي فان كل شيء من قول وفعل ونظر وسماع خرج
عن حد الضرورة جر الى الفضول ثم يجر الى تضييع الاصول قال سفين انما حرموا الوصول
بتضييع الاصول وكل من لا يتمسك بالضرورة في القول والفعل لا يقدر ان يقف على
قدر الحاجة من الطعام والشراب والنوم ومتى تعدى الضرورة تداعت عزايم قلبه وانحلت
شيئا فشيئا وقال سهل عبد الله من لم يعبد الله اختيارا يعبد الخلق اضطرارا وتنفتح
على العبد ابواب الرخص والاتساع ويهلك مع الهالكين ولا ينبغي للمبتدي ان يعرف
احدا من ارباب الدنيا فان صحبتهم له سم قاتل وقد ورد ان الدنيا مبغوضة الله من تمسك
بحبل منها قادته الى النار ومن حبل من حبالها كابناها والطالبين لها والمحبين فرغ فيهم
انجذب اليها شاء ام ابا ويحترز المبتدي من مجالسة الفقرا الذين لا يقولون بقيام
الليل وصيام النهار فانه يدخل عليه منهم شر مما يدخل عليه من مجالسة ابنا الدنيا
وربما يشيرون الى ان الاعمال شغل المتعبدين وان ارباب الاحوال ارتقوا من ذلك

عن القصد والعزم والارادة

وينبغي للفقير ان يقتصر على الفرايض وصوم رمضان فحسب لا ينبغي ان يدخل هذا الكلام
سمعه راسا فانا جربنا ومارسنا الامور كلها وجالسنا الفقرا والصالحين ورايناهم
ان الذين يقولون هذا القول ويرون الفرايض دون الزيادات والنوافل تحت القصور
مع كونهم اصحا في احوالهم فعلى العبد التمسك بكل فريضة وفضيلة فبذلك تثبت
اقدامه في بدايته ويراعي يوم الجمعة خاصة ويجعله لله تعالى خالصا لا يمزجه بشي
من احوال نفسه ومآربها ويبكر الى الجامع قبل طلوع الشمس بعد الغسل للجمعة
وان اغتسل قريبا من وقت الصلوة اذا امكنه ذلك فحسن ويختم بالصلوة والتضرع
والدعا والتلاوة وانواع الاذكار من غير فتور الى ان يصلي الجمعة ويجلس معتكفا
في الجامع الى ان يصلي الفرض من صلوة العصر وبقية النهار يشغله بالتسبيح والاستغفار
والصلوة على النبي فانه يجد بركة ذلك في جميع اسبوعه وقد كان من الصادقين من يضبط
اقواله وافعاله جميع الاسبوع حتى يجد ثمرة ذلك يوم الجمعة لانه يوم المزيد لكل صادق
ويكون ما يجده يوم الجمعة محكا يعتبر به ساير الاسبوع الذي مضى فانه اذا كان الاسبوع
سليما يكون يوم الجمعة فيه مزيد الانوار والبركات وما يجده في يوم الجمعة من الظلمة وسامة
النفس وقلة الانشراح فلما ضيع في الاسبوع يعرف ذلك ويعتبره ويتقي جدا ان يلبس للناس
اما المرفوع من الثياب او ثياب المتقشفين ليرى بعين الزهد ففي لبس المرتفع للناس
هوى وفي لبس الخشن ريا فلا يلبس الا لله بلغنا ان سفين لبس القميص مقلوبا ولم يعلم
بذلك حتى ارتفع النهار ونبهه على ذلك بعض الناس فهم ان يحله ويغيره ثم امسك وقال
لبسته بنية لله فلا اغيره فالبسه بنية للناس فليعلم العبد ذلك ويعتبره ولا بد للمبتدي
ان يكون له حظ من تلاوة القرآن ومن حفظه فيحفظ من القرآن من السبع الى الجميع الى
اقل او اكثر كيف امكن ولا يصغي الى قول من يقول لا اثرة ذكر واحد افضل من تلاوة القرآن
فانه يجد بالقرآن وتلاوته في الصلوة وغير الصلوة جميع ما يتمنى بتوفيق الله وانما اختار من
المشايخ بعضهم ان يديم المريد ذكرا واحدا ليجتمع الهم ومن لازم التلاوة في الخلوة وتسلى
بالوحدة تفيدا لتلاوة والصلوة او في تمايفيده الذكر الواحد فاذا سام في بعض الاحاين
سنم

يصانع النفس على الذكر مصانعة وينزل عن التلاوة الى الذكر فانه اخف على النفس
وينبغي ان يعلم ان الاعتبار بالقلب فكل عمل من تلاوة وصلوة وذكر لا يجمع فيه بين
القلب واللسان لا يعتد به كل الاعتداد فانه عمل ناقص ولا يحقر الوساوس وحديث
النفس فانه مضر وداء عضال بل يطالب نفسه ان يصير في تلاوته معنى القرآن مكان حديث
النفس من باطنه كما ان التلاوة على اللسان مشغول لسانه بالتلاوة لا يمزجه كلام آخر
هكذا يكون معنى القرآن في القلب لا يمزجه حديث النفس وان كان اعجميا لا يعلم معنى
القرآن تكون المراقبة حلية باطنه فيشغل باطنه بمطالعة نظر الله اليه مكان حديث
النفس فان بالدوام على ذلك يصير من ارباب المشاهدة قال مالك قلوب الصديقين اذا
سمعت القرآن طربت الى الآخرة فليتمسك المريد بهذه الاصول ويستعين بدوام الافتقار
الى الله فبذلك ثبات قدمه قال سهل على قدر لزوم الالتجاء والافتقار يعرف البلاء
وعلى قدر معرفته بالبلاء يكون افتقاره الى الله فدوام الافتقار الى الله اصل كل خير ومفتاح
كل علم دقيق في طريق القوم وهذا الافتقار مع الانفاس لا يستبد بحركة ولا يستقل
بكلمة دون الله تعالى ودون الافتقار الى الله فيها وكل كلمة وحركة خلت عن مراجعة
الله والافتقار فيها لا يعقب خيرا قطعا علمنا ذلك وتحققناه وقال سهل من اشتغل من نفس الى
نفس من غير ذكر فقد ضيع حاله وادنى ما يدخل على مضيع حاله دخوله فيما لا يعنيه وتركه
ما يعنيه بلغنا ان حسان بن سنان قال ذات يوم لمن هذه الدار ثم رجع الى نفسه وقال
مالي وهذا السوال وسل هذه الا كلمة لا تعنيني وسل هذا الا لا استيلا انفسي وقلة
ادبها وآلى على نفسه ان يصوم سنة كفارة لهذه الكلمة فبالصدق نالوا ما نالوا
وبقوة العزايم عزايم الرجال بلغوا ما بلغوا قال اخبرنا ابو زرعة اجازة قال انا ابو بكر بن
خلف اجازة قال انا ابو عبد الرحمن قال سمعت منصورا يقول سمعت ابا عمرو الانماطي
يقول سمعت الجنيد يقول لو اقبل صادق على الله الف سنة ثم اعرض عنه لحظة
لكان ما فاته من الله اكثر مما ناله وهذه الجملة يحتاج المبتدي ان يحكمها والمنتهي عالم
بها عامل بحقايقها فالمبتدي صادق والمنتهي صديق قال ابو سعيد القرشي الصادق الذي

الفرق بين الصادق والصديق

ظاهره مستقيم وباطنه يميل احيانا الى حظ النفس وعلامته ان يجد الحلاوة في بعض الطاعة ولا يجد في بعض واذا اشتغل بالذكر نور الروح واذا اشتغل بحظوظ النفس تحجب عن الاذكار والصديق الذي استقام ظاهره وباطنه يعبد الله بتلوين الاحوال لا تحجبه عن الله وعن الاذكار اكل ولا نوم ولا شرب ولا طعام والصديق يريد نفسه لله واقرب الاحوال الى النبوة الصديقية وقال ابو يزيد اخر نهايات الصديقين اول درجات الانبيآء واعلم ان ارباب النهايات استقامت ظواهرهم وبواطنهم لله وارواحهم خلصت عن ظلمة النفوس ووطئت بساط القرب ونفوسهم منقادة مطواعة مصالحة مع القلوب مجيبة الى كل ما تجيب اليه القلوب وارواحهم متعلقة بالمقام الاعلى انطفت فيهم نيران الهوى وتخمرت في بواطنهم صريح العلم وانكشفت لهم الآخرة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حق ابي بكر من اراد ان ينظر الى ميت يمشي على وجه الارض فلينظر الى ابي بكر اشارة منه عليه الصلوة والسلام الى ما كوشف به من صريح العلم الذي لا يصل اليه عوام المومنين الا بعد الموت حيث يقال فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد فارباب النهايات ماتت اهويتهم وخلصت ارواحهم قال يحيى بن معاذ وقد سئل عن وصف العارف فقال رجل معهم بائن منهم وقال مرة عبد كان فبان فارباب النهايات هم عند الله بحقيقتهم موقوفين بتوقيت الاجل جعلهم الله تعالى من جنوده في خلقه بهم يهدي وبهم يرشد وبهم يجذب اهل الارادة كلامهم دوآء ونظرهم دوآء ظاهرهم محفوظ بالحكم وباطنهم معمور بالعلم قال ذو النون علامة العارف ثلثة لا يطفي نور معرفته نور ورعه ولا يعتقد باطنا من العلم ينقض عليه ظاهرا من الحكم ولا يحمله كثرة نعم الله وكرامته على هتك استار محارم الله فارباب النهايات كلما ازدادوا نعمة ازدادوا عبودية وكلما ازدادوا دنيا ازدادوا قربا وكلما ازدادوا جاها ورفعة ازدادوا تواضعا وذلة اذلة على المومنين اعزة على الكافرين وكلما تناولوا شهوة من شهوات النفوس استخرجت منهم شكرا صافيا يتناولون الشهوات تارة رفقا بالنفوس لانها معهم كالطفل الذي

يلطف

يلطف بالشيء ويهدى له الشيء لانه مقهور تحت السياسة مرحوم ملطوف وتارة يمنعون نفوسهم الشهوات تاسيا بالانبيآء واختيارهم التقلل من الشهوات الدنياوية قال يحيى بن معاذ الدنيا عروس ومن يطلبها ماشطتها والزاهد فيها يسخم وجهها وينتف شعرها ويخرق ثوبها والعارف بالله مشتغل بسيده ولا يلتفت اليها واعلم ان المنتهي مع كمال حاله لا يستغني ايضا عن سياسة النفس ومنعها الشهوات واخذ الحظ من زيادة الصيام والقيام وانواع البر وقد غلط في هذا خلق وظنوا ان المنتهي يستغني عن الزيادات والنوافل ولا يضره الاسترسال في تناول الملاذ والشهوات وهذا خطا لا من حيث انه يحجب العارف عن معرفته ولكن يوقفه عن مقام المزيد فقوم لما راوا ان هذه الاشياء لا تؤثر فيهم قسوة ولا تؤثر بهم حجبة ركنوا اليها واسترسلوا فيها وقنعوا باداء الفرايض واتسعوا في الماكل والمشرب وهذا الانبساط منهم بقية من سكر الاحوال وتقيد بنور الحال وعدم التخلص بالكلية الى نور الحق ومن تخلص من نور الحال الى نور الحق يذهب عنه بقايا السكر ويوقف نفسه مقام العبيد كاحاد عوام المومنين يتقرب بالصلوة والصوم وانواع البر حتى باماطة الاذى عن الطريق ولا يستكبر ولا يستنكف ان يعود في صور عوام المومنين من اظهار الارادة بكل بر وصلة فيتناول الشهوات وقتا رفقا بالنفس المطهرة المزكاة المنقادة المطواعة لانها اسيرته ويمنعها الشهوات وقتا لان في ذلك صلاحها واعتبر هذا سوآء بحال الصبي فانه ان جاوزحة الاعتدال من اعطا المراد وقتا ومنعه وقتا انفسد طبعه لان الجبلة لا بد من قمعها بسياسة العلم وما دامت الجبلة باقية لا بد من سياسة العلم وهذا باب غامض دخل في النهايات على المنتهين من ذلك دواخل ووقع الركون وانسد به باب المزيد والمنتهي ملك ناصية الاختيار في الاخذ والترك ولا بد له من اخذ وترك في الاعمال والحظوظ ففي الاعمال لا بد له من اخذ وترك فتارة ياتي بالاعمال كاحاد الصادقين وتارة يترك زيادة الاعمال رفقا بالنفس وتارة ياخذ الحظوظ والشهوات رفقا بالنفس وتارة يترك انقيادا للنفس بحسن السياسة



فيكون في ذلك كله مختاراً فمن كان ترك الحظوظ بالكلية فهو زاهد تارك بالكلية
ومن استرسل في اخذها راغب بالكلية والمنتهي يشمل الطرفين فانه على غاية الاعتدال
واقف على الصراط بين الافراط والتفريط فمن ردت اليه الاقسام في النهاية فاخذها
زاهداً في الزهد تحت قهر الحال من ترك الاختيار وتارك الاختيار لواقف مع فعل الله
مقيد بالحال وكما ان الزاهد مقيد بالترك تارك الاختيار الزاهد في الزهد الآخذ
من الدنيا ما سيق اليه لرؤيته فعل الله مقيد بالاخذ واذا استقرت النهاية لا يتقيد
بالاخذ ولا بالترك بل يترك وقتاً واختياره من اختيار الله ويأخذ وقتاً واختياره من
اختيار الله وهكذا صومه النافلة وصلوته النافلة يأتي بها وقتاً ويسمح للنفس وقتاً
لانه مختار صحيح في الاختيار في الحالين وهذا هو الصحيح ونهاية النهاية وكل حال
يستقر ويستقيم يشاكل حال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهكذا كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقوم من الليل ولا يقوم الليل كله ويصوم من الشهر ولا يصوم
الشهر كله غير رمضان ويتناول الشهوات ولما قال الرجل اني عزمت ان لا آكل اللحم
فقال لا آكل اللحم فاني آكل اللحم واحبه ولو سالت ربي ان يطعمني كل يوم لاطعمني
وهذا يدلك على ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مختاراً في ذلك ان شاء اكل
وان شاء لم يأكل وكان يترك اختياراً وقد دخلت الفتنة على قوم كلما قيل لهم ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل كذا يقولون كان رسول الله مشرعاً وهذا اذا
قالوه على معنى انه لا يلزمهم التأسي به جهل محض فان الرخصة الوقوف على حد
قوله والعزيمة التاسي بفعله وقول رسول الله لارباب الرخص وفعله لارباب
العزائم ثم ان المنتهي يحاكي حال رسول الله في دعاء الخلق الى الحق فكلما كان يعتمده
رسول الله ينبغي ان يعتمده وكان قيام رسول الله وصيامه الزائد لا يخلو اما ان كان
ليقتدى به واما كان لمزيد كان يجده بذلك فان كان ليقتدى به فالمنتهي ايضاً
مقتدى ينبغي ان يأتي بمثل ذلك والصحيح الحق ان رسول الله لم يفعل ذلك لمجرد
الاقتداء بل كان يجد بذلك زيادة وهو ما ذكرناه من تهذيب الجبلة قال الله تعالى خطاباً له

دخول الفتنة على قوم يقولون كان رسول الله يشرع

واعبد ربك حتى يأتيك اليقين لان بذلك تمداداً من الحضرة الالهية وقرع باب
الكريم والنبي عليه الصلوة والسلام مفتقر الى الزيادة من الله تعالى غير مستغن
عن ذلك ثم في ذلك سر غريب وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم برابطة جنسية
النفس كان يدعو الخلق ولولا رابطة الجنسية ما وصلوا اليه ولا انتفعوا به
وبين نفسه الطاهرة ونفوس الاتباع رابطة التأليف كما بين ارواحهم رابطة
التأليف ورابطة التأليف ان النفوس لفتت آنفاً كما ان الارواح الفت ولا
ولكل روح مع نفسه تأليف خاص والسكون والامتزاج واقع بين الارواح
والنفوس وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يديم العمل لتصفية نفسه ونفوس
الاتباع فما احتاج اليه نفسه من ذلك نال وما فضل من ذلك وصل الى نفوس الامة
وهكذا المنتهي مع الاصحاب والاتباع على هذا المعنى فلا يتخلف عن الزيادات
والنوافل ولا يسترسل في الشهوات واللذات الا بدلالة محض النفس ولا يعطي
الاعتدال حقه من ذلك الا بتأييد الله ونور الحكمة وكل من يحتاج الى صحة الجلوة
للغير لا بد له من خلوة صحيحة بالحق حتى يكون جلوته في حماية خلوته ومن يرى ان
اوقاته كلها خلوة وانه لا يحجبه شيء وان اوقاته بالله ولله ولا يرى نقصاناً
لان لله ما فطنه لحقيقة المزيد وهو صحيح في حاله غير انه تحت قصور لانه ما
لسياسة الجبلة وما عرف سر تمليك الاختيار وما وقف من البيان على البيضا
النقية وقد نقلت عن المشايخ كلمات فيها موضع الاشتباه فقد يسمعها الانسان
ويبني عليها والاولى ان يفتقر الى الله تعالى في كل كلمة يسمعها حتى يسمعه الله تعالى
من ذلك الصواب نقل عن بعضهم انه سئل عن كمال المعرفة فقال اذا اجتمعت المتفرقات
واستوت الاحوال والاماكن وسقط روية التمييز فمثل هذا القول يوهم ان
لا يبقى تمييز بين الخلوة والجلوة وبين القيام بصور الاعمال وبين تركها ولم يفهم منها
غير ذلك ولا يفهم منه ان القائل اراد بذلك معنى خاصاً يعني ان حظ المعرفة لا يتغير
بحال من الاحوال وهذا صحيح ان حظ المعرفة لا يتغير ولا يفتقر الى التمييز ويتغير

فربما يفهمه الله سبحانه عبداً ويلهمه ويفتح عليه ما لم يفعل لغيره وليس كل صحيح خوياً وليس كل قوي اقوى قال الله سبحانه وتعالى
وفوق كل ذي علم عليم فاللائق بارباب الهمم العلية بعد التادب بما سمع من كلمات المشايخ ان يتوجه الى الله سبحانه وتعالى
بسره بالافتقار التام مخلصاً سره من مصاحبة المسموعات متلقياً المزيد عسى ان يفهم او يشاهد فوق ما كان عنده من كلام
غيره او كشفه قال الله سبحانه ولدينا مزيد وحينئذ يعرف الاصوب والاولى ويعلم الافضل والاعلى



الاحوال فيه ولكن حظ المزيد يتغير ويحتاج الى التمييز وليس في هذا الكلام وامثاله
ماينافي ماذكرناه قيل لمحمد بن الفضل حاجة العارفين الى ماذا قال حاجتهم الى
الخصلة التي كملت بها المحاسن كلها الا وهي الاستقامة وكل من كان اتم معرفة
كان اتم استقامة فاستقامة ارباب النهايات على التمام والعبد في الابتداء
ماخوذ في الاعمال محجوب بها عن الاحوال وفي التوسط محظوظ بالاحوال
فقد يحجب عن الاعمال وفي الانتهاء لا تحجبه الاعمال عن الاحوال ولا الاحوال عن
الاعمال وذلك هو الفضل العظيم سئل الجنيد عن النهاية فقال هي الرجوع الى
البداية وقد فسر بعضهم قول الجنيد قال معناه انه كان في ابتداء امره في جهل
ثم وصل الى المعرفة ثم رد الى التحير والجهل وهو كالطفولية يكون جهل
ثم علم ثم جهل قال الله تعالى لكيلا يعلم بعد علم شيأ قال بعضهم اعرف الخلق بالله
اشدهم تحيرا فيه ويجوز ان يكون معنى ذلك ما ذكرناه انه يبادي بالاعمال ثم يرقى
الى الاحوال ثم تجمع له بين الاحوال والاعمال وهذا يكون للمنتهي المراد الماخوذ
في طريق المحبوبين ينجذب روحه الى الحضرة الالهية وتستتبع القلب
والقلب يستتبع النفس والنفس تستتبع القالب فيكون بكليته قائما
بالله ساجدا بين يدي الله كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سجد لك
سوادي وخيالي وقال الله تعالى ولله يسجد من في السموات والارض
طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والاصال والظلال القوالب تسجد
لسجود الارواح وعند ذلك تسري روح المحبة في جميع اجزائهم وابعاضهم
فيتلذذون ويتنعمون بذكر الله وتلاوة كلامه محبة وودا فيحبهم
الله ويحببهم الى خلقه نعمة منه عليهم وفضلا على ما اخبرنا شيخنا ضياء الدين
ابو النجيب السهروردي رحمه الله قال انا ابو طالب الزينبي قال انا كريمة
المروزية قالت انا ابو الهيثم الكشميهني قال انا ابو عبد الله الفربري قال انا
ابو عبد الله البخاري قال حدثني اسحق قال نا عبد الصمد قال نا عبد الرحمن
[illegible] الوصال ومشاهدة الجمال وعرفت ان المرآة كلما كانت اصفى تجلى الجمال فيها اجمل وابهى [illegible] صفاء المرآة والصقال
[illegible] المريد الخاص بمزيد الاختصاص [illegible] لا ينقطع سيره في الابد ابدا ولا [illegible] مشاهدة [illegible]
[illegible] اللهم اجعلني من هولاء القوم المحبين محبة الذات ولا توقفني في مقام من المواهب والعطيات
[illegible] سيد المرسلين من اعليت لهم الدرجات عليه وعليهم افضل الصلوات واكمل التحيات تمت

عبد الله بن دينار عن ابيه عن ابي صالح عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى اذا احب عبدا نادى جبرئيل ان الله قد احب
فلانا فاحبه فيحبه جبرئيل ثم ينادي جبرئيل في السماء ان الله احب فلانا
فاحبوه فيحبه اهل السماء ويوضع له القبول في الارض والحمد لوليه
والصلوة والسلام على نبيه محمد واله وصحبه
اتفق الفراغ من تحريره في منتصف شهر ربيع الاول
لسنة احدى وخمسين وسبعمية على يدي
اقل عباد الله جنيد بن فضل الله بن عبد الرحمن علي
بن رعش تاب الله عليه وغفر لوالديه
ولجميع المسلمين والمسلمات
انه غفور رحيم

نسب المصنف قدس الله روحه عمر بن محمد بن عبد الله بن عبد الله بن سعد بن الحسين بن القاسم بن النضر بن القاسم بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن القاسم
بن محمد بن [illegible] ابي بكر الصديق خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وولادته في رجب سنة تسع وثلثين وخمسمايه ووفاته [illegible]

كان في آخر بعض النسخ مكتوبا

انتهى كتاب العوارف مجد الالاء عميم المعارف الى البرايا عظيم العطايا ذو الخلال وجسيم العواطف
كتاب جليل من املاء شيخ امام المشايخ جميل اللطائف شهاب الدين وجه مكين له في المعارف بديع الطرائف
جزاه الهي شآبيب قدس وفاضت عليه رحيق الكواشف

وقد فرغ العبد المفتقر [illegible]

